

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١١)

صورة العرب في الصحافة البريطانية

دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة

الدكتور حلمي خضر ساري

صورة العرب
في الصحافة البريطانية



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة أطروحات الدكتوراه (١١)

صورة العرب في الصحافة البريطانية

دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة

الدكتور حلمي خضر ساري

ترجمة : عطا عبد الوهاب

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبنّاها «مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣

حقوق الطبع محفوظة للمركز
الطبعة الأولى
بيروت: كانون الثاني/يناير ١٩٨٨

المُحتويَات

القسم الثاني

قائمة الجداول

مُقدّمة

هـذه الدراسـة هي في الأساس أطـروحة دكتـوراه في علم الاجتـاع الإعـلامي قـدِّمت إلى مـدرسـة التحليـل الاجتـاعي (School of Social Analysis) في جـامعـة برادفورد بـبريطانيـا عام ١٩٨٣، واستغـرق تحضيرهـا قرابـة الأربع سنـوات، قضيتها بجمع المعلومات والمصادر الأولية من مكتبات مختلفة في بريطانيـا تخص الوطن العـربي والإسلام وصراع الشرق الأوسط. وقد يكون من نافلة القول ان نذكر هنا بـأن انجاز هذا العمل كان شاقاً ومتعباً، ولكنه مع ذلك شكل بالنسبة لي متعة فكريـة لا يقدرهـا أو يحس بها إلا من خاض تجربة مشابهة، وكوفيء عليها علمياً ونفسياً.

فالباحث الذي يتصدّى لعمل رئيسي كهذا، يقوم في الواقع باستقصاء الأدبيات الخاصة بموضوعـه في مكتبة الجـامعة، عـلى أن مثل هـذه المحاولـة لم تجدِ كـاتب هذه الأطروحة نفعاً كبيراً، إذ ثبت أن موضوع البحث يمثل أرضاً بكراً بالنسبـة لبريـطانيا؛ لـذا كان عـليّ أن أجمع بنفسي الشيء الكثـير، معتمـداً عـلى أعـمال أخرى ذات صلة بالموضـوع، وهي وان كانت تختلف في مـادة البحث، لكنها أعـمال متشابهـة في الاتجاه العام.

ثم ان أية أطروحة تتقصى تغطية إخباريـة كما تقـدمها وسيلة معينـة من وسائـل الإعـلام الجماهـيري عن وضع سيـاسي لا يزال في حـالة تـطوّر مستمر، كـالصراع في الشرق الأوسط، تـظل قابلة لاحتـمالات التغيـر النسبي، بفعـل مـرور الـزمن وتجـدّد الأحداث. وبما أن أية دراسة تظل محدودة من جهـة بتوافـر المصادر، ومقيـدة من جهة أخرى بعامل الوقت وعدد الأفراد العاملين، فإنّ ذلك يستدعي وقـوعها في إشكـالات منهجية لا مفر منها، وهي إشكالات ما كانت الدراسة الأشمل ستواجهها.

يعتمد تحليلنا في هذه الدراسة على عدد من الفرضيات:

أولاً: إن فهم أي موضوع سياسي مهمّ تغطي أخباره الصحف لا بد أن يكون فهماً محدد الإطار تاريخياً. وبما ان مدراء الصحف والعاملين فيها من الصحفيين يلجأون حتماً إلى ذخيرة معينة من المفاهيم والتصورات، فعلى الباحث أن يستكشف أين ومتى خزنت هذه الذخيرة الأيديولوجية، وكيف أثّرت في التحليل.

ثانياً: ومع إقرارنا بأن الصحافة البريطانية ذات تحيّز وميل سياسي عام، إلا أنه يظل من الممكن تصنيفها بموجب معيار النوعية إلى صحافة «شعبية» و«راديكالية» و«محافظة». وقد جرى اختيار الصحف في هذا البحث على هذا الأساس، مع ملاحظة الإشكالات أعلاه.

ثالثاً: مع أن أسلوبنا في تحليل العيّنة قادنا إلى التوصل لبيانات منتظمة، إلا أن تغطية الأحداث المهمة تاريخياً (كالحروب والنزاعات والمؤتمرات) تقتضي تحليلاً خاصاً ومفصلاً لأساليب المؤسسات الاتصالية في عرضها للأخبار وصناعتها لمجمل الصورة العربية، ومع أن أسلوب التحليل الذي اتبعته هذه الأطروحة قد أثبت مصداقيته في تسجيل الثبات والتغير في اتجاهات الصحافة البريطانية ازاء العرب، إلا أن الالمام بالتفاصيل كافة كان أمراً عسيراً، إن لم يكن مستحيلاً.

يشكّل الجزء الأول من هذه الأطروحة والمكوَّن من أربعة فصول، الأساس النظري للخلفية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدّدت طبيعة علاقة العرب بالغرب، وبالتحديد بريطانيا وأمريكا، والتي في ضوئها قمت بتحليل اجتماعي نقدي لأعمال بعض المستشرقين والعلماء الاجتماعيين الذين تعرضوا في كتاباتهم للعرب والدين الإسلامي، إضافة لتحليل المضمون الإخباري والثقافي للمؤسسات الاقتصادية الجماهيرية في البلدين المذكورين، وفي الكتب الشعبية، موضحاً كيف ولماذا تم مسخ وتشويه صورة العرب وثقافتهم وقضيتهم العادلة في هذه الأعمال والمؤسسات والكتب.

أما الجزء الثاني من هذه الأطروحة، والمكوَّن من خمسة فصول، فقد حاولت فيه أن اختبر امبريقياً صحّة الخلفية النظرية السابقة، مركزاً على المؤسسة الاتصالية الصحفية البريطانية بالتحديد كواحدة من أهم قنوات الاتصال الجماهيري في تشكيل وبلورة اتجاهات الرأي العام البريطاني فيما يتعلق بالعرب. وقد اتّضح لي، من خلال التحليل السوسيولوجي النقدي، أن صناعة الأخبار في هذه المؤسسة الاتصالية كان محكوماً بعوامل اقتصادية وثقافية وسياسية هي المسؤولة عن تثبيت الصورة السلبية عن العرب وتخليدها في أذهان الرأي العام البريطاني.

وعند الحديث عن جداول الترميز التي استخدمتها في تحليل المضمون الإخباري والثقافي لهذه المؤسسة الاتصالية، فقد قمت بتصميم جدولين شاملين قدر الإمكان ليتسنى لي من خلالهما تغطية الأحداث المشمولة بالتحليل: جدول يُعنَى «بالمواضيع» و «القضايا» والآخر يعنى «بالمواضيع» و «المحاور»، طامحاً من وراء هذا الشمول إلى التوصل إلى تحليل أدق وأشمل للمضمون الإعلامي.

وختاماً، فإنني أود أن أتوجه بالشكر لكل من ساعد في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر د. تشارلز هازبند الذي أشرف على الأطروحة، والبروفسور شيلا ألن رئيسة القسم، وكذلك الناقد كرستوفر سميث الذي اختطفته يد القدر وهو شابّ، في مطلع هذا العام.

وأما عميق شكري وتقديري فهو لأخي د. سالم ساري الذي رعى هذا البحث، وموّله وتابع تفصيلاته بكل اهتمام.

كما أود أن أشكر كلاً من أخي سليم الذي ساهم أيضاً بدعم هذا البحث مادياً، وأخي سليمان الذي ساعد بإنجازه بطريقة أو بأخرى.

كما أتقدم بخالص امتناني وتقديري لوالديّ اللذين مهما قلت في حقهما أبقى مقصراً، فما تحملاه من صبر ومعاناة، كان فوق طاقتهما، ومع ذلك لم يكفّا عن الدعم المادي والمعنوي.

هذا وأود أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور خير الدين حسيب، ولمركز دراسات الوحدة العربية، الذي تولّى ترجمة هذه الأطروحة إلى العربية ونشرها ضمن مشروعه الرائد والهادف إلى توسيع وتعميم الفائدة العلمية المرجوة من عملية البحث العلمي الأكاديمي.

ولا بد لي في النهاية من التماس العذر من القارىء، إن وجد صعوبة في بعض الأحيان في فهم بعض المعاني والتراكيب، حيث لا مفر من ذلك عند ترجمة عمل من لغة إلى أخرى، مهما كانت هذه الأخيرة قادرة على التعبير.

د. حلمي خضر ساري
الجامعة الأردنية/عمّان
١٩٨٧/٣/١

القِسْمُ الأوّل

الفصل الأول
صورة العرب في التاريخ

أولاً: خلفية استهلالية

كان الحديث المهم الذي وضع العرب في مجرى تاريخ العالم، هو ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، عند بداية القرن السابع الميلادي. بدأ الإسلام كديانة مع النبي محمد (ص) الذي ولد في مكة سنة ٥٧٠ بعد ميلاد السيد المسيح. لم يكن محمد (ص) في الواقع مجرد مؤسس لدين، بل مؤسساً كذلك «لدولة» عربية عاصمتها المدينة. وجاء قبل وفاته بكتاب منزّل هو القرآن، والقرآن بالنسبة للمسلمين هو القول الفصل في جميع الأمور التي يتناولها.

وبنهاية سنة ٧٣٢ م كان العرب قد تدفقوا خارج الحدود المحلية للجزيرة العربية، حاملين رسالة الإسلام، ومقيمين امبراطورية كانت، على حد تعبير المؤرخ فيليب حتّي:

«أعظم من روما في ذروة قوتها، امبراطورية تمتد من خليج بسكاي إلى جزر الهند الغربية وحدود الصين ومن بحر العرب إلى مساقط المياه لأعالي النيل. فباسم الله ينادى خمس مرات في اليوم من آلاف المنائر المنتشرة في جنوب غربي أوروبا وأفريقيا الشمالية وآسيا الغربية والوسطى»(١).

على أنه كانت هناك، عند خروج العرب من الجزيرة العربية، قوتان في الشرق الأوسط: بيزنطية المسيحية وساسان الزردشتية في فارس. لم تستطع هاتان القوتان، وقد أنهكهما الصراع الداخلي حتى استنزفت إحداهما الأخرى في حروب متبادلة مدى ثلاثة قرون، أن تقاوما القوة العربية. فانهارت الأمبراطورية الفارسية، وطردت

(١) Philip Khuri Hitti, *The Arabs: A Short History* (London: Macmillan, 1960), p. 1.

الامبراطورية البيزنطية شمالاً إلى الأناضول في مدة خمس وعشرين سنة(٢).

بلغ التوسع ذروته في عهد بني أمية الذين حكموا من دمشق الشام من سنة ٦٦١ م إلى ٧٥٠ م. فامتدت الامبراطورية العربية تحت حكمهم من حدود الصين إلى المحيط الأطلسي، ومن فرنسا إلى حدود الهند الحديثة، ومن بحر قزوين إلى بلاد النوبة. وكانت تشتمل كذلك على اسبانيا الحديثة وعلى جميع ساحل أفريقيا الشمالية ونصف الأناضول، وأفغانستان وأجزاء من الاتحاد السوفياتي الحالي(٣). وليس هناك، على حد تعبير ناتنغ، من امبراطورية بلغت هذه الأبعاد وتمّ كسبها بمثل هذا الوقت القصير. ثم يمضي فيقول:

«بأن الفتح العربي في العهد الأموي قد غيّر وجه العالم، وذلك بإخراج النفوذ اليوناني والمسيحي من شمال أفريقيا وسورية ولبنان، وكذلك بإدخال الامبراطورية الفارسية السابقة في دين الإسلام»(٤).

غير أن العصر الذهبي للامبراطورية العربية قد بلغ أوجه على يد العباسيين الذين حكموا من العراق في الفترة من سنة ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م. ولم يتم في عهدهم من التوسع العسكري إلا القليل ـ فقد فتحت صقلية وسردينية وكريت وبضع جزر في البحر الأبيض المتوسط فقط ـ ولكنهم اشتهروا بالادارة والثقافة والإنجازات الفكرية. وقد تحققت في حكمهم علوم الطب والفلسفة والكيمياء والجغرافيا وغيرها من العلوم العربية(٥).

إن فتوحات العرب الواسعة قد جعلتهم على تماس بثقافات مختلفة، مثل الثقافة اليونانية والفارسية والهندية. وهم لم يقتصروا على استيعاب تراث هذه الثقافات فحسب، بل اضافوا إليها كذلك إضافات جوهرية. وقد ترجمت إنجازاتهم في شتى حقول المعرفة، وبخاصة في الطب والبصريات والكيمياء وعلم الفلك والجغرافيا والفلسفة، إلى اللغة اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وكانت بين أول ما طبع في عصر النهضة، واستمرت في اعتبارها كتباً مقررة في مدارس الطب في أوروبا حتى أواسط القرن السابع عشر.

---

(٢) Edward Selim Atiyah, *The Arabs*, revised ed. (Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1958), and M.W. Watt, *The Majesty That Was Islam: The Islamic World, 661-1100* (London: Sidgwich and Jackson, 1976).

(٣) Anthony Nutting, *The Arabs* (New American Library, 1964).

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٥) انظر: M.A. Shaban, *Islamic History: A New Interpretation*, 2 vols. (Cambridge, Mass.:Cambridge University Press, 1976); Hitti: *The Arabs: A Short History;* Herbert George Wells, *The Outline of History: Being a Plain History of Life and Mankind* (London: Cassell, 1923), and Bertram Thomas, *The Arabs: The Life-Story of a People Who Have Left Their Deep Impress on the World* (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1937).

قال المؤرخ برترام توماس عن الأثر العربي الإسلامي على الغرب ما يلي: .

«كانت الأقطار التي أسلمت ـ يحكمها حكام عرب منذ البداية ـ ولمدة أربعة قرون أو أكثر، لما كانت أوروبا غافية في العصور الوسطى قبيل عصر نهضتها، هي التي ذاعت شهرتها في أرجاء الأرض لما تمتعت به من علم وثقافة ورخاء مادي»[6].

بلغ أثر النفوذ العربي ـ الإسلامي على أوروبا درجة النضوج خلال الصلة المستمرة بها عن طريق اسبانيا وصقلية، وخلال سوريا أيضاً ولكن بمستوى أقل. وكانت اسبانيا هي أهم القنوات بكثير، ليس فقط لأنها احتلت من العرب لمدة ثمانية قرون مستمرة، بل لأن الحضارة العربية الاسلامية كان لها هناك أعظم التأثير على أوروبا. ففي طليطلة وقرطبة أسّس العرب ما كان سيُضحي اثنتين من أقدم الجامعات في أوروبا، يأتي إليها العلماء من كل أرجاء القارة لدراسة العلوم والفلسفة اليونانية باللغة العربية، فضلاً عن دراسة أعمال المفكرين العرب أنفسهم.

لقد انتفعت أوروبا، وهي لا تزال متخلفة آنئذ من اسبانيا المسلمة. كانت طليطلة أكثر المدن تحضراً في أوروبا في القرن العاشر ثم نافستها اشبيلية بعد مائة عام، لكن طليطلة وحدها تفوقت عليها حتى غدت في القرن الحادي عشر مركز العلم الأول في اسبانيا المسلمة. . . واحتوى ذلك التراث بذرة عصر النهضة، ومن هذا العصر، نمت الحضارة الأوروبية والتقدم الأوروبي[7].

بيد أن تاريخ العرب وحضارتهم وإنجازاتهم الفكرية ومساهمتهم الأصلية في المعرفة الإنسانية وفي الحضارة الغربية خلال العصر الوسيط قد قلّلت أهميتها، وشوّهت، وأهملت، بل وحتى لم يعترف بها. سنقدم الحجة في هذا الفصل على أن مثل هذا التشويه لا يعزى إلى انعدام جهد العرب الجاد في كتابة تاريخهم، كما قال المستشرق غِبْ (Gibb) قبل حوالى أربعين سنة (في ١٩٤٢)، وكما ذكر غوستاف فون غرونبوم فيما بعد، بل يعزى ذلك إلى المواقف الدينية العدائية نحو العرب والإسلام من جهة، وإلى المصالح السياسية والاقتصادية في الوطن العربي ـ المشرقي[8] من جهة أخرى.

---

(٦) انظر: Thomas, Ibid., p. 120.
انظر أيضاً: John Joseph Saunders, *A History of Medieval Islam* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Barnes and Noble, 1965); Philip Khuri Hitti, *Makers of Arab History* (London: Macmillan; New York: St. Martin's Press, 1968), and Watt, *The Majesty That Was Islam: The Islamic World, 661-1100*.

(٧) انظر: Thomas, Ibid., pp. 206-207.
انظر أيضاً: Norman Daniel, *The Arabs and Medieval Europe* (London: Longman; Beirut: Librairie du Liban. 1975); Hitti: Ibid., and *Islam and the West: A Historical Survey* (Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1962); Saunders, Ibid., and Atiyah, *The Arabs*.

(٨) من الآن فصاعداً سيستعمل اصطلاح المشرق،والوطن العربي والشرق الأوسط بشكل متبدل لغرض =

فضـلاً عن ذلـك، فـإن الافـتراضـات والمنهجيـة (أي مـذهب التـاريخانيـة (Historicism)، والماهويـة (Essentialism)[9] التي تبناهـا المستشرقون والمؤرخـون (مثل برنارد لويس، وغِبْ وفون غرونبوم وبـروكلمان) قد أضـافت كثيراً إلى التحيّـز والتشويـه. والواقع أن هؤلاء المؤرخين وغيرهم قد كتبوا ما كتبوه متـأثرين بـتركة استشراق القـرن التاسع عشر وهي، عـلى حد تعبـير سي. أدمز(C.Adams) تركة «أرهبت عدداً من العلماء فتهيبوا من محاولة إعادة فحص القضايا الجوهرية»[10].

إننا لا ندعو هنا إلى أن يتخـلى المؤرخون و/أو علماء الاجتـماع عن مساعيهم في كتـابة تـاريخ العـرب والإسلام، كـما نوّه مـرة الأستاذ طيبـاوي[11]، لكن الذي ينبغي التخلي عنه هو ما وضعه المستشرقون من افتراضات مسبقـة ومن توجهـات في البحث، وذلك لما فيها من اتجاهـات تمتد جـذورها عميقـاً في التفوق العنصري والاخـلاقي من جهة، ولما فيها من مزاعم مشبوهة في الموضوعية العلمية من جهة أخرى[12].

والواقع أن بعض المؤرخين كانوا قد أقروا بصعوبـة صياغـة تاريـخ موضـوعي، مقبول، عن الإسلام، ولا سيما عن النبي محمد (ص)، لذا فضلوا الإحجام عن كتابة مثل هذا التـاريخ عـلى اتباع التـوجه الاستشراقي في كتـابته[13]. وفي مـراجعته للطرق المنهجية المستخدمة من قبل المؤرخـين والكتاب الغـربيين في دراستهـم لـلإسلام وللنبي

= هذا البحث وذلك لكي يشير الى المنطقة التي تشـمل شمال افريقيا، وأقطار شرق البحـر المتوسط في آسيـا، وشبه الجـزيرة العـربية. كـما ان اصطلاح «الاستشراق» سيستعمـل هنا ليشـير الى اسلوب في التفكير قـائم على تميـز وجودي ومعرفي بين المشرق والمغرب. انظر:

Edward Said, *Orientalism* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Pantheon Books, 1978), p. 2.

(٩) «التاريخانية» نظرية في التاريخ تقول ان تـطور المجتمع الانسـاني هو عمليـة تحكمها قـوانين ثـابتة في التغيير تعمل بمعزل عن ارادة الانسان ورغباته. و«الماهويـة» نظريـة فلسفية تهتم أسـاساً بمفهـوم الجوهـر والشيء الجوهري وتقوم عليه.

(١٠) C.J. Adams, «Islamic Religion,» *Middle East Studies Association Bulletin,* vol. 4, no. 3 (15 October 1970), p. 3.

(١١) يوحي الاستاذ طيباوي في مقالته المذكورة ادناه، انه يفضل لو أن غير المسلمـين لم يدرسـوا الاسلام على الاطلاق. فدراسة الاسلام من الكتب لا تغنيهم شيئاً، بخاصة تلك الكتب التي كتبهـا المستشرقون الـذين لا يستطيعون تكلم العربية أو كتابتها على الوجه الصحيح. فهو يقول «ان الذين هم خارج الديانة لن يستطيعوا ابداً ان يدركوا مغزى التجربة الخاصة بـالذين هم داخل الديـانة». ثم يمضي الى القـول بأنها لا يمكن فهمهـا بواسطة النظريات «التحليلية والنقدية» للعلماء. انظر:

Abdul-Latif Tibawi, «English-Speaking Orientalists: A Critique of Their Approach to Islam and Arab Nationalism,» *Muslim World,* vol. 53, no. 3 (July 1963), pp. 185-204.

(١٢) Bryan S. Turner, *Marx and the End of Orientalism,* Controversies in Sociology, 7 (Boston; London: Allen and Unwin, 1978).

(١٣) James E. Royster, «The Study of Mohammad: A Survey of Approaches from the Perspective of the History and Phenomenology of Religion,» *Muslim World* (January 1972).

محمد (ص)، أن افتراضات العلماء المسبقة عن الإسلام قد أثرت في أهدافهم، وأن أهدافهم رسمت بدورها طريقة منهجيتهم، مما أدى - في رأيه - «إلى أنواع من النتائج الحتمية نوعاً ما و/أو المتوقعة»[١٤].

وتتجلى مآخذ التوجّه الاستشراقي أساساً في افتراضاته المقنعة ودعاماته الايديولوجية. إنه توجه يعتمد على نظرية معرفية هي على حد تعبير تيرنر (تنتسب إلى النظرية الماهوية والتاريخانية والامبريقية»[١٥].

إن الافتراض المستند إلى النظرية الماهوية موجود في الفكرة القائلة بأن الإسلام هو:

«كيان متماسك، متجانس، كونيّ، وهو افتراض موجود كذلك في طرح مقولة الانحطاط، إذ ينظر إلى الإسلام على أنه متدهور بسبب عيبٍ ما في جوهره. إن الانحطاط الاجتماعي والسياسي هو نتيجة لعنصرٍ ما دائم الوجود تاريخياً ـ الاستبداد، عدم وجود جماعات أو قوانين معارضة تمارس سلطة ذاتية، التمسك الأعمى بالعرف الشكلي، أو فشل المؤسسات الحاكمة. يتكشف هذا الجوهر المعيب، الباطني، في التاريخ على شكل عملية غائية نحو حالة انتهاءٍ ختاميةٍ ما والتي هي سقوط الإسلام وحضارته. في هذا التوجه المستند إلى مذهب التاريخانية يجري وضع التاريخ الديناميّ الحركة للحضارة الغربية بما يتخللها من ثورات تقدمية، مطردة، بالضد من التاريخ المستكن للإسلام والذي لا تعتبر الانتفاضات الشعبية فيه إلا محض مؤشر على الاستبداد والتفسخ»[١٦].

وقد صور هذا الطرح لمقولة الانحطاط (Decline Thesis) أقوى تصوير مستشرقون مثل غب وبووين[١٧] وبرنارد لويس[١٨]، وعلى الأخص منهم غرونبوم[١٩] الذي أقام حجته على مقدمة منطقية (Premise) مفادها أن «الإسلام الكلاسيكي» هو نموذج مثالي تكوّن بواسطة البحث الإسلامي عن «الحياة الصالحة»، فتاريخ الإسلام إذن لا بد أن يكون تاريخاً يأخذ بالانحطاط منذ بدايته بالذات[٢٠].

على أن الافتراضات التي يقدمها المستشرقون بشأن الإسلام (لا سيما طرح مقولة

---

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(١٥) Turner, *Marx and the End of Orientalism*, p.7.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٧.

(١٧) Hamilton Alexander Gibb and Harold Bowen, *Islamic Society and the West: A Study of the Impact of Western Civilization on Moslem Culture in the Near East* (London; New York: Oxford University Press, 1950).

(١٨) Bernard Lewis, *The Middle East and the West* (Bloomington: Indiana University Press, 1964).

(١٩) Gustave Edmund Von Grunebaum, *Modern Islam: The Search for Cultural Identity* (New York: Vintage Books, 1964).

(٢٠) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Hitoricism?* translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976), and Turner, *Marx and the End of Orientatlism*.

الانحطاط) لم تقتصر فقط على المؤرخين، بل تغلغلت كذلك في تفكير بعض الكتاب الماركسيين الذين اعتمدوا على غب وبووين[21] وتفكير بعض علماء الاجتماع مثل ماكس فيبر في سوسيولوجيا الإسلام[22].

وقد وصف تيرنر العلاقة بين المستشرقين والماركسيين على النحو التالي:

«غير أن هناك علاقة أقوى وأكثر جوهرية بين إشكالية الاستشراق والماركسية، تكمن بالتحديد في طبيعة التماثل والتطابق الموجود بين التوجه التاريخاني للمستشرقين وبين التوجه التاريخاني للماركسية الهيغلية. فكلا الشكلين من التاريخانية يستند إلى المقولة التي ترى بأن التاريخ ما هو إلا سلسلة من المراحل».

على أن أخطر انتقاد للاستشراق هو طبيعته العنصرية والامبريالية. فالاستشراق، كما يقول ادوارد سعيد[23]، هو أكثر من فرع دراسي للعالم الغربي. الاستشراق بالنسبة له هو «مؤسسة متحدة كبرى» (Corporate Institution) تضم مجموعة من التعميمات والبُنى والعلاقات والنصوص، وهذا كله يؤلف «مطارحة» (Discourse) تحدد معنى المشرق والمشارقة للغرب: «إن وظيفة الاستشراق هي... فهم عالم مختلف كل الاختلاف، وفي بعض الحالات السيطرة عليه، والتلاعب بمقدراته، بل وحتى استيعابه»[24]. والاستشراق، كأداة إمبريالية، قد اختزل ثراء الحضارة العربية الإسلامية وما فيها من ثقافة وطريقة حياة إلى مجموعة من القوالب الثابتة التي يمكن التعامل معها بسهولة، والتي تجاوزت كثيراً التعميم العلمي المعقول، واتخذت مطية لتسويغ وتعزيز سيادة الغرب الاستعمارية الماضية على الشرق العربي وكذلك مصالحها ومطامحها الحاضرة في هذا القسم من العالم. إن المستشرقين، كما سنبين في هذا الفصل، سواء منهم العلماء أو الرحالة أو الكتّاب، قد تمكنوا من تكوين صور وأفكار مقبولة عموماً عن الشرق العربي: انه قاس، متخلف، شهواني، ومستبد[25].

---

(٢١) P. Anderson, *The Lineages of the Absolutist State* (New York: New Left Books, 1974), and Maxime Rodinson, *Islam and Capitalism,* translated from French by Brian Pearce (London: Allen Lane; New York: Pantheon Books, 1974).

(٢٢) اظهر تيرنر في نقده لأعمال فيبر الاجتماعية عن الاسلام ان طرح المستشرقين لمقولة الانحطاط في الاسلام، وبنيته السياسية الاستبدادية وغياب المدن المتمتعة بالحكم الذاتي، جلية كلها في أعمال الكاتب المذكور. انظر:

Bryan S. Turner: *Weber and Islam: A Critical Study* (London: Routledge and Kegan Paul, 1974); «Islam, Capitalism and Weber Thesis,» *British Journal of Sociology,* vol. 25 (1974), pp. 230-234, and *Marx and the End of Orientalism,* chap. 3 especially.

(٢٣) Said, *Orientalism.*

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢٥) لمزيد من النقد للتوجه الاستشراقي، انظر على سبيل المثال:

Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?;* Said, Ibid.; Turner, = *Marx and the End of Orientalism;* Bryan S. Turner, «Conscience in the Construction of Reli-

ثانياً: تطور الصورة: من زمن الحروب الصليبية إلى القرن التاسع عشر

جاء رد الفعل الأول، في واقع الأمر، ضد المسلمين العرب من المسيحيين الذين كانوا يعايشونهم في البلاد التي فتحوها. إن هؤلاء المسيحيين لم يرحبوا على الاطلاق بالاسلام، رغم التسامح الاسلامي نحوهم، ونحو الأقليات الأخرى. كانوا قد ردوا بموقف سلبي اتخذ نمطين واضحين كل الوضوح؛ فبعضهم، ولا سيما الرهبان، سعى إلى تقليل أثر الصدمة بوضع الفتح الإسلامي في إطار الفكر الكنسي والمستند إلى الكتاب المقدس، وتأويله كانتقام إلهي من المعاصي المسيحية وكتحقيق للتنبوءات الواردة في النصوص اليهودية؛ وهذا على أمل وقوع فتح مسيحي مضاد فوراً برعاية الله(٢٦). أما الموقف الآخر فقد اعتبر المسلمين أعداء سياسيين وعسكريين، يقاتلون أو يحالفون كما تسمح به الظروف. وقد سجّل يحيى الدمشقي الذي عاش في سوريا في عهد الأمويين وعمل في دار الخلافة، سجّل هذين الموقفين في كتابه ينبوع المعرفة وفي كتابه الآخر مساجلة بين عربي(٢٧) ومسيحي، ومضى في كتاباته يهاجم الإسلام باعتباره هرطقة مسيحية ويرمي النبي محمد (ص) بأنه نبي كاذب(٢٨).

وفي الحقيقة، حين سمعت أوروبا الغربية لأول مرة بالإسلام وواجهت تحدي القوة الإسلامية، لم يكن لديها أي معرفة حقيقية بمن ستقاتله، فنتجت عن الخوف الممزوج بالجهل جملة من الأساطير تضاهي ما تراكم عقائدياً في عهدي أوغسطين وروما، وكانت أساطير خرقاء، وكلها غير منصفة كذلك. بيّن هذا ريتشارد سوثيرن

---

gion: A Critique of Marshal G.S. Hodgson's «The Venture of Islam»,» *Review of Middle East* = *Studies*, no. 2 (1976), pp. 95-112; Peter Gran, «The Study of Medieval Islamic History, 1930's-1950's in Three Well Known Texts,» *Review of Middle East Studies*, no. 2 (1976), pp. 47-56; Tibawi, «English-Speaking Orientalists: A Critique of Their Approach to Islam and Arab Nationalism»; Anouar Abdel Malek, «Orientalism in Crisis,» *Diogenes*, vol. 44 (1964), pp. 103-140; R. Coury, «Why Cannot They Be Like Us?» *Review of Middle East Studies*, no. 1 (1975), pp. 113-133, and Royster, «The Study of Mohammad: A Survey of Approaches from the Perspective of the History and Phenomenology of Religion».

(٢٦) انظر: J. Waltz, «Historical Perspective on «Early Missions» to Muslims,» *Muslim World* (1971), and Albert Habib Hourani, *Europe and the Middle East* (London: Macmillan; St. Anthony's, 1980).

(٢٧) عربي (saracen) مصطلح اوروبي قذر أطلق على جميع المسلمين والعرب في العصور الأولى عامة. أمّا الصليبيون فقد اطلقوه، كما يقول بيتر مانسفيلد، على جميع خصومهم. انظر: Peter Mansfield, *The Arabs* (London: Penguin Books, 1978).

(٢٨) انظر: Hourani, Ibid.; Albert Habib Hourani, *Western Attitudes towards Islam*, Montefiore-Memorial Lectures, 10 (Southampton: Southampton University Press, 1974); Hitti, *The Arabs: A Short History*, and Norman Daniel, *Islam and the West: The Making of an Image*, Language Literature, no. 12 (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960).

(Richard Southern) في تاريخه الموجز لـلآراء الغربيـة عن الإسلام قـائلاً: «إن الـذي انصقـل كثيراً وازداد تعقيداً هو الجهـل الغربي، وليس المعـرفة الصحيحـة بالإسـلام»[٢٩]. أدى هذا الجهل بالإسلام إلى التفكير «بضرورة القيام بعمل ما بشأن الإسـلام»[٣٠]. والواقـع أن عدم الانصاف يتمثل في التصور المسيحي للمسلمين «ككفـار» (Infidels)، ووثنيين يعبدون ديناً زائفاً، ولمحمد (ص) كساحر. بل نظر إلى محمد (ص) على أنه كاردينال في كنيسة روما، فلما أحبطت آماله في أن يصير بابا، ثار وفرّ إلى الجزيرة العربية حيث أنشأ هناك كنيسة خاصة به[٣١].

على أن الغيرة الدينية التي ألهبت نفوس الصليبيين الذين ذهبوا إلى الشرق لقتال «الكفـار» أخذت، عـلاوة على الأفكـار الخياليـة عنهم، تضمحل وتتـلاشى بالاتصـال اليومي المستمر على مدى سنين. لقد سنحت لهم بهذا الاتصال فـرصة لصقـل الصور السلبيـة التي حملوها وتغيـيرها حتى تبـدّلت إلى صور أفضـل، فضلاً عن ذلـك، فـإن الاتصـال الـذي جرى من خـلال الصليبيـين لم يختزل فقط الاتجـاهـات الهجـوميـة المسيحية، ولكنه أثمر كذلك إعجاباً بعدد من السجايا العربية والاسلامية: كالفروسية والضيافة والنبل. وكان صلاح الدين الأيوبي، الذي قاد حملة ناجحـة ضد الصليبيـين بقيـادة ريكاردو قلب الأسـد، من أشهر الشخصيـات الإسلاميـة التي اكتسبت سمعـة حسنة بين الصليبيين، وفي أوروبا كذلك. وقد كانت إنسانيته ورحمته وتعامله الشريف مع الفرنج، وراء هذا التغيير في الصورة.

ولم يقتصر التغيير في المواقف على مستوى نبل صلاح الدين فقط، بل تعـداه إلى ما يتعلق بالعرب عموماً: قيمهم الإنسانية، ثقافتهم، تقاليدهم، طعـامهم، لباسهم. استهوت هذه القيم الإنسانية وطريقة الحيـاة عدداً من الصليبيـين، وأقنعتهم بالـتزاوج مع أهل البلاد والاستقرار فيها:

> «لقد اكتسبوا أذواقاً جديدة في المآكل، وخاصة تلك الأنواع من المآكل الغنية بالسكر والتوابـل. وفضلوا المساكن الشرقية بفناءاتها المفتوحة ومياهها الجارية»[٣٢].

لم يكن الصليبيـون هم مصدر المعلومـات الوحيـد عن العرب في أوروبـا. فقد أضافت أيضاً أعمال أهل العلم وكتابات التجار والرحـالة صـوراً جديـدة عنهم. أشهر هؤلاء أديـلارد (من بـاث) Adelard of Bathالـذي تجـول طـويـلاً في شـمال أفـريقيـا

---

(٢٩) Richard William Southern, *Western Views of Islam in the Middle Ages* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1962), pp. 91-92.
(٣٠) Ibid.; Norman Daniel, *Islam, Europe and Empire* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1966).
(٣١) Hourani: *Western Attitudes towards Islam,* and *Europe and the Middle East.*
(٣٢) Hitti, *Islam and the West: A Historical Survey,* pp. 643-644.

وإسبانيا وسوريا في الربع الأول من القرن الثاني عشر. وكان في الواقع رائداً للعلم العربي في الغرب، وقد حفّزه إعجابه بهذا العلم وباللغة العربية إلى ترجمة بعض أعمال العرب إلى اللاتينية. ومن تراجمه المؤلف الكبير في الكيمياء لجابر بن حيان (١١٤٤)، وجداول الخوارزمي الفلكية[٣٣]. كانت صورة العرب الواضحة في كتابات أديلارد هي صورة التفوق في طريقة التعليم. وقد اجتذبت هذه الصفة عدداً من العلماء في ذلك الزمن، مثل روبرت (من تشستر) Robert of Chester ودانيال Daniel of Morely (من مورلي). فذهبوا، لعدم قناعتهم بجامعات الفرنج، إلى الجامعات العربية/الإسلامية، سعياً وراء الفلاسفة الأوسع أفقاً في شؤون الكون. ولعب أولئك الرجال دوراً كبيراً في نشر صورة حسنة عن العرب عن طريق تراجمهم، وبخاصة منهم روبرت الذي كان أول من ترجم كتاب الجبر للخوارزمي (١١٤٥)، والذي بواسطته دخلت الأعداد العربية، وبضمنها الصفر.

بدأت صورة جديدة بالظهور في الغرب عن طريق الرحالة الإنكليز إلى الشرق. وكانت من مصادر المعلومات الرئيسية عن الشرق مغامرات سانت جون ماندفيل St. John Mandeville، وهو كاتب مشهور كان سفره في الغالب في مخيلته وبخاصة إلى أمريكا[٣٤]. يصف ماندفيل شعب المشرق، في كتابه المعنون الرحلات (Travels) بأنه «شرير»، «خبيث»، ومجموعة غريبة من نوع خاص به، لكنه شعب يتمتع بقيم إنسانية رفيعة ومتفوقة، ويحب الحرية والاستقلال[٣٥]. وهذا الوصف الذي كتبه ماندفيل عن الشرق العربي، إنما يصوّر العلاقات الغربية - الشرقية منذ بداية المواجهة بين الطرفين.

وفي القرون اللاحقة، وبخاصة في القرن السادس عشر الذي شهد ظهور مذهب التجارة في أوروبا الغربية «المتمدنة» و«المتفوقة» و«العقلانية»، والتي عدلت من طبيعة مواجهتها مع «الطرف الآخر»، «المتوحش»، «المتخلف» و«الأدنى» منزلة، اختزل ثراء الحضارة العربية/الإسلامية إلى صورة «وضيعة»، وذلك لتبرير الدوافع

---

(٣٣) كان الخوارزمي من أعظم العقول العلمية في الاسلام ومن أكثر المفكرين تأثيراً في تاريخ علم الفلك والفكر الرياضي خلال العصر الوسيط. انظر:

Hitti, *Makers of Arab History,* and Saunders, *A History of Medieval Islam.*

اضافة الى وضعه اقدم الجداول الفلكية، فإنه ألف اقدم عمل عن الرياضيات وأقدم عمل عن الجبر، اللذين ترجما الى اللاتينية واستخدما حتى القرن السادس عشر باعتبارهما كتابا التدريس الأساسيان في الرياضيات في الجامعات الغربية فأسهما في إدخال علم الجبر الى اوروبا. لمزيد من التفاصيل عنه انظر: حتي، المصدر نفسه.

(٣٤) انظر: B. Sheehan, *Savagism and Civility: Indians and Englishmen in Colonial Verginia* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1980), p. 9.

(٣٥) انظر: Sari J. Nasir, *The Arabs and the English* (London: Longman, 1976), p. 20.

السياسية والاقتصادية وخدمتها. وبدأت أوروبا الغربية، التي لم تعد في حالة دفاع ضد التهديد الإسلامي - على الأقل ليس إلى الدرجة التي سادت خلال العصور الوسطى - بدأت تهتم اهتماماً من نوع جديد بالشرق، وقد أوحت بهذا الاهتمام الروحية الجديدة الناشئة عن مذهب التجارة من جهة، والتنافس السياسي والاقتصادي في الداخل من جهة أخرى(٣٦). وإلى جانب هذه التطورات، بدأت مجموعات من التجار والرحالة بالوصول كذلك إلى الشرق لأغراض مختلفة، إذ كان بعضهم مرسلاً ببعثات دبلوماسية أو تجارية(٣٧)، وبعضهم من المغامرين أو من المبشّرين بدين آخر.

سجّل هاكْليوت Hakluyt رحلات التجار إلى الشرق في كتابه المعنون الملاحة الأساسيةThe Principal Navigation (١٩٤٦). كتب في ١٥١١ يقول:

«كانت السفن الضخمة العديدة تبحر من لندن. . . وساوثمبتون وبرستول إلى كريت وقبرص وسورية وهي تحمل الأقمشة الصوفية، فتعود محملة ببضائع مثل الحرير والنبيذ الحلو العطريّ والسجاد والفلفل والقرفة وبعض التوابل الأخرى»(٣٨).

جرى تصوير العرب في كتابات هؤلاء الرحالة والتجار على أنهم شعب خطر، فظّ، عدائي، ولا يظهر المودة للمسافرين. إن هذه الصورة وغيرها من الحكايات «السطحية» الأخرى سيطرت على الرأي البريطاني. والغريب أن أغلب هؤلاء التجار والرّحالة لم يهتموا بالتفريق بين العرب والأتراك الذين حكموهم منذ سنة ١٥٥٣. وتالياً وضع الأتراك والعرب والأقليات الأخرى على صعيد واحد دون تمييز.

فضلاً عن ذلك، فإن هؤلاء الرحالة والتجار لم يقتصروا فقط على كتابة حكايات «سطحية» وغريبة عن العرب، بل إنهم وهذا هو الأهم، قد خلقوا وألّفوا بأنفسهم خرافات وصوراً هي في الواقع من نسج خيالهم وتصوراتهم(٣٩). لقد ذهبوا إلى المشرق ومعهم تصورات مسبقة وأفكار كانوا يحملونها في بلادهم؛ ثم ابتنوا ما شاؤوا أن يبتنوه في أذهانهم على هذا الأساس دون اختلاطهم بالعرب. إنهم لم يكلّفوا أنفسهم أن يسألوا من هم العرب، وعلى أية شاكلة، وما هو نوع ثقافتهم وسننهم

---

(٣٦) انظر: Talal Asad, ed., «Two European Images of Non-European Rule,» in: Talal Asad, ed., *Anthropology and the Colonial Encounter* (London: Ithaca Press, 1975).

(٣٧) الواقع ان اعمال التجار البريطانيين ازدهرت في الشرق. ففي سنة ١٥٨٠ مثلا تأسست شركة الشرق (ليفانت) رسمياً وكان مركزها الرئيسي في الآستانة وفتحت فرعاً لها في حلب. وفي المرحلة نفسها عين قنصلان في الشرق العربي هما: هارفي مليرز في القاهرة ورتشارد فورستر في حلب ودمشق وطرابلس والقدس. وفي سنة ١٥٨٥ عين جون تيتون قنصلاً في الجزائر وتونس وطرابلس. للمزيد من التفاصيل، انظر: Nasir, Ibid., and Sarah Searight, *The British in the Middle East* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1969).

(٣٨) كما ورد في: Nasir, Ibid., p. 21.

(٣٩) Daniel, *Islam, Europe and Empire*, p. 24.

وعاداتهم وتقاليد معيشتهم؛ بل حاولوا ترتيب كل هذا في الصورة القائمة عنهم سلفاً في أذهانهم. وبهذه الطريقة كان العديد من الصور التي في أذهان الانكليز عن المشرق، إن لم نقل كلها، قد خلقت ذاتياً (self - created)إلى حدٍ كبير، بهدف ملاءمتها لحاجات سياسية واقتصادية وأحياناً فكرية. لذا فإن الاستشراق، بهذا المعنى، يخبرنا عن أوروبا أكثر مما يخبرنا عن المشرق[٤٠].

إن تلك الصور المختلفة ذاتياً عن العرب لم تكن لتنفصل عن طريقة التفكير الإنكليزية الدفينة بشأن الآخرين: وهم الأفارقة والسكان الأصليون للعالم الجديد. لم يقتصر الرحالة على استشراق المشرق (Orientalize)وإنما أفرقوا (Africanize) أفريقيا كذلك، فالصورة الأفريقية كانت أيضاً مشوهة ومختلفة ذاتياً. يقول فيليب كيرتن (Curtin) في تأييده لهذه الحجة إن الصورة الذهنية البريطانية عن أفريقيا كانت مغايرة تماماً للواقع الأفريقي، ولا علاقة لها به، وبخاصة ما نشأ منها في القرن التاسع عشر:

«ذهب الصحفيون إلى أفريقيا وهم على اطلاع بما كتبه أسلافهم، وعلى علم بالنتيجة النظرية الختامية المستمدة أصلاً من كتاباتهم. كانوا يستجيبون للبيانات التي تبدو موافقة لتصوراتهم الأوروبية المسبقة، ولا يستجيبون للبيانات المناقضة. لذا فإن تقاريرهم مرت بتصفية مزدوجة: إيجابية وسلبية، ثم صفيت مرة أخرى عند استيعابها في بريطانيا. فالبيانات التي لا تتفق مع الصورة القائمة كانت تهمل ببساطة. وبالنتيجة لم يكن الفكر البريطاني بشأن أفريقيا يستجيب لبيانات جديدة من أي نوع كان، إلا استجابة ضعيفة جداً»[٤١]. ويمضي الكاتب ذاته إلى القول:

«كانت نقطة الانطلاق بالنسبة للرحالة، (بل وبالنسبة للمحللين في الوطن بدرجة أكبر)، هي الـ European weltanschauung(*) إنهم لم يسألوا أنفسهم: ما هي أفريقيا، وعلى أية شاكلة؟ وأي نوع من الناس يعيش فيها؟ بل سألوا: كيف تتوافق أفريقيا والأفارقة مع ما نعرفه سلفاً عن العالم؟ وبهذا المعنى فإن صورة أفريقيا قد اختلقت في أوروبا إلى حدٍ كبير»[٤٢].

لم تكن الاتجاهات البريطانية نحو العرب والأفارقة لتختلف في استعلائها العرقي عن مواقفهم حيال سكان أمريكا الأصليين. لقد كان لدى البريطانيين أصلاً، وقبل أي اتصال ذي أهمية بينهم وبين الهنود الحمر، إطار فكري ذاتي عن «الآخرين»، وكان على هؤلاء الهنود أن يتلاءموا في داخله. لقد نظروا إليهم كمتوحشين، بهيميين، لم ينضجوا بعد، ويفتقرون إلى «الحضارة» من أي نوع. وانتقل «هذا الوهم الأسطوري

---

(٤٠) انظر: Said, *Orientalism.*

(٤١) Philip D. Curtin, ed., *The Image of Africa: British Ideas and Actions, 1780-1850* (London: Macmillan, 1965), p. 479.

(*) اي تصور الاوروبيين لفلسفة الحياة.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

مع المستوطنين الذين ذهبوا لاستعمار أمريكا»[43].

وبينما كان بعض الرحالة والتجار يختلقون الأوهام حول العرب، وهي أوهام سادت في بواكير القرن السابع عشر، كان العلماء منهمكين كذلك في دراسة الأدب والفكر العربيين وترجمتها إلى الإنكليزية. كان بعض هؤلاء مثل وليام بدويل (Bedwell) وادموند كاستيل (Castell) وجون غريفز (Greaves) وادوارد بوكوك (Pococke) منهمكين مع آخرين في تأسيس دراسات عربية في جامعتي أكسفورد وكمبريدج. وعلى الرغم من أعمالهم العظيمة الشأن في الدراسات العربية، فإن الاتجاهات الهجومية القديمة/ الجديدة نحو الإسلام قد طغت على أكثر أعمالهم.

١ ـ وليام بدويل (Bedwell)

كان وليام بدويل (١٥٦١ ـ ١٦٣٢) يعرف «بأبي الدراسات العربية» في انكلترا والذي أثنى على اللغة العربية باعتبارها لغة الدبلوماسية والأعمال، ومع ذلك لم يستطع أن يتحرر من التدخل التبشيري بصفته مسيحياً، مما لوّن مواقفه إزاء الإسلام وإزاء محمد(ص). فكان محمد(ص) بنظره دجالاً ومغوياً للأعراب وواضعاً للقرآن[44].

٢ ـ ادوارد بوكوك (Pococke)

وكان ادوارد بوكوك (١٦٠٤ ـ ١٦٩١)، على العموم، أعظم المختصين بالدراسات العربية في القرن السابع عشر، وقد رفعت أعماله من شأن الدراسات العربية كثيراً. وكان أول من ناقش وانتقد عدداً من الخرافات و«الأساطير» المقبولة على نطاق واسع والمنتشرة بشأن الإسلام ومحمد(ص). والواقع أن بوكوك ترك وراءه مجموعة كبيرة من الأعمال الباهرة أودعت فيما بعد في مكتبة بودليان (Bodleian) في جامعة اكسفورد[45].

شهد القرن السابع عشر عدداً متزايداً من العلماء والتجار والرحالة الذين اهتموا بالدراسات والتجارة العربية. وكان ما يرويه الرحالة عن العرب، كما يلاحظ دانيال[46]، قد أصبح رائجاً، فهو يقول: «كان هناك جمهور كبير من القراء يتلقف ما يكتب

(٤٣) حول تطور هذا الوهم، انظر:
Sheehan, *Savagism and Civility: Indians and Englishmen in Colonial Verginia.*
(٤٤) Nasir, *The Arabs and the English.*
(٤٥) انظر: Peter Malcolm Holt, *Studies in the History of the Near East* (London: Frank Cass, 1973).
(٤٦) Daniel, *Islam, Europe and Empire.*

عن العالم العربي. وبالقياس للكتب المتداولة آنئذٍ فلا بد من أن أقاصيص الرحالة كانت ذات أثر حتى أكثر مما هي عليه اليوم». كان من بين الرحالة وليام لثغو (Lithgow) وكان فعّالاً Instrumental في تصويره للعرب كقوم يمارسون السلب والنهب. والعرب بنظره هم «كفار» وينبغي عدم الثقة بهم، وهم ممتلئون كرهاً للمسيحيين[٤٧].

٣ ـ جورج ساندي (Sandy)

أما جورج ساندي (١٦٥٢) فينعكس في ما رواه عن العرب وصفاً أكثر تفصيلاً وأكثر تسامحاً: «إنهم يسكنون الخيام، وينقلونها فكأنها مدن تسير، بحثاً عن الصيد والمرعى»[٤٨]. ورغم هذا، فإن سكان الخيام هؤلاء يتمتعون، بنظره، بقيم إنسانية وبحب الاستقلال:

«إذا تعهد أحد هؤلاء الأعراب بأن يكون دليلك فإنه سيقوم بهذه المهمة بإخلاص: كما لن يمسَّك أحد من قومه بسوء؛ . . . إنهم يسيرون بك في دروب قصيرة مجهولة؛ ويبلغون الشأو بأربعة أيام في حين تقطعه قافلة في أربعة عشر يوماً»[٤٩].

ولكن ساندي هذا لم يستطع، على الرغم من حبه للعرب، أن يخفي تحيزه ضد الإسلام ومحمد(ص).

٤ ـ جوزيف بتز (Pitts)

وقد أدخل رحالة القرن السابع عشر أيضاً صوراً أخرى عن العرب تتعلق بالقرصنة والرقّ. وقد راجت هذه الصور شعبياً، من جراء كتاب ألفه جوزيف بتز وصف فيه أسره من قبل قراصنة جزائريين في ١٦٧٨ بينما كان هو ورفاقه يبحرون في الساحل الجزائري. واجتذب الكتاب وعنوانه، **الروايات الصادقة عن ديانة وأصوليات المحمديين**، (١٩٣٨)، اهتماماً كبيراً، لأنّ كاتبه عبد مسيحي وفيه يعزز روايات العبيد المسيحيين في «الدول البربرية»، الجزائر وتونس وطرابلس[٥٠]. فضلاً عن ذلك فإن أهميته تعود أيضاً إلى أن بتز كان من أوائل الإنكليز الذين دخلوا شبه الجزيرة العربية ووصفوا شعبها، والأماكن المقدسة، ومراسم الحج وشعائر العبادة في

---

(٤٧) انظر: Nasir, *The Arabs and the English.*

(٤٨) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٤٩) كما نقله: المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٥٠) Zahra Dickson Freeth and H.V.F. Winstone, *Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era* (London; Boston: Allen and Unwin; New York: Holmes and Meier, 1978).

مكة. وقد زار بتز كذلك قبر النبي، ونفى حكاية أن القبر معلق في الهواء بفعل قوة أحجار مغناطيسية(٥١).

على أن بتز في وصفه لمصر وخليط السكان فيها (من أتراك ويهود ويونانيين وأقباط) كان أول من روّج شعبياً صورة جديدة جداً، ألا وهي صورة البغاء:

«لا يوجد مكان في العالم، على ما أظن، يشجّع فيه البغاء كما في مصر؛ والبغايا (غنيات جداً) ومن عادتهن الجلوس عند الباب، أو السير في الشوارع بلا حجاب»(٥٢). ثم يمضي بتز في وصفهن فيقول: «هؤلاء الغواني أو سيدات الملذات، فضلاً عن نسوة أخريات، يضعن قبعات turban عريضة من المخمل على رؤوسهن، شيئاً جميلاً، مع كثير من اللؤلؤ، وحلي أخرى باهظة الثمن ومبهرجة... ويضفرن شعورهن جدائل إلى الخلف تصل إلى كعوبهن، مع أجراس صغيرة معلقة في أطرافها، أو أشياء مثلها، فتتأرجح وهي تضرب الكعوب وتصدر عنها رنين عند سيرهن»(٥٣).

وعلى أية حال، فإن تجارب بتز وتصويره للعرب كقراصنة وشحاذين ولصوص ومشتغلين بتجارة الرقيق والبغاء كانت رائجة في انكلترا في نهاية القرن السابع عشر. ولا بد من التأكيد هنا أن إشارات بتز إلى العرب لم تكن واضحة جداً أبداً؛ فهو يدعوهم أحياناً جزائريين أو بربر أو عرباً، ويشير إليهم أحياناً كأتراك ومصريين. وأحسن دليل على عدم وضوحه هو وصفه المشوش للبغاء.

أما القرن الثامن عشر، وفيه قاتلت فرنسا وبريطانيا إحداهما الأخرى للسيطرة على الهند من ١٧٤٤ إلى ١٧٦٩، تلك الحرب التي انتهت بسيطرة بريطانيا على شبه القارةالهندية اقتصادياً وسياسياً، فقد كان قرناً أثر بالعلاقات البريطانية ـ الشرقية، وشهد نقطة تحول في صورة العرب. إن بريطانيا، مدفوعة بحماية طرقها إلى الهند من جهة، ولمواجهة المضايقة والنفوذ المتزايدين من فرنسا أو محاولة إيقافه من جهة أخرى، إذ إن فرنسا بعد هزيمتها في الهند عملت على مضايقة الجزء الشرقي من الأمبراطورية البريطانية باعتراض طرقها عن طريق مصر المسلمة، لكل هذا أخذت بريطانيا تظهر مزيداً من الاهتمام بالمشرق ولاسيما بمصر.

وكان لغزو نابليون مصر في ١٧٩٨ وحملته في سوريا أكبر النتائج في التاريخ الحديث للمشرق، ومن ثم للاستشراق(٥٤). يقول ادوارد سعيد: «إن المشرق اكتسب لأول مرة بعداً فكرياً وتاريخياً محدداً به تتدعم الأوهام الناشئة عن جغرافيته البعيدة المسافات والشاسعة المساحات»(٥٥).

---

(٥١) المصدر نفسه.
(٥٢) كما نقل ذلك: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 32.
(٥٣) Freeth and Winstone, Ibid., p. 48.
(٥٤) انظر: Said, *Orientalism*, p. 76.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٧٧.

على أن بعض المستشرقين مثل ابراهام ـ هايسنث (Hyacinthe)وأنكوتيل ـ دوبيرون (Anquetil-Duperron) والسير وليام جونز (Jones) قد ألهبوا بحلول القرن مخيلة المعاصرين بإدخالهم عالماً جديداً غريباً هو المشرق إلى الغرب. أسس جونز، الذي كان فقيهاً قانونياً، الجمعية الآسيوية في البنغال سنة ١٧٨٤ وعمل موظفاً في شركة الهند الشرقية. وبدأ يقوم بدراسة شخصية ترمي إلى تجميع وتوثيق وتدجين المشرق، وتحويلها بذلك الى «حقل للعلم الأوروبي»[٥٦]. ويبين ستوارت سكار (Schaar)، في استعراضه للاستشراق، أن جونز لم يشعر على الإطلاق «بأي تضارب في المصلحة في خدمة الإمبريالية ووضع النمط الذي أخذ يضاهيه المستشرقون وخبراء الدراسات الحقلية فيما بعد»[٥٧]. ويمضي سكار إلى القول إن البريطانيين في الهند ونابليون في مصر، وقد أدركوا ما في استخدام مستشرقين مثل جونز من إمكانية طيبة لبناء الإمبراطورية، «قد ربطوا بين التقليد الفكري الاستشراقي وبين التسلط السياسي الصريح»[٥٨].

٥ ـ وليام إيتون (Eton)

وعندما وجدت انكلترا نفسها في وضع حرج ومهدد في مصر بخاصة، وفي الشرق بعامّة، بسبب النفوذ الفرنسي، فكرت جدياً باستخدام بعض العلماء و«الخبراء» وتدريبهم لينافسوا الفرنسيين ولكي يساعدوها في فهم «عقلية» العرب ولتسهيل أمرها معهم. إن وليام إيتون مثل جيد في هذا الصدد. ففي كتابه المعنون عرض للامبراطورية التركية (١٧٩٩) كانت مواقفه إزاء العرب واضحة. إنه لم يحدد فقط الدور الذي قد يلعبه العرب كقوة مخربة داخل الأمبراطورية التركية، بل حثّ حكومته كذلك على أن ترسل وكيلاً لها ليراقب الفرنسيين في مصر وليخطب ود العرب في الوقت ذاته وهم، على حد تعبيره «لا يعترفون بسيادة السلطان». ويمضي إلى وصف الوكيل قائلاً إنه يجب أن يكون «مطلعاً على أصول وطرق تفكير العرب وله سيطرة على أعصابه وذا شخصية مرنة بحيث يكيف لغته حسب ما في نفوسهم من أغراض»[٥٩].

إن وصف دور المستشرق بأنه وكيل لحكومته ليس واضح الدلالة فحسب، بل هو مذهل كذلك. وهذا الدور الذي لعبه إيتون يدعم حجة سعيد الذي حاول أن يبين دور بعض المستشرقين كوكلاء لحكوماتهم:

«يمكن اعتبار المستشرق كوكيل خاص لدولة غربية عند محاولتها تطبيق سياسة معينة حيال

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٥٧) S. Schaar, «Orientalism at the Service of Imperialism,» *Race and Class,* vol. 21 (1979), p. 68.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٥٩) Daniel, *Islam, Europe and Empire,* pp. 103-104, and Nasir, *The Arabs and the English,* pp. 50-52.

المشرق. إن أي رحّالة أوروبي متعلم (أو ليس كذلك تماماً) يتجول في المشرق يشعر بـأنه رجـل غربي نموذجي قد سبر غور ما هو غامض من الأمور»[60].

إن مثل هذا الوصف لوكيـل يلائـم إيتـون، لاسيما حـين وضع نفسـه في خدمـة حكومته بمحاولته أن يلعب دور «الخبير» بالطبيعة القومية العـربية، ولـو أنه لم يحـدد ما يريد بكلمة العرب قط. إنه يعتقد أن العـرب هم قوم بسـطاء يمكن تسييرهم بسهـولة من قبـل رجـل انكليـزي ذكي (Smart) ينجـح في أن يلعب دور الصـديق لتحقيق أهداف سياسيـة. يجب ألا يفصل هـذا الاعتقاد من الفكـر والشعور السـائدين لـدى البريطانيين آنئذٍ. وإيتـون لا يهمه تـالياً مـا يمكن أن يصيب العرب من ضرر في اتبـاع مثل هذه الطريقة المكيافيلية، طـالما حقق الـبريطانيـون أهدافهم السيـاسية؛ ذلـك أن العرب هم «أغراض» (Objects) وخير ما يصوّر هذه الطريقة المكيـافيلية هـو ما كتبـه إيتون في كتابه عن الأتراك إذ يقول:

«إنهم لا يـزالون أعـداء للمسيحيين وسيكـونـون كـذلـك إلى الأبـد؛ وإنهم يـظنـون أن جميـع المسيحيين هم أعداء كذلك للمحمديين. وسأجيبهم قائلاً: لقد كنت عـدواً لكم طالما كنتم أصدقـاء للفرنسـيين؛ والآن أنتم أعداؤهم، فأنا، كإنكليزي، صـديقكم»[61].

وقد فضّل إيتـون العرب، لأسبـاب سياسيـة، بالمقـارنة مـع الأتراك وصـورهم بشكل إيجابي:

«إن العرب، الذين كانوا في عدائهم العظيم للعلوم كالأتراك، يقـومون الآن بـرعايتهـا بنجاح كبـير، وقد اكتسبـوا مقداراً حسنـاً من المعرفـة والتـأدب، في حـين تتخبط أوروبـا في مهـاوي الجهـل والبربرية. ولكن التركي المتغطرس يتعاظم على التبعية اليونانية بصفته فاتحاً؛ ويعتبر نفسه أرفع مكانـة بصفته المصطفى من السماء، ويعود القسم الأكبر من ضراوته كمستبـد إلى ما يـأمر بـه دينه من أوامـر متعجرفة وبربرية»[62].

إن موقف إيتون المتذبذب نحو العرب واضح تمامـاً هنا، وكـذلك في منـاسبات أخرى حين امتدحهم في كتابه كشعب يتحلى بالاقتدار والعبقرية معـاً، مما كـان سينفع الإنسانية لو أن العرب لم يكونوا تحت هيمنة الأتراك.

٦ ـ كتاب ألف ليلة وليلة

وإضـافـة إلى الاتجاه السلبي بشأن العرب، والذي ساعـد على المحـافظة عـلى مصالح بريطانيا السياسية والاقتصادية في المشرق العربي، أخذت صورة أخرى مختلفة

---

(٦٠) Bob Lebling, «Orientalism,» Book review, *Journal of Palestine Studies,* vol. 9, no. 2 (Winter 1980), p. 119.

(٦١) كما ورد في: Nasir, Ibid., p. 50.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

وجديدة تعم الرأي البريطاني عن العرب في القرن الثامن عشر: تلك هي الصورة الرومانسية (Romantic) الغريبة المستطرفة (Exotic) والمستمدة من كتاب ألف ليلة وليلة. ظهر هذا الكتاب بالانكليزية سنة ١٧١٢ مترجماً عن النص الفرنسي الذي وضعه غالاند (Galland). والليالي هي عبارة عن حكايات يعتقد أن أصلها هندي أو فارسي. وتحتوي المجموعة الكاملة على ما ينوف على مائتي حكاية نسجت كلها في قصة رئيسية واحدة وهي: أن الملك شهريار يكتشف أن زوجته تخونه فيقتلها، ثم يقتل كل عروس يتزوجها ليلة الدخول بها. وأدى هذا الوضع الأليم بشهرزاد، ابنة الوزير، أن تقدم نفسها «فدية» لبنات المحمديين خدمة «لقضية خلاصهن». انها تزجي ساعات يقظة الملك برواية قصة تقطعها في نقطة توتّر حرجة، وعندها يبقي الملك على حياتها لكي تستمر في إكمال القصة. ثم تعيد هذه الحيلة فتربط حكاية بحكاية، أو تشبك الواحدة بالأخرى حتى نهاية الليلة الأولى بعد الألف حين تطلب شهرزاد الابقاء على حياتها. فيجيب الملك طلبها ويجعلها ملكة[٦٣].

لم يحقق أي كتاب، باستثناء الإنجيل، ما حققه كتاب ألف ليلة من شعبية وسعة انتشار ورواج. وخير دليل على جاذبية الكتاب الهائلة ما ذكره أم. جي. علي، من أن صحيفة لندن نيوز التي كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع بدأت في ٦ كانون الثاني/ يناير ١٧٢٣ بنشر مسلسل الألف ليلة وليلة «استغرق ثلاث سنين وبلغ عدد حلقاته أربعمائة وخمساً وأربعين حلقة»[٦٤]. والواقع أن حكايات هذا الكتاب كان لها أثر دائم وعميق على مشاعر الجمهور، لأنها قدمت لهم المشرق في صورة رومانسية وغريبة مستطرفة[٦٥].

على أنه لا يمكن فهم تأثير ألف ليلة وليلة فهماً واضحاً من دون فهم خلفية القرن الثامن عشر الاجتماعية والثقافية والصناعية والتاريخية في بريطانيا. ومع أن هذا يخرج عن نطاق بحثنا، ولكن يصحّ أن تعزى شعبية «الحكايات» وأثرها إلى كونها تحوي مواضيع واقعية وخيالية معاً رويت بأسلوب جديد تماماً للقارىء في ذلك القرن:

«صحيح، كانت هناك فيما سبق حكايات عن المشرق في اللغتين الايطالية والفرنسية، ولكن لم يكن لأي منها هذه القوة الطاغية التي كانت لألف ليلة وليلة. لقد عرضت هذه القصص... دقائق

---

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) M.J. Ali, «The Arabian Nights in Eighteenth Century English Criticism,» *Muslim World* (January 1977), pp. 14-15.

(٦٥) للاطلاع على عرض شامل للأدب بشأن شعبية الف ليلة وليلة وأثرها، انظر: المصدر نفسه، ص ١٢ - ٣٢.

في الأسلوب وتفصيلات في البناء والمغامرة والشبق والوعظ الأخلاقي والتعقل والخيال والفلسفة والسخرية»[٦٦].

هذه الحكايات لم تخلُ بشيء في القواعد الأخلاقية التقليدية المترمتة التي كانت سائدة: «إنها غالباً ما اتجهت في معالجتها للمسائل الخلقية إلى ما كان يحاول الأوروبيون معالجته في أوائل القرن الثامن عشر»[٦٧].

وبهذه الحكايات، بلغت الصورة التي في أذهان البريطانيين عن العرب مرحلة جديدة. كان هارون الرشيد خليفة بغداد وعلي بابا والأربعين حرامي والسندباد البحري من المغامرين الذين حققوا شعبية في انكلترا. فأصبح العرب والمشرق يُقرنان بصورة لا فكاك منها بالصور الغريبة المستطرفة والرومانسية، والتي هي مع ذلك غير واقعية.

٧ ـ سلمون اوكلي (Salmon Ockley)

إضافة إلى الاهتمام بألف ليلة وليلة، كان العلماء يهتمون بالتاريخ والأدب العربيين. من بين الذين ساهموا مساهمة رصينة في المعرفة التاريخية والتاريخ، أحد علماء كمبريدج سلمون أوكلي (Ockley) الذي ولد في آكستر عام ١٦٧٨. وكان كتابه **تاريخ العرب**، (١٧٠٨ ـ ١٧١٨)، علامة بارزة في دراسة هذا التاريخ، لأنه كان أول محاولة في كتابة تاريخ متواصل للحضارة العربية باللغة الانكليزية، رغم الصعاب التي جابهها الكاتب. كان أوكلي على علم بالمواقف السلبية السائدة آنئذ تجاه العرب. وقد وصف في رسالة له إلى ابنته صعوبات تصحيح الأخطاء بحق العرب وتفنيدها والتي ارتكبها الرحالة القدماء الذين مرّوا بالمنطقة دون أن تتوافر لديهم المعرفة الضرورية بالتاريخ والأعراف القديمة، «... فيلتقطون نتفاً من التقاليد من السكان وينشرونها بنفس الغموض الذي فهموها به»[٦٨].

إن الصور الجديدة التي أدخلها أوكلي عن العرب كشعب نبيل يحب المعرفة، وكشعب متحضر، قد صدمت وأذهلت كثيراً من الناس لأنها ناقضت وقلقلت الصور السائدة التي يحملونها عن العرب، كشعب غير قادر على القيام بأي إنجاز مهم. وينوّه أوكلي في مقدمته للطبعة الثانية من كتابه المذكور، بأن ما رواه عن تاريخ العرب وحضارتهم قد أثار الانتقاد والحيرة لأنه كان «أغرب ما سمعه القراء على الإطلاق منذ ولادتهم... إنهم لم يلتقوا في حياتهم أبداً أناساً مثل هؤلاء الأعراب...»[٦٩].

---

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٦٨) Holt, *Studies in the History of the Near East.*

(٦٩) Nasir, *The Arabs and the English*, p. 41.

بيد أن طبيعة عمل أوكلي اتضّحت في مواقفه نحو ديانة العرب. فمع أنه امتدحهم، من جهة، على إنجازاتهم وبعد نظرهم وحكمتهم، فقد حرص من جهة أخرى على أن يتنصل من تأثير الإسلام المُعْدي (Infections). إنه لا يألو جهداً في اتباع ما هو شائع من وصم محمد (ص)، ففي السطر الأول من كتابه، يسمه بأنه «دجّال كبير» (Great Imposter) ووصم الإسلام بأنه هرطقة مريعة (Outrageous Heresy)[٧٠].

٨ ـ جورج سيل (G. Sale)

أعقب عمل أوكلي هذا عن تاريخ العرب، والذي استمد عدد من الناس صورهم منه، أعمال أخرى لعدد من المستعربين (Arabist) كان من بينهم جورج سيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦)، وهذا هو أول مستعرب انكليزي متحرر نسبياً من الغرض الديني. كان سيل يوصف بأنه نصف مسلم، واشتهر بترجمته للقرآن التي نشرت في ١٧٣٤ مع تفسير لعدد من الآيات ومقدمة عن الإسلام. وفي هذه المقدمة، المعنونة «مطارحة أولية عن القرآن» كتب سيل نبذة عن دين العرب وعلومهم وأعرافهم. كذلك وصف الجزيرة العربية بأنها الموطن الأصلي للعرب، ووصف سكانها بأنهم قوم يعيشون في جماعات تدعى قبائل. وهو يقول إن القبيلة تعتز بتقاليدها ولذلك فهي تقاتل القبائل الأخرى للمحافظة على هويّتها. وعزّز سيل كذلك، في كتابه عن العرب، بعض الصور القديمة: الضيافة، الإخلاص، الاستقلال، وحب الحرية. إن عرب الصحراء (البدو)، برأيه، هم «سريعو البديهة» والتحليل وفطنتهم نيّرة[٧١].

على أن المستشرقين الذين درسوا تاريخ العرب والإسلام لذاته، مثل سيل وقلة من الآخرين، قد فاقهم عدداً بكثير، أولئك الذين استوحوا دوافع تبشيرية واستعمارية. فالتغرض الديني ضد الإسلام لم يختف مطلقاً في القرون التالية؛ على العكس، فقد احتفظ بالقوالب الذهنية السلبية القديمة، فمهدت الطريق إلى سيطرة الامبريالية على الشرق.

---

(٧٠) Holt, Ibid., p. 56, and Said, *Orientalism*, p. 76.
من الواضح أن رأي اوكلي عن دين العرب كان يقضي به الضغط الحاصل من الـتزمت الديني في أوائل القرن الثامن عشر. وينبغي في هذا الصدد أن ينظر إلى عمله، كسائر اعمال «المستشرقين» المشار اليها في هذه الاطروحة، ضمن الاطار الاجتماعي ـ السياسي المحيط بما انتجوه من كتب. ان القيام بهذا بصورة وافية يقتضي وضع اطروحة دكتوراه قائمة بذاتها، لذا سيحال القارىء الى مصادر ثانوية مناسبة كبديل غير واف.

(٧١) Holt, Ibid.

ثالثاً: الصورة في القرنين التاسع عشر والعشرين

تقرّرت المواقف البريطانية إزاء العرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالتوسع البريطاني الذي لا يتوقف بحثاً عن الأسواق والمصادر والمستعمرات من جهة، وبالفرضيات والنظريات «العلمية» التي سادت في ذلك العصر بشأن العرق والثقافة من جهة أخرى. وكنتيجة للثورة الصناعية، بلغت قدرة بريطانيا التقنية مستوى لم تبلغه في السابق قط. أما شعورها بالتفوق الذي كان يقوم في السنين الماضية على غطرسة دينية وعلى كره الأجانب (Xenophobia) فقد عززه تفوق بيّن في القوة والمعرفة(٧٢).

في هذه الأثناء، أخذت الاتجاهات العنصرية البريطانية والشعور بالتفوق نحو «الآخرين» تتعزز بعمل علماء الحياة، وذلك بمعزل تام عن العوامل الأخرى. فبحوث هؤلاء العلماء في القرن الثامن عشر لفهم العالم بلغت نهايتها في القرن التاسع عشر بأعمال جورج كوفير (Cuvier) (١٧٦٩ - ١٨٣٢) وروبرت نوكس (Knox) (١٧٩١ - ١٨٦٢) وتشارلز داروين (Darwin) (١٨٠٩ - ١٨٨٢)(٧٣). لقد تم تصنيف مملكة الحيوان، وبضمنها الإنسان، ورتبت، ونظمت بشكل هرمي.

قام علماء الحياة هؤلاء وغيرهم من علماء الاجتماع الذين يمكن وصفهم بشكل عمومي بأنهم داروينيون اجتماعيون (Social Darwinists)، وقد انضموا إلى التقليد الأوروبي الخاص بتفسير التاريخ عن طريق التكهن والتخمين، قاموا بالخروج عن حقل اختصاصهم لكي يطبقوا ويعمّموا نظريتهم في النشوء والتطور على التاريخ والمجتمع الإنسانيين. ومع أن معظم الداروينيين الاجتماعيين اهتموا بالفوارق العنصرية داخل أوروبا، ولكن أفكارهم، كما يقول كيرتن، «طفحت فدخلت الفكر الامبريالي كذلك، فكان مجمل النظرية الامبريالية بين سبعينات القرن الماضي وعشرينات هذا القرن يستند إلى افتراضات عنصرية ضمن نغمات النشوء والتطور»(٧٤).

وقد نشأت عن الفكر العنصري، القائم على افتراض مفاده أن العنصر (Race) هو مقرر أساسي للتاريخ والمجتمع، نشأت عنه معتقدات حاسمة: وهي أن غير الأوروبيين (أي الآخرين) هم عناصر أدنى، أي أجناس أقل مرتبة، (Lower and in-

---

(٧٢) Philip D. Curtin, ed., *Imperialism: The Documentary History of Western Civilization* (London; New York: Harper and Row, 1971), and V.G. Kiernan, *The Lords of Human Kind* (London: [n. pb.], 1969).

(٧٣) D.R. Oldroyd, *Darwinian Impacts: An Introduction to the Darwinian Revolution* (London: Open University Press, 1980).

(٧٤) Curtin, ed., Ibid., pp. 16-17.

ferior races) قضت عليها قوانين الطبيعة الثابتة التي لا ترحم بالهزيمة والانقراض في الصراع من أجل البقاء؛ كذلك المعتقد القائل ان الثقافة غير الغربية أدنى بكثير من الثقافة الغربية، والمعتقد الآخر المترتب عليه القائل بأن الانحطاط الثقافي وراثي.

وجدت بريطانيا في هذه المعتقدات العنصرية وسيلة مثالية لتسويغ استعمارها (Validate legitimise) وجعله شرعياً، وذلك بزعم أن من الضروري إدخال نظام اجتماعي «متفوق» في حياة هؤلاء «البدائيين» (Primitives) الذين يفتقرون إلى مزايا النظام الاجتماعي والسياسي البريطاني. وبما أن بريطانيا (كجزء من الغرب) هي موطن الحضارة، لذا فهي «مدعوة لحمل «رسالة الرجل الأبيض» (The White Man Burden) ولقيادة «البرابرة» و«المتوحشين» نحو الحضارة[٧٥]. وقد لخص جون داوننغ (Downing) هذه المعتقدات العنصرية كما يلي:

«... الاستعمار بالتالي هو شيء مشروع لأنه يشخّص الضعف الكامن في الشعوب المستعمرة، ولكنه بدلاً من إبادتها يمد لها يد (الحضارة) وبذا يقدم لها مستقبلاً على هذا الكوكب. أما أن ترفس هذه اليد، بل وحتى تعضّ فما هو إلا استجابة المنحط والناكر للجميل، مما يقرر إلى الأبد عجز الشعوب التام عن تبينّ النفع في الاستغلال والنهب الإمبرياليين»[٧٦].

بهذه الخلفية، نظر المستشرقون إلى العرب. بل إنهم تصوروهم من منظور سأسميه «منظور الصقر» (Hawk perspective) بمعنى أنهم نظروا إليهم من علٍ بازدراء وترقّب. وقد شاعت قوالبهم السلبية القديمة بين الناس فأخذت مكاناً ثابتاً في المؤسسات (Institutionalized) وسرت في مناحي الثقافة البريطانية. إن المستشرقين عكسوا هذا الاتجاه في أعمالهم بوضوح.

١ ـ ادوارد لين (E. Lane)

كان من بين المستشرقين المعروفين والمتنفذين الذين أسهمت أعمالهم كثيراً في خلق الصورة العربية المستشرق ادوارد لين (E. Lane) (١٨٠١ ـ ١٨٧٦). ففي ١٨٢٥ أبحر لين، وكان شاباً في الرابعة والعشرين من العمر، إلى مصر طلباً لمناخ حار لاعتلالٍ في صحته ولأنه كان مفتوناً بالمشرق، وكان يضمر لهذه البلاد حباً عظيماً منذ طفولته، وهي على حد تعبيره «لا تختلف كثيراً عن محيط الأقاصيص الخرافية لألف ليلة وليلة». وجد لين في مصر مجموعة من المستكشفين والعلماء كانوا قد بدأوا بالتنقيب عن حاضر البلاد وماضيها. لذلك قرر أن يكتب وصفاً مستفيضاً للبلاد لم يسبقه إليه أحد. فكانت نتيجة هذا العزم والمعيشة بين المصريين لمدة خمس سنوات (١٨٢٥ ـ ١٨٢٨،

---

(٧٥) Oldroyd, Ibid.; Kiernan, *The Lords of Human Kind,* and Curtin ,ed., Ibid.
(٧٦) J. Downing, *The Media Machine* (London: Pluto Press, 1980), p. 55.

١٨٣٣ - ١٨٣٥) يعقد إبّانها الصداقات ويكتب الملاحظات إلى أن أخرج لين كتابه المعنْوَن العادات والأعراف في مصر الحديثة الذي نشر في ١٨٣٦ في جزءين.

أصبح هذا الكتاب، وهو عبارة عن مجموعة عشوائية من الملاحظات، وثيقة «مفيدة» تتضمن علماً «مفيداً» وهي وثيقة لا «يستغنى عنها» في الغرب لمن يريد أن يعرف شيئاً عن مصر، كما قال برنارد لويس(٧٧). إن شعبية الكتاب لم تكتسب من جراء ما قاله لين، بل «من جراء كيف أمكن أن يكيّف ما قاله إلى استشراق»(٧٨).

ومع أن لين كان دقيقاً في وصفه المفصّل لأنماط الحياة للشرائح المتعددة في المجتمع المصري (أهل المدن والفلاحين... الخ). وقد ميّز بعناية بين العرب والأتراك، وهي غلطة لم يتحسب لها العلماء السابقون(٧٩)، فإنه مع ذلك لم يستطع إلا إطلاق التعميمات الواسعة عن الشعب المصري، وبخاصة في الفصل المعنون «شخصية المصريين». كان لين متعاطفاً بصورة أساسية، ولكنه مع ذلك كان تحليلياً بصورة قارصة، ومن الواضح أنه كان ينطلق من منظومة من القيم هي مسيحية بالتأكيد، وإنكليزية بلا جدال. لقد صوّر لين المصريين قوماً يظهرون صبراً وجلداً نموذجيين، يكادان يبلغان عدم الاكتراث؛ قوماً مضيافين ويتمتعون بإحساس قوي من الولاء العائلي وحب الوطن(٨٠).

يعطي لين في كتابه هذا انطباعاً بأنّه رجل «متحضر» جداً، أخلاقي جداً، ذو نزعة علمية رفيعة، رجل يتفحص ببالغ العناية والإنصاف والشمول شعباً هو، بتقديره الإنكليزي المحض، شعب جاهل و«بدائي». ويتضح الشعور بالتفوق العنصري لديه في وصفه للعرب، كل العرب، بأنهم قوم يؤمنون بالخرافات (Superstitions)، وهو اعتقاد ورثوه عن دينهم الإسلامي: «إن العرب قوم يؤمنون بالخرافات كل الإيمان؛ ولا يفوق شعب مصر في هذا أحد»(٨١). وهو يمضي في الإفصاح عن اتجاهاته الهجومية إزاء الإسلام فيؤكد «أن طاقة المصريين العقلية تنخفض بمثل هذا

---

(٧٧) Bernard Lewis, *British Contributions to Arabic Studies* (London: Published for the British Council by Longman, 1941).

(٧٨) Said, *Orientalism*, p. 158.

(٧٩) يقول لين في مقدمة كتابه ان الصورة التي في اذهان الانكليز عن العرب اختلطت بصورة الاتراك. ويعزو ذلك الى تأثير كتاب أي. راسل المعنون: التاريخ الطبيعي لحلب (١٧٠٧) الذي استمد القارىء الانكليزي منه معلوماته. ويزعم لين ان كتاب راسل احتوى على نواقص عديدة: فهو «على العموم وصف للعادات التركية دون العادات العربية». انظر: Nasir, *The Arabs and the English*, and Leila Ahmad, *Edward W. Lane: A Study of His Life and Works and of British Ideas of the Middle East in the Nineteenth Century* (Beirut: Librairie du Liban; London: Longman, 1978).

(٨٠) انظر: Ahmad, Ibid.

(٨١) كما ورد في: Nasir, Ibid., p. 65.

الدين...»[٨٢]. من بين كتب لين الأخرى، معجمه العربي غير الكامل وترجمته لألف ليلة وليلة وهي ترجمة جامدة تفتقر إلى الخيال[٨٣].

٢ ـ الكسندر كينغليك Kinglake

وظهرت بعد فترة وجيزة من ظهور كتاب لين، كتب أخرى كانت تقلّ عنه كثيراً في نزعتها العلمية ولكنها اكتسبت شعبية فورية، وقد كتبها علماء أغنياء، مغامرون، وطُلّعَة فتنوا بالكتابات الغربية المستطرفة السابقة عن المشرق العربي. من أوائل تلك الكتب كتاب ألكسندر كينغليك المعنون Eothen الذي نشر في ١٨٤٤ وكان بلا منازع أروج كتب الرحلات التي ظهرت عن المشرق العربي في القرن التاسع عشر. أهدى كينغليك كتابه هذا إلى صديقه إليوت وربرتون (Warburton) الذي سلك بعد عام الطريق ذاته فوصف كتاب Eothen بأنه «يحوي من الحقيقة ودقة الوصف وعمق الفكر والفكاهة الرهيفة واللطيفة، أكثر من أي كتاب آخر عن الشرق رأيته على الإطلاق»[٨٤].

لم يكن كتاب Eothen، على خلاف المجلد الذي وضعه لين، في نهجه تحليلياً أو مقوِّماً. ومع أن كاتبه كينغليك يقر بعدم معرفته لأية لغة أو ثقافة شرقيتين، فلم يمنعه جهله هذا من إطلاق التعميمات الكاسحة عن المشرق، وثقافته ومجتمعه[٨٥]. ولم يكن العديد من مواقفه حيال العرب، وأغلب ما وضعه من قوالب عنهم مما أورده في كتابه سوى المعرفة المخزونة (Stock knowledge) والصور التي حملها معه في أسفاره. (مثلاً ما رماهم به من صفات الخداع وعدم الجدارة بالثقة، والإيمان الأعمى بالقضاء والقدر).

كان كينغليك، كبعض الرحالة الآخرين، أكثر اهتماماً بنفسه من اهتمامه برؤية ما يُروى، و«المشرق» بالنسبة له لا حياة فيه. إن محور كتابه هو نفسه ذاتها وليس البلاد وشعبها: «إن ما يعنيه أشد العناية شخصياً هو الناس والأشياء مهما كانت حقارتهم وتفاهتهم، فيأخذ ذلك القسم الأعظم من الصورة التي يضعها لأنه قريب جداً من نفسه»[٨٦].

وكتاب Eothen يشي عَرَضاً بنبرة استعلاء من فرد ينتمي إلى جنس «أرقى» وهو يجوب بين هؤلاء الناس المتأخرين والجاهلين: «إن كل إنسان يلتقيه إنما يدعم معتقده بأن خير وسيلة للتعامل مع الشرقيين هي التخويف، وأية وسيلة للتخويف أفضل من الأنا الغربية ذات

(٨٢) كما ورد في: J. Hollenbach, «The Image of the Arab in Nineteenth Century English and American Literature,» *Muslim World* (July 1972).
(٨٣) انظر: Ahmad, *Edward W. Lane: A Study of His Life and Works and of British Ideas of the Middle East in the Nineteenth Century.*
(٨٤) Searight, *The British in the Middle East*, p. 131.
(٨٥) Said, *Orientalism*, p. 193.
(٨٦) Searight, Ibid., p. 131.

السيادة؟»[٨٧]. كما أن نزعة الكاتب الانكليزية بما تنطوي عليه من شعور بالتفوق واضحة تماماً في تعليقه على لقاءٍ له مع انكليزي آخر في الصحراء: «حسبته فحلاً، ذكياً - واحداً جليل القيمة من الانكليز الأشداء الذين يعدّون بضعة ألوف، والذين تدين لهم امبراطورية الهند»[٨٨].

إن المواقف القديمة المعادية للإسلام تظهر بصراحة ووضوح في هذا الكتاب. فالإسلام يعتبر السبب الرئيسي لسلوك المسلمين الشاذ (مثلاً صفات الخداع وعدم الجدارة بالثقة والإيمان الأعمى بالقضاء والقدر). والصورة التي يرسمها كينغليك للمشرق، بكل ما فيها من بهرجة وتشويق، هي صورة لا تثلج الصدر؛ تبين ذلك خاتمته بصورة وافية:

«تركت من ورائي عالماً قديماً بالياً - ديانات ميتة ومحتضرة - استبداديات ساكتة تلفظ أنفاسها بصمت - نساء مقموعات ومعصوبات تحولن إلى دمى شاحبة - حبٌ وليّ وخلّف ملذات ملكية و (فردوسية)»[٨٩].

٣ - اليوت وربرتون (Warburton)

أما الرحالة الآخر إلى المشرق، الذي سلك الطريق ذاته تقريباً كصديقه كينغليك، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحقّق شهرة مما كتبه عن أسفاره، فهو إليوت وربرتون (Warburton) لقد ذهب هذا، مثله مثل صديقه وغيره من الآخرين، إلى المشرق في ١٨٤٤ حاملاً معه «بريطانيته» (Britishness) وأفكاراً مسبقة معينة وقوالب ذهنية اكتسبت من حكايات رحّالة سابقين، وبخاصة من كتاب لين. إن وربرتون، في كتابه المشهور والرائج الهلال والصليب (The Crescent and the Cross) (١٨٤٤)، الذي اتخذ مرشداً عن مصر، وهي التي يكرّس لها اهتمامه الأول، لا يورد فقط حبه لبلاد العرب، وأحياناً افتتانه بضيافة البدو وفروسيتهم وشجاعتهم، كمكان لطيف يفر إليه هرباً من مجتمعه، بل يورد كذلك حسده للعرب «المتخلفين» و «القساة» لأنهم يملكون مثل هذه البلاد الغريبة المستطرفة. وقد حث الانكليز «المتحضرين» أن يفوا بمهمتهم الحضارية لوضع لمسة «الحضارة» والأخلاقية على هؤلاء الناس المنحطين[٩٠].

والواقع أن وربرتون يعبر، في معظم كتابه المشين، عن عقيدة «رسالة الرجل

---

(٨٧) Said, Ibid., p. 193.

(٨٨) Hollenbach, «The Image of the Arab in Nineteenth Century English and American Literature,» pp. 198-199.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

الأبيض». وهو يقول إنه قد يكون على بريطانيا مسؤولية الدخول إلى هذا الجزء من العالم «لإيفاء الصليب حقه حيث سفكت أطهر الدماء وأبسلها قبل ستمائة عام»[٩١].

إن شعوره بالتفوق العنصري لا يستند فقط إلى كونه انكليزياً، بل كذلك إلى كونه مسيحياً أنجليكانياً وأخلاقياً. والدين الإسلامي كما يوحي عنوان كتابه لا يستهويه، وهو كذلك الوغد الرئيسي. ولم يحاول وربرتون، شأنه في ذلك شأن كينغليك، أية محاولة صادقة لفهم و/أو تحليل المجتمع المصري بحثاً عن الأحوال التي يعيش في ظلها الفلاحون المصريون ويصبرون عليها. بل هو يعطي، بدلاً من ذلك، هذا الحكم العام: «إن ولاء الفلاح المصري هو عبودية، وشجاعته ضراوة، ودينه خرافات؛ إن حبه شهواني، وتقواه مرائية، والتسليم بأمره ما هو إلا إيمان جبان بالقضاء والقدر»[٩٢].

ومع أن تجربة وربرتون كانت مقتصرة في الأساس على مصر، ولكنه يطبق هذه الصور على جميع العرب، وهذا تعميم يجعلنا نستنتج أنه كان، على الأغلب، قد قرأ عنها قبل رحيله ولم يلاحظها بنفسه، فهو لم يمكث طويلاً في بلاد العرب، لا سيما مصر. إن كتابه الهلال والصليب أسهم في الواقع في خلق صورة بائسة عن العرب، فهي تحوي «جرثومة» أفكار متعددة، وعلى الأخص النقد القارص ضد الإسلام ومعتنقيه، وهي أفكار تقبّلها الساسة الانكليز وبنوا عليها صورهم الذهنية عن العرب.

٤ ـ رتشارد برتون (Burton)

ليس هناك بين جميع الرحالة الذين ذهبوا إلى الوطن العربي من هو أكثر نشاطاً أو أغزر قلماً من الرحالة الفكتوري في أواسط القرن التاسع عشر رتشارد برتون. ما من رحالة في جزيرة العرب، باستثناء تي. إس. لورنس، كتبت سيرة حياته مرات أكثر منه، بل إن أول سيرة نشرت عنه قبل عشر سنوات من وفاته. لقد رحل إلى أفريقيا والهند وسوريا وشمال أفريقيا والبرازيل وجزيرة العرب التي ظلت بين هذه جميعاً، كما قال هو نفسه: «البلاد التي تولعت بها»[٩٣].

كان برتون، قبل سفره إلى جزيرة العرب ومصر، يدرس اللغة العربية في اكسفورد، ولكنه لم يكمل دراسته هذه لانضمامه إلى الجيش البريطاني في الهند، حيث

---

(٩١) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٩٣) كما ورد في: R. Bidwell, *Travellers in Arabia* (Hamlyn Publishing Group Ltd., 1976), p. 60.

استأنف دراسة العربية عن طريق سكنه في المقاطعات الإسلامية. في ١٨٥٣ زار مصر ومنها ذهب إلى السويس. وانتقل بحراً إلى الجزيرة فسافر إلى الحجاز وزار مكة المكرمة والمدينة المنورة. ثم نشر عند عودته إلى انكلترا، عن طريق جدة ومصر، كتاباً عما شاهده في رحلته بعنوان الحج إلى المدينة ومكة (Pilgrimage to Al - Medinah and Meccah) (١٨٥٥ ـ ١٨٥٦) والذي أنجز كتابته في بضعة أشهر بعد عودته.

في ١٨٦٩ عاد الى الوطن العربي مع زوجته الارستقراطية إزابيل أروندل (Arundell) قنصلاً بريطانياً في دمشق. وخلال إقامته هناك استكشف سوريا بصحبة زوجته وادوارد بالمر (Palmer). ورغم ملاحظاته وهوامشه التفصيلية الكثيرة في كتابه عن البدو أقر أنه لا يستطيع أن يضيف لما كتبه بركارت (Burckhardt) عنهم إلا قليلاً[٩٤].

كانت ألف ليلة وليلة، التي فتنت برتون منذ طفولته فتعلم، كما يقول إف. برودي[٩٥]، أن يرويها بنفسه بالعربية، قد أثرت تأثيراً عميقاً في صورته الرومانسية، الزاهية عن العرب، وبخاصة عرب الصحراء (البدو)، وعن الصحراء ذاتها التي كانت لبرتون جنة يفرّ اليها، وانعتاقاً من الغرب ومن الجوانب المتسمة بالنفاق والخنوع في «الحضارة» الغربية:

«غريب كيف يمكن للعقل أن يتسلى بمناظر ليس فيها ما يشغله إلا القليل من الأشياء. ولكن كل تغيير بسيط في الشكل أو اللون، في مثل هذه البلاد، يأسر الملاحظة: فتُشحذ الحواسّ وتختزن ملكات التصور كتلة مشوشة من مواد الطبيعة فترجىء تصوّرها. هذا ومناظر الصحراء توحي بالكثير، وتستهوي المستقبل دون الماضي، وتوقظ لأنها لا علاقة لها بالذكرى أبداً»[٩٦].

ويمضي هذا الكاتب الى القول:

«صدقني أيها القارىء، فما أن يألف ذوقك السكينة التي تجدها في مثل هذه الأسفار حتى تتعرض، عند العودة الى ضجيج الحضارة، الى ألم حقيقي. إنك ستنتظر باشمئزاز ما في الحياة الاصطناعية من جثير وبلبلة، ما فيها من ترف ولذة زائفة»[٩٧].

---

(٩٤) بركهارت (١٧٨٤ ـ ١٨١٧) رحالة انكليزي ولد في سويسرا وكان من أدق الرحالة الذين كتبوا عن الوطن العربي. وخلال اقامته في سوريا وجزيرة العرب دوّن ملاحظات طريفة عن أعرافهم وعاداتهم البدو الذين احبهم واعجب بهم. وكانت ملاحظاته هي أول مسعى «موضوعي» لدراسة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبدو. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Said, *Orientalism*, and Nasir, *The Arabs and the English*.

(٩٥) F. Brodie, *The Devil Drives* (London: Eyre and Spottiswoode, 1967).

(٩٦) Freeth and Winstone, *Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era*, p. 28.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

ويبدو أن حب برتون للصحراء قد أسر خياله. ففي معظم كتاباته ثمة ازدراء «لعبودية الحضارة» على حد تعبيره. وثمة افتتان بالصحراء ـ الجنة:

«مع أن فمك يتّقد وجلدك يتحمص ولكنك لا تحس بالوهن وبأثر الحرارة الرطبة؛ رئتاك تنشرحان، بصرك يبتهج، ذاكرتك تسترد نشاطها، وتمتلىء معنوياتك بالحيوية، ويستثار خيالك وتصورك بقوة، ويحرك اقفرار المناظر من حولك وسموّها كل ما في روحك من طاقة على الجهد والخطر والكفاح. فتتحسن معنوياتك؛ واذا بك تمسي صريحاً، ودوداً، مضيافاً، مخلصاً: إن التأدب المنافق وعبودية الحضارة قد تركا خلفك في المدينة»[٩٨].

على أن هوامش برتون الخاصة بملاحظاته الأنثروبولوجية عن العرب وحياتهم وعاداتهم وأعرافهم جعلته رحالة يمتاز عن غيره من الرحالة الفكتوريين. إن تلك الملاحظات و«المعرفة» أعطت «المشرق معنى وواقعاً ووجوداً»، لا بسبب دقة وصف برتون، بل لأنها كانت ملاحظاته واستنتاجاته بالذات المستمدة من تجربته بالذات. لقد كان «خبيراً»، مستشرقاً مقيماً، جزم أنه استطاع أن يتغلغل في تعقيدات الحياة المشرقية. وقد وصف ادوارد سعيد هذا التمكن من المشرق على هذا النحو:

«إن ما نشعر به في كتابات برتون أكثر من أي كاتب آخر هو أن التعميم عن المشرق.. يأتي نتيجة للمعرفة المكتسبة عنه بالعيش فيه، برؤيته رؤية فعلية مباشرة، بمحاولة مشاهدة الحياة المشرقية بصورة صادقة من وجهة نظر شخص منغمس فيها. مع هذا فيا يستشف من نثر برتون هو إحساس آخر ينبعث منه، إحساس بالجزم والتسلط على جميع تعقيدات الحياة المشرقية. إن كل هامش من هوامش برتون.. يقصد منه شهادة بانتصاره على منظومة المعرفة المشرقية وهي أحياناً مخزية، منظومة قد تمكّن منها بنفسه»[٩٩].

وبما أن برتون يعي التغرض السائد والمواقف العدائية إزاء الاسلام والعرب، ويدرك التعميمات غير الدقيقة عنهم والتي تراكمت من تجارب سطحية سابقة لبعض الرحالة، فقد حاول أن يصحح الصورة ويدافع عنها:

«يحزنني أن أرى هذا العدد الكبير من الرحّالة الأذكياء يسيئون الحكم على العرب بعد تجربة سطحية تقع لهم مع قلة من الأخسّاء من سورية أو سيناء. إن أبناء عنترة بن شداد لا زالوا من الذوات المهذبين»[١٠٠].

كان برتون، كأغلب الرحّالة الى الشرق، أكثر ميلاً الى العشائر البدوية منه الى العرب المستوطنين؛ فقد وجد عادات البدو خالصة وبسيطة وغير ملوثة «بالتكلف والنشوز والحرج» وهي «الاعشاب الضارة في الورم المتحضر»[١٠١]. إن برتون الميال الى إطلاق

---

(٩٨) Nasir, *The Arabs and the English,* p. 70.
(٩٩) Said, *Orientalism,* p. 196.
(١٠٠) Nasir, Ibid., p. 72.
(١٠١) Thomas J. Assad, *Three Victorian Travellers* (London: Routledge and Kegan Paul, 1964), p. 19.

تعميمات كاسحة تشي بمعرفة غير وافية ردّد قوالب سلبية وايجابية معاً، وذلك بتفريقه بين العرب «النبلاء» الذين يتمتعون «بصفة الرحمة» والعرب «الحقراء» الذين هم «حقودون وانتقاميون شأنهم في ذلك شان الجمل» كما أنهم لا يوثق بهم. ومع أنه وجد سكان المدن لا جاذبية فيهم، ولكنه أشار الى أن الشخصية المكية «مفتوحة للعقل» بشكل واضح. إن مثل هذه الأقوال، وكثير غيرها، تظهر برتون مراقباً ذا قدرة على التمييز في تقويمه للحياة المشرقية، وإن كان متحيّزاً.

صحيح أن برتون تمكّن من وصف العرب بدقة أكثر من الرحّالة الذين عاصروه، لأن معرفته تقوم على المعيشة الفعلية بينهم، ولكنه في أغلب الأحيان كذلك أردف ملاحظاته بتأويلات فلسفية، وهذه التعميمات الفلسفية تنبىء بالشيء الكثير:

«إن بسالة البدوي نزقة وغير مؤكدة. والانسان هو بالطبيعة حيوان مفترس، تكبحه علاقات المجتمع المعقدة، ولكنه سرعان ما ينحدر الى عاداته القديمة. وخصال الضراوة والتعطش للدماء تنمو سريعاً في الصحراء، ولكن تهور الحضارة غير معروف فيها لنفس السبب. إن الهمج وأشباه البرابرة هم دائماً حذرون محتاطون، فليس لديهم من شيء ذي قيمة سوى حياتهم. أما المتحضر فهو على نقيض ذلك لديه مئات الحاجات أو الآمال أو الأهداف، بدونها يكون الوجود بالنسبة له غير جميل. إن معاني الشجاعة عند العرب لا تخلب ألبابنا. أما قصص حبهم العذري الحاشدة بالأعمال البطولية الرعناء والمآثر المستحيلة، فقد تفتننا حيناً من الوقت، ولكنها لن تصبح من الأعمال النموذجية التي تؤثر عن شعب مقاتل حقيقة»[١٠٢].

يكشف برتون، في هذا التعميم عن بسالة عرب الصحراء، عن تحيزه وهو يحاول في الوقت ذاته ان يكون «موضوعياً». كذلك فإنه يبيّن موقفه في الجدل الذي كان قائماً في القرن التاسع عشر حول أصل الانسان؛ أما السبب الذي يلصقه بالحذر المزعوم في البرابرة وأنصاف المتحضرين، فهو مثل جيد على استعماله للتعميمات الافتراضية أو العقلانية. كذلك تنبئنا مقارنته الأخيرة عن شيء من اعتزازه «ببريطانيته» إذ انه ينظر الى بلاده بلا ريب على أنها بلاد «شعب مقاتل حقيقة».

على أن برتون، مع كل مماهاته المتعاطفة مع العرب ودفاعه عن ثقافتهم وديانتهم وإعجابه بهما، لا يتخلى عن تعاليه بصفته انكليزياً أبداً، كما أنه لا ينقطع أبداً عن خدمة مصالح بلاده. إن هذا الموقف والشعور بالتعالي ينعكسان في معظم كتاباته. فمع أن العرب كما يقول يملكون خصالاً نبيلة وصفات رفيعة، فإنهم مع ذلك «أدنى مرتبة» كعدد من الآخرين:

«إني (أي برتون) أتفق مع الأستاذ بالمر[١٠٣] على أن البدوي، (أبوالصحراء) وليس (ابنه)،

---

(١٠٢) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٢٠.

(١٠٣) بالمر هو عالم بريطاني استخدمته حكومته لاغراض سياسية وعسكرية في مصر سنة ١٨٨٢.

يشبه المتوحش النبيل على العموم، شيء مزعج ستلغيه الحضارة. مع ذلك فإنه جنس ذو صفات رفيعة ونبيلة لا يريد العالم له، كما يقال، أن ينقرض؛ ولعل دم القفار الصافي ينتقل ولغرضٍ طيب الى مواطني المدن كما ينتقل الى خيولهم»[١٠٤].

ليس هناك مثل أفضل من هذا على «رسالة الرجل الأبيض». وبرتون في الواقع هو أصرح من غيره كثيراً في دعوته للامبريالية البريطانية، وهو يندّد بلا رحمة بمن لا يتعاطف معها: «لا يتطلب الأمر بصيرة نبيّ للتنبوء باليوم الذي تلزمنا فيه الضرورة السياسية أن نحتل منبع الاسلام»[١٠٥]. كذلك ينتقد برتون حكومته ويستهجن عملها، لانهماكها وانشغالها في دراسة الأدب الهندي والسنسكريتي، الأمر الذي أبعدها عن دراسة الأدب العربي، وهو ذو قيمة عملية أكبر للرحّالة والدبلوماسيين والعلماء الذين يريدون أن يفهموا، ويتعاملوا مع الاسلام والعرب، «وهم جنس أقوى من جميع الوثنيين»[١٠٦].

يقول برتون إن على انكلترا أن تتذكر أنها:

«أكبر امبراطورية محمدية في العالم، وأن عليها ألا تتجاهل العروبة. ان جهلها بالثقافة والعادات العربية قد جعل من حكمها للبلاد المسلمة مهزلة فاضحة، وعرّضها لاحتقار الشعوب الشرقية، والشعوب الأوروبية كذلك»[١٠٧]. ومع أن برتون يجد من الصعب إعادة بلاده الى فضائلها الأصيلة القديمة، ولكنه يستطيع على الأقل، كآخرين مثله، أن يقدم لها من خلال معرفته بالعرب الوسيلة لإزالة جهلها بهم، وهي على صلة مستمرة بالعرب[١٠٨].

ولهذا الغرض الوطني يقترح برتون طرقاً عديدة، ويقدم اقتراحات بشأن المعاملة «الصحيحة» للعرب. وهو في هذا يقسم العرب الى فئتين: البدو من سكان الصحراء، والفلاحين من سكان القرى. يقول عن البدوي انه لا يزال:

«رجلاً مهذباً (جنتلمان) في موطنه القفر. وهو بسيط وهادىء، مجامل ومعتدل في عاداته، ويتوقع أن تحترمه، وهو يحترمك على هذا الشرط ـ لا يزال بلا ذرة من الخنوع أو العبودية. . والبدوي لا يكذب أبداً، فإذا كذبوا عليه فهو لا ينسى ذلك أبداً. إن ثقته تزول [عندئذٍ] إلى الأبد، ويستثار كل ما في طبيعته من شك»[١٠٩].

---

(١٠٤) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 75.

(١٠٥) كما ورد في: Assad, Ibid., p. 64.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٢٦. إطلاق اسم المحمديين على المسلمين هو في الواقع تسمية خاطئة وتشبيه خاطىء بالمسيحيين والمسيحية. ان النبي محمد (ص) لم يزعم لنفسه الألوهية بل ولا حتى موهبة العلم بالغيب او صنع المعجزات. على العكس فقد جزم طيلة حياته وباطراد انه انسان فان. لذا فإن اسم الدين بالنسبة لمعتنقيه هو الاسلام لا المحمدية، والمؤمن بمحمد (ص) لا يسمي نفسه محمدياً بل مسلماً.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٢٦، و Said, *Orientalism*.

(١٠٩) Assad, Ibid., p. 26.

هذا التصوير للشخصية شيء عملي جداً، بالطبع، في رأي برتون وذلك لأنه:

«إذا وجدنا من الضروري أن نشكل أفواجاً من هؤلاء الرجال، فليس هناك ما هو أسهل من ذلك. ادفع لهم أجراً جيداً، وأجهدهم عملاً، وعاملهم بالعدل وهذا كل ما هنالك»(١١٠).

أما بالنسبة للمصريين، فهو يقدم الاقتراح الآتي لحكومته لضمان السيطرة عليهم:

«يجب أن تجري إدارتهم، كما حكم السير تشارلس نابير السند، بمراقبتهم، وبإقامة إدارة حرة للحكم العسكري تنزع عن السكان السلاح، وتحرم عليهم التجمع بأعداد كبيرة»(١١١).

والواقع أن برتون أحب مصر، ورأى فيها بلاداً رائعة ورجا لها الاستقلال عن الحكم التركي. أما حين احتلها البريطانيون، فإن برتون لم يدع الى الاستقلال المصري، بل اشتكى من تساهل الحكم البريطاني، وهو تساهل ينشأ عن جهل البريطانيين بالطريقة الصحيحة للتعامل مع الفلاح وهو «إما أن يستعبِد أو يستعبَد؛ وهو يكون في أسعد حال طرأً تحت الاستبداد القوي....»(١١٢). ولكن برتون لم يكن ليعنى قط بتحليل متماسك للوضع الاقتصادي والسياسي بل وحتى الروحي الذي يعيش فيه الفلاح وغيره من أبناء القطاعات الأخرى من المجتمع المصري في ظل التسلط البريطاني. كانت جهود برتون، عوضاً عن ذلك، تتجه الى مساعدة الامبريالية البريطانية.

وعلى العموم، لا يختلف برتون في هذا الصدد عن أكثرية الأنثروبولوجيين الآخرين في ذلك العصر، الذين استخدموا جهودهم الدائبة لتسهيل الطريق للامبريالية بتقديم «المعرفة المفيدة» للادارة الاستعمارية بشأن الشعوب «البدائية»(١١٣). وأنا لا أجادل هنا بأن جميع الأنثروبولوجيين كانوا امبرياليين، لكن الذي أشدد عليه هو أن أغلبيتهم الساحقة عملوا بالتأكيد ضمن نطاق الامبريالية (Within the Framework of Imperialism) بقبولهم حتميتها والتسليم بها، وأحياناً مساعدتها، وأحياناً أخرى الانتفاع منها(١١٤). ليس غريباً إذن أن نجد برتون يتحاشى التشكيك

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٢٦ - ٢٧.

(١١١) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, pp. 74-75.

(١١٢) كما ورد في: Assad, Ibid., p. 27.

(١١٣) للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول العلاقة بين الانثروبولوجيا والاستعمار، انظر مثلاً:

J.Banaji, «The Crisis of the British Anthropology,» *New Left Review*, no.64 (1970), pp.71-85; W. James, «The Anthropologist as Reluctant Imperialist,» in: Assad, ed., *Anthropology and the Colonial Encounter*, pp. 41-71, and K. Gough, «Anthropology: A Child of Imperialism,» *Monthly Review*, vol. 19, no. 11 (1968).

(١١٤) انظر: W. J. Willis, «Skeletons in the Anthropological Closet,» in: Dell Hymes, ed., *Re-Inventing Anthropology* (New York: Pantheon Books, 1972), p. 129; D. Goddard, =

بشرعية تسلط حكومته على «أهالي» (Natives) مصر.

ترك برتون، بعد وفاته في القاهرة في ١٨٩٠، مجموعة ضخمة من الكتب عن رحلاته في المشرق. من بينها ترجمته لألف ليلة وليلة (١٨٨٥ ـ ١٨٨٨)؛ سورية غير المستكشفة (١٨٧١)؛ مناجم ذهب مدين (١٨٧٨)، والعودة الى مدين (١٨٧٩).

٥ ـ ولفريد إس. بلنت (Blunt)

ثمة رحالة فكتوري آخر الى المشرق العربي هو ولفريد إس. بلنت (١٨٤٠ ـ ١٩٢٢). بدأ بلنت حياته العملية دبلوماسياً، وهي وظيفة تخلى عنها بعد زواجه من الليدي آن (حفيدة الشاعر بايرون) فرحل معها الى الشرق، وقد رافقته في جميع أسفاره، يحملان معهما حبهما للتاريخ والأدب العربيين. كان بلنت، خلافاً لبرتون، متعاطفاً جداً مع العرب، مناهضاً للسيطرة البريطانية والتركية، وقد كان يرى في العرب كذلك قيماً وصفات إنسانية استهوته من جهة، وأدت به من جهة أخرى الى تأييد قضيتهم ضد الأتراك والبريطانيين. نشأ لدى بلنت خلال أسفاره وعيشه بين العرب «(حباً أول) سياسياً، غراماً تملكني بالتدريج وجعلني أقوم بما أستطيع لمساعدة العرب في أن يحفظوا هبة الاستقلال العزيز»[١١٥].

كانت رغبته، في المقام الأول، هي أن يساعدهم على تحرير أنفسهم من ربقة الأتراك. وقد خاب أمله حين وجد حكومته، التي ظنها تستطيع المساعدة، قوة رئيسية ضد تحقيق مثل هذا الاستقلال، وكان فلاحو مصر هم الذين يثيرون شفقته:

«لكن لدى الفلاحين جميع الفضائل التي يقوم عليها مجتمع سعيد، موسر. إنهم مرحون، دؤوبون، مطيعون للقانون، معتدلون جداً ليس فقط في أمور الخمرة، بل في الاسرافات الأخرى التي تميل اليها النفس الانسانية. إنهم لا يقامرون ولا يتشاجرون ولا يحيون حياة التهتك؛ يحبون أسرهم وزوجاتهم وأولادهم. وهم خير الأبناء والآباء، يعطفون على الحيوان والشيوخ والمساكين والمغفلين. وليس فيهم أي تعصب للعنصر، وربما ولا حتى للدين»[١١٦].

والواقع أن دفاع بلنت عن قضية العرب هو جزء من افتتانه وإعجابه بتاريخهم وثقافتهم وقيمهم وطريقة حياتهم، وبخاصة حياة السكان في قلب الجزيرة، نجد، وقد استطاع بلنت وزوجته أن يصلا اليهم ويتغلغلا بينهم قبل أي أحد آخر. لقد أعجب ببدو الصحراء البعيدين جداً عن الحكم التركي، وكذلك بعرب المدن وهم

«Anthropology: The Limits of Functionalism,» in: Robin Blackburn, ed., *Ideology in Social Science: Readings in Critical Social Theory* (London: Fontana, 1972), p. 61, and A. Kuper, *Anthropologists and Anthropology: The British School, 1922-1972* (London: Penguin Books, 1978). =

(١١٥) كما ورد في: Bidwell, *Travellers in Arabia*, p. 147.

(١١٦) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 78.

من الأصل ذاته ولكنهم قد «أفسد نفوسهم الحكم التركي وأفقرهم وعاملهم بوحشية»[117].

عاش بلنت بين البدو في نجد، ولبس كما يلبسون، وتكلم لغتهم، واتّبع ما يقضي به عرفهم. وكانت الصورة التي وضعها لهم صورة رومانسية:

«وجدت في نجد ما لم أجده في أقطار العالم الأخرى، شرقيها وغربيها، وجدت النعم الكبرى الثلاث التي نتباهى بها في اوروبا وإن كنا في الحقيقة لا نملكها؛ وجدت (الحرية والمساواة والأخوّة) من الحقائق الحية، وهي حتى في فرنسا مجرد مسمّيات مكتوبة على الجدران، ولكنها هنا يستمتع بها كل حر»[118].

كان بلنت، خلافاً لأغلب المستشرقين، متحرراً من الأهواء الدنيئة. على العكس، كان الاسلام برأيه قوة إيجابية أسهمت بمعرفة قيّمة للإنسانية. إنه في كتابه مستقبل الاسلام (١٨٨٢) يتتبع تاريخ الاسلام ويقول إنه «في تكوينه كان، لمدة قرون عديدة بعد ظهوره، عقيدة عقلانية بشكل جليّ؛ وإنه لعن طريق العقل فضلاً عن الإيمان حقق الاسلام ابتداءً انتصاراته الروحية»[119]. ويلاحظ بلنت كذلك أن العرب، عند اتصالهم بالفلسفة اليونانية في القرن الثامن، قد «تمثّلوا تلك الفلسفة واستوعبوها في جملة عقائدهم عن طريق عملية طبيعية في محاكمتهم العقلية؛ إنهم الآن في القرن التاسع عشر يستوعبون أخلاقيات أجنبية في نظامهم الأخلاقي»[120]. وقد زعم أن النمو الفكري للاسلام قد أوقفه الأتراك في القرن السادس عشر.

ويمضي بلنت فيؤكد أن فهماً أوسع وأكثر تحرراً للشرعية سيحدث إذا عاد الفكر العربي الى مكانه الرفيع في الاسلام مرة أخرى، فإذا حدث هذا فقد يكون من الممكن حتى تحقيق «وفاق حقيقي» بين الاسلام والنصرانية[121]. وليس من المهم هنا إن كانت هذه الآراء صحيحة ودقيقة عن الاسلام، أم لم تكن. بل المهم هو أن بلنت قد وصف الدين الاسلامي وامتدحه على نحوٍ جعله مقبولاً جداً لديه، ولدى المسيحيين الذين يتخذون موقفاً سلبياً إزاءه. وعلى العموم قدم بلنت وزوجته العرب كجنس «نبيل» ذي ثقافة «متفوقة».

٦ ـ تشارلز إم. دوتي (Doughty)

أما الرحالة الفكتوري الثالث الذي ذهب الى المشرق، وكان فعّالاً ومؤثراً في

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(١١٩) Assad, *Three Victorian Travellers*, p. 861, and Hourani, *Europe and the Middle East.*

(١٢٠) Assad, Ibid., p. 86.

(١٢١) Assad, Ibid., p. 85, and Hourani, Ibid.

رسم صورة سلبية عن العرب، فهو تشارلز إم. دوتي، الذي ولد في سفولك (Suffolk) سنة ١٨٤٥ لعائلة من ملاّكي الأراضي كانت على صلة تقليدية بالبحرية والكنيسة. رحل هذا مدفوعاً بدافع الدين وحب الآثار الشرقية القديمة الى سوريا وفلسطين وجزيرة العرب ومصر، وقد وصل الى أمكنة في الصحراء لم يصلها قبله أحد من الرحالة الفكتوريين، ونعني مدائن صالح ومعان في الأردن، حيث عاش لمدة سنتين.

كانت الصورة الرومانسية عن الصحراء، التي فتنت عدداً من المستشرقين، مكاناً قفراً، صامتاً بالنسبة له. فهو يقول «في الصحراء لا تستقبل زقزقة الطيور العذبة شروق الضياء، وليس هناك الى جانب الانسان من صوتٍ في هذا اليباب المحل»[١٢٢].

يصف دوتي في كتابه رحلات في الصحراء العربية **(Travels in Arabia Desert)**، ١٨٨٨، صعوبات الحياة الصحراوية ووعورتها: «همت على وجهي مع أدلاّء من البدو في معظم ذلك القفر الشاسع الجبليّ المتعرج كالمتاهة من الوديان الممحلة؛ وهنا وهناك صخور وأحجار صقلتها الرياح الرملية وعلى بعضها خربشت كتابات نبطية بشكل غريب»[١٢٣]. وفي الكتاب نفسه، يصف خليل - وهو الأسم العربي الذي اتخذه دوتي لنفسه لما فيه من شبه باسمه الأول «تشارلز» - أسفاره التي يسميها «مغامرات»، وتجربته مع البدو، وحياتهم وأعرافهم وكل شيء «رآه وسمعه أو شعر به في قلبه» على حد قوله.

كان هذا الكتاب الضخم يتألف من أكثر من نصف مليون كلمة. وقد وصفه بلنت بأنه «دقيق وشامل وأحسن ما كتب على الإطلاق»، وإن كان أقل تعاطفاً مع «الأفكار العربية مما كان يتوقعه، كما أن بلنت شعر كذلك أن دوتي إنما رأى الجانب الأسوأ من طبيعة الناس دون الجانب الأحسن منها»[١٢٤].

وكان الكتاب كذلك إلهاماً لمن أعقبه في استكشاف الجزيرة العربية، أما أسلوبه فقد أثّر بأغلب المؤلفين الذين كتبوا عن العرب عموماً، لا سيما تي. إي. لورنس الذي زعم أن الكتاب «أصبح من الكتب العسكرية المقررة، وساعد على إرشادنا الى النصر في الشرق» خلال الحرب العالمية الأولى[١٢٥]. قال لورنس كذلك أن الكتاب كان السجل الأكبر للمغامرة والترحال في اللغة الانكليزية؛ وذكر أن أسلوبه لا زمن له ولا يمكن أن يهرم. أما دوتي فلعله لم يتصور هذا الاستخدام لكتابه، لكنه أصر على رأي غير رومانسي بالجزيرة العربية. وقد أوضح يقول:

---

(١٢٢) Freeth and Winstone, *Explorers of Arabia from the Renaissance to the Victorian Era*, p. 225.

(١٢٣) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 83.

(١٢٤) كما ورد في: Assad, *Three Victorian Travellers*, p. 95.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

«أدعو الله ألا يرجى من هذا الكتاب إلا رؤية جائع وقيلة متعب؛ فالشمس صنعت أعرابياً، لكنها لم تحرفني قط الى الاستشراق»[١٢٦].

صحيح ان دوتي امتدح عرب الصحراء على أنهم ذوو صفات أنبل من سكان المدن، الذين وصفهم بالمخادعين، ولكن العرب بالنسبة له على العموم هم «أشرار وعلى طباع سيئة ويتعبدون بديانة شائنة». لم يستطع دوتي أن يتحرر من الأهواء الدينية. وبما أنه مؤمن باستعلائه العرقي، فقد نظر الى العرب كجماعة مختلفة خارجة (out -group)، دينها وأعرافها وسننها غريبة على المجتمع المسيحي. وأظن أن معظم انتقاده الفلسفي للإسلام يقوم على حب مسيحي للإنسانية. ولكن من المفارقات أن يختفي هذا الشعور عند اقتراحه اجراءات غير إنسانية ضد المسلمين: «إن ديانة السَّيْف العربية يجب إيقافها بالسيف»[١٢٧].

الصورة الأخرى التي روّجها دوتي بين الناس في انكلترا تتعلق بدور المرأة العربية المنحطّ في المجتمع. فقد زعم أن المرأة، سواء أكانت في الصحراء أم في المدينة، إنما هي في ربقة الأسْر، تعيش تحت رحمة أزواج مستبدين، كما أنها محجبة ولا يسمح لها أن تكشف وجهها للغرباء. وهذه صورة جديدة لم يصفها قبل دوتي أحد من الرحالة السابقين[١٢٨]. يقول دوتي إن المرأة لا تستخدم إلا لغرض جنسي، وما أن «تذوي» حتى تنبذ، وما خلاصها إلا بالإنجاب لكي تضمن مكانها ومركزها في العائلة. كانت هذه الصور رائجة جداً شعبياً، وقد تسربت الى الثقافة البريطانية عن طريق كتب دوتي التي تقرأ على نطاق واسع. هنا نجد دوتي كذلك، شأنه شأن برتون، لا يكلف نفسه، حتى لو سلمنا بما يقول، بتحليل البنية الاجتماعية والاقتصادية لتلك «القبائل» التي عاش بين ظهرانيها فترة قصيرة من الزمن. بل إننا نجده بدلاً من ذلك يطلق التعميمات، فيقول إن النساء العربيات، ويعني كل النساء العربيات، إنما يستخدمن لأغراض جنسية.

من الواضح تماماً أن دوتي، الذي كان مدفوعاً بالغيرة الدينية، ابتغى أن يبحث في الشرق عن أصل الانسانية والمسيحية. لم يكن اهتمامه بجزيرة العرب من أجل أهلها بل لرغبته في استقصاء كتابات ظن أنها قد تكون ذات قيمة توراتية. وبما أنه فخور بدينه و«بريطانيته» لم يستطع إلا أن يستهجن المسلمين والعرب. كان غرضه من الكتابة في واقع الأمر هو أن يخدم بلاده، وأن يجعلها اكثر وعياً بتراثها وأصلها المجيد.

---

(١٢٦) كما ورد في:
Freeth and Winstone, *Explorers of Arabia from the Renaissance to the Victorian Era*, p.225.

(١٢٧) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 89.

(١٢٨) Freeth and Winstone, Ibid., p. 230.

بل إن أسفاره وبحوثه «كان يقصد منها تهيئته لخدمة عنصره»[١٢٩].

ولإجمال الصور الفكتورية الثلاث عن العرب، نقول إن برتون صوّرهم على صورة المتوحش النبيل (Noble Savage)، وصورة الفارس، المضياف، الانتقامي، الحرّ. وصورهم بلنت أناساً حساسين ذوي تقاليد وثقافة رفيعة، في حين تحسس دوتي بإنسانيتهم. ونظراً للمشاعر المختلفة بشأن الامبريالية البريطانية لدى هؤلاء الثلاثة، وما هم عليه من طباع مختلفة ايضاً، توصّل برتون وبلنت ودوتي الى ثلاثة آراء مختلفة ظن كل منهم أن رأيه هو الذي يمثل الفهم الصحيح للوطن العربي: كان رأي برتون غريباً جداً (too grotesque)، ورأي بلنت منمّقاً جداً (too ornate)، وعاطفياً جداً؛ ورأي دوتي طاهراً جداً، بسيطاً جداً، قاسياً جداً (too harsh). ولكن على الرغم من هذه التصورات والعروض المختلفة، اشترك هؤلاء الثلاثة في صفة واحدة، وإن كان ذلك بدرجة أقل بالنسبة لبلنت وزوجته، ألا وهي الإيمان بأن الانكليز هم **بحكم واقع الأمور (ipso facto)** أرقى من العرب[١٣٠].

٧ ـ ت. اي. لورنس (Lawrence of Arabia)

استمرت هذه القوالب الذهنية بالتراكم من العصر الفكتوري حتى القرن العشرين، القرن الذي انهمكت فيه بريطانيا بالوطن العربي انهاكاً عميقاً من الناحيتين السياسية والاقتصادية. كان للرحّالة والعلماء والمبشرين و«الوكلاء» العاملين لخدمة الامبراطورية، والسياسيين وجماعات الضغط كالصهاينة، كان لكل هؤلاء تأثيرهم، فاستغلت وسائل الاتصال الجماهيري (الصحافة والافلام) بما لها من نفوذ متزايد الصور القديمة التي يحملها البريطانيون عن العرب وعززتها (Re-inforced) وروجتها (popularised). وكان من أكثر الكتابات تأثيراً في مصادر الاعلام كتابات الرجل «المثير للجدل» والمتنفذ والذي التصق اسمه بالعرب ـ ألا وهو ت. إي. لورنس (T.E. Lawrence of Arabia) الذي ولد في شمال ويلز سنة ١٨٨٨ ويعرف باسم لورنس العرب. وقد انتشرت أنباء مغامرات لورنس مع العرب على نطاق واسع اختلطت فيه الحقيقة بالخيال، وأمسى الرجل نفسه أسطورة[١٣١].

---

(١٢٩) Assad, *Three Victorian Travellers*, p. 134.

(١٣٠) انظر: المصدر نفسه.

(١٣١) ثمة أدبيات كثيرة كتبت عن حياته وأسفاره واعماله. انظر على سبيل المثال:

Phillip Knightly and Colin Simpson, *The Secret Lives of Lawrence of Arabia* (London: Nelson, 1969); Suleiman Mousa, *T.E. Lawrence: An Arab View*, translated by Albert Butros (London: Oxford University Press, 1966), and Richard Aldington, *Lawrence of Arabia: A Biographical Enquiry* (London: Collins, 1955).

أمضى لورنس طفولته في اسكتلندة وفرنسا، ولما بلغ الثامنة من عمره انتقلت أسرته للإقامة في أكسفورد حيث بدأ تعليمه المنتظم. وقد ظهر اهتمامه بعلم الآثار والتاريخ مبكراً في المدرسة، وفي أكسفورد حيث وقع تحت تأثير الآثاري والمؤلف والمتنفذ في الأوساط البريطانية، دي. آر. هوغارث (Hogarth). كان هذا امبريالياً متحمساً رأى في لورنس رجلاً قديراً جداً سيكون قادراً على بث أفكاره في منطقة مهمة(١٣٢).

وبتشجيع من هوغارث، أمضى لورنس سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى متجولاً في الوطن العربي ليتعرّف على عادات العرب وأعرافهم ولغتهم، وهو يرتدي ملابسهم ويدرس تاريخهم ويتجسّس أحياناً على الأتراك والألمان في المنطقة. وفي رسالة له الى والدته يصف لها رحلته زعم أنه «أضحى عربياً في عاداته»(١٣٣).

وفي رسالة أخرى يقول:

«كانت سفرتي لطيفة جداً.. سيراً على الأقدام وبمفردي طول الوقت، لعلي، بعيشي كعربي مع العرب، قد حصلت على تفهّم لحياة الناس اليومية أفضل من تفهّم المسافرين مع القوافل والأدلاّء...»(١٣٤).

وبعد أن قضى سنة واحدة في الشرق لجمع المواد اللازمة لرسالته الجامعية عن «أثر الصليبيين على العمارة العسكرية الاوروبية في القرون الوسطى»، (وهي رسالة لم تنشر إلا بعد وفاته في ١٩٣٥)، عاد مفعماً بالحب والإعجاب بصمت الصحراء وسكونها وبالكراهية لضوضاء أكسفورد(١٣٥).

وفي أواخر سنة ١٩١٥ رجع الى الشرق مرة أخرى منضماً الى بعثة أرسلتها أكسفورد للمساعدة في التنقيب عن آثار الحثيين على الفرات في العراق. وقد تولى في السنوات الثلاث التالية مسؤولية هذا التنقيب بعد هوغارث وكامبل تومسون (Thomson). وقد عقد خلال هذه الفترة أواصر صداقات «طيبة» وحسّن لغته العربية مرة أخرى، ودرس العرف والعادة للناس الذين عاش بينهم، مهيئاً نفسه «للدور» الذي سيلعبه فيما بعد. فلما اندلعت الحرب العالمية الأولى حاول لورنس أن يحصل على وظيفة في الخدمة العسكرية. فحصل عن طريق صديقه هوغارث على عمل في الدائرة الجغرافية بوزارة الحرب. لكن شعبيته ابتدأت في الواقع بعد دخوله في خدمة المخابرات في مصر، وبعد عمله كضابط ارتباط بين دائرة المساحة في مصر من جهة،

---

(١٣٢) Mansfield, *The Arabs*, p. 195.
(١٣٣) كما ورد في: Mousa, Ibid., p. 4.
(١٣٤) كما ورد في: David Garnett, *Selected Letters of T.E. Lawrence* (London: Jonathan Cape, 1938), letter no. 17.
(١٣٥) عن وصفه لذلك، انظر: المصدر نفسه، ص١٦.

وبين دائرة المخابرات العسكرية البريطانية من جهة اخرى، ثم (بعد شباط/ فبراير ١٩١٦) بينها وبين المكتب العربي في القاهرة[١٣٦] (وهو دائرة مرتبطة بوزارة الخارجية البريطانية لدراسة السياسة البريطانية المتعلقة بالشؤون العربية وتطويرها وكذلك لجمع المعلومات).

السبب الآخر لشعبية لورنس، هو ما ألقاه لويل توماس (Thomas)[١٣٧]، الصحفي الامريكي المحنّك، من محاضرات مصوّرة في مدن عديدة بعنوان «مع أللنبي في فلسطين ولورنس في جزيرة العرب». تجول هذا الصحفي في أرجاء الامبراطورية البريطانية، وهو يعرض صور لورنس في العقبة بالأردن مثيراً خيال الجمهور ومحدثاً إياهم عن قصص غريبة عن العرب وألف ليلة وليلة. وصف توماس نجاحه في هذه الحملة لترويج شعبية لورنس على النحو الآتي:

«. . . . بدلاً من بقائي في لندن لمجرد أسبوعين فقط امتد ارتباطي أشهراً بعد أشهر. . . وكانت الجماهير لا تزال تأتي، بضمنها رئيس الوزراء والوزراء وأعضاء البرلمان واللوردات. . . لقد جاء أكثر من مليون شخص في لندن وحدها للاستماع إليّ وأنا أحدثهم عن لورنس. . . .»[١٣٨].

بيد أن النظرة الى لورنس في انكلترا كانت بصفته محارباً صحراوياً عربياً ـ بريطانياً، والذي أصبح بنظر عدد من النقاد «أمير الجزيرة العربية غير المتوج»، الذي «وحّد» العرب وقادهم في معركة ناجحة ضد الأتراك بمفرده. والواقع أن المبالغة في دور لورنس في الثورة العربية ضد الأتراك قد صُدّقت على نطاق واسع. إليك مثلاً ما زعمه الجنرال أللنبي: «كان لورنس هو الرجل الرئيسي في الثورة العربية»، وما قاله السير بازل لدل هارت: «بدون لورنس كانت الثورة العربية ستظل عبارة عن مجموعة من الحوادث البسيطة، العابرة»[١٣٩]. والواقع أن البريطانيين كانوا يتلهفون لتصديق هذه «الخرافة» كما أسميها. فدور العرب في كفاحهم ضد السيطرة التركية لا وجود له على الاطلاق.

---

(١٣٦) عين هوغارت مديراً لهذا المكتب. وخلال عمله فيه كان لورنس يحرر مطبوعة مخابرات سرية بعنوان «النشرة العربية» وكانت تهدف الى اطلاع الدبلوماسيين والقادة العسكريين البريطانيين في جميع انحاء الشرق الأوسط عن التطورات في البلاد العربية التي تحت سيطرة الألمان والأتراك. للمزيد من التفاصيل، انظر:
S. Weintraub and R. Weintraub, eds., *Evolution of a Revolt: Early Postwar Writings of T.E. Lawrence* (Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1968), and Mousa, *T.E. Lawrence: An Arab View.*

(١٣٧) كان لقاء توماس لأول مرة بلورنس في القدس بصفته مراسلاً حربياً وكان لورنس بملابسه العربية الزاهية، فأوحى ذلك اليه ان يقدم الى قرائه قصصاً توحي بألف ليلة وليلة. والواقع ان لورنس وقف امام آلة تصوير توماس فألهب خياله بحكايات عن مغامراته التي عاد بها هذا الصحفي الى نيويورك ولندن ليقصها على الناس.

(١٣٨) كما ورد في: Thomas Edward Lawrence, *Oriental Assembly* (London: Williams and Norgate, 1959), pp. 172-175.

(١٣٩) Mousa, *T.E. Lawrence: An Arab View.*

وهذه الثورة لا تكتسب معنى إلا إذا أعطاها لورنس معنى. وحقيقة هذه الثورة هي أن قائد الجيش البريطاني، السير إي. أللنبي، لعب دوراً حاسماً في هزيمة الأتراك جنباً الى جنب مع العرب[١٤٠]. (هذا ما كان يقوله الانكليز).

على أن لورنس، الذي بدا وكأنه يرمز الى العلاقة المثالية بين بريطانيا والعرب، لا يمكن أن يفهم أو يقوّم بمعزل عن دوره «كوكيل» امبريالي يشارك زملاءه في المكتب العربي حلمهم برؤية عرب الشرق الأوسط يكوّنون جزءاً من المنظومة الامبريالية البريطانية. ولم يكن هذا ممكناً من دون دحر الأتراك وإبعاد الفرنسيين كذلك. وإنه لفي هذا الإطار، عمل لورنس وأخذ ينظر الى العرب. وقد ظهر سلوكه المكيافيلي في رغبته برؤية العرب يكسبون معركتهم ضد الأتراك، ولكن هذا ليس إلا لأنهم حلفاء بريطانيا، وسيسهّل انتصارهم مهمة تقدم الجيش البريطاني من مصر. وكان ذلك السلوك واضحاً ايضاً في رغبته برؤية العرب يصلون الى سوريا أولاً، لخوفه من أن تكسب فرنسا موضع قدم هناك. وبالنظر لثقته بأن العرب سيفضلون أن تكون عرى علاقاتهم مع بريطانيا، فإنه حاول بحماس أن تلبى مطالبهم، لا من أجل مصلحة العرب ذاتها ولكن حفاظاً على المصالح البريطانية[١٤١].

وظهرت مكيافيلية لورنس أيضاً بوضوح في كتابه الشهير والواسع التداول لدى القراء، وهو أعمدة الحكمة السبعة (١٩٢٦) ففيه يقول: «كان الدافع الأقوى طول الوقت هو دافع شخصي.. وتأتي بعده في القوة رغبة ولوعة بالقتال بكسب الحرب...»[١٤٢]. وقد أكد هذا الدافع كذلك في رسالة له كتبها لواضع سيرته روبرت غريفز (Graves). كتب يقول: «أريدك أن توضح تماماً.. كيف أنني، اعتباراً من ١٩١٦ فصاعداً ولا سيا في باريس[١٤٣]، عملت ضد فكرة تكوين اتحاد عربي تكويناً سياسياً قبل أن يصبح الاتحاد حقيقة واقعة تجارياً واقتصادياً وجغرافياً وذلك بواسطة الضغط البطيء من أجيال عديدة ...»[١٤٤].

إن الدور الذي لعبه لورنس «كوكيل» إمبريالي يعمل لخدمة مصالح بلاده، جعله يتعاون مع الحركة الصهيونية القوية آنئذٍ، وكان زعماؤها ودعاتها يبذلون جهودهم لتوجيه الرأي العام البريطاني لصالح إنشاء «وطن قومي» يهودي في فلسطين، تلك الجهود التي أثمرت صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧. وقد بيّن لورنس أن هذا

---

(١٤٠) لتقويم الثورة العربية، انظر مثلاً: Mansfield, *The Arabs,* and Mousa, Ibid.

(١٤١) Garnett, *Selected Letters of T.E. Lawrence,* pp. 85-86.

(١٤٢) Thomas Edward Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph* (London: Jonathan Cape, 1935), p. 661.

(١٤٣) ذهب لورنس الى باريس عضواً في وفد من وزارة الخارجية البريطانية لمؤتمر للسلام بشأن استقلال العرب.

(١٤٤) التشديد على كلمة «ضد» هو مضاف. انظر:
Robert Graves, *Lawrence and the Arabs* (London: Jonathan Cape, 1928), p. 398.

«الوطن القومي» سيشكل رأس جسر مهم للامبراطورية البريطانية في هذا الموضع الجغرافي الحساس. وقد لخصت آراؤه عن هذه القضية في فصل عن «المشرق المتغير» في **Oriental Assembly**:

«إن نجاح المشروع (الصهيوني) سيكون من شأنه حتماً رفع السكان العرب الحاليين الى مستوى [الصهاينة] المادي... وقد تكون النتيجة مهمة جداً بالنسبة لمستقبل الوطن العربي...»(١٤٥).

لقد نظر لورنس الى العرب بلا ريب نظرة استعلاء، فكشف بذلك عن معتقداته العنصرية، نظر اليهم كمتخلفين، كسالى، غير قادرين على تحقيق أي إنجاز زراعي أو فكري، لذا ينبغي إدخال الحضارة الغربية اليهم عن طريق الصهيونية، حتى «تزهر لديهم الصحراء»، وكذلك لإيصالهم الى مستوى أعلى من الحضارة.

وقد اعترف الزعماء الصهيونيون بمساعدته، وقدّروا له دعوته لصالحهم. أنظر مثلاً كيف يؤكد وايزمن، الزعيم الصهيوني في ذلك الوقت، هذا الأمر إذ يقول:

«لقد قدّم لورنس من فوره لا النصيحة فحسب، بل والمساعدة الشخصية في دفع المطامح الصهيونية والتفاهم مع العرب معاً الى الامام... وكان يرى أن اليهود هم بمثابة خميرة ومن المحتمل أن يكونوا فعّالين في إطلاق الطاقات الكامنة في الشعب العربي. وكان يرى احتمال تحقيق إعتاق العرب عن طريق إعتاق اليهود»(١٤٦).

يتّضح استعلاء لورنس مرةً أخرى في وصفه للعرب بأنهم أطفال فاسدون لا يمكن إصلاحهم:

«إنهم أغرار قاصرون بشكل لا يرجى لهم فيه صلاح، ضعفاء عاجزون وعلى عيونهم غشاوة، والجسد والروح بالنسبة لهم متناقضان حتماً والى الأبد. إن عقولهم غريبة ومظلمة، مليئة بالكآبة والشعور غير السوي بالأهمية، عقول تفتقر الى الهداية، لكن فيها من الحماسة والخصوبة في الإيمان أكثر من عقول الناس اجمعين»(١٤٧).

على أن لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة، وهو الكتاب الذي منه استمدت القوالب الذهنية والأفكار عن العرب، كان قد وصف تجربته ومغامراته مع العرب فصوّرهم بشكل يلائم، على العموم، إطار الصور القديمة المنتشرة عنهم في بريطانيا (Fitted Framework). إن العرب، كل العرب، برأيه هم دوغماتيون،

---

(١٤٥) Lawrence, *Oriental Assembly*, p.93.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(١٤٧) كما ورد في: Nasir, *The Arabs and the English*, p. 127.

بسطاء، سطحيون، غير مستقرين، ضيقو الأفق وخنوعون[١٤٨]. مثل هذه الصور والقوالب الذهنية قد أثّرت في الرأي العام البريطاني وطغت عليه، كما أثّرت كذلك على واضعي السياسة في ذلك الوقت، ولا سيما تشرتشل الذي أثنى على كتاب لورنس، فقدم مثلاً على الكيفية التي بها يتأثر قارىء بريطاني، إذ يقول: «ثمة رجال متجهون على ظهور الجمال يقطعون الفيافي التي احرقتها الشمس، حيث يستهوي قفر الطبيعة الأجرد مخيلة المسافر هناك . . .»[١٤٩].

ومهما قيل عن «مكيافيلية» لورنس فإنه كان حقاً متنفذاً وفعالاً جداً في بث الصور الجديدة عن العرب ونشرها، علاوة على الصور الموجودة أصلاً، فغذّى بذلك ليس طبقته الخاصة فحسب، بل وعلى حد تعبير آر. ألدنغتون[١٥٠]، السياسة وألاعيبها كذلك المتبعة من دولته الامبريالية لحماية مصالحها. ويبدو أن قوة هذه الصور الطالحة وشعبيتها وانتشارها تقاوم الأفكار المتغيرة والمغايرة التي قدمها بعض الكتاب والمؤرخين[١٥١] الذين تناقضت كتاباتهم مع ما كتب لورنس، وقاموا بتحليل كتابه نفسانياً وفضحوا زيفه.

وختاماً، فإن الغرب نظر منذ البداية الى المشرق كمنطقة متممة ومضادة له (Complementary and opposite). وعملت التوراة وظهور المسيحية والمؤرخون والرحّالة القدامى على تحديد العلاقة بين الطرفين. ثم جاء الاسلام في القرن السابع ليعمق هوّيتها.

تخوّفت المسيحية من الاسلام، سواء أكان ذلك له ما يبرره أم لا، وسواء أكان حقيقياً أم متصوَّراً، ورأت فيه تهديداً كبيراً وديناً منافساً لها ولليهودية. كان الاسلام بالنسبة لهم صدمة دائمة (lasting trauma)؛ وقد هدّد المسيحية وتحداها في موطنها. وبعد وفاة النبي محمد (ص) سنة ٦٣٢ م تعاظمت الهيمنة العسكرية للاسلام وتلتها الهيمنة الثقافية والدينية. وقد سقطت أولاً فارس وسوريا ومصر، ثم تركيا وشمال افريقيا امام الجيوش الاسلامية. وفتحت في القرنين الثامن والتاسع اسبانيا وصقلية وأجزاء من فرنسا. وبحلول القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وصل حكم الاسلام بعيداً حتى شرقي الهند واندونيسيا والصين. ولم تستطع أوروبا ان تجابه هذا الفتح المبين الا بالخوف والعداء.

---

(١٤٨) Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph.*
(١٤٩) كما ورد في: Nasir, Ibid., p. 128.
(١٥٠) Aldington, *Lawrence of Arabia: A Biographical Enquiry.*
(١٥١) مثل: Mousa, *T.E. Lawrence: An Arab View,* and J.K. Cooley, «The News from the Middle East: A Working Approach,» *Middle East Journal* (Autumn 1981).

تكشّف هـذا العداء أولاً عـلى شكل مسـاجـلات هجـومـيـة وحـروب مقـدسـة (الحروب الصليبية) ونشاط المبشرين الهادف الى رد المسلمين عن دينهم وتدميرهم. أما فيـما بعد، فقـد أدت الاعتبارات التجـارية والسيـاسية بـالغـرب الى دراسـة الاسـلام والثقافة العربية لغرض إخضاعهما لسيطرته الامبريالية.

بيـد أن الاتجاهـات السلبية والعـداء نحـو الاسـلام والعـرب قـد أعـاق الفهم الحقيقي لما كان يرمي اليه الاسلام في واقع أمره، كما أعاق فهم ما كانت عليه الثقـافة العربية من غنى، فعلياً. وكان من المحتم أن تختلق مجموعة من الأخـطاء والتشويهـات والصور القائمة على قوالب ذهنية ثابتة. وسـواء أكان الغـرض تبريـر الدوافـع الدينيـة و/أو تسويغ وتعزيز المطامح والمصالح السياسية، فقد اختزلت جميع العلاقـات المعقدة في الوطن العربي، وكل ما في حضارته من ثـراء، الى مجموعـة جاهـزة يسهل الـرجوع اليها من المفاهيم والقوالب الذهنية الثابتة: إن ما هو مختلف في الثقافـة العربيـة أمسى الآن أدنى مرتبة، وبذلك يمكن توجيهه والتلاعب فيه كما يريدون.

فضـلاً عن ذلك، فـإن المعتقدات العنصريـة التي سادت الثقـافة الـبريطانيـة في القرنين التاسع عشر والعشرين، قد قرّرت كذلك الصور البريطانية عن العـرب. لقد نظر العلماء والرحّالة والكتـاب و«الخبراء» ـ المستشـرقـون عامـةً ـ الى المشرق على أنـه «بلا حياة أساساً»، وأنه راكد، متخلف، وبـأمس الحاجـة الى إعادة الحيـاة إليه بـواسطة الغـرب. ولقد تم تـرويـج **(Popularize)**ومـأسسـة **(Institutionalize)** وشعبنـة هـذه الصور حتى غدت جزءاً من الثقافة البريطانية.

الفَصْلُ الثَانِي
تَطوّر صُورَة العَرَبْ في بَريطَانيَا وأمْريكا الشمالية بَعد الحربْ العَالميّة الثانِية في الأدَبيّاتِ الأكَادِيميّة وَالتعليميّة

أولاً: مقدمة: تطور صورة العرب في الاستشراق الأكاديمي

قبل الحرب العالمية الثانية، كان الاعلام المتوافر عن العرب لأغلبية الأمريكيين الساحقة، والتي يشكل فيها الفرد صورة عن الشرق العربي، إعلاماً ضئيلاً متفرقاً (Fragmentary). ويمكن أن يعزى ذلك الى العلاقات الأمريكية ـ العربية المحدودة والاتصالات القليلة قبل تلك الفترة.

صحيح انه كان هناك بعض الكتابات التي وضعها رحالة عن المشرق، مثل جورج دبليو. كرتس (Curtis): **The Howadji in Syria**، وبايارد تيلر (Taylor) بلاد العرب **Lands of the Saracens**، ومارك توين (Twain): ابرياء في الخارج **Innocents Abroad**[1]، وكذلك «الجمعية الشرقية الأمريكية» التي تأسست سنة ١٨٤٢، ولكنها لم تكن، لا هي ولا تلك الكتب، من القوة والتأثير بحيث تخلق و/أو تنشر صورة واسعة عن العرب[2].

---

(١) كانت الصورة التي قدمها كرتس (Curtis) للجمهور الأمريكي بشأن العرب صورة لا تعيبهم كثيراً. كان تحليله للذين زارهم تحليلاً حاداً أحياناً ولكنه دون عداء وببحث دائب عن تفسير. ولم يكن تيلر (Taylor) كذلك يكنّ عداء ضد الناس. لقد عرض العرب كشيء غريب، يثير الفضول، شيء فاتن ولكنه يستعصي على التأويل. أما الصورة التي وضعها توين (Twain) عن العرب فكانت من اكثر الصور ضحالة وعدم حساسية، لأسباب متعددة، ويمكن في الواقع أن تؤدي الى فهم غير صحيح عن الشعب العربي. للاطلاع على تفاصيل اكثر عن كتاباتهم عن العرب، انظر:

J.W. Hollenbach, «The Image of the Arab in Nineteenth Century English and American Literature,» *Muslim World* (July 1972), pp. 195-208, and J.K. Cooley, «The News from the Middle East: A Working Approach,» *Middle East Journal* (Autumn 1981), pp. 465-480.

(٢) في الاجتماع السنوي الأول الذي عقدته «الجمعية الشرقية الامريكية» في ١٨٤٣ اوضح رئيسها جون =

وحدث بعد الحرب العالمية الثانية تغير سياسي واقتصادي عميق، فأثّر في العلاقات العربية ـ الامريكية، وتاليا أخذ العالم العربي الاسلامي يحتل شأناً كبيراً في الوسط الأكاديمي والثقافة الشعبية ووسائل الاعلام الجماهيرية وفي دنيا مخططي السياسة في أمريكا. أثّرت في هذا التغيير أساساً ثلاثة أمور هي: إسرائيل وفلسطين، النفط، والمنافسات العقائدية السوفياتية ـ الأمريكية. وأسهمت هذه الأمور في تورّط أمريكي جوهري في الشرق الأوسط، وهو تورط يتسم بالجدل وسوء الفهم العظيم والصور المشوهة عن العرب(٣).

كانت الأدبيات الكثيرة التي أنتجها العلماء والكتاب والمؤرخون وعلماء الاجتماع والمستشرقون بشأن الوطن العربي مهمة جداً للسياسة الخارجية الأمريكية. ولكن الولايات المتحدة، على عكس البريطانيين، لم تكن تتمتع بتقليد أكاديمي له خبرة طويلة بتاريخ وثقافة العرب وغيرهم من الأمم غير الغربية التي بدأت تتخذ أهمية جديدة في السياسة الخارجية الأمريكية في عصر ما بعد الحرب. والواقع أن ظهور الدول التي استقلت حديثاً في «العالم الثالث» وضغوط الحرب الباردة قد عملت كلها على ظهور اهتمام يمكن تحديده بأنه فكري وسياسي معاً(٤).

وإنه حيال هذه الخلفية، قامت الولايات المتحدة، بصفتها الدولة العظمى لما بعد الحرب التي تطوّر الامبريالية الجديدة، وبصفتها المصدر الأساسي للسيطرة الاستعمارية الجديدة، بالبدء ببرنامج كاسح لتدريب خبراء عن المنطقة يفترض فيهم ان يقوموا بخدمة البناء الامبراطوري الجديد وعقلنته على شكل مناطق نفوذ سياسية وهيمنة اقتصادية. وفي هذا الاطار أيضاً، كما تُحاجج آيرين جنزير(٥)، كان يدعى

= بيكرينغ (Pickering) أن امريكا ارتأت ان تدرس المشرق لكي تتبع المثل الذي ضربته الدول الاوروبية الامبريالية. ان هدف هذه الجمعية، اذاً، هو هدف سياسي وليس مجرد عمل علمي. للاطلاع على تفاصيل اكثر عن هذه الجمعية، انظر:

Peter Gran, «The Middle East in t! Historiography of Advanced Capitalism,» *Review of Middle East Studies*, no. 1 (1975), pp. 135-154; Edward Said, *Orientalism* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Pantheon Books, 1978), and Cooley, Ibid.

(٣) انظر: E.A. Nakhleh, «Zionism and the United States Foreign Policy»; R. Cottam, «American Policy and the Arab World,» and A. Baha el-Din, «World Media and the Arabs: An Arab Perspective,» in: Abdeen Jabara and Janice Terry, eds., *The Arab World from Nationalism to Revolution*, with a foreword by Ibrahim Abu-Lughod, AAUG Monograph Series, no. 3 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971).

(٤) Irene L. Gendzier, «Notes towards a Reading of the Passing of Traditional Society,» *Review of Middle East Studies*, no. 3 (1978).

انظر ايضاً: L. Barbee [et al.], «Middle East Studies Network in the United States,» in: Middle East Research and Information Project [MERIP], *Middle East Studies Network*, MERIP Reports, no. 38 (Washington, D.C.: MERIP, 1975).

(٥) Gendzier, Ibid.

علماء الاجتماع، وهم أحياناً بعيدون جداً في التدريب والتجارب عن المناطق التي يفترض ان يختصوا فيها، الى استخدام مواهبهم لحل المشاكل المتعددة لآسيا وأفريقيا والشرق الأوسط. ولم يكن من غير المعتاد كذلك، كما تقول جنزير، أن يتحول المختصّون بالشؤون الأوروبية الى متتلمذين بأمور العالم غير الغربي، فينهمكون بنقل فرضياتهم ومعرفتهم بالمنازعات الأوروبية الى مناطق يثبت فيها أنها غير مناسبة ومضللة(٦). إن مشكلة «العالم الثالث» تختزل بالنسبة لعدد من هؤلاء، الى مشكلة من مشاكل الحرب الباردة.

تسلم علماء الاجتماع الأمريكيون التقليد الطويل في الاستشراق الكلاسيكي، فيما يتعلق بالشرق الأوسط، الذي طوره وتبناه المستشرقون البريطانيون، وأخذوا يغتذون به بكل ما فيه من أخطاء ثم كيَّفوا ذلك ودجّنوه وروّجوه باعتباره تقليداً في الدراسات الشرقية يقوم على تقليد بريطاني مجدد. يمكن ان نسمي هذا بالاستشراق الجديد، وإن كان يدين كثيراً الى الماضي. ولم تقتصر الولايات المتحدة على تكييف هذا النوع من التوجه وتبنيه، بل استوردت مستشرقين أوروبيين وذلك لحاجتها الى «الخبراء» لخدمة سياستها الخارجية وعقلنتها. وبمجيء هؤلاء «الخبراء» المستوردين، طبعت الدراسات الاجتماعية عن الشرق الاوسط بدوغماتية الاستشراق القديم: (بمعنى الفارق المطلق والمتواتر بين الغرب العقلاني، المتطور، والانساني، المتفوق، والشرق المنحرف، المتخلف، الدوني؛ ان الشرق غير قادر على تحديد هويته بسبب أزليته وامتثاليته، والشرق في أعماقه هو شيء إما أن يُرهب جانبه أو يُسيطر عليه(٧).

كانت هذه الدوغماتية واضحة في كتابات عدد من الباحثين مثل غب (Gibb) الذي ذهب الى جامعة هارفارد ليرأس مركز دراسات الشرق الأوسط، وغوستاف فون غرونبوم (Grunebaum) الذي ساعد في تأسيس مركز مشابه في لوس انجلوس، وبرنارد لويس الذي انضم الى «برنامج الدراسات الشرقية»، في جامعة برنستون؛ وكانت واضحة في كتاب دبليو. سي. سميث (W.C. Smith) **الاسلام في التاريخ الحديث**(٨)؛ وكتاب كارل بروكلمان (C. Brockelmann) **تاريخ الشعوب الاسلامية**(٩)، وكتاب كنيث كراغ (K. Cragg) **إمتياز الانسان The privilege of Man**، (١٩٦٨)(١٠).

---

(٦) المصدر نفسه، و Barbee [et al.], Ibid.

(٧) Said, *Orientalism.*

(٨) Wilfred Cantwell Smith, *Islam in Modern History* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1957).

(٩) Carl Brockelmann, *History of the Islamic Peoples,* with a review of events, 1939-1947 by Moshe Perlmann, translated by Joel Carmichael and Moshe Perlmann, Capricorn Books, G.A.P. Giant, 204 (London: Routledge and Kegan Paul, 1960).

(١٠) لنقد مفصّل عن سميث وكراغ، انظر: =

سأركز تحليلي في هذا الفصل على اكثر هذه الكتب رواجاً، وهي التي استمد منها الرأي العام صوره ومواقفه عن العرب. ان هذه المجموعة هي تالياً انتقائية جداً، ولكنها تمثل فيما أرجو الاستشراق الجديد.

ثانياً: صورة العرب والاستشراق الجديد

١ ـ غوستاف فون غرونبوم (Gustave Von Grunebaum) (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢)

قال عبد الله العروي، المؤرخ والمنظر السياسي المغربي في دراسته التحليلية عن غرونبوم إنه كبحّاثة كان أكثر المستشرقين نفوذاً في أمريكا، ويعود ذلك بالدرجة الأولى لأنه:

«يقف في مفترق طرق من تقاليد استشراقية عديدة. لقد نُشّئ في فيينا وورث التقليد الألماني في فقه اللغات وعلم التاريخ، وكان تقليداً معارضاً بصورة مهيبة للإصلاحيين الإسلاميين»[11].

فضلاً عن أنه كان كذلك في مركز يمكّنه من الاستفادة من مدارس الفكر الأوروبية الأخرى: الفرنسية والانكليزية والايطالية.

هاجر غرونبوم قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية الى الولايات المتحدة حيث انضم الى جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٣، وكانت واقعة الى حد كبير تحت تأثير علم الاجتماع الألماني، وتعمل في هذا الحقل لتدريب المعلمين للتدريس في جامعات اخرى.

ترك غرونبوم شيكاغو سنة ١٩٥٧ وانضم الى جامعة كاليفورنيا ليشغل مركزاً كبيراً كأستاذ لتاريخ الشرق الأدنى، وعهد إليه هناك أيضاً بمسؤولية إنشاء مركز دراسات الشرق الأدنى الذي أصبح من أشهر المراكز في البلاد. وشجع غرونبوم في هذا المركز على أن يطبق توصيفه العام للاسلام على العالم الحديث[12].

بعد أن انتقل غرونبوم من محيط الماني الى آخر امريكي، ولإدراكه ما كان يجري

= Ralph Coury, «Why Cannot They Be Like Us?» *Review of Middle East Studies,* no. 1 (1975).

وعن بروكلمان انظر:

Peter Gran, «The Study of Medieval Islamic History, 1930's-1950's in Three Well Known Texts,» *Review of Middle East Studies,* no. 2 (1976).

(١١) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?* translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976), p. 46.

(١٢) Barbee [et al.], «Middle East Studies Network in the United States».

من دراسات أخرى (كالسلافية والصينية والأمريكية اللاتينية) فقد أحس بضرورة إعادة النظر في طرق الدراسات الاكاديمية الاسلامية[١٣].

كانت ثمرة بحوثه خلال السنين التي قضاها في جامعة شيكاغو إنتاجه لكتابين، الأول بعنوان **الاسلام القروسطي: دراسة في الاستشراق الثقافي**، والكتاب يضم سلسلة من المحاضرات ألقاها في تلك الجامعة سنة ١٩٤٥، والكتاب الآخر، وهو أيضاً مجموعة مقالات كتبها بين ١٩٥٢ و١٩٦٢، نشر بعنوان **الاسلام الحديث: البحث عن هوية ثقافية**. هذان الكتابان هما أشهر ما كتبه غرونبوم، ويُظهران إذا قرئا معاً، كيف تطور هذا البحّاثة فكرياً من الاستشراق لفترة ما بين الحربين الى عالم امريكا الأكاديمي لما بعد الحرب[١٤].

لخّص غرونبوم آراءه وتأويلاته للاسلام والعرب بعد وقت قصير من وصوله الى الولايات المتحدة، لذا نجد تأثير الاستشراق الأوروبي واضحاً في الفصل الأخير من كتابه **الاسلام القروسطي** ـ وفيه تأويل يعتبر، على حد قول بيتر غران، «التأويل الأكثر نفوذاً في أمريكا»[١٥]. إن العرب بالنسبة لغرونبوم هم قوم بلا ثقافة قاموا بغزو سوريا ولبنان المتحضرتين، إن ثقافتهم القروسطية لم تقدم أي إسهام نظري في المعرفة الأغريقية (إلا في البصريات)، واقتصر ما أضافته على بعض البيانات الاستقرائية. إن هذا الرأي عن الاسلام، وهو رأي غير دقيق وجارح ويقلّل من شأن الاسلام، إنما ينسجم مع النهج الانثروبولوجي الثقافي للاستشراق الجديد، الذي لم يزل قائماً الى حدٍ ما ومن الناحية العقائدية على التقليد الاستعماري[١٦]. يبين العروي، في مناداته لمنهجيةٍ في الدراسات الاسلامية كيف استخدم غرونبوم نظرية أي. إل. كروبير (Kroeber) الثقافية ليقدم الاسلام كمنظومة ثقافية مغلقة من المستثنيات، يحكمها مبدأ الاسقاط عن طريق سلسلة من التبسيطات والاختزالات[١٧].

شنّ غرونبوم، مسلحاً بدوغماتية الاستشراق، انتقاده ضد الاسلام الذي رفض أن ينظر إليه كثقافة. وقد كشف في خاتمة كتابه، **الاسلام القروسطي**، عن نفوره

---

(١٣) Laroui, Ibid.

(١٤) المصدر نفسه، و

Gran, «The Middle East in the Historiography of Advanced Capitalism».

(١٥) Gran, Ibid., p. 148.

(١٦) For a clear reflection of this tradition see John Sydenhaum Furnivall: *Netherlands India: A Study of Plural Economy* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1944), and *Colonial Policy and Practice: A Comparative Study of Burma and Netherlands India* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1948).

(١٧) للاطلاع على نقد مفيد لكل من كروبير وغرونبوم، انظر:

D. Waines, «Cultural Anthropology and Islam,» *Review of Middle East Studies*, no. 2 (1976).

الخبيث من الاسلام: إنه دين غير خلّاق، غير قادر على التطور، استبدادي، ومناهض للانسانية، لذلك فإن في ظهوره، كما استنتج الكاتب، يكمن أصل انحطاطه:

«من المهم أن ندرك أن الحضارة الاسلامية هي كيان ثقافي لا يشارك في مطامحنا الأساسية. إنها لا تهتم جوهرياً بالفهم الذاتي التحليلي، بل هي حتى أقل اهتماماً في الدراسة البنيوية للثقافات الأخرى، أما كهدف لذاته أو كوسيلة للوصول الى فهم أوضح لطبيعة تلك الحضارة وتاريخها... وقد يسعى المرء لربط ذلك بما في هذه الحضارة من مناهضة أساسية للانسانية، أي الرفض الحازم لقبول الإنسان كحكم فصل أو مقياس للأشياء بصورة مطلقة من الرفض، والميل الى القناعة بالحقيقة بصفتها وصفاً للبُنى العقلية، أو بعبارة أخرى القناعة بالحقيقة النفسانية»(١٨).

يقول غرونبوم ان هذا الحكم يصدق على الاسلام المعاصر كما يصدق على الاسلام القديم. وسبب هذا التعميم الكاسح هو «المناهضة الاساسية للانسانية» في الحضارة الاسلامية. إن هذه الاتجاهات التناقضية تنسجم بالطبع مع دوغماتية الاستشراق (أي ان الاسلام لا يتطور).

إن الطروحات الفوقية العنصرية التي قدمها غرونبوم بصفته أكاديمياً أوروبياً في الولايات المتحدة أدت به الى اتهام المسلمين العرب بكونهم غير قادرين، لعدم الاستعداد الكامن فيهم، الى التغير العميق وعلى فهم طبيعتهم وتاريخهم ذاته، كما وجدهم خاملين وسلبيين، لذلك فإن علاجهم الوحيد هو تلقي الاستنارة من الغرب المتطور. ويمضي غرونبوم، متأثراً بالدوغمات القديمة، الى تبرير الامبريالية التي يراها مرحلة ضرورية في تاريخ الأقطار «المتخلفة» كافةً. لا ينبغي الاستغراب من هذه الآراء الصادرة عن بحاثة دعا لعقلنة الاستعمار الأمريكي الجديد وتسويغه. وباختصار، فإن تهجماته على الاسلام بالغة الدقة، وهي لا تهدف الى تفنيده كما يقول بيتر غران بل «الى وضعه في مستوى أدنى من الحضارة»(١٩).

ولعلنا نلاحظ منظور غرونبوم عن البحث الموضوعي في تعليقه الآتي الوارد في كتابه الاسلام الحديث.

«ليس المهم أن تتفق بيانات المرء مع فرضيته، بل المهم هو مقدار ما تتضمنه من أفكار منهجية عامة للفترة الزمنية المعنية ومدى تحقيقها لهدفها»(٢٠).

ولا ريب أنه حقق أهدافه عن طريق تدريسه وإدارته وتقديمه المنح الدراسية

---

(١٨) Gustave Edmund Von Grunebaum, *Modern Islam: The Search for Identity* (New York: Vintage Books, 1964), p. 55.
(١٩) Gran, «The Middle East in the Historiography of Advanced Capitalism,» p. 151.
(٢٠) Von Grunebaum, Ibid., p. 99.

للطلاب والباحثين لكي يعملوا في الاتجاه نفسه. لقد حاول باطّراد، في جميع كتاباته، أن يحافظ على التقليد القديم للاستشراق. قال فرانز روزنتال في رثائه لغرونبوم انه كان المسؤول الأول عن جعل دراسة الاسلام فرعاً جامعياً متقدماً في امريكا الشمالية. ومضى مؤكداً:

«كان واجبه أن يفسر الاسلام من وجهة نظر الرجل الغربي المنغمس عميقاً في حضارته وهي في احسن أحوالها - أن يتفحّصه من الخارج وأن يقيسه بأدق المقاييس وأصحّها، والتي وضعت في الغرب لتقدير القيمة الفكرية والاخلاقية»[٢١].

يمكن للمرء أن يقرأ بين سطور هذا الرثاء ما كان لدى غرونبوم من استعلاء عرقي وتحيز كامن، وهما من الأمور التي يقدرها كل التقدير روزنتال وعدد من زملائه في أمريكا الشمالية.

٢ - برنارد لويس وصورة العرب (Bernard Lewis)

البروفسور برنارد لويس[٢٢]، الاستاذ في جامعة برنستون الأمريكية، هو من أشهر الباحثين في حقل الدراسات الشرقية الأنكلو- أمريكية وأكثرهم نفوذاً، وقد أثّرت كتاباته كثيراً في توجيه البحوث المتعلقة بالشرق الأوسط.

إن كتابات لويس عن الاسلام والعرب، المنسجمة مع تطوير الأدبيات لعصر ما بعد الحرب وتحديثها، هي كتابات متأثرة بعمق بالجدل السياسي للحرب الباردة. وسواءً أكان الأمر عبارة عن عقلنة لسياسة الحكومة الأمريكية أم كان مصدراً من مصادر الوحي لها، فإن من الواضح كما تقول آيرين جنزير[٢٣]، «ان الأدبيات التقليدية المتطورة كانت ولا تزال مرتبطة بالاهتمامات الأوسع للسياسة الخارجية الامريكية» ومن المحاور السائدة جداً والمتكررة دائماً في هذه الأدبيات، الافتراض بوجود وشيجة (affinity) بين الشيوعية والاسلام بصفتهما من الأنظمة الفردية الاستبدادية في جوهرهما، وذلك في إطار العقيدة والتطبيق.

برز هذا الرأي كمحور سائد في أغلب كتابات الباحثين خلال هذه الفترة (مثل دبليو. سي. سميث، كي. كراغ، بروكلمان، فاتيكيوتس)، ولكن لويس كان هو

---

(٢١) F. Rosenthal, «In Memorian,» *International Journal of Middle East Studies* (1973), pp. 355-358.

(٢٢) وهو الآن أستاذ تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في جامعة لندن ورئيس قسم التاريخ في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية. إنه كعدد آخر من زملائه قد دمج الاستشراق الأمريكي الجديد بالتقليد الأكاديمي البريطاني.

(٢٣) Gendzier, «Notes towards a Reading of the Passing of Traditional Society,» p. 32.

الذي كافح من أجل الحفاظ على هذه الصورة للاسلام وترويجها شعبياً. وقد اتضح اهتمام لويس بالقضايا السياسية المعاصرة في إفادته أمام اللجنة الفرعية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي عن الأمن القومي والعمليات الدولية سنة ١٩٧١، وكانت آنئذٍ برئاسة السناتور جاكسون، إذ قال لويس:

«إن القضية الرئيسية والتهديد الرئيسي في الشرق الأوسط يكمنان في المواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي... والحقيقة الواقعة التي في المقام الأول من الأهمية هي المواجهة في أرجاء العالم كافة، بما فيها الشرق الأوسط، بين قوتين كبريين، بين نظامين وحضارتين...»(٢٤).

ولا تكمن أهمية مثل هذا الرأي في صحته بقدر ما تكمن في صدوره عن شخص مشهور مثل لويس الذي يلعب دوراً محترماً في حقل الاستشراق. وقد تحقق له مثل هذا الدور أساساً عن طريق كتاباته الشاملة والغزيرة والمتنوعة التركيز والتي يعتمد عليها كثيراً أغلب الباحثين في هذا الحقل. اضافة الى ذلك، فإن اهتمام لويس المطّرد بالاستشراق والاستحسان التام الذي ناله تفسيره لبعض القضايا عن الاسلام والحضارة العربية في أوساط الباحثين الأنغلو ـ أمريكيين قد جعلا منه مستشرقاً ناجحاً ومتنفذاً(٢٥).

كتب لويس، متبنياً ومردداً انتصار الاتجاه النفعي، كتابه النموذجي **العرب في التاريخ**(٢٦)، وهو بصفته مرجعاً في هذا الحقل، يعتبر كتاباً واجب القراءة في جميع الفصول الدراسية الانغلو ـ أمريكية تقريباً التي تستعرض التاريخ والحضارة العربيتين ـ الاسلاميتين. بعد ثلاث سنوات، كشف لويس عن موقفه العدائي نحو الاسلام في مقاله المعنون **الشيوعية والاسلام**. وبعد نشر هذا المقال، وجواباً على التوقيع على الاتفاقية التجارية بين مصر وتشيكوسلوفاكيا في ١٩٥٥، وهي اتفاقية تعتبر، على حد قوله، «حدثاً من أهم الأحداث وأكثرها إقلاقاً خلال السنة»(٢٧)، نشر لويس مقالاً مشابهاً في الاتجاه بعنوان **رد فعل الشرق الأوسط تجاه الضغوط السوفياتية**. ثم قام لويس، انسجاماً مع توجهه و«إخلاصاً» لدوغمات المستشرقين، بالقاء مجموعة من المحاضرات في جامعة إنديانا، ١٩٦٣، نشرها فيما بعد بكتاب عنوانه **الشرق الاوسط والغرب**(٢٨)

(٢٤) كما ورد في: Kathleen R.G. Glavanis, «Cold War Ideology and Middle Eastern History: A Critique of «Communism and Islam» by Bernard Lewis,» *Review of Middle East Studies*, no. 2 (1976), p. 36.

(٢٥) انظر: المصدر نفسه.

(٢٦) Bernard Lewis, *The Arabs in History*, 3rd ed. (London: Hutchinson's University Library, 1964).

(٢٧) Bernard Lewis, «Communism and Islam,» in: Walter Zéev Laqueur, ed., *The Middle East in Transition: Studies in Contemporary History* (New York: Free Port, 1971), p. 125.

(٢٨) Bernard Lewis, *The Middle East and the West* (Bloomington: Indiana University Press, 1964).

شن فيه هجوماً عنيفاً على الاسلام والعرب، ولا سيما في الفصل المعنون «ثورة الاسلام».

تتسق مواقف لويس في جميع كتبه عن العرب والاسلام. ففي كتابه الأول، **العرب في التاريخ**[٢٩]، وهو «ليس تاريخاً للعرب بقدر ما هو مقالة في التفسير»، كما أكد المؤلف في مقدمته، أغفل لويس الدور الذي لعبه العرب في التاريخ الانساني. وقد ركز، بدلاً من ذلك، على بعض المسائل غير المهمة في الاسلام لكي يقود القارىء الى نتيجة مفادها عدم وجود «حضارة» عربية. والواقع أنه يقول ذلك بصراحة حين يفيد بأن الحضارة العربية لا يمكن وصفها «بالعربية». إن مثل هذا الرأي ليس جديداً. وهو يلائم التقليد القديم/ الجديد للاستشراق الذي أصبح لويس زعيمه «المحترم» الجديد. ولكن الجديد في كتابه هو الطروحات التي استخدمها لكي تبدو مثل هذه النتيجة مقبولة.

يكشف لويس في الظاهر عن مكانته كباحث موضوعي، وذلك بانتقاده التقليد الاستشراقي الذي ورثه، وباظهاره الاختلاف مع بعض كتابات هؤلاء المستشرقين المسيحيين عن الاسلام الذين كانوا يتخذون من الموضوعية، في رأيه، واجهة (facade). يقول: «يمكن التماس الآثار الأخيرة للتعصب اللاهوتي الغربي في كتابات بعض الباحثين الحديثين المترصدين خلف الهوامش المكتظة الحروف، والتي تستعملها الدوائر الأكاديمية»[٣٠]. مع هذا فلنا أن نشكك بهذه الموضوعية حين يكرّر هو نفسه الدوغمات التقليدية لاستشراق ما قبل الحرب باختزاله ما في الثقافة العربية من تركيبات معقدة ومن ثراء الى نسبة بسيطة ومشوهة تفيد أن العقل العربي، إذا كان هناك شيء يسمى العقل العربي، قد جرى تكييفه بواسطة البنية المتنافرة الأجزاء للحارة أو المدينة، وأن الثقافة العربية لاشخصية وتتصف بافتقارها إلى الملحمة أو الدراما.

ويتبنى لويس في كتابه الآخر، **الشيوعية والاسلام**[٣١] نمطاً محدداً من التوجه في تحليل المجتمع الاسلامي، توجّه يتصف بافتراض فرضيات مسبقة ومعدّة سلفاً Priori assumption تؤلف في نظره جوهر (essence) المجتمع الاسلامي، وتسند الرأي القائل بأن الاسلام بطبيعته استبدادي، (Authoritarian) اعتدائي (Aggressive) وغير ديمقراطي. وهو يذكر في كتابه هذا غرضه بصراحة:

«أن نرى الى أي مدى يتفق الاسلام والشيوعية ـ أي الى أي مدى يُعِدُّ الاسلام مسبقاً أولئك الذين ترعرعوا فيه أن يقبلوا أو يرفضوا التعاليم الشيوعية. أن ننظر ما هي الصفات والميول الموجودة

---

(٢٩) Lewis, *The Arabs in History*.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٣١) Lewis, «Communism and Islam».

في الاسلام، في الحضارة الاسلامية، في المجتمع الاسلامي، والتي من شأنها اما ان تسهل أو تعيق تقدم الشيوعية»[٣٢].

ويوضح لويس ما يراه بأنه العنصر الأساسي في التوافق بين الاسلام والشيوعية، ألا وهو الطبيعة الاستبدادية لكليهما. وحجته في ذلك باختصار:

«إن الديمقراطية الغربية كما تمارس في الغرب هي أصعب اشكال الحكم ادارة... لأنها تتطلب صفات معينة في التفكير والعادات، في المؤسسات والتقاليد، بل ربما حتى في المناخ، لكي تعمل بشكل فعال»[٣٣]. ونتيجة لذلك «فإنها لم تثبت أقدامها إلا بين شعوب أوروبا الشمالية والشمالية ـ الغربية، وفي المناطق التي استعمرها ابناؤهم فيما وراء البحار»[٣٤].

ويبدو لي أن لويس يريد بهذا الطرح أن يروّج شعبياً الصورة التالية: ان المجتمع الاسلامي، كجزء من العالم غير الغربي، يتصف تاريخياً بشكلٍ للحكومة استبدادي، أوتوقراطي. إنه يعبّر عن ذلك على النحو الآتي:

«... هناك الكثير في التقليد الاسلامي.. مما قد يجعل الفرد المسلم، أو الطبقة أو الأمة المسلمة، والتي هي على استعداد للتخلي عن قيمها ومعتقداتها التقليدية، يجعلها تميل الى قبول البديل الشيوعي لا البديل الديمقراطي»[٣٥].

وهذا في نظره محتمل جداً لأنه يرى أن الشيوعية هي، تحديداً، استبدادية، والنقيض للديمقراطية البرلمانية.

بعد هذا التقديم، يأخذ لويس بتبرير ما قرره سلفاً وذلك بتحديد الطبيعة الاستبدادية أساساً للتقليد الاسلامي، وشبّهه بالعقيدة الشيوعية وتطبيقاتها. وهو يفعل ذلك بمناقشة ما يعتبره «العوامل الأهم المحبذة لنجاح الشيوعية في العالم الاسلامي...»[٣٦]، فيقسمها الى مجموعتين: عوامل جوهرية وهي «الكامنة أو الدفينة في الصفة ذاتها للمؤسسات والأفكار الاسلامية»، وعوامل عرضية وهي «التي تكوّن جزءاً من الوضع التاريخي الحاضر»[٣٧].

إن لويس، في محاولته العثور على الأسباب الأساسية وعلى أصول التذمر السياسي والاقتصادي ـ الاجتماعي الحالي (العوامل العرضية) يعزو هذا التذمر الى ما في العرب من صفات الأنانية وعدم الكفاءة والعجز عن التحديث وانتهاج المسلك

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣١١.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ٣١٢.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ٣١٢.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٣١٣.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣١٣.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٣١٣.

الغربي، وكذلك الى فشل المصلحين الاجتماعيين العرب خاصةً في القرنين التاسع عشر والعشرين في تبني التقنية الغربية الاقتصادية ـ الاجتماعية بصورة صحيحة[٣٨]. ومن الواضح ان لويس يتكلم هنا من المنظور الذي سميته «منظور الصقور»، مردداً «التفوق» الأوروبي، ومكرّراً التقليد الطويل للاستشراق وذلك لكي يجعله ملائماً للاستشراق الجديد البرّاق والمصقول (Refurbishment).

وخير ما يمثل إحساسه بالتفوق، وتهجمه على العرب والاسلام ما أورده من عوامل جوهرية قال إنه يستمدها «... من طبيعة المجتمع والتقليد والفكر الاسلامي بالذات»[٣٩]. إنه يفرد أربعة عوامل جوهرية تكشف كلها (في نظره) بصورة مباشرة أو غير مباشرة الطبيعة الاستبدادية في بعض المسائل والجوانب المعينة من العقيدة الاسلامية وتطبيقاتها. إن الصورة التي يستخلصها المرء من تحليله السطحي لهذه العوامل الأربعة، والتي تشكل بنظره القاعدة الأساسية للشيوعية كذلك، هي صورة طبيعة الحكم الفردي في العقيدة الاسلامية، والطبيعة الاستبدادية في النظام الاجتماعي الاسلامي، وقمع الحرية الفردية وتمجيد التسليم والطاعة للسلطة. أنظر مثلاً كيف يسوق حجته حول الاستبدادية:

«لا يوجد في تاريخ الاسلام برلمانات أو مجالس تمثيلية من أي نوع، ولا كوميونات أو مجالس شورى من أعيان الناس، ولا طبقات تتمتع بامتيازات سياسية أو بلديات، لا يوجد إلا السلطة الحاكمة ذات السيادة التي يدين لها الفرد بالطاعة التامة التي لا تتزعزع كواجب ديني تفرضه الشريعة»[٤٠]. إن ما يقوله لويس هنا بعبارة أخرى هو: ان العرب هم سلبيون، غير فعالين، لا يحكمون انفسهم، ولا يشاركون بشيء، وان الاسلام نفسه قمعي، عدواني، ومناهض للديمقراطية بصورة دفينة فيه.

إني لا أريد، بأي شكل من الأشكال، أن أفند إسهام لويس العام، ولكن لا بد من وقفة تساؤل بشأن بعض الجوانب النظرية والمنهجية والعقائدية في كتاباته. إن مدخله القائم على نظرية الماهية، والمستند الى مجموعة فرضيات مسبقة في تحليل المجتمع، هو مدخل يجب رفضه كلياً. ويكمن قصور هذا المدخل في مفاهيم معينة يفترضها بشأن المجتمع والتاريخ: وهي أن المجتمعات راكدة، لا تتغير ولا تتطور، وأن المجتمعات متجانسة (Homogeneous) بلا تفاوت اجتماعي أو بنية طبقية محددة وعوامل اقتصادية وسياسية. يضاف الى ذلك أن وضع أمور جوهرية لا تاريخية **(ahistorical)** معينة يستبعد إمكانية التحول و/أو التطور التاريخي. تقول غلافانيس:

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣١٤ ـ ٣١٧.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

(٤٠) انظر: المصدر نفسه، ص ٣١٨.

«إن من الواضح إذن أن هذا المدخل قاصر كلياً كوسيلة لتحليل المجتمع. . لذا يحتم هذا المدخل التشويه نظرياً فيما يتعلق بموضوع التحليل، لأنه ما من مجتمع بكل تعقيداته وتطوره التاريخي يمكن أن يحدد وصفه بواسطة جوهر منفرد [أي ماهية] يكون فاعلاً على كل مستويات المجتمع وفي كل مراحل التاريخ»(٤١).

ينتقد أنور عبدالملك، في مقالته عن «تاريخ الاستشراق»، الاستشراق التقليدي لأنه يضع امامه ماهية واحدة لتمثل الأساس المشترك والثابت لجميع الشرقيين موضوع الدراسة. وهذه الماهية كما يقول هي:

«جوهر تاريخي لأنه يمتد الى فجر التاريخ، وهو في الوقت ذاته لاتاريخي أساساً، لأنه يشل الكائن موضوع الدراسة ضمن خاصيته المتحولة والجامدة بدلاً من توصيفه كجميع الكائنات والدول والأمم والثقافات الأخرى على انه متوج ناشىء عن تواجُه القوى العاملة في حقل النشوء التاريخي»(٤٢). ويجادل عبدالملك بأن وضع مثل هذا الجوهر بمفرده غالباً ما أحدث «نوعاً من دراسة الرموز ـ بالاستناد الى خاصية حقيقية، ولكن بمعزل عن التاريخ، وبالتالي يجري تصوره على أنه غير ملموس، يتعلق بالماهية ـ مما يجعل من «موضوع» الدراسة كائناً آخر. . .»(٤٣).

يضع لويس، بالنظر لهذه الطريقة في التحليل، للاسلام وللتقاليد والمؤسسات الاسلامية ـ بصرف النظر عن المرحلة التاريخية أو التكوين الاجتماعي ـ يضع ماهية لاتاريخية واحدة هي الاستبدادية. تقول غلافانيس في نقدها لرأي لويس:

«يفترض في هذه الماهية الاستبدادية انها تتضح في جميع جوانب المجتمعات الاسلامية، أي الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية. وكنتيجة لتأثير هذه الماهية المهيمنة على كل شيء يكون من غير الممكن حدوث أي تحول حقيقي في المجتمع أو بنيته السياسية ـ الاقتصادية أو منظوماته العقائدية، فتخلق بذلك حالات من الركود في المجتمعات الاسلامية كافة»(٤٤).

ويتضح قصور المدخل الذي يتبعه لويس من نظرته المتعجلة والسطحية لأكثر من ثلاثمائة سنة من التاريخ الاسلامي. أريد أن أجادل هنا مرة اخرى، فأقول إن من الجائز أن تكون الاستبدادية سمة بارزة في المعتقد الديني والتنظيم السياسي في مراحل معينة من التاريخ الاسلامي، ولا سيما في العصور التي اعقبت الخلافة العباسية وبين جماعات معينة من المسلمين، ولكن لا يمكن تبرير القول، نظرياً أو امبريقياً، بالتركيز

---

(٤١) Glavanis, «Cold War Ideology and Middle Eastern History: A Critique of «Communism and Islam» by Bernard Lewis,» p. 40; Gran, «The Study of the Medieval Islamic History, 1930's-1950's in Three Well Known Texts»; Anouar Abdel Malek, «Orientalism in Crisis,» *Diogenes,* vol. 44 (1964), and Bryan S. Turner, *Marx and the End of Orientalism,* Controversies in Sociology, 7 (Boston; London: Allen and Unwin, 1978).

(٤٢) Abdel Malek, Ibid., p. 108.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٤٤) Glavanis, «Cold War Ideology and Middle Eastern History : A Critique of «Communism and Islam» by Bernard Lewis,» p. 39.

على الطبيعة الاستبدادية لمثل هذه الحوادث الهامشية والمنعزلة ـ وهي ليست أكثر من لحظات معدودة في التاريخ الكلي للإسلام ـ بحيث تعزى الاستبدادية الى الاسم ككل في ناحيتيه الدينية والسياسية. ان لويس، باتباعه هذا النهج، انما يرسم صورة أحادية الجانب للمجتمع الاسلامي. وهو يقيم مفهومه أساساً على التصريحات الرسمية لناطقين «رسميين» باسم المجتمع الاسلامي كعلماء الدين[٤٥]. وفقهاء السنة الأصوليين والقضاة. أما نشاط بعض الجماعات المعارضة والمتمردة في الاسلام، فينظر اليه لويس على أنه طارىء وعرضي في التيار العام للمجتمع الاسلامي[٤٦].

وبالنظر الى قصور هذا المدخل وعيوبه أرى من الضروري تركه واهماله واتباع مدخل آخر بديل ينصبّ في تحليله على الاساس الاجتماعي ـ التاريخي والاقتصادي للدين. وانطلاقا من هذا التحليل فإن أي مظهر من مظاهر الاستبدادية، سواء على المستوى السياسي أم الايديولوجي، في مجتمع اسلامي معين، سيمكن النظر اليه على انه افراز لتجمّع قوى اجتماعية ـ تاريخية معينة لا تمثل في التاريخ الكلي لذلك المجتمع سوى فترة معينة.

من الواضح، إذن، أن فرضيات لويس المعدّة سلفاً تؤدي الى أكثر من مجرد تشويه الواقع الاجتماعي الذي قُصد من تلك الفرضيات أن تحلله. إنها ينبغي أن تقوَّم وينظر اليها في إطار الحرب الباردة المزعومة، والمواجهة بين الغرب الرأسمالي والشرق السوفياتي. إن هذه الفرضيات بموجب هذه الخلفية وصور الاسلام المستمدة منها تكتسب مغزى سياسياً. إن لويس يسهم بصورة غير مباشرة في مطامح الامبريالية الغربية للسيطرة على المجتمعات الاسلامية في الشرق الاوسط بحجة حماية «العالم الحر». لذا فالامبريالية يمكن تبريرها وعقلنتها طالما اوقفت الشيوعية من التغلغل والتوسع في المجتمعات الاسلامية في الشرق الاوسط، ذلك التوسع الذيسيهدد بنظره الديمقراطية الغربية ومصالح الغرب[٤٧].

لقد قام لويس في جميع كتاباته ببذل جهد منتظم ومتسق (Systematic and Consistant) لتثبيت القالب الذهني القديم/ الجديد عن الاسلام والعرب، وهو قالب

---

(٤٥) ليس للعلماء كمجموعة، قاعدة ثابتة للسلطة سوى ما تعطيهم اياه رعاية الدولة وسلطتها. انهم، على خلاف القساوسة المسيحيين، ليس لديهم منظمة كنسية مستقلة يمكنها، كما حدث في بعض الأحيان، ان تفرز قاعدة سياسية بمعزل عن الدولة. للاطلاع على تفاصيل أكثر عن مركز العلماء، انظر:
Sami Zubaida, «Economic and Political Activitism in Islam,» *Journal of Economics and Society*, vol. 1, no. 3 (August 1972), pp. 308-339.

(٤٦) انظر: المصدر نفسه.

(٤٧) Glavanis, Ibid., and E. Mortimer, «Islam and the Western Journalism,» *Middle East Journal* (Autumn 1981).

مشين وغير ودّي ومُبْخِس: الاسلام عقيدة راكدة وغير تطورية، وكذلك هم العرب المسلمون: مطيعون ومستسلمون للسلطة. إن هذه الصور هي المحور المركزي في أحدث ما كتبه لويس: «مفاهيم اسلامية عن الثورة»(٤٨)، وهي مقالة ظهرت في كتاب عنوانه **الثورة في الشرق الأوسط**، ونشر برعاية مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية.

ومع انه ليس في نيتنا هنا تمحيص مآخذ هذه المجموعة المختلفة من المقالات(٤٩)، الا انه يجدر أن نشير الى اننا لا نحتاج الى تحليل عميق لنستنتج بأن هذه المجموعة من المقالات تنتمي في جوهرها الى ذلك النمط الخاص من التقليد الكتابي المعروف باسم «الاستبداد الشرقي» (Oriental Despotism Tradition) النابع من الركود (Stagnation) والانحطاط والتردي (Retrogression)(٥٠).

فضلاً عن ذلك، وعلى عكس ما يتوقعه المرء من مثل هذا الكتاب الحديث الذي يحتل الشرق الأوسط فيه أغلب صفحاته، فانه يستبعد بعض العناصر الديناميكية الحديثة في الشرق الأوسط، ونعني الثورة الفلسطينية وليبيا والثورة في اليمن العربية واليمن الديمقراطية. حتى الثورة الجزائرية قد جرى، في الصفحات القليلة جداً التي خصصت لها، التقليل من شأنها، فقدمت على الشكل الآتي:

«ان الثورة الجزائرية هي من عمل عدد قليل من الزعماء نجحوا في اثارة الجماهير خلال الكفاح الوطني، ثم أخذوها منذ الاستقلال بالآمال والشعارات والمظاهرات الشكلية»(٥١).

أما حين يخصص هذا الكتاب حيزاً «للثورات» في زمن ما قبل الاستعمار، فانما يجري ذلك فقط لتأكيد فساد زعماء تلك «الثورات»، أو على حد تعبير الكتّاب «الوجهاء» وحبّهم لذاتهم.

من الواضح، تاليا، أن هذه المقالات قد انتقيت بعناية لتجريد التاريخ والمجتمعات في الشرق الأوسط من أية طبيعة ثورية مهما كان نوعها. ان مقولة «لا

---

(٤٨) Bernard Lewis, «Islamic Concept of Revolution,» in: Panayiotis J. Vatikiotis, ed., *Revolution in the Middle East and other Case Studies* (Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield, 1972).

(٤٩) للاطلاع على نقد مفصل لمثل هذه المقالات، وخاصة ما كتبه فاتيكيوتس وهاتو وجوراني ولويس، انظر:

Bryan S. Turner, «Determinant Structures and Contingent Revolution: Critical Comments on Vatikiotis, ed., *Revolution in the Middle East*,» *Review of Middle East Studies*, vol. 3 (1978), pp. 1-17.

(٥٠) K.Wittfogel, *Oriental Despotism* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1957), p. 422, and Turner, Ibid.

(٥١) R. Tourneau [et al.], «Revolution in Maghreb,» in: Vatikiotis, ed., *Revolution in the Middle East and other Case Studies*, p. 97.

ثورة» (No Revolution Thesis) على حد تعبير تيرنر هي على أشد ما تكون بـروزاً في مقال لويس أكثر من أي مقال آخر في الكتاب. وهو يحاول في مقاله، المعنون «مفاهيم اسلامية عن الثورة»، ان يرجع هذه المقولة الى غياب مفهوم محلي للثورة.

بعد أن ينظر لويس في سلسلة من المفاهيم الاسلامية (الفتنة، البدعـة، البغي) في اطارها التاريخي، يأتي عـلى وصف الثورة والانتفـاضة السيـاسية ـ ابتـداءً من قلب الخلافة الأموية[٥٢]، حتى تـأسيس الأنظمـة الاشتراكيـة في مصر وسوريـا والعراق ـ ثم يتوصل الى التأكيد التالي:

«إن العقيدة الغربية في الحق بمقاومة الحكومـة الفاسـدة عقيدة غـريبة عـلى الفكر الاسـلامي. هناك بدلاً منها عقيدة اسلامية في واجب مقاومة الحكومة التي لا تتقي الله، الامر الذي كان في العهود الأولى ذا أهمية تاريخية حاسمة»[٥٣]. ولا يستطيع المرء أن يعرف على وجه التحديد ما الـذي يعنيه لويس بهذا التأكيد. فاذا كان يعني التقليد المسيحي فإنه مخطىء كل الخـطأ، إذ، وكما يقول تيرنر:

«ليس هنـاك فيما يبـدو ما يميـز اللاهـوت المسيحي الخاص بـالحقوق السياسية من الـوصـايـا الاسلامية ـ «لا طاعـة في معصية الله»»[٥٤]. والواقـع ان تاريـخ الاسلام يـزخر بـالأمثلة على الانتفاضات السياسية والعسكرية من جميـع الأنواع: حـروب دينية، معـارك عائليـة، غارات قبلية، ثورات وتمردات. وقد أظهر تيرنر من خلال أمثلة متعددة زيف الأساس الديني لمزاعم لويس. فهو يقول في إحدى المناسبات: «حقاً، إن (إعطاء مـا لقيصر لقيصر) هي الشبيه المسيحي للخوف الاسلامي المزعوم من المعارضة...» ثم يقول:

«إن القيود المسيحية على حق المقاومة يمكن تتبعها تاريخياً من خـلال استبداديـة البيوريتانـيين، وصولاً إلى الحركات الدينية المعارضة مثل الميثودية. ومن الجدير بالذكر أن يابيز بتنغ ـ وكـان في القرن التاسع عشر رئيساً للمؤتمر الوزلي ـ زعم مرة أن الميثـوديين (يعـارضون الـديمقراطيـة بقدر معـارضتهم للخطيئة)»[٥٥].

يُفترض إذن أن لويس قد يعني «بالعقيـدة الغربيـة» (Western Doctrine) الإشارة

---

(٥٢) واضـح تمامـاً أن لويس قـد استخدم هنـا مصطلح قلب (overthrow) ليشير الى الثورة العبـاسية وذلك لكي ينسجم مع مقولته الأساسية: لا ثورة في الوطن العربي. للاطلاع على ايضاحات مفصلة عن الثـورة العباسية، انظر:

M.A. Shaban: *Islamic History: A New Interpretation*, 2 vols. (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1976), and *The Abbassid Revolution* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1970).

(٥٣) Lewis, «Islamic Concept of Revolution,» p. 38.

(٥٤) Turner, «Determinant Sturctures and Contingent Revolution: Critical Comments on Vatikiotis, ed., *Revolution in the Middle East,*» p. 5.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٥ ـ ٦.

إلى النظرية السياسية الأوروبية في العقد الاجتماعي. ولكن حتى في هذه الحالة ليس لدى لويس أساس ثابت يستند إليه لأن أكثر معتقدات العقد الاجتماعي، إن لم يكن كلها، هي بذاتها استبدادية وسيئة الصيت «لما تفرضه من قيود على حق الفرد في المقاومة»[٥٦]. وعلى هذا الأساس يجب أن تكون النتيجة هي: ليس هناك «عقيدة غربية».

والسؤال الذي يحتاج الى جواب هنا هو هذا: إذا لم تكن هناك «عقيدة غربية» فلماذا إذن يدخل لويس مثل هذا المصطلح الغامض وغير المعرّف؟ وأريد أنْ أجادل بالقول إن لويس قصد هنا أن يعزز صورتين: الأولى تتعلق بطبيعة الغرب التقدمية، الدينامية والديمقراطية، والصورة الثانية تتعلق بركود الاسلام واستبداده وضحالته. وبالنسبة الى لويس، ليس هناك شيء جديد تحت الشمس في الوطن العربي من العهد العباسي حتى الوقت الحاضر.

يعزو لويس هذا الركود الى طبيعة «الشخصية القومية» (National Character) العربية ذاتها والتي يقول عنها إنها مستمدة من الديانة الاستبدادية والقمعية. والواقع ان المرء لا يستطيع أن يجد في مقاله، أو في أغلب كتاباته، إشارة أو تحليلاً للتطور التاريخي الخاص بالشرق الأوسط، وأساسه الاجتماعي ـ الاقتصادي، وبنيته الطبقية والقمع الذي ترزح فيه شعوبه تحت الامبريالية و«ثوراتهم» ضدها. إنه بدلاً من ذلك يركّز على ركود المسلمين العرب وهجومهم وطاعتهم وامتثالهم (conformity) للحكومة القائمة باعتبارها نظاماً دينياً. عندئذٍ، كيف يمكن أن يتوقع المرء من العرب أن يتطوروا أو يتغيروا أو حتى يفهموا و/أو يدركوا معنى الثورات الغربية وتجاربها ـ حتى الثورة في بلدانهم ـ إذا كان هذا المفهوم غريباً وغائباً ـ على حد تعبيره ـ وغير موجود على الاطلاق في ثقافتهم؟ إنهم لا يعرفون إلا الفتنة والبدعة والبغي، و/أو غير قادرين الا عليها.

بيد أن لويس في جميع كتاباته عن العرب والاسلام يتّسق جداً، كفون غرونبوم، في عقلنته وتسويغه صراحةً أو ضمناً، للسيطرة أو التدخل الغربيين في الشرق الاوسط. إن دعوى «رسالة الحضارة» لمستشرقي القرن التاسع عشر تجد الآن تعزيزاً وتأكيداً ولكن بأشكال مموّهة جديدة: لا بد من «السيطرة» على العرب أو «مراقبتهم»، لا لأنهم «جنس منحط أو بربري» كما كان يقول مستشرقو القرن التاسع عشر، بل للدفاع عن المصالح الغربية والديمقراطية الغربية من التهديد الشيوعي القمعي والاستبدادي والوقوف بوجه توسعه في الشرق الأوسط. فينبغي أن ينظر، إزاء هذه الخلفية الاقتصادية ـ السياسية، الى الصور المشوهة للعرب، وأن يتم فهمها في اطارها بالنسبة لأغلب الكتابات الأكاديمية للمستشرقين.

---

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٦.

إن الانتاج الكثير للمستشرقين الأكاديميين ليس مهماً فقط بسبب جمهوره المباشر، بل كذلك بسبب علاقته بكتابات مؤلفين آخرين أكثر شعبية وأقل مقاماً في المركز الأكاديمي. سنتناول هؤلاء المؤلفين في القسم التالي.

ثالثاً: تطور صورة العرب في الكتب «التعليمية الشعبية»

إن صورة العرب في الثقافة الشعبية والعلوم الاجتماعية تعكس أثر الاستشراق العميق. لقد راح الكتّاب، وهم يعتمدون على كتابات المستشرقين عن العرب وينقلون عنها كثيراً، هم وعلماء الاجتماع من ضمنهم، يكرّرون ويثبتون perpetuate معتقدات واساطير معينة تتخذ شكل القوالب الذهنية عن الاسلام والعرب. اما الافكار والصور السائدة جداً التي يتلقاها القارىء الاعتيادي غير المتمحص من قراءته عن العرب في الأدب المعاصر فهي: أن العرب ذوو عادات عقلية معينة، وخصال شخصية «فذة»، وصفات مميزة في التاريخ والطبع، من شأنها بمجموعها أن تجعل العرب يميلون الى أنماط سلوكية معينة، لا سيما سلوكهم في نزاع الشرق الاوسط. لقد جرى إبداء هذا الرأي والدعوة اليه، صراحةً وضمناً، على نطاق واسع، وتم تمثّله وامتصاصه وتقبله في الثقافة الشعبية بصفته «حقيقة».

١ ـ د. في. صنّوع (D.V. Sanua)

وأشهر من نادى ودعا الى مثل هذه الآراء هو صنّوع (Sanua)، فهو يقول في مقاله عن **شخصية العرب القومية وآثارها على نزاع الشرق الأوسط**. إن «... قيود الشخصية العربية قد أودت بهم إلى محنتهم الحالية»(٥٧). إنه، سواء في كتابه **نفسية الفلاحين المصريين**(٥٨)، أم في مقاله **هل السلام ممكن الحدوث في الشرق الأوسط؟ دراسة في العوامل النفسانية**(٥٩)، يعتبر العوامل النفسانية ولا سيما السمات والصفات في الشخصية العربية (مثل المحافظة والايمان بالقضاء والقدر والشك المفرط التي تنبع في نظره من عادات تربية الطفل) أهم من جوانب النزاع التاريخية والسياسية وحتى الاستعمارية.

ويمضي صنّوع، مقيماً حجته على دراسات امبريقية أجريت على جماعات

---

(٥٧) D.V. Sanua, «The National Character of the Arabs and its Effects on the Middle East Conflict,» *American Psychological Association Annual Convention* (Miami Beach), (September 1970), p. 3.
(٥٨) D.V. Sanua, *The Psychology of the Egyptian Fellahin* (1966).
(٥٩) D.V. Sanua, «Is Peace in the Middle East Possible? A Study of Psychological Factors,» *International Psychologist*, no. 12 (1971).

صغيرة، الى تعميم ما توصل اليه من نتائج على العرب جميعاً، مدعياً أن المركز العربي في النزاع اكثر تصلباً من مركز الطرف الآخر ـ الاسرائيليين. وهذا التصلب بالنسبة اليه هو نتيجة سمات (traits) عربيـة بذاتهـا تتعلق بالفكـر العربي واللغـة العربيـة والتراث الثقافي الاسلامي. ان صنّوع ليس هو الداعية الوحيد لمثل هذه الآراء. ثمة إجماع يثير الدهشة بين بعض علماء الاجتماع، مهما كانت فـروعهم، حول هـذا المفهوم النفسـاني الانثروبولـوجي عن «الشخصية الشكليـة العربيـة» (Modal personality) و«شخصية العرب القومية»(٦٠).

٢ ـ مليكيان (Melikian)

فهـذا مليكيان نجـده مثلاً، يكـرر في دراسته(٦١) صـورة الاستبـداد، والامتثـال كنمط وكسمة بارزة في الثقافة العربية. فقد قارن بين مجموعة من الطلاب الأمـريكيين وبين مجموعة أخرى من طـلاب الجامعـة الأميركيـة في بيروت، وأفـاد بوجـود مستوى أعـلى من الاستبداد والعـداء لدى مجمـوعة الـطلاب من الشرق الاوسط. وفي دراسـة اخرى(٦٢) ـ والمجموعة هذه المرة من المصريين ـ أكد مليكيان النتائج ذاتهـا التي توصـل اليها في دراسته الأولى. والنتيجة التي يريد ان يتوصل اليها ـ وقد توصـل اليها فعـلاً ـ هي الزعم بأن الثقافة العربية استبدادية، وان المسلمـين مطيعـون ولديهم نـزعة قـوية للامتثال والانصياع.

ومليكيان، كلويس الذي يستخدم القرآن ليبرر مفهومـه للاستبـداد (وهو خـطل من الممكن إظهاره لو حاول المرء تحليل الغرب عـلى أساس الانجيـل)، يستخدم علم النفس ليـبرر هذه السمـة حتى تبدو مقبـولة و/أو حتى يقنـع القـارىء ـ أو يجعـل من المحتمل إقناعه ـ بان المسلم الاستبدادي هو أكـثر «عافيـة» من الناحيـة النفسية، لأنـه يسلّم لنمط ثقافي عام(٦٣).

---

(٦٠) L.H. Melikian: «Some Correlates of Authoritarianism in Two Cultures,» *Journal of Psychology*, no. 42 (1956), and «Authoritarianism and its Correlates in the Egyptian Culture and the United States,» *Journal of Social Issues*, no. 15 (1959); C. J. Adams, «Culture and Conflict in an Egyptian Village,» *American Anthropologist*, no.59 (1957); H.Feldman, «Children of the Desert: Notes on Arab National Character,» *Psychoanalysis and the Psychoanalytic Review*, no. 45 (1958); Sania Hamady, *Temperament and Character of the Arabs* (New York: Twayne Publishers, 1960); Morroe Berger, *The Arab World Today* (New York: Doubleday, 1964), and Raphael Patai, *The Arab Mind* (New York: Scribner, 1973).

للاطلاع على نقد لآراء هؤلاء الكتاب وغيرهم، وعلى «المنهجية»، انظر:

Benjamin Beit-Hallahmi, «Some Psycho-Social-Cultural Factors in the Arab-Israeli Conflict: A Review of the Literature,» *Journal of Conflict Resolution*, vol. 16, no. 2 (June 1972), pp. 269-280.

(٦١) Melikian, «Some Correlates of Authoritarianism in Two Cultures».

(٦٢) Melikian, «Authoritarianism and its Correlates in the Egyptian Culture and the United States».

(٦٣) مما يتعلق بالآراء عن الثقافة العـربية والشخصيـة العربيـة مسألـة طبيعة اللغـة العربيـة. والاتهام =

٣ - رفائيل بتاي (Patai)

أما اكثر المواقف عداءً وعدواناً نحو العرب والثقافة العربية فلعلنا نجدها في كتاب رفائيل بتاي (Patai) المعنون العقل العربي[٦٤]. وبتاي عالم انثروبولوجيا ولد في المجر ودرس على مستشرقين عرفوا بمواقفهم العدائية نحو الاسلام والعرب (مثل بروكلمان وغولدزيهر Goldziher)، وقد تبنى وطوّر مسلمات تدعم المفهوم الأنثروبولوجي - النفساني المتزمت عن «الشخصية الشكلية» و«الطبيعة القومية» في دراسة العرب. لم يتأثر بتاي بالتحدي المهم الذي طرأ على صحة الدراسات الخاصة بالطبيعة القومية[٦٥]، وفائدتها العلمية - تلك الدراسات التي كانت رائجة في الاربعينات والخمسينات، وتضمنت مسلمات تنبع من رأي مثالي عن الانسان - كما لم يتأثر بعلاقة المجتمع ولا حتى بما ثبت من خطر تلك الدراسات في وضع قوالب ذهنية عن شعب من الشعوب، بل عاد في كتابه **العقل العربي** الى ما كان يجري التركيز عليه في الماضي من افكار. وعلى الرغم من وعيه النقد الموجه لمثل تلك الدراسات، فإنه مع ذلك استبعد بعضه و/أو حوّله الى شكل يجعل من تلك الدراسات (وبالتالي من دراساته) تبدو وكأنها صادقة علمياً (Valid)[٦٦]. إنه مثلاً ينوه بالمفهوم الذي وضعه ألكس انكلز[٦٧] عن عدد من بنى الشخصية الشكلية ضمن سكانٍ هم في تفاعل وتغير مستمرين داخل النظام الاجتماعي، ولكنه في الوقت ذاته، يستبعد، كما يقول هاغوبيان إعادة التشكيل الجاري بالذات في الحقل الذي يقترحه انكلز. والواقع انه «يحوّل» ما يقوله انكلز الى شكل يعكس تحيزه. فهو يقول:

«إن الأساس الذي تقوم عليه دراسات الشخصية الشكلية أو الطبيعة القومية هو ملاحظة ان الكائنات الإنسانية التي تنشأ في محيط مشترك تظهر ما يتعدى فوارقها الفردية من عامل مشترك قوي في

= الرئيسي هو الذي يوجه الى عدم قدرتها على أداء غرض دقيق وموضوعي. يصف شوبي (Shouby) آثار اللغة العربية على أنماط التفكير والاتصال في الوطن العربي، ويقول إن هناك خمس صفات تميز العربية بنظره وهي الغموض، والافراط في تأكيد المغزى النفساني للرموز اللغوية على حساب المعنى، والاستجابة العاطفية المتقولبة، والمبالغة، ووجود مستويين للحياة: مثالي وواقعي. وينظر الى كل هذه الخواص من ناحية علاقتها بالثقافة والأدب العربيين. انظر:

E. Shouby, «The Influence of the Arabic Language on the Psychology of the Arab,» *Middle East Journal,* vol. 5, no. 3 (Summer 1951), pp. 284-302.

(٦٤) Patai, *The Arab Mind.*

(٦٥) من أجل نقد لهذه الدراسات، انظر:

P.K.Bock, *Continuities in Psychological Anthropology* (San Francisco: W.H.Freeman, 1980).

(٦٦) انظر: Elaine C. Hagopian, «The Arab Mind,» Book review, *Journal of Palestine Studies,* vol. 6, no. 4 (Summer 1977).

(٦٧) A. Inkeles, «Some Sociological Observations on Culture and Personality Studies,» in: C. Kluckhohn [et al.], eds., *Personality in Nature, Society and Culture,* 2nd ed. (New York: Alfred A. Knopf, 1953), pp. 577-592.

شخصيتها. . . لذا أبادر الى تعريف الطبيعة القومية بأنها حصيلة الدوافع والخصال والمعتقدات والقيم التي تشترك بها الكثرة من السكان. وبما أن شخصية الكثرة في سكانٍ ما يمكن وصفها كذلك بالشخصية الشكلية، فقد يكون من الممكن مساواة الطبيعة القومية بالشخصية الشكلية»[٦٨].

ثم يمضي فيقول:

«في الوقت ذاته يمكن الاتفاق مع المصرّين على التفريق بين الطبيعة القومية والشخصية الشكلية والافتراض بأن المصطلح الأول ينبغي أن يستعمل للمفهوم الأعم، في حين يطبق الثاني على مجموعات أضيق تحديداً. هناك في أي نوع من السكان، وخاصة في المجتمعات الصناعية الواسعة المعاصرة، عدد من بنى الشخصية الشكلية. وهذا يعني أن الطبيعة القومية تتألف من حصيلة بنى الشخصية الشكلية الموجودة في السكان. من جهة أخرى إذا كان السكان موضوع الدراسة متجانسين في تكوينهم العرقي، فسيجد المرء أن الشخصيات الشكلية لعيّنات من المجموعات السكانية المتعددة ستكون متشابهة بما يكفي لاستقراء الطبيعة القومية منها. . .»[٦٩].

إن هذا الرأي الدوغماتي هو المحور الذي تدور حوله جميع كتاباته. وواضح أن بتاي هنا يمهّد القارىء للتعميم الكاسح (Sweeping Generalization) الذي سيقدمه في الفصول التالية عن «العقل العربي». إنه يدّعي دون أن يقدم برهاناً أن الوطن العربي منطقة متجانسة ثقافياً، لذا فإن تعميمه بشأن هذا الوطن كله تعميم صحيح ومطلوب (Warranted) ولو أنه يعتمد على دراسات متباينة عن قسم منه.

ويمضي بتاي استناداً الى هذه المُسَلّمة فيؤكد أن كون الوطن العربي هو مجتمع غير صناعي وتالياً غير متخصص، لذا يجوز الكلام «شرعاً» عن منطقة ثقافية، أي «شخصية شكلية» يساويها هو بالطبيعة القومية، أي «العقل العربي». وهذا «العقل العربي» يمكنه تالياً «أن يفسر» السلوك العربي كله، السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الدولي[٧٠].

على أن بتاي، بعد مراجعته للأدبيات ولجميع أنواع المادة المستمدة من الملاحظة والحكايات والأمثال وتحليل اللغة والفن والموسيقى، يجد أن الشخصية الشكلية العربية الأزلية، وهي المسؤولة عن عدم القدرة مطلقاً (Absolute Inability) (على حد تعبيره) على التحديث رغم جهود الغرب المتواصلة للمساعدة في هذا الأمر، يجدها شخصية تحوي السمات التالية: الميل الى استبدال الفعل بالقول، الميل الى الاعتماد على الماضي، عدم الميل لبذل الجهود لتغيير أوضاع قائمة، النزعة للجوء الى التهديدات الشفهية امتعاضاً دون أن يعقبها فعل، الميل الى التهويشات والمبالغة والافراط في التوكيد

---

(٦٨) Hagopian, Ibid., p. 18.
(٦٩) Patai, *The Arab Mind,* pp. 18-19.
(٧٠) انظر: Hagopian, Ibid., p. 124.

والتكرار؛ عدم احترام عامل الوقت والافتقار للحس بالزمن، لغة قاصرة عن أداء عدد من الأفكار والأشياء؛ شخصية منفصمة، التذبذب، الايمان بالقضاء والقدر ومقت الجهد ابتغاء التحسين، هياج الطبع، نزوات الغضب، العدوان والعنف؛ نمط مفكك من السلوك والافتقار نسبياً الى الترابط بين المستويات الوظيفية الثلاثة للوجود الانساني: الأفكار والألفاظ والأفعال. عمليات فكرية بمعزل عن الواقع؛ النزعة الى الخصام والمشاكسة، وعقدة النقص والكراهية التي لا مبرر لها للغرب(٧١).

هذه هي سمات العرب السائدة (Dominant) كما يعرضها بتاي في كتابه، الذي كتب الناشر على غلافه هذا الوصف: «صورة جلية وكاملة لإحدى ثقافات العالم العظيمة والتي كانت تقليدياً ثقافة يقلل من شأنها ويساء فهمها في الغرب». ترى ما الذي حدا بالناشر أن يناقض بتاي في تقليله من شأن الوطن العربي؟

والواقع أن كثيراً من تحليل بتاي هو تحليل اعتباطي (Arbitrary) إنه مثلاً، في فصله المعنون «تحت سحر اللغة»، يحاول جاهداً أن يبين ان شكليات العبارة وبنيتها تؤديان بالقائل الى خلط الأماني بالوقائع، والى عدم الاهتمام نسبياً بالدقة وبالتسلسل الزمني. إنه، الى جانب الأخطاء المتعددة في تفسيره للجملة العربية، يتسرع في الوصول الى النتائج، كما أنه يتشابه عليه الأمور فيتخيل النتيجة سبباً في تصوره أن بنية اللغة هي التي تجعل الفلاحين الجاهلين يَغفلون عن تقدير الزمن(٧٢).

ثم يختار بتاي، في موقع آخر، ما يراه من الصفات العربية فيربطها ببعضها في تأويل يرسم صورة سلبية جداً للفرد العربي، ويقدم نفسية عربية «ثابتة» و«شاذة» ليفسر بعض مظاهر السلوك السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ومن المدهش، والمثير للاهتمام أيضاً، أن بتاي يعزو، بطريقة الاسقاط النفساني، المنازعات بين العرب وعدم قدرتهم على التخطيط والاتحاد والخلق، بل وحتى عدم قدرتهم على الالتزام بعمل أخلاقي، الى المبالغة المفترضة في اللغة العربية، والى القيم البدوية في الضيافة والكرم والشرف والكرامة. وبذا يهمل مناقشة الاطار الاجتماعي ـ الاقتصادي الذي توجد ضمنه المجتمعات العربية.

إنه كذلك يتسرع في تطبيق ملاحظته حول «الشخصية الشكلية» على دنيا السياسة. انظر مثلاً ما يقوله لنا عن حرب حزيران/يونيو حين اتصل في ٥

---

(٧١) عن خلاصة ونقد لهذه السمات، انظر:

Patai, Ibid., and Samir Naim, «Towards a Demystification of Arab Social Reality: A Critique of Anthropological and Political Writings on Arab Societies,» *Review of Middle East Studies*, no. 3 (1978).

(٧٢) Patai, Ibid., p. 70.

حزيران/يونيو ١٩٦٧ كل من الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر بالملك حسين وضللاه بشأن تطور القتال مع اسرائيل، فهما: «لم يكونا قادرين على التصرف بشكل يختلف عما تصرفا به. إن تكيّفهم الثقافي لم يترك لهما خياراً سوى الكرامة و«انقاذ ماء الوجه»». والأنكى من هذا أنه يمضي الى القول بأن الملك حسين إنما ضلّل لأنه «فقد، خلال سنوات تكوينه الطريّة التي قضاها في انكلترا، القدرة على فهم المعنى بين السطور، وهو شرط لا يستغنى عنه في اتصال العرب الحقيقي بعضهم ببعض...»[٧٣]. إن مثل هذا التفسير الإسقاطي لا يأخذ بالاعتبار الوضع العسكري والسياسي الدقيق بين حلفاء قلقين نسبياً، ويعملون ضمن حالات جغرافية وتاريخية وسياسية مختلفة.

أما في فصله الختامي المعنون «علم النفس والتغريب» (أي اتباع النهج العربي) فإن بتاي لا يستطيع ـ كما في الفصول السابقة ـ أن يذهب الى أبعد من نطاق تسقط الأخطاء عند العرب والتفضل عليهم (Patronizing)، مركزاً كل التركيز على ما يسميه «كراهية» العرب وعداءهم وشكّهم بالغرب[٧٤]. إنه يزعم أن ما يميّز العرب في علاقتهم بالغرب هو «كراهيتهم» التي لا تضاهى للغرب (وكلمة كراهية من استعماله)، وكذلك عقدة النقص الثقافية. فسبب هذه «الكراهية»، إذاً، إن كان ثمة كراهية على الاطلاق، لا يكمن في تجارب العرب الماضية مع الاستعمار الغربي، بل في شخصيتهم الشكلية بالذات؛ كما لا يتحكم بعلاقاتهم الدولية بالغرب تركيب القوى العالمية السياسية أو الاقتصادية والبنية الطبقية المحلية، بل تتحكم بها نفسية العرب.

وبعد هذا العبء النفساني الذي يلقيه بتاي على عاتق العرب، يأخذ بتفسيره على أنه يعني أن العرب يجدون صعوبة كبيرة في اكتساب «الحضارة» الغربية الحديثة. بعبارة أخرى، انهم غير قادرين على تعلم الكثير من الغرب بسبب نفسيتهم التي يرى بتاي أنها تبالغ بعظمة ماضيهم. إن ما يقوله هنا في واقع الأمر هو تكرار واضح لما أبداه المستشرقون مثل فون غرونبوم ولويس.

إن صورة الركود للحضارة العربية ـ الاسلامية تظهر هنا مرة أخرى، ولكن بتصوير وتفسير جديدين ونعني «العقل العربي». يقول بتاي:

«إن الحقيقة القائمة هي أن الجهود لتحسين أمر الانسان في الاسلام التقليدي نادراً ما جاوزت عدم الفعالية. والعقل العربي الذي يهيمن عليه الاسلام أكثر ميلاً على العموم الى المحافظة منه الى التجديد، الى التثبيت منه الى التحسين، الى الاستمرار بالموجود منه الى البدء بالجديد. وفي هذا الجو أخذت الروحية الفردية الساعية الى البحث والاستقصاء التي وجدت في العصر العظيم للثقافة العربية

---

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٢١١ ـ ٢١٢.

(٧٤) Malcolm H. Kerr, «The Arab Mind by Raphael Patai,» Book review, *Muslim World* (1976).

القروسطية، أخذت بالاختناق تدريجياً. وبحلول القرن الخامس عشر، كان الفضول العقلي العربي يغطّ في سبات عميق. وقد ظل خامداً الى أن أيقظه بعد أربعة قرون غربٌ ملحاح يدق على أبوابه»[75].

إن ما يقوله بتاي هنا ضمناً هو أن ركود العرب لم يكن ركوداً تاريخياً «طبيعياً»، وأن الصفات الكامنة في العقل العربي هي التي أدت الى ذلك الركود غير الطبيعي.

ويبذل بتاي كذلك قصارى جهده ليجادل بأن العرب، وأغلبيتهم من المسلمين، هم غير متسامحين وذلك بسبب طبيعة الاسلام نفسه[76]. والمعنى السياسي الذي تنطوي عليه مثل هذه الصورة معنى واضح: إنه يستدرج القارىء الى التوصل الى نتيجة مفادها أن الأقليات من المسيحيين واليهود في الشرق الأوسط لا بد أن تكون هلوعة بسبب عدم تسامح الاسلام. كذلك فإن الغرب لن يجد له شعباً صديقاً، عقلانياً، موثوقاً في الوطن العربي، ويجب عليه أن يعتمد على اليهود لكونهم غربيين، وتالياً عقلانيين، ودينيين وموثوقين[77].

إني أتّفق مع ما يقوله سمير نعيم[78] ان مسلمات بتاي النظرية المثالية هي زائفة (False) وساذجة (Naive) ولا تاريخية (Ahistorical). انها زائفة لأنها «لا تعكس الواقع التي تزعم أنها تعالجه»[79]. ولا يستطيع المرء أن يجد، مثلاً، في أي مكان من كتابه أية إشارة للاستغلال الاستعماري بنوعيه القديم والجديدللوطن العربي؟ كما أنه لا يتناول في كتابه أبداً أثر ودور الدولة الصهيونية وتهديداتها الدائمة بتبديد المصادر العربية وإعاقة التنمية. إن بتاي يتبع بهذا ما يسميه غولدنر[80] استراتيجية الإغفال الكبير (Strategy of Great Omission). إننا نجد في كتاب بتاي، بدلاً من ذلك، اتهامات كثيرة تحفل بها صفحاته بأن العرب متخلفون ويقاومون التغيير. أي وحجج بتاي ساذجة لأنها إسقاطية وتبسيطية: «إن جميع الفعاليات الانسانية والمنظمات الاجتماعية تختزل الى عامل واحد منفرد: الشخصية»[81]. وهي لا تاريخية «لأنها متحجرة (Static). إنها لا تتفق مع مسلمات العلم الأساسية وتصد عنها بطريقة دوغماتية، وهذا يجعلها غير علمية»[82]. ولكل هذه الأسباب، نجد أن العلاقة السببية العلمية تقلب بصورة غير علمية في مسلماته. أما أنا

---

(٧٥) Patai, Ibid., pp. 154-155.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٤ - ٢٢٦.

(٧٧) انظر: Hagopian, «The Arab Mind,» pp. 127-128.

(٧٨) Naim, «Towards a Demystification of Arab Social Reality: A Critique of Anthropological and Political Writings on Arab Societies».

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٨٠) Alvin Ward Gouldner, *The Coming Crisis of Western Sociology* (London: Heinemann, 1971).

(٨١) Naim, Ibid., p. 53.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.

فأقول إن السمات الشخصية لا تقرر وجود الفرد المادي الفعلي، بل على العكس، إن أحوال المجتمع المادية تشكل شخصية الفرد في عملية تفاعل جدلية بين الاثنين. ولكي نفهم شعباً معيناً علينا، تالياً، أن نبدأ بتحليل موضوعي لواقعه الاجتماعي، «بعبارة أخرى حالة قواه الانتاجية وعلاقاتها الانتاجية والعملية التاريخية لتكونها وتطورها»(٨٣). يضاف الى هذا، وللوصول الى فهم أفضل، علينا كذلك أن نحلل طبيعة العلاقات الاقتصادية والسياسية من حيث صلتها بالعالم الخارجي.

فضلاً عن ذلك، وبالضد من المفهوم المثالي للثقافة الذي نجده في الأنثروبولوجيا التقليدية (مثلاً في كتابات تيلر ولنتن وكاردنر وبرون وبتاي نفسه)، (Taylor, Linton, Kardiner, Broan)، فإن علينا أن ننظر الى الثقافة كظاهرة تاريخية لا تنعزل عن النشاط الانتاجي والعلاقات الانتاجية في المجتمع(٨٤). على العكس من هذا تبسط افتراضات بتاي، كما يجادل نعيم، أولوية «القيم الروحانية على القيم المادية، وتتجاهل الدور الحاسم للأحوال والعلاقات التاريخية والاقتصادية والسياسية في أصل وتطور القيم»(٨٥). إن الأفكار أو الحالات العقلية هي بالنسبة الى بتاي مقررات الكائن الاجتماعي. فالشكل الخاص من الأفكار يفسّر بشكل آخر منها (أي أن القيم تفسّر بالتنميط الثقافي). لذا أقول إن افتراضات بتاي النظرية بشأن الوطن العربي هي أداة بارعة ترمي الى اقناع القارىء بقبول مسلّمة أخرى مموّهة ودوغماتية: إن العرب متخلفون بالطبيعة، وقد ولدوا بدويين ولا خيار لهم إلا البقاء بدويين، لذا عليهم أن يقبلوا هذه الحقيقة «العلمية» ويخضعوا أنفسهم للغرب ولإسرائيل التي هي دولة غربية على الرغم من موقعها الجغرافي في الشرق الأوسط(٨٦).

إن البرهان الذي يستخدمه بتاي والنتائج المترتبة عليه مستمدة من «بيانات» جمعت بطريقة الملاحظة والمقابلات الشخصية، ومن دراسات منشورة. يؤكد بتاي فيما يتعلق بالطريقة الأولى (الملاحظة):

«إن هذا الكتاب هو حصيلة اهتمامي مدى العمر بالعرب وبالعالم العربي. وهو يقدم شيئاً من الأمور التي تعلمتها من التحدث معهم لعدد من السنين حديثاً غير رسمي في أكثر الحالات، وفي مقابلات رسمية كذلك في حالات ليست قليلة، ومن ملاحظتهم واستيعاب التفاصيل الدقيقة المتعددة

---

(٨٣) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٨٤) للاطلاع على نظرة عامة، انظر: R.A. Levine, *Culture, Behaviour and Personality* (London: Hutchinson, 1973).

وللاطلاع على صيغة أكثر تحديداً انظر:

M.Harris, *Cultural Materialism* (New York: Random House, 1980).

(٨٥) Naim, Ibid., p. 54.

(٨٦) انظر: المصدر نفسه.

لسلوكهم ومواقفهم وتعابيرهم وحركاتهم وإيماءاتهم وألفاظهم المنطوقة وغير المنطوقة. بل كنت أشعر أحياناً بالذنب لما أقوم به من تسمّع عليهم بصورة غير مقصودة»[٨٧].

ويمضي بتاي قائلاً، وقد أدرك عدم مشروعية مثل هذه المنهجية، وعدم صحة النتائج القائمة عليها:

«من نافلة القول إن كتاباً كهذا لا يمكن ان يكتب على أساس الملاحظات الشخصية وحدها. لذا فإن قراءتي لماكتبه غيري عن العرب كانت إحدى مشاغلي الدائمة طيلة السنين التي قضيتها في القدس، ويعد ذلك أيضاً»[٨٨].

إن التمحيص الدقيق لبرهان بتاي الذي أقام عليه نتائجه، يظهر أنه كان انتقائياً جداً في البيانات التي استعملها لدعم الصورة المشوّهة التي وضعها عن الواقع العربي. إن معياره لاختيار دراسة منشورة عن الوطن العربي ليس هو كونها دراسة معترف بأنها صحيحة وعلمية، بل إن معياره هو درجة صلاح المقتبسات منها لتلائم النقاط التي يرغب في إبدائها[٨٩]. إنه بهذا يقوم مرة أخرى باستخدام الوسيلة التي يسميها غولدنر[٩٠] «نسج الاسطورة بالواقع الاجتماعي» (Weaving myth into social reality). إن كثيراً من مقتبساته ترتب بطريقة «تضفي الشرعية» على نقاطه من خلال عملية تشويه لقصد الدراسة الأصلي وبؤرة اهتمامها، أو عن طريق التوسع بالتعميم أكثر مما قصده مؤلف الدراسة أو أكثر مما تسمح به بياناته. لذا فإن أكثر الأدلة التي يستشهد بها هي تعميمات قوالبية مستمدة أساساً من المستشرقين، ومستندة الى انطباعات شخصية ترفدها آراؤه الخاصة وسوء تفسيره للوقائع التي يلاحظها. وقد وصفت الاستاذة إلين هاغوبيان، في رأيها النقدي عن كتاب بتاي، على النحو التالي:

«إن كتاب بتاي مليء بالأساطير والأوهام. وهو كتاب ضعيف بأي مقياس من المقاييس العلمية. أما إحياؤه لدراسات الطبيعة القومية وتبنيه لأطر وطرق مخصوصة بذاتها فيشي بقصده الحقيقي. والكتاب ليس دراسة أنثروبولوجية «للعقل العربي»، بل إنه ليس حتى أنثروبولوجياً، ولغته مفرطة؛ ولا يوجد في الكتاب شيء من مفاهيم العلم»[٩١].

ما الذي يمكن أن يستنتجه المرء أخيراً من هذا الكتاب؟ من الواضح، في حالة قبول تصوير بتاي «للعقل العربي»، ألا تساعد الصورة كثيراً وبالتأكيد على تفسير التغيير الجاري في الوطن العربي ومشاريع التنمية العديدة فيه؛ كما لا تساعد على

---

(٨٧) Patai, *The Arab Mind,* pp. 5-6.

(٨٨) كان بتاي مقيماً في فلسطين من ١٩٣٣ - ١٩٤٧. وقد عوّل كثيراً على ما كتبه تي. اي. لورنس. إنه في الواقع يشير الى لورنس في كل مرة يريد فيها ان يصل الى نتيجة من نتائجه. انظر: المصدر نفسه، ص ٦.

(٨٩) انظر: Hagopian, «The Arab Mind,» p. 129.

(٩٠) Gouldner, *The Coming Crisis of Western Sociology.*

(٩١) Hagopian, Ibid., p. 130.

تفسير الثورة المصرية والثورة الجزائرية والثورة الفلسطينية. والواقع أن هذا الكتاب كتب بعد حرب ١٩٦٧ العربية - الاسرائيلية ونشر قبل حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣. وقد شهدت هذه الحقبة أشد حملات الدعاية الاسرائيلية والأمريكية ضد العرب. كان المحور الأساسي لهذه الدعاية هو عدم قدرة العرب على شن هجوم ناجح ضد إسرائيل، ومرتبتهم الدنيا ثقافياً،وكراهيتهم للغرب ومقاومتهم للتحديث والتغيير.

٤ - شلومو افينيري (Shlomo Avineri)

إن بث هذه الصور وتأبيدها يريح بال الصهاينة ويسوّغ الهيمنة الغربية على الشرق الأوسط. وكتابات شلومو أفينيري (Shlomo Avineri)، وأشهرها كتابه اسرائيل والفلسطينيون(٩٢)، أمثلة صارخة على مثل هذه المادة الصهيونية.

يدعو أفينيري بشكل بارز الى فرضية مسبقة مفادها أن لا جديد تحت الشمس العربية. والعربي - المسلم محكوم عليه بعدم الاقتدار على التغيير كصفة كامنة فيه (in-herent in capacity)، إنه سيكون ما كانه. أما إذا تطفّل عليه متغيّر جديد حقيقي وأدخل تغييراً عليه فما ذلك بالنسبة له إلا لأنه لم يعد عربياً أو مسلماً. ويضرب أفينيري بالجزائر مثلاً لتبيان رأيه، مع إقراره بأن نظام الحكم العسكري الجزائري يختلف في عاداته الاجتماعية عن الجيوش العربية التقليدية التي تقلدت السلطة. وهو يرمي من هذا القول بأن هذا لم يكن ممكناً إلا «لأن الجزائريين لم يعودوا عرباً، فاحتلال فرنسا الطويل للجزائر وإدارتها لها قد دمرا تدميراً كاملاً المجتمع العربي التقليدي»(٩٣).

والواقع أن الجزائريين لم ينقطعوا قط عن كونهم عرباً ولم يتخلوا قط عن هويتهم كمسلمين عرب. على العكس فقد قاتلوا لمدة مائة وثلاثين سنة ضد الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يدمر هذه الهويّة فحافظوا على العروبة في الجزائر وعلى دينها الإسلامي. ماذا تنطوي عليه، إذن، حجة أفينيري سياسياً؟ يبدو لي أنه يقول: بما أن العرب، لا سيما الفلسطينيين هم مستكنّون، راكدون وغير قابلين للتغيير - من جراء الحالة «العقلية» المستقرة الكامنة فيهم - فلماذا لا ينهون هويتهم كما فعل الجزائريون ويقبلون بالصهيونية الدينامية وجهودها لتحديثهم، وهي جهود لا يستطيعون هم أنفسهم القيام بها؟

إن المؤلفين الذي عرضنا لهم في هذا القسم يمثلون كما هو واضح منظوراً متحيزاً جداً عن الوطن العربي. ولا يمكن اعتبار ما كتبوه تمثيلاً لأغلبية الكتب المنشورة عن

---

(٩٢) Shlomo Avineri, «The Palestinians and Israel,» in: Shlomo Avineri, comp., *Israel and Palestinians* (New York: St. Martin's, 1971).

(٩٣) Coury, «Why Cannot They Be Like Us?» p. 127.

المنطقة منذ ١٩٤٥. إن وجود هذه الكتب يبين في الحد الأدنى وجود استمرارية في الإنتاج الأدبي تتراوح بين الكتابة الاستشراقية الأكاديمية بخاصة، وبين الكتابة التي تهدف الى الرواج الشعبي. والكتب التي راجعناها هنا كانت فيما يبدو معروفة على نطاق واسع، كما ان توزيعها من ناشرين مشهورين يدل على وجود سوق ذات معيار متسامح في البحث. ومن الملاحظ في الفترة الأخيرة ظهور أعداد متزايدة من الكتب الرخيصة الثمن في بريطانيا تبحث في مسائل الوطن العربي بعامة أو فلسطين بخاصة[٩٤]. وقد يعكس ظهورها الأهمية الجديدة نسبياً للوطن العربي في بريطانيا كانعكاس «لقوتهم النفطية» وأهميتهم كسوق للبضائع البريطانية. وهكذا وجد سوق القراءة سبباً جديداً لكي يهتم بالمشرق. لهذا من المهم ان نلاحظ الأسلوب المتأني والرأي المحبذ للعرب والموجود في بعض هذه الكتب الحديثة. كذلك حدث تحول في التغطية الصحفية في أمريكا الشمالية[*]. بيد أن من المفيد، قبل الانتقال الى النظر في الصحافة، أن نلاحظ أولاً امتداد التفكير الاستشراقي الى منطقة أخرى من مناطق النشر، ألا وهي الكتب المدرسية.

رابعاً: شؤون العرب في كتب التاريخ والعلوم الاجتماعية المقررة للتدريس في أمريكا الشمالية

إن دراسة تناول الشؤون العربية في هذه الكتب المنهجية تكشف الكثير من الأمور كمقدار الحيّز المخصص لها ودرجة إدامة وتثبيت التعصب الشعبي والقوالب الذهنية في مدارس أمريكا الشمالية. وقبل استعراض التحليلات النقدية الجارية للكتب المدرسية المنهجية، وتقديم نقدي الشخصي على أسس منهجية، ينبغي أن نلاحظ أن الكتابات المذكورة أدناه قد يكون فيها نواقص منهجية كذلك، وهو ما سنبحثه في خاتمة هذا الفصل.

قام اياد القزاز، استاذ علم الاجتماع في جامعة ولاية كاليفورنيا في سكرمنتو، بتحليل محتويات ستة وثلاثين كتاباً مدرسياً للعلوم الاجتماعية مقررة للتدريس في

---

(٩٤) David Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East* (London: Faber and Faber; New York: Harcourt, 1977); David Gilmour, *Dispossessed: The Ordeal of the Palestinian* (London: Sphere Books Ltd., 1982); J. Dimbleby, *The Palestinians* (London: Quartet Books, 1980); E. Mortimer, *Faith and Power: The Politics of Islam* (London: Faber and Faber, 1982), and A. Bendt and J. Downing, *We Shall Return: Woman of Palestine* (London: Zed Press, 1982).

(*) انظر الفصل الثالث، القسم الأول من هذا الكتاب.

المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة وفي غيرها من الولايات خلال السنة الدراسية ١٩٧٤ - ١٩٧٥[٩٥]. ومن بين هذه الكتب المنهجية تلك التي نشرتها دائرة التعليم في ولاية كاليفورنيا والمخصصة للاستعمال في الولاية فقط، وكذلك تلك التي نشرها ناشرون خاصون وتستعمل في أرجاء الولايات المتحدة كافة[٩٦].

وجد القزاز في تمحيصه لصورة الاسلام كما رسمت في هذه الكتب أنها صورة مشوهة للعقيدة الاسلامية تفرط في تأكيدها على طبيعة الاسلام العنيفة والمولعة بالقتال: «بدأ المحمديون كذلك يفتح الأمم الأخرى وإجبارها على قبول الدين الجديد». «إن المسلمين الأوائل نشروا الديانة بالسيف. كان الاسلام دين قتال وقد انتشر فيها وراء حدود الجزيرة العربية»[٩٧]. ويورد القزاز أمثلة أخرى عن هذه الصور:

«يعتقد المسلمون أن عليهم أن يعلّموا الناس جميعاً ما علّمهم محمد. إنهم قوم مولعون بالحروب».

«شدّد محمد على الاستشهاد في سبيل الدين. وأصبح الهلال رمزاً للعقيدة الاسلامية. إنه يشبه شكل السيف الاسلامي».

«قال محمد إن السيف هو مفتاح الجنة. ووعظ أن من يموت في سبيل الله تغفر له ذنوبه جميعاً. وقد كسب اتباعه الأشاوس معركة تلو-أخرى، فلما مات محمد(في ٦٣٢ للميلاد) كان جميع العرب قد توحدوا في أمم محمدية جبارة».

«حرّض محمد أتباعه على نشر الدين بالسيف: إن وجود أحدكم في صف المعركة خير من كافة أنواع النوافل من الصلوات»[٩٨].

والصورة المهيمنة (Dominant image) الأخرى التي تسود في هذه الكتب هي صورة الرق ومركز المرأة. «إن الرق والحالة الدنيا للمرأة أمران مقبولان (في الاسلام)». «إن كتابهم المقدس، «القرآن» يعظهم بأن تكون المرأة عبداً للرجل. وعبودية الرجال يوافق عليها القرآن كذلك»[٩٩]. ويحاول أحد هذه الكتب ان يثبت (Sustain) هذه الصورة عن المرأة: «إن

---

(٩٥) يركز القزاز في فحصه لهذه الكتب على: ١) الصور والخرائط، ٢) النعوت المستعملة لوصف العرب، ٣) نقل معلومات غير صحيحة أو مشوهة أو زائفة، ٤) إغفال الكلام التلطيفي أو المعلومات المخفّفة التي قد تعطي صورة إيجابية عن العرب. وقد قام كذلك، لدعم نتائج تحليله، بإجراء مقابلات مع حوالى عشرين معلماً من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة في منطقة سكرمنتو لتقرير طرق التدريس والمواد التكميلية المستعملة، وللحصول كذلك على تقويمات لكيفية معالجة أمور العرب في الكتب المنهجية المدرسية.

(٩٦) انظر: Ayad Al-Qazzaz, «Images of the Arab in American Social Science Textbooks,» in: Baha Abu-Laban and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, AAUG Monograph Series, no. 5 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975).

(٩٧) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

المرأة المحجبة هي رمز للثقافة الاسلامية»[100]. من المناسب أن نذكر أن الاسلام كدين، لا كدولة، قد فعل الكثير لتحسين وضع العبيد والنساء معاً في المجتمع[101].

والأخطر من ذلك، هو أن مؤلفي هذه الكتب قد خلطوا عمداً بين القرآن، كلام الله المنزّل على رسوله محمد، وبين الحديث. «بعد وفاة محمد جمعت أقوال محمد في كتاب يسمى القرآن». «إن كتاب المسلمين المقدس، ويدعى القرآن، يحتوي على كتابات وأقوال محمد»[102]. ويذكر القزاز أن التقليل من الاسهامات العربية ـ الاسلامية في الحضارة العالمية واضح تماماً في هذه الكتب: «كانت الثقافة الاسلامية... مفتقرة الى العبقرية الخلاقة لمدة ثلاثة قرون» و«العرب أنفسهم ليسوا أكثر من فاتحين غلاظ أو في أحسن الأحوال رجال أعمال أو موظفين عموميين».

أما بالنسبة للعرب، فيجري تصويرهم كشعب بدوي يعيش في صحراء واسعة ويستخدم الجمل كوسيلة وحيدة لمواصلاته. هؤلاء الأعراب البدو، بطبيعة الحال، شغوفون بالغزو والنهب والسلب. «والبدويون رجال مقاتلون طيلة تاريخهم الطويل، وهم يقاتلون بعضهم بعضاً من أجل المراعي الجيدة ويسلبون المسافرين الذين يقطعون الصحراء. إنهم يمتطون خيولهم السريعة ويذهبون منقضين في القفر لمهاجمة قافلة مارة أو قبيلة أخرى». «رجالهم محاربون لا يهابون شيئاً، وأقرب ما الى قلوبهم هو صهوات الجياد العربية الرائعة السرعة للاشتراك في قتال، يحدوهم أمل بسلب القوافل»[103].

تفيد النتائج التي توصل إليها القزاز أن التأكيد ينصبّ على عنصر البداوة في المجتمعات العربية كلها، أكثر من أي شيء آخر في جميع الكتب. ولم يفت كتاباً واحداً ذكر **الجمل والصحراء والبدوي**. ويتضمن أحد هذه الكتب صورة ملونة لجملين، أحدهما واقف والآخر في حالة بروك، مع خيام وبضعة حيوانات أخرى، بينما وجد القزاز في كتاب آخر «صورة لعدد من البدويين على ظهور الجمال في الصحراء». كما

---

(١٠٠) هناك إغفال متعمد في هذه الكتب لسياسة التسامح الاسلامية تجاه «أهل الكتاب» الذين حماهم الاسلام في الواقع خلال العصور. كما أنها لا تذكر، كما يبدو لي، نصح الرسول والخلفاء للقادة العسكريين بألا يمثلوا بالأطفال والشيوخ والنساء أو يقتلوهم، ولا يقطعوا شجرة أو يحرقوها، ولا يذبحوا الماشية إلا للطعام. فضلاً عن ذلك لا يفرّق المؤلفون على الاطلاق بين الاسلام الدين والاسلام الدولة. إن الاسلام كغيره من الأديان هو دين العدالة والمساواة والمثل العليا. والإسلام الذي فتح هو ليس الدين بل الدولة. وقد أساءت الدولة خلال القرون استخدام الاسلام وطبقت عدداً من الأمور التي هي ليست إسلامية لا بالشكل ولا بالمضمون، وطبقتها باسم الدين. لقد اتخذت من الاسلام غطاء لمنافعها.

(١٠١) انظر مثلاً: C. Bernard, «Islam and Women: Some Reflections of the Experience of Iran,» *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies,* vol.4, no.2 (Winter 1980), and Hafeez Malik, «Islam and Women: Some Experiments in Qatar,» *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies,* vol. 4, no. 2 (Winter 1980).

(١٠٢) Al-Qazzaz, «Images of the Arab in American Social Textbooks,» p. 124.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١١٧.

عرضت الجوانب «البدائية» من الحياة البدوية بالتفصيل مع الصور في أكثرية هذه الكتب. ووجد القزاز أيضاً في كتاب نشرته دائرة التعليم لولاية كاليفورنيا صورة ملونة كبيرة لأسرة في خيمتها، وهي تتناول طعامها باليد من قِدْر مشترك.

إن البدو، وهم يؤلفون في الواقع بين ٥ ـ ٨ بالمائة من مجموع السكان العرب يحتلون من حيِّز الكتب أكثر مما يقتضيه عددهم؛ مثلاً يتضمن أحد الكتب أربعاً وأربعين صفحة من الكلام عن صحارى العالم[١٠٤]، منها ثلاث وثلاثون صفحة مع أربع وثلاثين صورة مخصصة لتفاصيل حياة الأعراب البدو ومحيطهم وحيواناتهم. وبين هذه الصور سبع لصور الإبل[١٠٥].

وبهذا قصد المؤلفون، كما أرى، إلى الإيحاء للتلاميذ أن أغلبية العرب، إن لم نَقُلْ كلهم، هم بدو يعيشون عيشة «بدائية» في صحراء قاحلة. لم تأت الكتب المدرسية قط على شيء من زوال البداوة السريع كطريقة حياة، ولا على استيطان الألوف من البدو والتحسينات التعليمية والصحية والاجتماعية المقدمة لهم.

ثم إن هذا المفهوم السيىء المتعمد لا يعدو أن يكون تسويغاً لتأبيد بعض الأساطير الصهيونية التي تزعم أن الصهاينة «قد جعلوا الصحراء تزهر». وتأبيد مثل هذه الأساطير يتغلغل في جميع هذه الكتب المنهجية:

«قبل حوالى ثلاثين سنة أنشئت أمة جديدة (إسرائيل) في أراضي آسيا الصحراوية... حين وصل اليهود إلى اسرائيل رأوا أرضاً جافة، قاحلة... لا يسقط فيها إلا قليل من المطر. ولم يكن يعيش في الصحراء إلا بضعة أناس. فبنى الرواد الأوائل مجتمعاً في الصحراء. لقد زرعوا المحاصيل. وبنوا البيوت. فأضحت الصحراء خضراء تدريجياً»[١٠٦].

ولكن كيف أنشئت هذه الدولة؟ ومن أين أتى هؤلاء اليهود؟ وماذا حدث لأهالي تلك البلاد؟ هذه أسئلة لم يجب عنها في هذه الكتب.

وفي كتاب آخر نجد الوصف الآتي للإنجاز الصهيوني:

«كانت النقب صحراء لآلاف السنين. وكان يظن فيما مضى أن هذه الأرض الجافة المقدسة لا يمكن زراعتها. فاستوطن شعب إسرائيل النقب. فروّضوا الصحراء بالعمل الشاق والماء والعلم».

«الاسرائيليون أمة من أناس يقومون عن طريق التفكير الواسع الخيال والتخطيط الدقيق والعمل الشاق بخلق حقول خصبة ودوالي الكروم من الأرض اليباب الصحراوية والمستنقعات... لم يحدث أبداً أن عمل شعب بجهد أكبر، ضد معوقات عظيمة، لإعادة بناء أرض أمست ميتة وقفراء

---

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١١٨.

بسبب قرون من الإهمال، كما عمل شعب إسرائيل. لكن هذا الشعب يواجه التحدي ببصيرة وقوة، وإنه بمساعدة العلم الحديث يحول الأرض القاحلة، الخالية، إلى أمة منتجة تزخر بالنشاط»(١٠٧).

إن الصورة التي يعززها المؤلفون في عقول التلاميذ هنا هي: أن فلسطين أرض خالية، والناس القلائل الذين يعيشون فيها هم كسالى، وبدائيون، على الضد من الصهاينة الذين هم شعب منتج، دؤوب ومجتهد. بعبارة أخرى إنهم يحاولون الاستمرار بأسطورة القرن التاسع عشر الخاصة «برسالة الحضارة» و«رسالة الرجل الأبيض».

أما بالنسبة للنزاع العربي ـ الإسرائيلي فالكتب موضوع العرض تميل إلى معاملة إسرائيل معاملة تفضيلية، وبذلك تسهم في تكوين اتجاهات غير مؤيدة وتغرّضات ضد العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً. وإضافة إلى المواقف المتعاطفة إزاء اليهود ورسم صورة حسنة عنهم، تقوم هذه الكتب بنسج الأساطير في وقائع الأمور. وما يقولونه عنهم: «حين تأسست إسرائيل هرب نصف مليون عربي فأصبحوا لاجئين». «إن أسوأ المشاكل قد أحدثها العرب الذين فرّوا من إسرائيل أثناء القتال»(١٠٨).

أود أن أقول هنا ان استبدال لفظ الفلسطيني بلفظ العربي ما هو إلا بلبلة متعمدة لاستدراج التلاميذ لكي يظنوا و/أو يعتقدوا أن النزاع هو بين الدولة الصغيرة ـ اسرائيل وبين الأمم الكبيرة ـ العرب، وأنه ليس نزاعاً فلسطينياً ـ إسرائيلياً. وهذا العرض للمسألة، أو سوء العرض لها ينطوي نفسياً وسياسياً على كسب التأييد والتعاطف الغربيين إلى جانب الإسرائيليين في قتالهم ضد مثل هذا العدد الكبير من العرب. ثم إن التعمد في استعمال لفظ «الفرار» دون ذكر الأسباب، يخفي وراءه مدى ما تمارسه الصهيونية من حرب نفسانية وإرهاب وضغط اقتصادي ضد الفلسطينيين لإجبارهم على ترك بلادهم(١٠٩).

---

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(١٠٩) يفيد القزاز في كتاب آخر بورود إجابات غريبة جداً من مجموعة كانت ذاهبة الى السعودية للعمل في شركة النفط (أرامكو)، وهي إجابات تعكس الجهل المفرط بالاسلام والعرب. فعند حضورهم مدرسة تأهيلية تابعة للشركة المذكورة في لونغ آيلند وجهت اليهم أسئلة عديدة عن الشرق الأوسط والعرب، منها السؤال الآتي: «ما هو الاسلام؟ ومن هو محمد؟» فكانت الأجوبة مثيرة للاهتمام. منها تعريف الاسلام بأنه «لعبة من لعبات الحظ شبيهة بالبريدج»، «طائفة غامضة أسستها جماعة كوكلوكس كلان في جنوب الولايات المتحدة»، «منظمة ماسونية أمريكية يرتدي أفرادها ملابس غريبة». أما عن النبي محمد (ص) فقد قالوا: «إنه الذي كتب ألف ليلة وليلة»، وأنه «كاهن زنجي أمريكي ينافس الأب دفاين Father Divine في مدينة نيويورك»، وانه «شخص ما له علاقة ما بجبل ما: فإما ذهب هو الى الجبل وإما جاء الجبل إليه». انظر:
= Peter Mansfield, *The Arabs* (London: Penguin Books, 1978), p. 492.

ثمة دراسة أخرى مشابهة أجرتها شارون أبو لبن لتحليل محتوى الكتب المنهجية المقررة في مدارس يوم الأحد البروتستانية والمستعملة في منهجين «محافظين» ومنهجين «متحررين»، وذلك لمعرفة كيفية تناول شعوب الشرق الأوسط فيها. وقد وجدت أبو لبن فيها من التحيّز والتغرّض ما وجده القزاز. ومع أن الطوائف المتحررة هي أقل خضوعاً للدوغما الدينية من الطوائف الأصولية، ولكن كتب كنائسهم تتناول العرب بشكل غير تحبيذي وبدرجات مختلفة كما وجدت أبو لبن، كما أنها تنظر إلى اليهود بصفتهم «شعب الله المختار» وإلى فلسطين بصفتها «أرض الميعاد» وإلى الإسلام بصفته ديانة غريبة وأدنى شأناً(١١٠).

أشير في أحد هذه الكتب إلى المسلمين على أنهم «محمديون» يدعون «إلى رب يسمونه الله وإلى محمد الذي يزعمون أنه نبيه»(١١١). ووجدت أبو لبن في أحد كتب الطائفة الميثودية المتحدة التعريف الآتي للمسلم:

«المسلم: أحد أتباع محمد، الذي أوجد الدين المسمى الإسلام؛ أحد أفراد العقيدة الإسلامية. يعتقد المسلمون أن عيسى مجرد نبيّ من أنبياء الله المتعددين وأن محمد هو خاتم الأنبياء وأعظمهم»(١١٢).

في هذا التعريف، يصور المسلم خطأ على أنه يؤكد (في عبادته) على محمد، في حين يقلل من شأن الوشيجة التي تربط المسلمين بالمسيحيين في عبادة رب واحد. ثم يعزل المسلم عن غيره بوصفه أنه يعتقد أن عيسى مجرد نبيّ من أنبياء الله؛ في حين لا يذكر رأي اليهود بعيسى في تعريف الميثودية المتحدة، وهو رأي على خلاف كذلك مع آراء المسيحيين. يقول التعريف: «اليهودي: سليل الشعب العبراني من زمن العهد القديم؛ ويعتقد بديانة الشعب اليهودي»(١١٣).

ثمة تشديد على أن العربي هو خصم بدوي ومعتد يتطفّل على أراضي الآخرين.

= انظر أيضاً: Evanston Childers: «The other Exodus,» in: Walid Khalidi, ed., *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, I.P.S. Anthologie Series, no. 2 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971), and «The Wordless Wish: From Citizen to Refugees,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab-Israeli Conflict*, forword by Arnold J. Toynbee (Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1971); Alfred M. Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?*(New York: Dodd, Mead, 1978); Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East*, and Netanel Lorch, *Israel's War of Independence, 1947-1949* (Hartford: Hartmore House, 1968).

(١١٠) Abu-Laban and Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, pp.155-162.

(١١١) المصدر نفسه، ص ١٦٠. (التشديد مضاف)

(١١٢) المصدر نفسه، ، ص ١٦٠.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

«إذا زرت أرض التوراة اليوم فسترى أن عدداً من الناس في الأقطار العربية هم بدو. . . يتنقلون من مكان إلى مكان بحثاً عن الطعام والماء. . . ويسكنون خياماً صنعت من جلود المعز وشعور الإبل. . .».

«لم يكن لدى بني اسرائيل واسطة نقل تضاهي في سرعتها الجمال العربية. لقد كان يرعبهم هؤلاء البدو الذين ينقضون على أرضهم فيدمرون بيوتهم وطعامهم وينطلقون راجعين على ظهور جمالهم السريعة. . . واليوم يواصل أبناء مدين والعرب هجومهم على مدن اسرائيل محاولين طردهم من الأرض»(١١٤).

ونظراً لأهمية الكنائس المسيحية كوسيط قوي في التنشئة الاجتماعية Socialization فللمرء أن يقدر الدور الخطير الذي قد تلعبه في تشكيل «معرفة» زائفة وغير واقعية عن العرب والإسلام.

ويجري تخليد/ تأبيد الصور الكاذبة وسوء العرض والمعلومات المتحيزة عن الإسلام والعرب ونزاع الشرق الأوسط في الكتب المنهجية المستعملة في المدارس الثانوية كذلك. فقد أجرى غلين بري(١١٥) من جامعة ولاية إنديانا تحقيقاً وتحليلاً لعشرين كتاباً منهجياً تستعمل للتدريس في المدارس المتوسطة والثانوية. وجد بري أن تناول الإسلام في هذه الكتب يتراوح بين الدقة من الناحية الأساسية، وبين استخدام مادة مشوشة وغير مهضومة بشكل صحيح. مثلاً، يقول بري: إن المؤلفين يظهرون بشأن العقيدة الإسلامية عن القرآن افتقاراً للفهم إلا في بعض الحالات الاستثنائية، ويضيف: «إن من المعتاد أن تجد في تلك الكتب وصفاً للقرآن على أنه مجرد مجموعة لكتابات النبي محمد»(١١٦).

ويقدم الإسلام أحياناً، وبدرجات متفاوتة، على أنه ديانة غير متسامحة (Intolerant). يقول بري ان أحد الكتب «يثبت سوء التصور الخاص بإدخال الناس في الدين الإسلامي بحد السيف بدون أي ذكر للتسامح الإسلامي»(١١٧). والأقوال ذات الطبيعة السيئة عن المرأة المسلمة وعن جوانب أخرى من المعتقدات الإسلامية، أقوال ظاهرة تماماً في هذه الكتب. فالمرأة المسلمة «لا حقوق لها أو امتيازات»، و «جنة المسلمين هي جنة الرجل، النساء فيها خادمات بالدرجة الأولى»(١١٨).

وسوء التصور الخطير الذي يعزّز في هذه الكتب هو أن العرب بدو بصورة

---

(١١٤) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(١١٥) Glen Perry, «Treatment of the Middle East in American High School Textbooks,» *Journal of Palestine Studies*, no. 3 (Spring 1975).

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٥٠.

غالبة. ويشدد المؤلفون كل التشديد على الجانب المادي من الصحراء والجمل والبداوة، وينشرون عدداً غير متناسب من الصور عن هذه الأمور. ووجد بري أن أغلب الكتب، عند ذكرها للنزاع العربي - الإسرائيلي، تكون غير منصفة في تناولها للفلسطينيين واللاجئين منهم (هذا إذا ذكرت الكتب وجود هؤلاء) ولكنها تقدم صورة تحبيذية عن اليهود:

«إن اليهود في إسرائيل يعملون بإخلاص، وبمهارة، وبسعة خيال وقوة شعور بالهدف وذلك لجعل بلادهم أرضاً للرجاء حيث يستطيع اليهود من جميع أرجاء العالم أن يجدوا فيها ملجأً إذا احتاجوا إليه. ويبدو أنهم ينجحون»[119]. فضلاً عن ذلك، فإن «الإرهاب» كما يقول بري هو وصمة تستعمل في هذه الكتب للإشارة إلى نشاط «منظمة رجال العصابات» الفلسطينية.

كذلك وجد إل. إم. كني، في دراسة له، تحيّزاً وعدم دقة في تناول العرب والإسلام في الكتب المنهجية للعلوم الاجتماعية في كندا. قام كني، لتقرير الطريقة التي يعامل بها الشرق الأوسط والإسلام والعرب، بتحليل محتويات تلك الكتب المنهجية المقررة للتدريس في مقاطعة أونتاريو. إن وصف ظهور الإسلام وانتشاره في هذه الكتب، يزخر بالأغلاط في الوقائع ويحفل بالمدَّعيات المشكوك فيها والإغفالات المهمة، وكل هذا، كما يفيد كني، يسهم في تثبيت سوء التصور عن الدين والثقافة و«الحضارة» الإسلامية[120]. لقد زعموا في هذه الكتب أن الإسلام ولد بين بدو الجزيرة العربية الذين هم «أميون كلياً» والذين يتخذون «من غزو القوافل تسلية يعتزون بها»[121].

ومن الأغلاط العديدة في الوقائع بشأن انتشار الإسلام، التشديد على استخدام السيف في تحقيق ذلك. وحين يجري البحث في المعتقدات والتطبيقات الإسلامية، فغالباً ما يذكر الرق (Slavery) وتعدد الزوجات (Polygamy) مع التشديد عليهما[122]. يضاف إلى هذا أن مصطلحات مثل «الوثنيين» و«الكفار» تستخدم بتوسع لوصف

---

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(١٢٠) L.M. Kenny, «The Middle East in Canadian Social Science Textbooks,» in: Abu-Laban and Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities,* p. 139.

(١٢١) إن تصوير الجزيرة العربية على أنها بلاد الأمية التامة يناقض، في الواقع، حقيقة تدوين الوحي القرآني ويتجاهل المكانة المبجلة التي احتلتها الكلمة المكتوبة منذ بدء الاسلام. كذلك، كانت هناك مراكز تجارية مهمة ثابتة تعتمد في وجودها على تجارة القوافل المزدهرة. للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن الجزيرة العربية في ذلك الوقت انظر مثلاً:

I. Shahid, «Pre-Islamic Arabia,» in: Bernard Lewis and P.M. Holt, eds., *Cambridge History of Islam* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1970).

(١٢٢) Kenny, Ibid., p. 140.

المسلمين المناهضين للصليبيين[١٢٣].

ولم يجد كني، في مراجعته لتغطية الكتب للتراث الثقافي «للحضارة» الإسلامية، إلا نادراً، أية إشارة أو مسعى لبحث ما تدين به أوروبا في القرون الوسطى للثقافة الإسلامية في حقول الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والبصريات والفن والعمارة على سبيل المثال الواضح. وبدلاً من ذلك، هناك تقليل من شأن الأصالة والطاقة الخلاقة في «الحضارة» العربية ـ الإسلامية وأحياناً إنكار لها[١٢٤]. والواقع أن لدينا قناعة بأن التشويهات التي ثبت وجودها في كتابات المستشرقين الأكاديميين هي فيما يحتمل المصادر الرئيسية لمثل هذه الكتب المدرسية.

أمّا فيما يتعلّق بالتاريخ الحديث للشرق الأوسط، أي الاستعمار والقومية فإن الدعوة واسعة في هذه الكتب للآراء والمعتقدات الموروثة عن «رسالة الرجل الأبيض». وهكذا فإن بريطانيا، مثلاً، «قد قبلت انتداباً من عصبة الأمم لإدارة فلسطين»، ثم انها فيما بعد «قد تخلت عن المهمة غير المشكورة لضبط الأمن في البلاد»[١٢٥]. ولا يزال أطفال المدارس، كما وجد كني، يدرّسون بأن الانتداب أثبت بأنه «تدريب على الاستقلال» كذلك فإن الحكم الاستعماري القمعي الفرنسي في شمال أفريقيا يوصف في هذه الكتب بأنه «حازم، كفوء وجيد، ذلك لأن فرنسا هي المجلية في تولي (رسالة الرجل الأبيض)»[١٢٦]. أما الصورة عن معارضي الاستعمار والسيطرة الأجنبية فتصفهم بأنهم «مشاغبون»، «شرسون» أو «مبغضون مسعورون للأجانب»[١٢٧].

وعلى العموم، فإن أكثر الآراء تشويهاً عن الشرق الأوسط هي الآراء التي تتناول مشكلة فلسطين. وهناك كما يقول كني القليل من التفهم للفلسطينيين أو التعاطف معهم، والكثير من المعاملة التفضيلية للاسرائيليين في هذه الكتب. كما يجري في أغلبها التأكيد بإصرار على أسطورة «جعل الصحراء تزهر»، وتفوق المستوطنين الصهاينة[١٢٨].

بيد أن التشويه للصورة العربية كما عرضت في هذه الكتب، لا يقتصر على مقاطعة أونتاريو وحدها. فالمعلومات التي تسلمها كني من مقاطعات أخرى عن طريق استبيان بريدي لحوالى ١٤٠٠ من المشتركين في المجلة الكندية للتاريخ وعلم الاجتماع

---

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٤١.
(١٢٤) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
(١٢٥) المصدر نفسه، ص ١٤٣.
(١٢٦) المصدر نفسه، ص ١٤٣.
(١٢٧) المصدر نفسه، ص ١٤٣.
(١٢٨) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

قد بينت أن الكتب المنهجية ذاتها مستعملة في جميع أنحاء كندا الناطقة بالانكليزية. وهذا يظهر بالطبع ما عليه صورة العرب من سوء في أقسام عديدة من كندا.

وإذ تتعلق هذه المادة بالأدبيات الأمريكية، فإن هناك ما يدعو للافتراض بأن التشويه ذاته موجود في الكتب المدرسية البريطانية. هناك بالتأكيد برهان مقنع على هذا[١٢٩]. إن هذه المراجع تشير إلى تشويه متواصل للتاريخ والأحداث المعاصرة في الكتب المنهجية المستعملة للتدريس في المدارس البريطانية. ومع أن الاهتمام الرئيسي في هذه الكتب كان منصباً على رسم صورة لمجتمعات من خارج الشرق الأوسط. إلا أنه يمكننا أن نتوقع، بالنظر للاطراد النسبي فيما تسرده هذه الكتب، امتداد الصورة الامبريالية المتكررة بحيث تعكس متغيرها الاستشراقي. وقد بحث حنّان[١٣٠] تشويه الإسلام في كتب التاريخ المدرسية، ومن الممكن فيما يبدو أن تلقى حجته دعماً ببحوث قادمة.

وقبل الانتقال إلى الفصل القادم لمناقشة ما ترسمه الصحافة الغربية من صور عن العرب، فإنه من المناسب أن نسجل هنا ملاحظة منهجية بشأن الدراسات المذكورة في الفصل الحالي. ففي نقدي لكتابات فون غرونبوم وبتاي ولويس في القسم الأول من هذا الفصل، كنت قد ذكرت المصادر التي هدفت إلى تشخيص التحيز في الإطار الافتراضي لهؤلاء المستشرقين.

وهكذا بيَّنتُ من خلال هذه المصادر، ومن خلال أمثلة أخرى متعددة، كيف لجأ المستشرقون في كتاباتهم عن المجتمع العربي الى ارتكاب أغلاط واقعية (Factual Errors) واغفال حقائق جوهرية تتعلق بطبيعة هذا المجتمع؛ كما بيّنت الدلالات السياسية الكامنة وراء ذلك. إن مثل هذا النقد هو في الواقع نقد نوعي بطبيعته يبدأ بالإشارة إلى تاريخ «موضوعي» يمكن بموجبه الحكم على خطأ باحثين معينين وتحيزهم. ان مثل هذا التاريخ «الموضوعي» لا يتمتع بشرعية تجمع عليها الآراء (Consensual Validity)، كما أن الدعاية الفئوية (Factional propagandising) في أدبيات صحف أمريكا الشمالية مثل جريدة النيويورك تايمز والمجلة المختصة المسماة The New york Book Review تعكس الافتقار إلى معيار متفق عليه لحسم هذا النقاش.

وفي الحقيقة، فإن من يتابع الجريدة المذكورة أعلاه يرى كيف أن النقاش

---

(١٢٩) B. Dixon, *Catching Them Young* (London: Pluto Press, 1977); D. Hicks, *Bias in Geography Textbooks* (London: University of London, 1981), and D. Gill [et al.], *Multiracial Education* (London: [n. pb.], 1982).

(١٣٠) C. Hannan, «Image of Islam: History Books Give an Offensive View of Muslims as Cruel Fanatics,» *Times Educational Supplement* (19 November 1982).

والجدل الأكاديمي الدائر حول الاستشراق قد تم تقليصه واختزاله في قناة إعلامية واحدة صورت هذا الجدل وكأنه مجرد مسألة شخصية أخذت طابع المواجهة، كتلك التي دارت بين إدوارد سعيد وبرنارد لويس عام ١٩٨٢ على صفحات تلك الجريدة. وبهذا تكون هذه القناة - الصحافة - قد عملت على نقل دائرة الاهتمام بالكتابات الاستشراقية وتوسيعها من مجرد اهتمام أكاديمي بحت إلى دائرة أكبر، ألا وهي الدائرة الشعبية. وهذا يعني بالطبع تكريس الصورة السلبية للاستشراق في الوعي الشعبي الأوروبي.

وفي نقد كتابات المستشرقين الوارد في القسم الأول من هذا الفصل، ثمة فشل ملحوظ في توضيح نظرية التأثير الإعلامي الذي يشكّل الأساس لتشخيص التحيز. لذا فإن تشخيص المشاعر الامبريالية الغربية في كتابات بتاي ولويس غالباً ما ترك دون تطوير: إن ما ينطوي عليه مثل هذا التحيز، لهو في الحقيقة بديهي، وواضح بذاته (Self-evident) ولعل أحد أسباب هذا الإغفال هو خلفية النقاد المعرفية في هذا المجال من الدراسات، لذلك فإنهم قد لا يوجهون مهنياً نحو نظريات التأثير الإعلامي، وذلك نظراً للتوتر في فروع معرفتهم الخاصة بهم.

ولعل هذا هو كذلك بالذات في الأدبيات التي تروم فضح التحيز في الكتب المنهجية المدرسية. وهناك ثمة انتقال سهّل من تشخيص التحيز الى لصق التأثير لصقاً (Imputing). والجدل عن أساس النظريات الضمنية لتأثير وسائل الاتصال لا يسهل تحليلاً وافياً، إذ يمكن الافتراض أن تعقّد العمليات يصبح خفيّاً. إن كفاية منهجية التحليل الخاص بالمضمون في هذه الدراسات وملاءمتها يمكن التشكيك بهما. إذ هناك في العادة نقاش قليل في الدراسات عن التقييدات التي تحدّ من مستوى تحليلها والذي يجري في العادة على المضمون الظاهر للنص، مع أنه أحياناً، وعند استخدام فئات من الحجج المناصرة والمناهضة، يكون مستوى التحليل غامضاً في الغالب[١٣١].

وختاماً، فإن صورة العرب في الولايات المتحدة قد تأثرت باكتشاف النفط في الوطن العربي، وبالنزاع بين اسرائيل والعرب، وبالتنافس العقائدي السوفياتي - الأمريكي. وتالياً فإن الصور القديمة عن العرب والإسلام، والتي ولّدها العداء الديني (Religious antagonism) للغرب المسيحي نحو المسلمين «المتعصبين» و«الهراطقة» في الماضي، قد تحولت من المفهوم الديني إلى المفهومين الاقتصادي والسياسي، وإن كانت الصور القديمة لم تختف بأي شكل من الأشكال. إن جملة الأدبيات التي أنتجها بعض المستشرقين الجدد قد استخدمت لعقلنة سيطرة الغرب على الوطن العربي.

---

(١٣١) عن مراجعة لتحليل المضمون كما هو، انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ولئن جرى تبرير مثل هذه السيطرة بعقيدة الاستشراق القديمة، بسبب الخوف من المسلمين إلى حدٍ ما - كما ذكرت في الفصل الأول - فإن المستشرقين الجدد قد برروا ضرورة مثل هذه السيطرة دفاعا عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية في تلك المنطقة من العالم. ولكن على الرغم من هذا فان مستشرقي ما قبل الحرب وما بعدها معاً يشتركون في إيمان عميق الجذور (deep-rooted) ألا وهو وجود فارق وجودي أساسي (Fundamental ontological) واختلاف لا يمكن إزالته (Ineradicable distinction) بين الطبائع الجوهرية للمشرق والمغرب، ولفائدة الأخير الحاسمة. وعلى هذا الأساس تُقدَّم المجتمعات والثقافات واللغات الغربية على أنها أرقى مرتبة بصورة جوهرية من نظائرها[1] لدى الشرقيين.

لقد كان من المهم، لتلخيص تطور الاستشراق الجديد، تشخيص الاستمرارية في بعض الصور القديمة وملاحظة ظهور الصور الجديدة. إن المكانة الأكاديمية لمستشرقين معينين قد لوحظت بصفتها تساهم مساهمة مهمة في غلبة التحيز على مصادر «ثانوية» كالكتب المنهجية المدرسية. أما الأحوال المادية المتغيرة في الشرق الأوسط وظهور الأقطار العربية كقوى سياسية عن طريق الثروة النفطية، فإن تأثيرها المباشر على الكتب المنهجية المدرسية أقل من تأثيرها على الصحافة كما يتضح من النقاش التالي. ومع هذا هناك أصلاً، كما لاحظنا، دليل على توجّه إيجابي جديد نحو الوطن العربي في سوق الكتب الشعبية الرخيصة الثمن. ومن المفارقات أن هذا الاهتمام الجديد بالوطن العربي بصفته قوة مهمة في السياسة الدولية، قد أوجد فيما يبدو سوقاً أخذت تُصدر فيه دور النشر الآن طبعات جديدة لحكايات الرحالة المستشرقين في القرن التاسع عشر.

الفَصْلُ الثَالِث

صُورَة العَرَب في وَسَائِل الاتِصَال الجَمَاهِيرِيَة في بَرِيطَانيا وَأمريكا الشمالية

أولاً: صورة العرب في الجرائد والمجلات

«هل أصبحت الولايات المتحدة مكتباً فرعياً لإسرائيل؟ سؤال مضحك. ولكنه ليس كذلك بالنسبة للسامع المنتبه والقارىء اليقظ الذي يتابع ما تنشره وسائل الإعلام الجماهيرية الأمريكية وهي تعوم الآن على الموجة الإسرائيلية. إن اسم دولة إسرائيل وشخصيتها والأحداث التي تقع فيها تكوّن العناوين الرئيسية يومياً تقريباً؛ إن كل همسة تستحق الذكر تجد تغطية لا تتناسب مع قيمتها...».

«حين هُزم العرب في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ قال لهم الساسة الغربيون والمعلقون السياسيون أيضاً، بتوبيخ واعتذار معاً: (ألا ترون أن إسرائيل تعرف كيف تتلاعب بالرأي العالمي، وأنكم لا تعرفون؟) حين أعلنت إسرائيل صباح ٥ حزيران/يونيو أن الجيش المصري يهاجم إسرائيل كانت القوة الجوية الإسرائيلية قد دمرت أصلاً القوة الجوية المصرية وهي على الأرض، ولم تكن وحدة واحدة من الجيش المصري قد تحركت بوصة واحدة. مع هذا كان الرأي العام يعتقد لعدة أيام أن مصر هي التي بدأت الحرب».

القول الأول ورد في الجريدة المستقلة المتحررة التي تصدر في إسرائيل وهي «هذا العالم»، والثاني كتبه أحمد بهاء الدين، رئيس تحرير مجلة المصور القاهرية، وكلاهما يكشف ليس فقط عن التحيز في وسائل الاعلام عند النشر عن نزاع الشرق الأوسط وعن العرب بل يكشف كذلك عن نجاح إسرائيل واللوبي التابع لها في الغرب في نشر وجهة نظرها بعد تأسيسها سنة ١٩٤٨. إن أهمية وسائل الإعلام الأمريكية في تكوين الرأي العام في الولايات المتحدة وتوابعها من الدول الأوروبية الغربية لا يحتاج إلى تأكيد. إن الأمور السياسية والعسكرية غالباً ما تهيمن عليها واشنطن، لذا، ومع أن الفرد البريطاني قد لا يقرأ أبداً مجلة تايم (مثلاً) أو غيرها من المجلات والجرائد الأمريكية، فإن تأثير وسائل الإعلام الأمريكية يمكن أن يلاحظ في

تكوين الأفكار السياسية والاجتماعية بصورة غير مباشرة، وكذلك في تكوين السياسة العملية لأوروبا الغربية، حتى وإن خضعت للتحوير والتعديل بفعل خبرة أوروبا وتاريخها[1]. والواقع أن الجرائد والمجلات الأمريكية قد نظرت إلى الشرق الأوسط، إلى حدٍ ما، بمنظور إسرائيلي، كما كان النشر كماً ونوعاً بصالح إسرائيل وضد العرب، وهذا ما سنبيّنه في القسم التالي.

إن عدم التوازن في تغطية وسائل الإعلام للشؤون العربية أمر واضح من نواحٍ عديدة لعل أبرزها انحياز الصحافة في قبول Terminology المصطلحات الإسرائيلية عن النزاع واستخدامها. فمثلاً أصبحت حرب حزيران/يونيو تدعى «حرب الأيام الستة» وحرب أكتوبر «حرب يوم كيبور» والفدائيون الفلسطينيون «إرهابيين عرباً» والأراضي العربية المحتلة «أراضي مفتوحة أو محررة» والضفة الغربية «يهودا و السامرة» والعرب «إرهابيين» والإسرائيليون «فدائيين»[2].

إلى جانب هذه الوسيلة اللغوية الفعالة جداً في التأثير على الرأي العام، نجد التحيز والتشويه في الجرائد والمجلات مضللاً (Perversive) وقد قام مايكل سليمان[3] بدراسة تقويمية للتغطية الإخبارية في سبع مجلات إخبارية أمريكية للفترة تموز/يوليو- كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٦، وهي يو. إس. نيوز أند ورلد ربورت، نيوزويك، تايم، لايف، ذي نيشن، نيو ريببلك و ملحق النيويورك تايمز، فوجد تحيزاً وسوء عرض فيما يتعلق بالعرب. ووجد هذا الباحث أن مجلة يو. إس. نيوز قد ركزت بين المجلات المذكورة على النمط البدوي من الحياة في الوطن العربي، تليها في ذلك نيوزويك وتايم و نيويورك تايمز و نيشن، في حين لم يرد هذا في نيو ريببلك. كما وجد أيضاً أن السمات المنسوبة للعرب بشأن عدم الأمانة وعدم التعويل (Unreliability)، أعلى في يو. إس. نيوز منها في المجلات الأخرى. وقد جرى تصوير العرب كذلك بصفتهم غير ديمقراطيين وغير متحضرين وذوي مستوى معيشة متدنٍ. والذي يثير الاهتمام في النتائج التي توصل إليها سليمان هو الانعدام المطلق لذكر رغبة العرب في الأرض والسلام في جميع تلك المجلات. كما أن إنجازات العرب يقلَّل من شأنها، بل

---

(١) انظر: Jeremy Tunstall: *The Media Are American: Anglo-American Media in the World* (London: Constable, 1977), and «The Media Are (Still) American,» in: L.E. Atwood [et al.], eds., *International Perspective on News* (Carbondale, Ill.: Southern Illinois University Press, 1982).

(٢) انظر: Edmund Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media* (Washington, D.C.: Institute of Middle Eastern and North African Affairs, 1977).

(٣) وأهمية هذا الأستاذ كبيرة بصفته مراقباً لتغطية وسائل الاعلام الامريكية للوطن العربي. لقد كان لمدة تنوف على عقدين من السنين أكثر الباحثين اطراداً في هذا المضمار. لذا فقد اعتمدت أطروحتي هذه على كتاباته الى حد ما.

ويجري تجاهلها. أما بصدد المواقف إزاء الزعماء العرب فقد كانت هذه المجلات مناهضة لهم ولا سيما يو. إس. نيوز ونيوزويك، ومناصرة لزعماء إسرائيل[4]. وكما أيّد إم. إي. بطروخة[5] (١٩٦١) نتائج سليمان بشأن الموقف التحبيذي الذي اتخذته نيويورك تايمز من إسرائيل في حرب ١٩٥٦.

واستمر هذا التحيز يلحّ في البقاء حتى بعد تلك الفترة. فقد اتبع مايكل سليمان الطريقة ذاتها التي اتبعها في دراسته الأولى في تحليل المضمون، وقام بتحليل التغطية في المجلات الأمريكية ذاتها من آذار/مارس إلى حزيران/يونيو حتى حرب ١٩٦٧، ومن تشرين الأول/أكتوبر إلى تشرين الثاني/نوفمبر عن حرب ١٩٧٣. وذلك لكي يتلمس التغيير في موقف وتغطية الصحف منذ غزو مصر في ١٩٥٦. وجاءت النتائج العامة لهذه الدراسة على شكل لا يختلف كثيراً عن الدراسة السابقة، رغم وجود تحسن طفيف واتجاه التغطية الإخبارية نحو التوازن في حالة حرب ١٩٧٣[6].

وكانت الافتتاحيات[7] في جميع تلك المجلات، كما يقول سليمان، مناهضة للعرب ولا سيما لعبد الناصر باستثناء تايم و نيشن، ومناصرة لإسرائيل في فترة حرب ١٩٦٧. لقد نظروا إلى عبد الناصر بصفته السبب في جميع المشاكل، وأكدوا كل التأكيد على «مواقفه الدكتاتورية» و «صلاته» بالشيوعية؛ وجعلوه كذلك رمزاً يجسّد (Epitomised) كل ما هو طالح وبغيض. وهناك فيما يبدو تردد من جانب المجلات الأمريكية في انتقاد إسرائيل، حتى في أعمدة الافتتاحيات أو غيرها من المقالات الرئيسية. يقول سليمان: «نادراً ما رأيت توبيخاً لإسرائيل أو للإسرائيليين دون أن يصحبه تبرير له»[8]. ثم يمضي فيقول عما توصل إليه: «إن وجهة النظر العربية لا تبسط إلا أحياناً، وإنها لتبدو حتى عند بسطها غريبة وغير مقنعة لقارىء تشرّب بالموقف المناصر لإسرائيل».

ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن هذه المجلات قد كررت ما قاله المستشرقون عن

---

(٤) انظر: Michael W. Suleiman, «An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News-Magazines, July-December 1956,» (M.A. Thesis, University of Wisconsin, Madison, 1961).

(٥) Mohammed Ezzedin Batroukha, «The Editorial Attitudes of the New York Times and the Christian Science Monitor toward the Arab-Israeli Dispute (January 1, 1955-June 30, 1956): A Content Analysis Study,» (Ph. D. Dissertation, Syracuse University, N.Y., 1961).

(٦) Michael W. Suleiman: «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 3, no. 3 (Spring 1974); «Perceptions of the Middle East in American Newsmagazines,» in: Baha Abu-Laban and Faith T. Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities,* AAUG Monograph Series, no.5 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975), and «American Mass Media and the June War,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective,* forword by Malcolm H. Kerr (Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970).

(٧) انظر: Harold R. Piety, «Zionist Bias on American Editorial Pages,» in: Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.*

(٨) Suleiman, «American Mass Media and the June War,» p. 139.

العرب والشيوعية: «يستخدم أحياناً تكتيك معين للحطّ من وجهة النظر العربية حتى عند بسطها، وذلك مثلاً بجعل الشيوعيين يتكلمون باسم العرب»[9].

وأكثر الصور شيوعاً وانتشاراً عن العرب في هذه المجلات هي عدم الوحدة، والبداوة، وعدم الأمانة، وعدم التعديل، والجبن، والإرهاب، وعدم الكفاءة. وعلى الضد من ذلك، جرى تصوير الاسرائيليين في فترة حرب ١٩٦٧ بصفتهم أكفاء وبطوليين ويعتمدون على أنفسهم[10]. ثم ان التحيز ضد العرب في الجرائد والمجلات موجود في استخدام ألفاظ مشحونة أو تقويمية، في عناوين مضللة أو عاطفية، في حجم الحروف «المختارة بعناية» للعناوين الرئيسية أو الثانوية، في المقالات الناقصة و/أو المغلوطة، وكذلك في مكان وضع المقالات[11].

كذلك يظهر التحيّز وعدم التوازن، في التغطية الإخبارية بمقدار الحيز الذي

---

(٩) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(١٠) انظر: Suleiman: «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict,» and «Perceptions of the Middle East in American Newsmagazines».

(١١) J.M. Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-1974,» *Journalism Quarterly*, no. 55 (Winter 1978), pp. 732-799; L. Farmer, «All We Know Is What We Read in the Papers: A Study of U.S. Press Coverage of the Middle East Crisis,» *Middle East Newsletter*, vol. 2, no. 2 (February 1968), pp. 1-5, and Alan Jay Zaremba, «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict as Represented through World Newspapers: An International Communication Study,» (Ph. D. Dissertation, State University of New York, 1977).

في رسالة نشرتها الكريستيان ساينس مونيتر في ٩ تموز/ يوليو، ١٩٧٤، أبدت آنا باترسون هذه الملاحظة الساخرة بشأن التحيز ضد الفلسطينيين: «ما هو السبب حين يرتكب أفراد فلسطينيون قتلاً فتسميه وسائل الاعلام الاخبارية (مجزرة) أو (مذبحة)، أما حين تقتل الحكومة الاسرائيلية أو تقصف بالقنابل فإنها تسمي ذلك (ثأراً) أو (انتقاماً) أو تقول إنه امر (مفهوم)؟ لماذا ليست مذبحة عندما تسقط الحكومة الاسرائيلية طائرة ركاب ليبية فتقتل ١٠٨ من الأبرياء؟ وهل هو امر (مفهوم) حين تقصف الحكومة الاسرائيلية مخيمات اللاجئين الفلسطينيين أو عمارات السكن اللبنانية فتقتل الرجال والنساء والأطفال؟ أليست هي مذبحة حين تقصف الحكومة الاسرائيلية بيوت الفلسطينيين ـ إذا كان للمرء أن يسمي الخيام ومساكن الصفيح بيوتاً ـ وانه لأمر مدهش أن (تفهم) وسائل الاعلام هذه الأفعال في حين أن الدكتور إسرائيل شاهاك، وهو مواطن إسرائيلي يترأس «العصبة الاسرائيلية لحقوق الانسان الانسانية والثقافية»، يشهد يوم الرابع من نيسان/ ابريل أمام لجنة للكونغرس فيقول إنه لا يستطيع أن يفهم سياسة حكومته في قصف الأهداف المدنية وطرد العرب من بيوتهم ونسف منازلهم من دون سبب. كما أن الدكتور شاهاك لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن للحكومة «أن تكون مع حق اليهود السوفيات في المجيء الى حيفا وتكون ضد حق الفلسطينيين في العودة اليها». وأخيراً كيف لا يستطيع الناس أن يفهموا أن الفلسطينيين يريدون ما يريده كل أمريكي وكل فرد في العالم، السلام والحق بالعيش في مواطنهم متمتعين بالحقوق الديمقراطية؟ أليس من المفهوم أن لو سلب أحدهم بيتك وحقوقك فإنك ستريد استرجاعها، ولو بعد ٢٥ أو ٥٠ سنة؟» كما ورد في:

Abu-Laman and Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Readities*.

يعطى لإسرائيل وأبنائها في مقابل الحيّز الضئيل لكل البلدان العربية[١٢]. يقول غريب: «إن الصحافة على العموم تنظر إلى الإسرائيليين على أنهم الأناس الطيبون، وإلى العرب على أنهم الأناس السيئون»[١٣]. وقد توصلت بلقاوي، إلى هذه النتيجة ذاتها كذلك، فقد وجدت أن العرب في فترة حرب ١٩٦٧ كانوا يصورون بصفتهم تهديديين واعتدائيين في تبليغهم رسالتهم إلى العالم، على عكس الإسرائيليين الذين هم «في أكثر احتمال يخبرون أو يقولون أو يعلنون أكثر مما يهددون أو ينذرون»[١٤].

إن الجرائد والمجلات تميل على العموم إلى النظر إلى إسرائيل كامتداد للحضارة والثقافة الغربيتين. ويضرب غريب مثلاً يأخذه من مجلة تايم في افتتاحية لها سنة ١٩٧٠ تصف فيها إسرائيل فتقول:

«إن إسرائيل قوة ديمقراطية، عصرية، ومدعاة استقرار في هذه الزاوية الفوضوية والمتخلفة تخلفاً قاسياً من زوايا العالم. لقد خلق الإسرائيليون أمة وأزهروا الصحراء. وبهذا كسبوا الحق بوجود قومي وزيادة. وإسرائيل تحتاج إلى مساعدة الولايات المتحدة لتبقى، فإذا كان لإسرائيل يوماً ما أن تسقط فسيلحق هذا ضرراً بمصالح الولايات المتحدة»[١٥].

وحتى لو سلمنا جدلاً بهذه المقولة في «تخلف العرب» و«تقدم» الإسرائيليين، فهل يبرر هذا استعمار إسرائيل لمنطقة ما على حساب تلك «الزاوية المتخلفة تخلفاً قاسياً من زوايا العالم»؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنه إذاً يضاهي أخلاقية ومنطق المقولة المنادية «برسالة الرجل الأبيض» وبالاستعمار الغربي للأفارقة «البربريين».

والمسألة الأخرى التي قبلتها المجلات والجرائد هي الرواية الإسرائيلية الخاصة

---

(١٢) Edmund Ghareeb, «Arab Stereotyping in the American Media,» in: International Press Seminar, 1979, *The Arab Image in the Western Mass Media* (London: Morris International, 1980).

(١٣) قال الشيخ جيمس ابو رزق «ربما كانت أهم كذبة يفتريها الدعائيون الاسرائيليون هي الزعم بأن تأسيس إسرائيل له ما يبرره لأنها الوطن الأصلي لليهود. وحتى لو قبل المرء كلياً هذا الكلام فإنه تفسير مشكوك فيه جداً لقوانين الملكية لم أسمع بمثله أبداً». بالإضافة الى هذا، قام آرثر كوستلر في كتابه المعنون القبيلة الثالثة عشرة بتوثيق البينات حول الموضوع وهو يحاجج في كتابه هذا بأن اليهود الاوروبيين، الذين يهيمنون على إسرائيل وحكومتها، هم أبناء عشيرة الخزر وأصلها تركي، وأن صلتهم الوحيدة بفلسطين هي اتخاذهم لليهودية ديناً لهم. ويبدو أن المطالبة بفلسطين منذ ألفي سنة من قبل المطالبين بالعودة إليها، هي فيما يظهر من دون أساس، وهذه حقيقة تبطل أية حجة خلقية قدمها المثقفون الصهاينة كتبرير لاخراج الفلسطينيين من ديارهم. كما ورد في:

Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media*, pp. vi-vii.

وللاطلاع على توثيق جيد لأصل اليهود، انظر:

Arthur Koestler, *The Thirteen Tribe: The Khazar Empire and its Heritage* (London: Hutchinson, 1976), and Uri Davis, *Israel: Utopia Incorporated: A Study of Class, State and Corporate Kin Control* (London: Zed Press, 1977).

(١٤) Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-1974,» p. 736.

(١٥) Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media*, p. 64.

باللاجئين الفلسطينيين. إن كثيراً منها لم يقتصر على استبدال اللاجئين الفلسطينيين باللاجئين العرب، بل كررت كذلك «الأسطورة» الإسرائيلية الخاصة بمغادرتهم، وهي «أسطورة» تقول بأنهم تركوا ديارهم بمحض إرادتهم و/أو بتحريض من الزعماء العرب(١٦). فضلاً عن ذلك، فإن عرض النزاع في المجلات والجرائد باعتباره نزاعاً عربياً ـ يهودياً أو إسلامياً ـ يهودياً هو تصوير آخر محزن وغير واقعي، يراد منه إخفاء طبيعة النزاع.

لقد اتضح مثل هذا التشويه كذلك في دراسة أخرى قام بها د. علي زغل من جامعة يوتا. فقد وجد أن الزخم في الجرائد التي درسها لم يقتصر فقط على الاتجاه ضد عبد الناصر والعرب بقدر ما كان يرمي إلى تشويه أسباب وطبيعة النزاع. يقول زغل مشيراً إلى حرب ١٩٦٧:

«لقد صورت الحرب بشكل مغلوط على أنها نزاع عربي ـ يهودي أو يهودي ـ إسلامي، كما جرى إظهار إسرائيل على أنها داود الصغير يقاتل ضد طالوت (Goliath) الكبير».

صُوّرت إسرائيل كذلك على أنها «واحة الديمقراطية التي جعلت صحراء فلسطين غير المأهولة تزهر» (١٧).

على أنه كان هناك قبل حرب ١٩٧٣ ميل في الصحافة لتصوير العرب، والذين يشبهون بهم كفرس من قبيل الخلط، على أنهم «متخلفون»، «متعصبون»، «شبقون»، «كسالى»، و«إرهابيون متعطشون للدماء» ـ وهي صورة طبقت كذلك على الفلسطينيين وبخاصة بعد ظهور حركة الفدائيين الفلسطينيين في الستينات. ولكن حرب ١٩٧٣ وضعت بداية لاتجاهٍ نحو توازنٍ ما في التغطية الإخبارية ولتحسنٍ نسبي في تناولها للعرب، بالقياس إلى التغطية في الخمسينات والستينات ـ هذا فيما عدا

---

(١٦) Suleiman, «American Mass Media and the June War».

(١٧) كما ورد في: Ghareeb, ed., Ibid., pp. 22-23.

انظر أيضا: Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-1974».

للاطلاع على تفنيد للمزاعم الصهيونية «بجعل الصحراء تزهر»، انظر:

Alan George, «Making the Desert Bloom: A Myth Examined,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 2 (Winter 1979), pp. 88-100.

وقد علق ألفرد ليلينثال، الباحث والمؤرخ اليهودي، على نجاح التضليل الصهيوني في الولايات المتحدة على النحو الآتي: «من المشكوك فيه ان الصهيونية كانت ستنجح في الولايات المتحدة لو كان الرأي العام قد أُطلع بشكل وافٍ وغير متحيز. ولكن بدلاً من ذلك أُظهرت الصهيونية كقوة من قوى التقدم والتحرير في العالم العربي المتخلف. كان العرب ينظر اليهم في إطار الاهرام والجمال والراقصات وربما النفط». انظر:

Ghareeb, ed., Ibid., p. 16.

ان تحليل ليلينثال لأسباب نجاح الصهاينة في الولايات المتحدة يبدو مشابهاً كذلك للأسباب التي استخدموها في بريطانيا كما سيوضح الفصل القادم.

نيويورك تايمز التي واصلت تناولها للعرب كمعتدين[18].

ومن المفارقات أن العامل المساعد في تحسن الصورة جاء من الإنجازات العسكرية والسياسية والاقتصادية لحرب تشرين الأول/أكتوبر والحصار النفطي. والواقع أن حرب ١٩٧٣ كانت مفاجأة للغرب لأنها كادت تبدو الافتراض الثابت (Well-established) عن العرب. ولم يتغير العديد من «الأساطير» و«الأوهام» في الواقع إلا بعد أن اتضحت جسامة الإصابات الإسرائيلية واتضح عدم احتمال حدوث نصر إسرائيلي حاسم[19]. بعبارة أخرى، إن «الأسطورة» الإسرائيلية الرائجة جداً عن أن إسرائيل «لا تقهر» (Invincible) و«الاسطورة» الأخرى عن «عجز» العرب (Helplessness) قد زعزعتا وانكشف عدم صحتها[20]. قال ادوارد سعيد في تعليقه على هذه الأساطير وكيف زعزعتها حرب ١٩٧٣ ما يلي:

«كانت حرب أكتوبر مفاجأة بالنسبة لهذه الأسطورة لا لأن العرب، قد قاتلوا جيداً بل لأن العرب لم يفترض فيهم أن يقاتلوا أبداً. لذا بدت الحرب وكأنها انحراف يخرج عن الصدد ونقض للمنطق الثابت»[21].

وفي دراسة د. مايكل سليمان في التغطية الواردة في العينة الأصلية للمجلات الإخبارية، والتي أعيد تحليلها بعد حرب ١٩٧٣ أخذ هذا الباحث بوجهة النظر ذاتها عن التغيير الذي أحدثته الحرب:

«لعل أهم نتيجة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ بين إسرائيل والأقطار العربية المجاورة لها كانت «تبديد الأوهام» [أو الأساطير] التي بنيت عليها افتراضات إسرائيلية وغربية معينة»[22].

وقد انقطعت الصحافة نسبياً عن عادتها في أن تقرن العرب بشعب متخلف وبدوي ذي مستوى متدنٍ في التعليم ومستوى كئيب في المعيشة. والواقع أن المجلات التي راجعها سليمان بدأت، باستثناء **نيشن** و**نيو ريببلك**، تُظهر بعد الحرب:

«اهتماماً بوجهة النظر العربية وتحمساً نحوها. فقد كتب عما حققه العرب في ساحة المعركة

---

(١٨) انظر: Zaremba, «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict as Represented through World Newspapers».

(١٩) Ghareeb, «Arab Stereotyping in the American Media».

(٢٠) للاطلاع على بحث في تغير القوالب الذهنية عن الألمان واليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية، انظر: N.R. Cauthen [et al.], «Stereotypes: A Review of the Literature, 1926-1968,» *Journal of Sociology*, no. 84 (1971).

(٢١) Edward Said, «Shattered Myths,» in: Nasser H. Aruri, ed., *Middle East Crucible: Studies on the Arab-Israeli War of October 1973*, AAUG Monograph Series , no. 6 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975), p. 84.

(٢٢) Suleiman, «Perceptions of the Middle East in American Newsmagazines,» p. 28.

بصورة وافية. والأهم من هذا أن العمل العربي أو الآراء العربية جرى تبريرها أو وضعها في موضعها الصحيح، أو تفسيرها بصورة كافية»[٢٣].

كما تبدّى التحسن، الطارىء على ما تنشره المجلات الإخبارية الأمريكية عن الشرق الأوسط في تقليلها من الإدانة للزعماء العرب. فبالضد من التغطية عن عبد الناصر في ١٩٦٧، والذي كان يؤاخذ على جميع «المشاكل» في الشرق الأوسط، تجنب خلفه السادات فيما يظهر عداوة الصحافة الغربية، لا سيما في أعمدة الرأي في تلك المجلات. كذلك ترى بلقاوي حدوث تحول مهم في لهجة المقالات عن الشرق الأوسط وذلك في أعقاب تلك الحرب. ولم تعد «صحافة المكانة» (Prestige press) الأمريكية، على حد تعبيرها، تصور الإسرائيليين على أنهم «الأبطال» والعرب على أنهم «الأوغاد». والواقع أن «الإسرائيليين صاروا يوصفون بصورة متزايدة بأنهم غاضبون، متزعجون، قلقون، ومكتئبون»[٢٤]، في حين كانت هناك «تحولات ملموسة» (Discernible shifts)في صور العرب، ولا سيما في صورة السادات: «ومع أن صورة أنور السادات لم تكن تخلو كلياً من جانب سلبي... ولكنه صوّر بطريقة أكثر تعاطفاً في ١٩٧٣ مما صوّر بها عبد الناصر في ١٩٦٧»[٢٥].

بيد أنه لم يكن هناك تحول في تغطية الشرق الأوسط، بل مجرد تغيير في مواضع التشديد. فالصحف الأمريكية لم تتوقف أبداً عن انتقاد أو إدانة البلدان العربية، وامتداح إسرائيل. وبينما استمر اعتبار انتقاد إسرائيل محرماً (Taboo)، حدث، كما تدل نتائج سليمان، انخفاض مؤكد ومهم في الموقف المؤيد لإسرائيل في سنة ١٩٧٣ عما كان عليه في ١٩٦٧، باستثناء ما نشرته مجلة نيشن. على أن هذا لا يعني أن التآكل في التحيّز إلى جانب إسرائيل قد أدى إلى كسب لصالح العرب، ولكن، وبسبب «الأساطير» الثابتة عن طبيعة نزاع الشرق الأوسط التي تظهر في الصحافة، فإن هذا التآكل يمكن اعتباره توازناً ملموساً (Perceptible balance) في التغطية الصحفية للشرق الأوسط.

ويتضح التوازن في التغطية في الدراسة لتحليل المضمون التي قامت بها جانيس تيري والتي شملت بعض الصحف الغربية خلال فترة أربعة أشهر قبل حرب ١٩٧٣، وشهر الحرب نفسه، وأربعة أشهر بعد الحرب، وتلك الصحف هي واشنطن بوست ونيويورك تايمز ودترويت فري برس كممثلة للجرائد الأمريكية، و التايمز اللندنية و اللوموند الفرنسية باعتبارهما من الجرائد الأوروبية الرئيسية. تقول تيري:

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٢٤) Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-1974,» p. 737.

(٢٥) Suleiman, Ibid., p. 73.

«ليس غريباً أن التغطية الصحفية كانت في ذروتها خلال حرب أكتوبر، وأنها أحياناً كانت تعادل، أو تفوق، التغطية الكاملة في الأشهر الأربعة التي سبقت اندلاع الأعمال العدائية. أما في الأشهر الأربعة التي تلت الحرب فقد ظل حجم التغطية أعلى بما لا يقل عن ١٠ إلى ٢٠ بالمائة مما كان عليه في الفترة التي سبقت أكتوبر»[٢٦].

هذه التغطية بالنسبة إلى تيري هي علامة على اهتمام متواصل بأنباء الشرق الأوسط. وقد وجدت كذلك أن التغطية الكاملة في الجرائد الخمس كانت بعد الحرب:

«أكثر من ضعف حجمها في الأشهر التي سبقت الحرب. أما التوزيع فيما بين المقالات الإخبارية والمقالات الرئيسية والافتتاحيات والكاريكاتور فقد ظلت نسبته مطردة مما يدل على زيادة في التغطية في كافة أنواع المقالات»[٢٧].

وأبرز تغيير في التغطية هو الحصار النفطي (Oil embargo) وظهور الفلسطينيين ككيان منفصل في بحث شؤون الشرق الأوسط. كان الحصار النفطي، خلال الحرب وبعدها، بنداً إخبارياً رئيسياً. وقد وجدت تيري زيادة كمية في عدد المقالات المنشورة بعد الحرب بشأن الحصار النفطي وقضية الفلسطينيين[٢٨].

بيد أنه يبدو، على الرغم من هذه التغطية، أن تغييراً مهماً لم يحدث في المواقف إزاء العرب في افتتاحيات الجرائد الأمريكية الثلاث. على العكس، فدراسة تيري تكشف عن تحيز لصالح اسرائيل وضد العرب بصورة مطردة في الجرائد الثلاث قيد الدراسة؛ ويتضح هذا التحيز على الأخص في «الافتتاحيات وفي المقالات الرئيسية بدرجة أقل. من المهم كذلك ملاحظة أن الكثير من التحيز هو بطبيعته ضد العرب بشكل صرف»[٢٩]. وجاء الحكم الآخر بوجود تحيز لصالح إسرائيل من تشارلز واغنر[٣٠] الذي وجد، في مراجعته للافتتاحيات في جرائد أمريكية رئيسية (هي نيويورك تايمز ولوس أنجلز تايمز وواشنطن بوست) من نهاية حرب ١٩٦٧ لغاية ١٩٦٩، وجد صورة محبذة لإسرائيل وأخرى سلبية عن العرب.

لا يقتصر التحيّز ضد العرب على الجرائد القومية (National Newspapers)

---

(٢٦) J.J. Terry, «The Western Press and the October War: A Content Analysis,» in: Abu-Laban and Zeadey, eds., *Arabs in America: Myths and Realities*, p. 8.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٨.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) انظر: المصدر نفسه، ص ٨.

(٣٠) C.H. Wagner, «Elite American Newspaper Opinion and the Middle East: Commitment Versus Isolation,» in: Willard A. Beling, ed., *The Middle East: Quest for an American Policy* (Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1973).

(أي الجرائد الكبرى التي توزع في أرجاء البلاد)، بل يتضح كذلك في الصحف الأمريكية الاقليمية (Regional Press). يقول بادلفورد، إن محرري الصحف الاقليمية وافتتاحياتها يعتمدون كثيراً على الجرائد القومية ولا سيما نيويورك تايمز وشيكاغو تربيون عند الكتابة عن الشرق الأوسط والعرب، لذلك فإنهم غالباً ما يكونون مناصرين لاسرائيل ومناهضين للعرب. وجد بادلفورد في أطروحة دكتوراه شعوراً قوياً سائداً ضد العرب وتغرضاً نحوهم في جميع أبواب الجرائد الاقليمية (تقريباً) التي درسها. وهو يقول إن جميع مؤشرات الرأي في الجرائد الاقليمية الأمريكية تؤكد التأييد الكبير لاسرائيل فيها:

«يسري الرأي المناصر لاسرائيل والمناهض للعرب في الافتتاحيات والأعمدة والكاريكاتور السياسي والرسائل الموجهة للمحرر ومراجعة الكتب... ان كتّاب الأعمدة ورسّامي الكاريكاتور السياسي معاً هم مع اسرائيل وضد العرب بشكل غير متناسب، وبدرجة أكبر مما هي الحال في الافتتاحيات. ويبدو أن محرري الجرائد يقومون بجهدٍ واعٍ لتسلم، أو نشر، رسائل موجهة للمحرر تمثل وجهة نظر مؤيدة للعرب، ولكن لم يرد من هذه الرسائل سوى القليل جداً، وحين تظهر رسالة كهذه في حالات نادرة يعقبها فوراً حشد من الرسائل المؤيدة لاسرائيل تفندها وتتحداها»[٣١].

يقول بادلفورد إن التعاطف والتأييد في أعمدة الرأي في الصحف الاقليمية الأمريكية لإسرائيل هو:

«نتيجة لتأييد الحكومة الأمريكية الرسمي لاسرائيل والمساندة التي يبديها الحزبان السياسيان لها، والمصحوبة بحملة علاقات عامة واسعة النطاق تشنها الحكومة الاسرائيلية... إن نزعات التحرير الصحفي المناصرة جداً لاسرائيل ليست غريبة، شأنها في ذلك شأن ما ينشر من أخبار محلية»[٣٢].

إن الأسباب المختلفة، التاريخية والاجتماعية والسياسية، لمثل هذا التأييد لدى المحررين هي أسباب معقدة: وتتراوح بين الشعور بالذنب عن الهتلرية الذي لا يزال

---

(٣١) E.A. Padelford, «The Regional American Press: An Analysis of its Reporting and Commentary on the Arab-Israeli Situation,» (Ph. D. Dissertation, American university, Washington, 1979), pp. 327-328, and Piety, «Zionist Bias on American Editorial Pages».

(٣٢) Padelford, Ibid., p. 330.

للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن أسباب التحيز لصالح اسرائيل في وسائل الاعلام، انظر مثلاً:

Michael Adams, «European Media and the Arabs,» in: Abdeen Jabara and Janice Terry, eds., *The Arab World from Nationalism to Revolution,* with a forword by Ibrahim Abu-Lughod, AAUG Monograph Series, no. 3 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971), pp. 86-114; Emile A. Nakhleh, «Zionism and the United States Foreign Policy,» in: Ibid., pp. 150-162; Piety, «Zionist Bias on American Editorial Pages»; Padelford, «The Regional American Press: An Analysis of its Reporting and Commentary on the Arab-Israeli Situation,» and Michael Adams and Christopher Mayhew, *Publish It Not: The Middle East Cover Up* (London: Longman, 1975).

باقياً في الغرب، والأفكار غير المحددة غالباً عن الديمقراطية، والنزاع العالمي السياسي والاقتصادي مع الاتحاد السوفياتي بشأن مناطق النفوذ، والاعتبارات المحلية الخاصة بالسكان اليهود في الولايات المتحدة.

ثانياً: صورة العرب في الكارتون (الكاريكاتور)

ثمة شحّ في بريطانيا في ما ظهر من تحليل لما يقدمه الكاريكاتور عن الوطن العربي؛ وليس هناك ما يضاهي كتاب جي. دمون عن تحليل ما ظهر في جرائد نيويورك تايمز وبوسطن غلوب وكريستشن ساينس مونيتر وسان فرنسسكو كرونكل[٣٣]. على أن المرء يمكنه أن يشاهد مواضيع معينة تنشر في الصحافة البريطانية، ولو أنه لا يمكن إجراء تقويم لما فيها من تضليل أو إقناع. ومع أنه يجوز القول إن بعض الصور القديمة عن العرب قد اختفت نسبياً من الصحف بعد ١٩٧٣ (أي صور الجبناء والمتخلفين) إلا أنه حل محلها فيما يظهر ترويج القوالب الذهنية العنصرية والمشينة في الكاريكاتور السياسي. فغالباً ما تعرض شخصية العربي في الكاريكاتور بسمات جثمانية (أي الشارب أو اللحية مع أنف مقوس) وعباءة مهفهفة وكوفية رأس، وتحمل هذه الشخصية أحياناً خنجراً، وهي تحمل الآن كلاشنكوف؛ وتكون حافية القدمين أو تحتذي خفاً في الصحراء ومن خلفها آبار النفط.

لقد شملت الدراسة المسحية التي قام بها جورج دمون للكاريكاتور السياسي الذي يتناول العرب والشرق الأوسط أربع مراحل شديدة التوتر في نزاع الشرق الأوسط: أيار/مايو - حزيران/يونيو ١٩٤٨، تشرين الثاني/ نوفمبر- كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦، تموز/يوليو ١٩٦٧، وتشرين الأول/اكتوبر - تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٣. وأظهرت الدراسة المسحية أن الرسوم ثبتت الاتجاه العدائي، العنصري ذاته ضد العرب وتشويه سمعتهم. كما هو الحال في الأبواب الصحفية الأخرى.

يفيد دمون أنه باستثناء رسامين اثنين في جريدة مونيتر هما كرماك (Carmack) ولو بلي (Le Pelli) واللذان لم يتخذا موقفاً، فإن أغلبية رسامي الكاريكاتور يميلون الى مهاجمة العرب، إما صراحة بالحط من مكانة زعمائهم، أو ضمناً. والصفات الرئيسية المنسوبة للعرب التي تتخلل الرسوم هي الاعتدائية والعناد والسخف والارهاب. وإمكانية كون العرب من الشيوعيين كانت موضوعاً متواصلاً كذلك في الرسم الكاريكاتوري. وواضح أن مثل هذه الشخصيات العربية تعكس دوغما المستشرقين

---

(٣٣) G.H. Damon, «A Survey of the Political Cartoons Dealing with the Middle East,» in: Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.*

القدامى والجدد عن العرب. مثلاً: في حرب ١٩٥٦، وهي التي كان ينبغي أن تجلب على اسرائيل النقد لهجومها المفضوح على مصر، ولكن لم يوجه إليها القليل من اللوم؛ وفي الوقت ذاته صور ستة عشر رسماً كاريكاتورياً العرب وزعماءهم كمعتدين، عنيدين وشيوعيين[٣٤]. وبالنظر لتحالف المصالح الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية في مواصلة الحرب، فإنه يمكن العثور على مواضيع مشابهة مناهضة لعبدالناصر في الرسوم الكاريكاتورية البريطانية. ومع أن تعقيدات الجدل البريطاني حول السياسة العدوانية عرضت كذلك تصويرياً، كما جرى التشكيك بأخلاقية العملية، فإنه لم ينشر تصوير متعاطف مع مصر والوطن العربي.

وقد وقفت الجرائد كذلك موقف التأييد لإسرائيل والمعارضة للعرب بشكل واضح عن طريق الكاريكاتور في حرب ١٩٦٧. لقد ظهر رسم واحد ينتقد أبا ايبان لضم القدس بعد احتلالها في تلك الحرب، في حين ظهر ثلاثة عشر رسماً يهاجم عبدالناصر وثمانية عشر رسماً ترمز الى العرب «من خلال قوالب بصرية تثبت أسطورة ١٩٤٨»[٣٥]. ويشير دمون إلى أن هذا التشويه للصور يمكن إرجاعه الى حدٍ ما الى الطرق الفعالة التي يتّبعها اللوبي الصهيوني للتأثير على خيرة رسامي الكاريكاتور المشهورين في أمريكا (مثل هربلوك (Herblock) رسام الواشنطن بوست ومولدن (Mouldin) رسام الكرونكل وزيب (Zeep) رسام **بوسطن غلوب**)[٣٦]. على أنه بالنظر للالتزام السياسي من الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة بتأييد إسرائيل، باعتبارها بؤرة رئيسية للنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، وبالنظر لانتشار التشويه الاستشراقي في تصور الأمريكيين، فإن ما يشير إليه دمون هنا هو من تحصيل الحاصل.

مثلاً رسم هربلوك في ٥ حزيران/يونيو ١٩٦٧، بعنوان «اليوم، العالم ـ غداً، نحن» رسماً لثلاثة أشخاص يدخلون الأمم المتحدة:

«أولهم برداء أفريقي مدموغ بعبارة أزمة الحكم الذاتي في الأمم الجديدة، والثاني برداء عربي مدموغ بعبارة الدكتاتورية والاقطاع، والأخير ويكاد يكون مختفياً وهو مدموغ بعبارة انقلابات عسكرية»[٣٧].

وظهر رسم آخر بريشة هربلوك يصوّر عبدالناصر وزعماء عرباً آخرين تدعمهم

---

(٣٤) انظر: المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

روسيا، وقد أشهروا مسدساً على أنثى ممزقة الثياب تمثل السلام وقد وقفت خلف لوحة تقول «ابتعدوا عن الشرق الأوسط»؛ وهذا يثبت، بنظر دمون «أسطورة العرب باعتبارهم الشعب المعتدي والمتخلف الوحيد»[٣٨]. إن تصوير العرب بهذه الطريقة وإقرانهم بالأفارقة يعكس استمرارية الصورة القديمة التي ورثها الغرب من العصر الاستعماري.

كذلك أعطيت بعض الأساطير (مثل جعل الصحراء تزهر وعجز العرب وعدم نفعهم) اهتماماً كبيراً، واحتلت موضوعاً رئيسياً في رسوم كاريكاتورية لرسام مشهور آخر هو مودلن. وفي مضاهاته لرسوم هربلوك، بعث مودلن من اسرائيل رسماً كاريكاتورياً بعنوان «لا داعي لوضعكم لوحات لإعلامنا بحدودكم»، وفيه يُظهر الرسام «يهودياً أصولياً متزمتاً وهو يسقي أشجاراً نضرة، في حين جلس عربي بتشوهاته الخلقية حافي القدمين على صخرة، وبيده عظم وهو محاط بأرضٍ خراب»[٣٩]. ومغزى هذا الكاريكاتور واضح: إن العرب غير قادرين على زراعة الأرض التي تنتظر مجيء اليهود لتحويلها الى واحة.

هذا، وقد حافظ رسامو الكاريكاتور لفترة حرب ١٩٦٧ وما بعدها على الصورة القديمة الموروثة عن العرب بصفتهم متخلفين، برابرة، «كفاراً» وقتلة. ويعتبر أوليفانت، وهو مستقل النزعة، مثلاً جيداً نضربه لبلورة هذه الصور. ففي رسم كاريكاتوري نشر بتاريخ ١ أيلول/سبتمبر يصور لنا عربياً متعباً جداً في رداء بدوي رثّ وهو يحمل لوحة تقول: «أيها العرب الى الأمام؛ قاتلوا حتى الموت؛ أزيلوا إسرائيل من الوجود؛ دمّروا الكفار المعتدين!» ويجرّ من خلفه جملاً هزيلاً أرهقته الحرب موسوماً بكلمة مصر، وفي الزاوية طائر البطريق وعربي يهرب قائلاً: «إرجعوا جميعاً الى الواحة»، فيجيبه البطريق: «لقد احتلت»[٤٠].

الموضوع الآخر الذي يهيمن على الرسوم الكاريكاتورية منذ ١٩٦٧ موضوع العرب كإرهابيين. صور أوليفانت هذا الأمر في رسم ظهر سنة ١٩٧٢. يبيّن كيف يواصل العرب إيواء الارهابيين، ويظهر:

«رجلاً مفتول العضل على قبعة رأسه نجمة داود يسير نحو ثلاثة من الاعراب يقفون جنباً الى جنب بعباءاتهم؛ كل واحد منهم عليه اسم قطر عربي: مصر، لبنان، سوريا، ويختفي وراءهم رجل ضئيل بكوفية على رأسه حاملاً بندقية. وعلى هذا وسم (الإرهاب) وهو يقول للأعراب: (أوه، أوه.. أسرعوا، انظروا، بريء!) ويقول طائر البطريق: هل بقي أحد لم يقتنع؟».

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٤٠) كما ورد في: Ghareeb, «Arab Stereotyping in the American Media,» pp. 71-72.

ويمكن أن نجد موضوعاً مشابهاً في كارتون جاك (Jack) في جريدة لندن إيفننغ ستاندرد[41]. ثمة فوضوي/إرهابي يحمل قنبلة ومسدساً يسير متسللاً في بيكادلي وشرطيان بريطانيان يلاحظانه، فيقول أحدهما: «أوه، أظنه ملحقاً في إحدى السفارات العربية!» إن أية «واحدة» من هذه السفارات تكفي أن توضح ما يريد التعبير عنه هذا الرسام. والظاهر أن كرستشن ساينس مونيتر هي الجريدة الوحيدة في العيّنة الأمريكية التي تحجم عن تقديم وقائع مشوهة وقوالب ذهنية مشينة في رسومها الكاريكاتورية. بل على العكس، يتضح من تعليقات لو بلي عن اللاجئين الفلسطينيين وجود شيء من التعاطف والتفهم نحوهم؛ ففي رسم كاريكاتوري له بعنوان «القبيلة الضائعة» «يُظهر فتى وفتاة يقفان في أرضٍ خراب»[42].

كذلك شهدت حرب ١٩٧٣ هبوطاً في عدد الرسوم الكاريكاتورية المشينة في بعض المجلات الاخبارية. ولكن هذا لا يمكن أن يعتبر تحسناً في معاملة العرب بأي شكل من الأشكال؛ على العكس، فإن أكثرية المجلات (لا سيما الغلوب والكرونكل) استمرت في نشر بعض التصورات لما قبل حرب ١٩٧٣ وحاولت في الوقت عينه بنجاح أن تروج تصورات وقوالب ذهنية جديدة. وإحدى الصور القديمة التي عادت للظهور بشكل مستمر هي التي تمثل العرب كإرهابيين ينوون تدمير إسرائيل. فالرسام زيب في غلوب يعرض هذه الصورة كاشفاً عن تحيزه في كاريكاتور بعنوان «يجب علينا ألا نكون طرفاً في أي شيء يثير الصدمة بهذا الشكل في نفوسنا» وقد ظهر في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣، وفيه يُظهر الرسام «شرطياً وسم بكلمة الأمم المتحدة، وهو يراقب إرهابياً عربياً يضرب يهودياً عجوزاً يمثل إسرائيل»[43]. يقول دمون:

«لا بد أن المفارقة الخفية في هذا الرسم لم تخف عن السيد زيب، إذ ان دولة إسرائيل تدين بوجودها الى الإرهاب والضغط السياسي والابتزاز، مما أدى الى تصريح الأمم المتحدة في ١٩٤٨»[44].

أما فيما يتعلق بالصور الجديدة فإن ما تتطرق إليه الكاريكاتورات باستمرار، لا سيما بعد الحصار النفطي، هو الابتزاز (Blackmailing) و«الشيوخ الأثرياء» (wealthy sheikhs) و«الحريم» و«النفط». وغالباً ما تستخدم ألفاظ «العرب» و«النفط» و«الاويك» مرتبطةً الواحدة بالأخرى. لقد أتاح الحصار النفطي لكل رسام، كما يقول دمون، أن يعرض صورة العربي مكشّراً، وقد أمسك بالعالم رهينةً لقاء تلبية مطالبه[45]. والكاريكاتور الذي نشره هربلوك في الواشنطن بوست يعتبر نموذجياً في

(٤١) *London Evening Standard*, no. 6 (January 1978).
(٤٢) Damon, «A Survey of the Political Cartoons Dealing with the Middle East,» p. 159.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٦٠. انظر أيضاً:

=

هـذا الباب. فهـو يرسم عـربياً وسمـه بكلمة «أوبـك» يلعب لعبة من ألعـاب الورق (Black Jack) مع رجل جالس بملابسـه الداخليـة وسمه بجملة «الـولايات المتحـدة، بدون سياسة للطاقة»، وكل فيشات النقود مكدسة أمام العربي، وليس أمام الـولايات المتحدة سوى ثـلاث منها فقط؛ وإلى جـانب العربي مضرب خشبي كبـير؛ وعلى رأس الأمريكي ورم ضخم وهو يقول لأوبك الذي يوزع الورق «اضربني مرة أخرى»[٤٦].

وإضافة الى الابـتزاز فـإن صـورة «الحـريم» تـطغى كـذلـك عـلى الــرسـوم الكاريكاتورية. أظهر أوليفانت ذلك في جريـدة ستار(star)، فهو يرسم عـربياً وسمـه بكلمـة «أوبك»، يجلس عـلى الأرض ساقـاً على سـاق بكرشٍ كبـير، وأنف طويـل، مقوس، وعينين تموران بالجشع، وابتسامة شريرة؛ ومن خلفه «حريمه»، وهن مجموعـة من حوالى إحدى عشرة إمـرأة محجبة وسمهن بجملة «استـيراد النساء». والـرسم يبيّن ايضـاً «إحداهن وقـد جلست الى جنب طائـر البطريق وهي تقـول: «(أريد الـطلاق) فيجيبها البطريق: (هش!)»[٤٧].

يقول وليد خدوري، في دراسته: «النفط ووسائل الاعـلام الغربيـة» التي ألقاهـا في ندوة الصحافة الدولية المنعقدة في لنـدن سنة ١٩٧٩، إن وسـائل الاعـلام الغربيـة تحـاول ببراعـة أن تحطّ من شأن العـرب في نظر العـالم، وذلك باظـهارهم وزعـماءهم أوغـاداً مسؤولين عن الضيق والفـوضى وعن أزمة النفط. وقـد نشرت نيويـورك ديلي نيوز[٤٨]، كاريكـاتوراً يـروّج هذه الصـورة. هناك في الـرسم عربيـان يجلسان معـاً في الصحراء ليلاً وجمالهما من خلفهما، يقول أحدهما: «ألا ترى كم يطلبون الآن بسيارة لنكـولن مصفحـة؟ يا سـاتر!» فيجيبـه الأخـر: «نعم، وهـذا سبب آخر يـدعـونـا لـرفـع أسعـار النفط مـرة أخرى!»[٤٩].

والعرب يلامون دائماً على أزمة النفط. ويضرب وليد خدوري مثـلاً على ذلـك بتخفيض انتاج النفط الايراني في ١٩٧٩ وكيف ان العرب يلامـون على نقص الانتـاج على الرغم من زيـادة انتاجهم زيـادة لم يسبق لها مثيـل[٥٠]. جرى تـرويج فكـرة النفط

Walid Khadduri, «Oil and the Western News Media,» in: International Press Seminar, 1979, = *The Arab Image in the Western Mass Media.*

(٤٦) Ghareeb, «Arab Stereotyping in the American Media,» p. 71.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٤٨) *New York Daily News* (16 November 1976).

(٤٩) Ghareeb, Ibid., pp. 70-71.

(٥٠) Khadduri, «Oil and the Western News Media,» p. 54.

جرت العادة، مع بعض الاستثناءات، ان توصم افتتاحيات الصحف الأمريكية والمقالات الرئيسية حصـار النفط العربي بوصمـة «الابتزاز» دون أي محـاولة لفهم و/أو تفسـير سبب استعمال العـرب للنفط كسلاح. كتب وليـام راسبري معلقاً: «لماذا نسميها «دبلوماسية» حين تستعمل الولايات المتحدة مصادرهـا القوميـة كأداة للمنـاورة في =

كسلاح بيد العرب في أكثر الرسوم الكاريكاتورية في الجرائد الأمريكية بصورة مستمرة[٥١]. ورسوم هربلوك ومودلن ورايت هي امثلة جيدة لإظهار هذه الصورة المرغوبة (popular image). في هذه الرسوم الكاريكاتورية يصوِّر العرب، كما يقول خدوري، كدولة واحدة لها زعيم واحد وذات سياسة واحدة تتخذ موقفاً تفاوضياً، إزاء الموقف التفاوضي الأمريكي. بل إنهم يعرضون، كما يقول، «وهم يفعلون أفعالاً قبيحة بالنسر الأمريكي: ينتفون ريشه ويسحقونه حتى الموت»[٥٢].

وفي رسم آخر لأوليفانت في واشنطن بوست (١٩٧٨)، تظهر منظمة أوبك شخصاً كريهاً، شريراً، وجشعاً، ويضع الرسام كذلك شخصاً يرتدي بدلة افرنجية وبيده فانوس. ومن الفانوس يخرج عربي (بعينين جاحظتين مكشراً عن جميع أسنانه) يشهر سيفاً طويلاً. العربي يضرب بسيفه رأس الرجل فيقطعه. يقول الرجل «آخ!» فيقول طائر البطريق لرجل عربي «إنك لن تستطيع أن تفعل هذا الى الأبد، أليس كذلك؟»[٥٣].

ويجري عرض العرب بشكل سائد في الرسوم الكاريكاتورية، وهم بملابس بدائية وعليهم سمات الأوغاد الشريرين الكريهين والمنفرين، أما صورة الاسرائيليين فهي على العكس من هذا. فالاسرائيلي يصور دائماً وهو بملابس غربية وملامح غربية. وواضح أن هذا التصوير لا يعدو أن يكون استمراراً للمواقف العنصرية

= سياستها الخارجية ونسميها «ابتزازاً» حين يفعل العرب الشيء ذاته؟ إننا نسمع عن الحصار النفطي العربي، وهو يوصف هكذا دائماً وكحقيقة دامغة بحيث أخذنا ننظر الى صفة الابتزاز هذه كحقيقة لا تقبل الجدل. ولكن حين يعرض القمح الأمريكي أو التقنية الأمريكية أو حتى القوة العسكرية الأمريكية، أو تحجب، وذلك لكي تؤثر في المواقف الدبلوماسية لأقطار أخرى، فإن هذا يبدو وكأنه أحصف الأمور في الدنيا. فلماذا هذا التناقض؟ ألأن المسألة ببساطة هي ثور مَنْ هو المثخن بالجراح؟ أم هو الإحباط الناشيء عن المحنة الواضحة في وضع السياسة الأمريكية؟ كيف الوقوف بجانب اسرائيل ضد العرب دون إغضاب العرب؟» انظر:

Washington Post, 22/11/1973.

كما ورد في: Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media*, p. 17.

(٥١) من سخرية القدر أن الصهاينة كانوا أول من استعمل النفط كسلاح. فقد كان موشي دايان، في أوائل أيام انتمائه للمنظمة الارهابية الصهيونية، هاغاناه، أول من قاد عملية نَسْف فيها أنبوب النفط بين كركوك في العراق وحيفا في فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية لقطع إمدادات النفط عن قوات الحلفاء. كذلك فإن الجيش الاسرائيلي هو الذي نَسَف مصفاة النفط في حمص في سوريا ومصفاة النفط في الاسكندرية في مصر خلال الأيام الأولى من حرب ١٩٧٣. كما كانت الحكومة البريطانية وشركات النفط العالمية هي التي قاطعت النفط الايراني خلال حكومة مصدّق بسبب إجراءات التأميم.

(٥٢) Khadduri, Ibid., pp. 55-56.

(٥٣) Ghareeb, «Arab Stereotyping in the American Media,» p. 70.

الغربية نحو «الآخرين»[٥٤].

واجمالاً نقول إن هناك ابحاثاً دراسية كثيرة قد جرت في الولايات المتحدة لموضوع التغطية الصحفية للاسلام والعرب، ونزاعهم مع إسرائيل. كانت أكثرية الصحف مع إسرائيل باطراد، منذ تكوينها في ١٩٤٨. تميل الصحافة الى تصوير إسرائيل كدولة صغيرة شجاعة تقاتل عدواً عربياً يتفوق عليها بالعدد كثيراً. أما العرب، من جهة أخرى، فيصوّرون بطريقة تعكس القوالب الذهنية الاستشراقية الأولى. ويتضح هذا التوصيف (characterisation)لتراث المستشرقين عن العرب في أبواب صحفية مختلفة تشمل الافتاحيات والكاريكاتور والأنباء.

ويبدو أن إنجازات العرب العسكرية في حرب ١٩٧٣ والحصار النفطي يؤشران تغييراً في التوجهات التي سادت في الخمسينات والستينات، ونقطة انطلاق في التغطية الصحفية الغربية ومواقفها نحو العرب، ولو أن بعض الجرائد استمرت في عرض العرب كعدوانيين وابتزازيين وإرهابيين (وبخاصة الفلسطينيين).

والواقع أن الباحثين الذين عرضنا لهم في هذا الفصل والذي قبله، لم يذهبوا الى أكثر من اتهام «أثر وسائل الاعلام» وتشخيص التشوية والتحيز فيها.

مثل هذا القصور في تحليلاتهم كامن الى حدٍ ما في طبيعة منهجيتهم في تحليل المضمون بخاصة تصنيفها المبسط لفئات مع /ضد، سلبي/ إيجابي. إن هذا الشكل من تحليل المضمون واسع الانتشار في كثير من تحليل وسائل الاتصال في الولايات المتحدة. وأود أن أكرر هنا رأي إليوت وغولدنغ[٥٥]. الذي يرى بأن دراسات وسائل

---

(٥٤) يقول مايكل أدامز، محرر *Middle East International Journal*، وهو ذو خبرة طويلة كصحفي بريطاني في الشرق الأوسط، وأجرى محادثات كثيرة مع عدد من الناس في الغرب لمناقشة نزاع الشرق الأوسط، يقول إن التصوير الصحفي للعرب وعرضهم بصلتهم «الآخرين»، والإيمان بأن اليهود ينتمون «إلينا» نحن الغربيين، قد خلق حواجز نفسانية صلبة يصعب على العرب اختراقها لعرض آرائهم. وفي محادثة له مع قسيس تابع لكنيسة انكلترا عن نزاع الشرق الأوسط، يذكر أدامز الملاحظات الكاشفة الآتية التي تبين معنى حجة «نحن» و«هم»: «كنت بعد حرب ١٩٦٧ مباشرةً أتكلم مع قسيس شاب، ذكي، تابع لكنيسة انكلترا. وقد اعترف بأنه لا يعرف إلا القليل عن الجدل الدائر حول الشرق الأوسط فسألني أن أوضحه له. حاولت ذلك لمدة نصف ساعة تقريباً لكي أجعله يرى أن سبب المرارة التي يشعر بها العرب هي الظلم الذي وقع عليهم في فلسطين. فلما انتهيت قال إنني قد أخبرته بأشياء عديدة لم يكن، وبصراحة، مطلعاً عليها، ثم أدلى بملاحظة تكشف عن الكثير إذ قال: «تعرف، حين يفكر أناس مثلي بالشرق الأوسط يبدو لهم اليهود، نعم، مثلنا تماماً. أما العرب. . .» وهنا توقف بحثاً عن الطريقة الصحيحة للتعبير عن نفسه، ثم قال: «أما العرب فيبدون. . . شيئاً مختلفاً». (التشديد مضاف)، انظر: Adams, «European Media and the Arabs,» and Ghareeb. Ibid., p. 89.

(٥٥) P. Golding and P. Elliott, *Making the News* (London: Longman, 1979).

الاتصال الجماهيري هذه كانت بصورة غالبة (predominantly) قد نمت وتطورت بمعزل عن نظرية اعلامية خاصة بها في العلوم الاجتماعية، إذ ان اهتمامها الاساسي كان منصباً على تلك الأبحاث المعروفة باسم أبحاث السوق (market research) وما توليه تلك السوق من أولويات واهتمامات. ومع أن من الممكن اعتبار نتائج مثل هذه البحوث محدودة من ناحية الموضوعية والتعميم والصحة، إلا انه يمكننا الانتفاع من نتائجها بتردد وتحفظ، وذلك لأن الباحثين اقتصروا على دراسة التحيز والتشويه في ظاهر مضمون وسائل الاعلام.

وعند مقارنة البحوث التي أجريت على العرب في الصحافة الأمريكية مع تلك التي اجرتها عليهم الصحافة البريطانية، نجد كما سبق ان ذكرنا، عدداً قليلاً جداً من الدراسات الامبريقية، المنتظمة في هذا المجال. وإحدى هذه الدراسات القليلة ما قامت به جانيس تيري[٥٦] لدراسة جريدة التايمز كصحيفة بريطانية رئيسية ضمن دراستها العامة لجرائد أوروبية مختارة. تقول تيري إن التايمز قد حبذت وضع اسرائيل وذلك في افتتاحياتها عن حرب ١٩٧٣ وما اعقبها من نتائج. كان هناك في الوقت ذاته بعض الافتتاحيات الى جانب العرب، في حين كان هناك كما نقول «قلة، إن وجدت، في السنين التي سبقت ١٩٧٣»[٥٧]. ولقد كان أبرز تغيير في التغطية هو الحصار النفطي الذي أضحى ـ في رأيها ـ من الأنباء السائدة. فالتغطية، في اعمدة الرأي مثلاً، لهذا الحصار كانت واسعة وانتقادية للعرب.

والدراسة الاخرى غير الامبريقية، لصورة العرب في الصحافة الغربية بعامة، وفي بريطانيا بخاصة، هي تلك التي جرت في ندوة الصحافة الدولية المعقودة في لندن سنة ١٩٧٩ عن «صورة العرب في وسائل الاعلام الجماهيرية الغربية»، والتي حضرها ١٥٠ مندوباً من اوروبا والولايات المتحدة والشرق الاوسط. لم يستند أحد المتكلمين عن موضوع الوطن العربي في الصحافة البريطانية إلى دراسة امبريقية منتظمة، بل تكلموا بالأحرى عن المواقف البريطانية ازاء العرب بعبارات عامة. وعلى الرغم من الآراء المختلفة التي قدَّمها البريطانيون (من الصحافة والجامعات و«الدوائر الرسمية»)، الا انه كان هنالك ميل لدى اغلبيتهم نحو انتقاد الصحافة البريطانية لكونها منحازة ضد العرب من جهة، ولعرضها صورة غير صحيحة ومشوّهة عن الواقع المعاصر للوطن العربي من جهة اخرى. وكما قال فرانك غايلز، نائب محرر صنداي تايمز في الندوة، فإن المواقف البريطانية والتحيز ضد العرب إنما تحكمها:

---

(٥٦) Terry, «The Western Press and the October War: A Content Analysis».
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

«قوة التاريخ.. وتتألف من صورة رومانسية وغير انتقادية في الغالب للعربي بصفته (فارس الصحراء)، المحارب، أو البدوي بخيمته وإبله وحياته البسيطة الكريمة في الهواء الطلق وتقاليده في الشرف والضيافة...»[٥٨].

ويقول غايلز بشأن الاتجاهات المعاصرة البريطانية حيال العرب، أن الاشمئزاز الحديث في قطاع كبير من المجتمع البريطاني من العرب قد أمسى ازدرائياً، معادياً بل وحتى عنصرياً وبصراحة أكثر مما مضى. وهذا الاشمئزاز بنظره ينبع مباشرة من:

«انحطاط بريطانيا في الشرق الاوسط وتفجر الرخاء والاستقلال في العالم العربي... إن ثروات النفط العربية، والغزو الصيفي للندن من العرب من الجنسين، وشراء الفنادق والعقارات بأموال عربية، وحجب النفط العربي أو رفع أسعاره، كل هذا تضافر مع الصدمة الناشئة عن خسارة السلطة والمسؤولية ليحدث في عقول البريطانيين سلسلة من ردود الفعل نحو العالم العربي التي تتذبذب بين الريبة والعداوة المكشوفة»[٥٩].

مثل هذا الاشمئزاز، يشاهد في رسم كاريكاتوري ظهر في لندن ايفننغ ستاندارد[٦٠]، ونرى فيه عربياً ثرياً مع سيارة صالون فارهة مترفة (بلوحة سعودية)، مع السائق ورئيس الخدم وهما يشتريان عقاراً في منطقة راقية بلندن معلن عنه بخمسة ملايين جنيه استرليني!

وثمة مظهر آخر من هذا الشعور بالاشمئزاز رمز إليه رسم كاريكاتوري في صحيفة صنداي تلغراف[٦١] وفي نصفٍ منه نرى:

«شرذمة من أعراب الشوارع يركضون خلف انكليزي متغطرس وهو يرتدي خوذة ونظارات ويصيحون (الصدقة حباً لله!) وفي النصف الثاني نرى مجموعة من الانكليز وعلى سيمائهم ملامح الضيق وهم يرتدون البدلات الغامقة والقبعات العالية، ويتبعون أميراً أو شيخاً عربياً بديناً مترفعاً ويصيحون (النفط حباً لله!)»[٦٢].

ويمضي غايلز فيبيّن كيف أُسيء استخدام الحصار النفطي والثروات العربية في عدد من الجرائد بما في ذلك جريدته هو التي نشرت في ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٧٦ تهجماً عنيفاً على العرب:

«... يؤسفني أن اقول: كان هناك في صحيفتي ذاتها إشارات الى مواكب سيارات رولز

---

(٥٨) Frank Giles, «The British Press and the Arabs,» in: International Press Seminar, 1979, *The Arab Image in the Western Mass Media*, pp. 201-203.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٦٠) *London Evening Standard* (21 August 1978).

(٦١) *Sunday Telegraph* (30 November, 1973).

(٦٢) Giles, «The British Press and the Arabs,» p. 203.

ويس امام مخزن هارودز تذكر بقوافل الجمال وهي تنتظر تحميلها بثروات السلطان»[63].

ويذهب غايلز، في تحليله للتشويه والتحيّز ضد العرب، الى أبعد من «حسد» العرب على ثرائهم، فيقدم أدلة تؤيد حجة مايكل ادامز (M. Adams) وكرستوفر مهيو (C. Mayhew) عن النفوذ الصهيوني وانصاره[64]. وهو في الوقت نفسه يحاول أن يحلل الميكانزمات النفسانية من وراء نجاح الصهاينة في نشرهم لآرائهم في الغرب:

«مما لا شك فيه أن شرائح كبيرة، ولعلها راجحة، من المجتمع البريطاني اعتبرت ـ كالكثير من بقية العالم ـ ميلاد اسرائيل وكفاحها اللاحق بكثير من الحماس الذي يفوق جداً ما شعرت به من مظالم العرب. يعود هذا من جهة الى الميل البريطاني المعروف في تأييد المستضعفين؛ ويعود من جهة أخرى الى مشاعر الذنب الجماعي الذي يشارك به أغلب العالم الغربي عن مصير اليهود على يد النازيين، كما يعود ايضا الى نشاطات وفعاليات الدعاية الاسرائيلية والصهيونية التي عجز العرب عن مواجهتها. . وقد حاول المتعاطفون مع اسرائيل ـ بنجاح في الغالب ـ أن يعرضوا النقد الموجه لسياسات الحكومة الاسرائيلية على أنه لاسامية. ولقد واجهت التقارير فيما بعد ١٩٦٧ والتي تتحدث عن الأحوال في الأراضي المحتلة من إسرائيل صعوبات كبيرة، وشعر المحررون والمراسلون معاً بالضغوط مما يمكن تسميته بتوسع اللوبي الاسرائيلي. وهذا اللوبي لا يزال قوة يحسب لها حساب في بريطانيا ولو أنه ليس بنفس القوة التي هو عليها في الولايات المتحدة»[65].

ومع أن غايلز اعتبر حرب ١٩٧٣ نقطة تحول في معاملة الصحافة البريطانية للعرب، إلّا أن إهانة العرب بوصمهم «بالارهابيين والمبتزين» لم تختف بأي شكل من الأشكال.

أما التحليل الاجتماعي للعلاقات بين العرب وبريطانيا (كجزء من الغرب) فنجده في ورقة رتشارد هوغارت (R. Hoggart) عن حركة المرور في وسائل الاعلام: أشارع ذو ممر واحد؟ ومدخل هوغارت للمشكلة يتم من منظور مختلف، منظور يمثل مدرسة فكرية تعرف في بريطانيا باسم المدخل الثقافي (Culturalist approach) في دراسات وسائل الاتصال. يقر هوغارت بافتقاره إلى مؤهلات خاصة في الشؤون العربية، وينظر إلى المسألة في إطارها الواسع باعتبارها بين الغرب والعالم الثالث النامي! إن عدم الدقة في صورة «العالم الثالث» (وتالياً الوطن العربي) في الغرب يكمن برأيه في الثقافة الغربية ذاتها ونجده في الوكالات الدولية.

«والحجة هي، إذن، أن الأمم المتطورة، وبخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، تغرق بقية العالم بما تنتجه تقنيتها في وسائل الاتصال الجماهيرية وبخاصة التلفزيون والافلام، وأن هذا الطوفان يديره عدد يعد على الأصابع من الوكالات الدولية الضخمة؛ إن وجودها يزيد من صعوبة

---

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٦٤) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٧، انظر أيضاً:

J. Cameron, «The Switchback of Opinion,» in: International Press Seminar, 1979, *The Arab Image in the Western Mass Media*, pp. 211-217.

تطوير أنظمة الاتصالات المحلية في الأمم النامية؛ وأن صورة العالم التي تعرض من خلال هذا الفيض من المادة الغربية هي صورة مشوهة، وهي إما تتجاهل المعلومات الواردة من العالم النامي أو لا تعرض إلا مادة عن هذا العالم هي غير متوازنة أو لا تمثل الواقع. ومن هنا تأتي المعضلة الناشئة عن تجاهل العالم الغربي تجاهلاً كبيراً للاقسام الأخرى من العالم التي يذهب اليها الكثير من مواده؛ ولكن عند تذكّر ذلك العالم ترسل إليه صورة غير صحيحة»[٦٦].

وباستثناء هذا التحليل وبعض التحليلات الأخرى (مثلاً من هشام شرابي وادوارد سعيد وجي. دمبلبي)، فشل المؤتمر في وضع تحليل متماسك لبنية الملكية والسيطرة وعمليات الانتاج لوسائل الاتصال البريطانية. واتجه المؤتمر للعمل ضمن اجماع التجربة الصحفية، وركز على حلول تنطلق من المنطلق القائل بتحسين الانسجام المهني (professional consistency). لذا كان الهيكل البنيوي الذي يمكن في إطاره أن يحسّن هذا الاحتراف من مستويات الصحافة، قضية هامشية (peripheral). ومع أن اهتمام مؤتمر ١٩٧٩ يستحق الثناء، ولكن تحليلاً نظامياً (systematic) للتوجّه والمضمون والميول ضمن الجرائد والمجلات البريطانية يحتاج الى محاولة لاجرائه والى إعطاء التفسير، قبل أن يتحقق الفهم التام لتغطية الشرق الاوسط. إن البحوث المحدودة جداً في هذا الصدد تكشف بحد ذاتها التجاهل والإهمال الواقعي في الماضي، ولعلها تعكس إجماعاً على جعل إشكالية النشر عن الوطن العربي في الصحافة البريطانية صعبة من الناحيتين المعرفية والسياسية.

ثالثاً: العرب في السينما والتلفزيون

مهما كان تأثير الجرائد والمجلات في تكوين الرأي العام وتشكيله، فإن السينما والتلفزيون هما من وسائل الاعلام الرئيسية في التاريخ الحديث. مع هذا لا نجد إلا قليلاً من التحليل للتغطية التلفزيونية عن العرب والشرق الأوسط في بريطانيا. وأحد القلائل الذين بحثوا في هذا الحقل فيليب شلزنجر[٦٧]، وقد قام بتوثيق حصار السفارة الايرانية في لندن في ايار/ مايو ١٩٨٠، من قبل القوات الخاصة البريطانية وقتل فيه عدد من الايرانيين.

ومع أن هذه الاطروحة ستوجه اهتمامها بالدرجة الأولى نحو التغطية الصحفية للوطن العربي، فسيكون من الخطأ ألا نلاحظ الدور المهم الذي تلعبه وسائل التسلية في ترويج الصور عن الوطن العربي. ومع وجود قيود تجارية في التلفزيون والسينما معاً،

---

(٦٦) R. Hoggart, «Media Traffic: A One-Way Street,» in: International Press Seminar, 1979, *The Arab Image in the Western Mass Media*, p. 181.

(٦٧) Philip Schlesinger, «Price Gate, 1980: The Media Politics of Siege Management,» *Screen Education* (London), no. 37 (Winter 1980).

فإن هناك علاقة تبادلية مستمرة ومتنامية بين بريطانيا والولايات المتحدة[68]. إن عدداً من الانتاجات الامريكية قد اشتريت لغرض العرض في بريطانيا، لذا يمكن بهذا الصدد ادخال الأدبيات الأمريكية المحدودة حول الموضوع في الإطار البريطاني بشكل مشروع. ويعد إسهام ساري ناصر[69]، نافعاً جداً في تنويرنا عن مضمون الافلام الأمريكية التي تجتذب جماهير كبيرة على جانبي الأطلسي. ولا نزعم أننا سنقدم هنا سرداً لما يعرض عن الوطن العربي في الأفلام السينمائية والتلفزيونية سواءً من ناحية نطاقها أم تكررها. فمثل هذا العرض غير موجود في الوقت الحاضر، لذا سيكون الهدف في هذا القسم محدوداً جداً، وهو مجرد تبيان المشاهدة المستمرة للقوالب الذهنية التي يمكن أن نفترض ـ بالنظر للتقليد الاستشراقي في الثقافة البريطانية ـ انها تسهّل التصور الانتقائي القوي لدى جمهور المشاهدين البريطانيين. وقد ظهرت في السنين الأخيرة، كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد، برامج عديدة في افلام التلفزيون الوثائقية في بريطانيا تتحدى بقوة أفكار المستشرقين المتعنتة. لذا سيكون الغرض هنا الاشارة إلى أمثلة من افتراضات المستشرقين التي تنطوي عليها البرامج ضمناً، لا بياناً بتكرر ظهورها.

إن السينما، منذ بدايتها في اوائل هذا القرن، أثرت تأثيراً كبيراً في الصورة العربية في الغرب،وذلك بنشر صور جديدة (disseminating) و/أو تثبيت أو ترويج الصور والقوالب الذهنية القائمة أصلاً. والصور الرئيسية التي حاولت السينما ترويجها شعبياً في العشرينات عن العرب، هي رقص هز البطن والسرقة والقرصنة والصورة الرومانسية. كان هز البطن صورة لصيقة مقترنة بالعرب، لا سيما في مصر، في عدد من الأفلام مثل «مصر الصغيرة» (١٩٢٠)، «الراقصة المصرية» (١٩٢٠)، «رقصة النيل» (١٩٢٣)[70].

لكن اكثر الافلام رواجاً وأكثرها تأثيراً على العموم، والتي ساعدت على جعل صورة العرب رومانسية الطابع، وأدخلت كلمة جديدة هي «الشيخ» في الاستعمال الدارج في العشرينات والثلاثينات كان فيلم «الشيخ» (١٩٢١)، وفيلم «ابن الشيخ» (١٩٢٦). يقول لويس جاكوبز عن نجاح فيلم «الشيخ»:

«في فترة خيبة الأمل والحيرة التي سادت بعد الحرب العالمية الأولى، طلب أكثر الناس (الهروب من الواقع). فسارعت الأفلام الى تقديم بدائل للحياة وذلك على شكل روايات مستطرفة وشهوانية ترتدى فيها الملابس الغريبة، وكلها تقدم قناعة بديلة وروعة بصرية باهرة. وكان النجاح العظيم

---

(٦٨) Tunstall, *The Media Are American: Anglo-American Media in the World.*
(٦٩) Sari J. Nasir, *The Arabs and the English* (London: Longman, 1976).
(٧٠) انظر: المصدر نفسه.

لفيلم (الشيخ)، ١٩٢١، ذروة سلسلة من أفلام (الغرام العنيف) الطريفة في غرابتها»[٧١]. وقال بول فايلر في تعليق آخر عن شعبية هذا الفيلم:

«إن الشعبية العظيمة لأشهر أفلام فلنتينو، وهو فيلم الشيخ، ترجع الى البهاء التالد لأسلوب الشيخ الشهواني: إنه يختطف إمرأة حسناء ويجبرها ان تقع في غرامه. والبدائية الجوهرية في هذا الأسلوب تذكر بالشعائر القديمة حيث يكسب العروس من يفوز بمباراة البسالة البدنية، أو يفقدها من يخسر فيها. وصوّرت هذه البدائية كذلك بصيغة شعبية لأسطورة (غرام ابن الكهوف) في شخصية طرزان»[٧٢].

وسواءً أكانت هذه الأقوال صحيحة أم لا، فإن فيلم «الشيخ»، الذي يعتبر من الافلام المائة العظيمة التي ظهرت حتى الآن، وفيلم «ابن الشيخ» كانا من العناصر القوية والفعالة في إدخال سمة أخرى على صورة العربي في بريطانيا والولايات المتحدة معاً، وهي سمة «العاشق المثالي المحاط بالرعب والغموض وسحر الشرق وغواية الصحراء»[٧٣].

وإذ استمرت صور الغموض والمغامرة والحب امتداداً من العشرينات حتى هيمنتها على السينما في الثلاثينات والأربعينات، فقد شهدت الفترة ذاتها ظهور موضوع جديد يصور العرب أوغاداً غامضين يقاتلون «الأبطال» الفرنسيين والبريطانيين. كذلك شهدت الثلاثينات والأربعينات زيادة كبيرة في المواضيع السياسية والسياسية ـ الدينية ايضا. فقد غدت الحرب الدينية والمغامرات التي تمزج بالمسيحية والاسلام موضوعاً مركزياً لأفلام عديدة. وأشهر فيلم في هذه الفترة، هو فيلم «الصليبيون» (١٩٣٥)، الذي يصوّر العرب المسلمين وهم يقاتلون المسيحين في القدس. يظهر الفيلم كذلك ريكاردو قلب الأسد، ملك انكلترا، وهو يقاتل صلاح الدين في فترة «حاربت فيها المسيحية كلها ضد الاسلام كله»[٧٤]. وجرى في هذا الفيلم تصوير صلاح الدين بصورة حسنة بصفته سلطان الاسلام العظيم.

وظهرت صور العرب كأوغاد وتجار رقيق وغدارين ومتعصبين متعطشين للدماء في فيلم «الريشات الأربع» (١٩٣٩)، والذي اقتبست قصته من حملة كتشنر (Kitchener) المصرية في السودان. وبطل الفيلم انكليزي «يخسر معركته فيتنكر كفرد من الأهالي وينضم الى جيش الخليفة جاسوساً»[٧٥].

---

(٧١) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ١٤٧. انظر أيضاً:
J.K. Cooley, «The News from the Middle East: A Working Approach,» *Middle East Journal* (Autumn 1981).

(٧٢) كما ورد في: Nasir, Ibid., p. 147.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٧٤) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٧٥) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ١٥١. إن قدرة هذا «البطل» على التنكر كواحد من الناس =

بيد أن صورة الخيال الفنتزي عن العرب هي التي سادت بنجاح على سينما الأربعينات. فكانت افلام «لصّ بغداد» (١٩٤١)، و«علي بابا والأربعين حرامي» (١٩٤٤)، و«الليالي العربية» (١٩٤٢)، و«الف ليلة وليلة» (١٩٤٥)، و«السندباد البحري» (١٩٤٧)، من بين أفلام الخيال الفنتزي العديدة التي صوّرت العرب في اطار زاهٍ من المكائد والمطاردات في الصحراء والمعارك والبساط الطائر والجن والخيول المجنّحة، وهي تضاهي، بطريقة خيالية، تقليد المستشرقين البريطانيين في القرن الماضي.

إن فيلم «لصّ بغداد» مثلاً يوضح هذا، وهو يروي حكاية عربية خيالية نموذجية:

«زج ملك بغداد الشرعي أحمد في السجن بنذالة دبّرها له وزيره الأكبر جعفر. وفي السجن يلتقي الملك لص الشوارع الصغير أبو. فيستطيعان الهرب ويصلان الى البصرة حيث يرى الملك أحمد ابنة السلطان الجميلة فيقع في غرامها فوراً. غير أن السلطان يعد بتزويجها من جعفر. فتهرب ويلقى القبض على أحمد وأبو. وبالسحر الذي يمارسه جعفر يعمى أحمد وينقلب أبو كلباً. أما المركب الذي هربت فيه الأميرة فيهاجمه تجار الرقيق فتعاد الأميرة الى البصرة وتباع الى جعفر ويجب عليها أن تستلقي في بيته في غيبوبة السحر الى أن يأتي احمد ليوقظها. يأخذها جعفر الى البحر ولكن ما ان يعانقها حتى يزول السحر عن أحمد وأبو. ثم يروي الفيلم كيف يستطيع أبو بمساعدة جني في قنينة أن يسرق العين السحرية التي ترى كل شيء وأخيراً يصل أبو بالبساط السحري برمشة عين فيقتل الوزير الأكبر ويجمع بين العاشقين»[٧٦].

إن الصورة الرومانسية المبالغ فيها ذات الخيال الفنتزي التي كانت في الاربعينات قد تضاءلت، ولكنها لم تختف ابداً، بل أفسحت المجال الى صور جديدة سيئة وغير متعاطفة في الخمسينات والستينات مثل: «البدائية» و«التعصب» والقسوة ضد اليهود. إن فيلم «سيف في الصحراء» (١٩٤٩)، وفيلم «الخروج» (Exodus) (١٩٦٠)، هما نموذجيان في هذا الصدد، ويصوران العرب «كمتخلفين» و«إرهابيين» وتهديد عظيم لليهود ولدولة إسرائيل. فعلى مدى ثلاث ساعات ونصف الساعة من دراما «قتال» اليهود من اجل فلسطين، يُظهر فيلم «الخروج» العرب بصفتهم أعداء اليهود الحقيقيين. ويظهر شخصيات فتية يهودية وغيرها وهي «تقاتل» من اجل القضية اليهودية وضد «الإرهابيين» العرب والجيش البريطاني المرابط في فلسطين. يحاول

= المحليين يراد منها إظهار «سذاجة» العرب وذكاء الغربيين. ويمكن القول إن هذه الفكرة تنسجم مع مغامرات الغربيين وكتابات المستشرقين كتلك التي كتبها بركهاروت وبرتون، وتنطبق على ضباط انكليز مثل لورنس العرب.

(٧٦) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ١٥٣.

الفيلم كذلك ان يشين العرب «المتخلفين» «الارهابيين» الذين يظهرون بعباءاتهم المهفهفة كعلامة على تأخرهم. كما يشير الفيلم الى أن العرب كانوا بقيادة «عربي نازي»[٧٧].

ومع أن عدد الافلام الخاصة بالعرب كان أقل في الستينات، ولكن فيلم «الخروج» مع فيلمين رائجين آخرين هما «لورنس العرب» (١٩٦٢)، و«الخرطوم» (١٩٦٦)، أسهمت كثيراً في رسم صورة العرب في تلك الحقبة. ففي فيلم «الخرطوم» يظهر العرب «كمتعصبين» بقيادة زعيم ديني متعصب هو المهدي وهم يقاتلون الجيش البريطاني بقيادة الجنرال غوردون (Gordon)، القائد البريطاني في السودان في ١٨٨٣. فضلاً عن ذلك حاول الفيلم كذلك أن يبين «إنسانية» الانكليز و«قسوة» و«عدم انسانية» العرب الذين أُظهروا كتجار رقيق وحملة رماح متوحشين.

ويبدو أن فيلم «لورنس العرب» كان من اكثر الافلام رواجاً ومنه استمد كثير من الناس في الغرب ما يحملونه من صورة عن العرب. والصورة الاساسية التي اراد الفيلم أن يظهرها ويروجها هي «نمط الحياة البدوية» للعرب، و«تفوق» الانكليز من خلال لورنس الذي لولاه لما استطاع «البدو» أن يتحدوا أو يكسبوا المعركة ضد الأتراك. ومع أن العرب يصورون بشكل زاهٍ ولكنهم يظهرون كمحاربين شرسي القسمات وذوي أنساق غريبة من القيم value - system تختلف عن نسق الانكليز. أما الموضوع الذي يتراءى في الفيلم فهو عن الحكام العرب الكائدين، الأذكياء الذين يسعون وراء المنفعة ويفتقرون الى المبدأ، والذين أحبطوا في بعض الأحيان جهود لورنس ولو أنهم كانوا يبتغون فيما يفترض الأهداف ذاتها.

من الجدير بالذكر هنا أن عدداً من هذه الافلام قد عرض على شاشات التلفزيون التي قدمتها السينما للمشاهدين الامر الذي كان اتاح لكثيرين في الغرب فرصة مشاهدتها وتكوين آرائهم بموجبها وتشكيل صور في أذهانهم عن العرب، ولا سيما بمشاهدة فيلم «لورنس العرب» و«الخرطوم».

وتظهر في التلفزيون اسوأ الصور عن العرب: منها صورة البدوي الآخذ بالثأر، القاسي، الجبان، المنحط، المهووس، الى صورة المبتز بواسطة النفط. تلك هي للأسف الصور المعروضة باستمرار على المشاهدين. يقول ج. شاهين: «أن تكون عربياً في أمريكا السبعينات تعني أن تكون اداة سخرية في وسائل الاعلام، بخاصة

---

(٧٧) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

التلفزيون»[٧٨]. فالصورة المعادية للعرب تظهر في معظم - ان لم نقل كل - البرامج التي يتم التعرض فيها للعرب (مثال على ذلك برامج: كانون، والمرأة الالكترونية، وملائكة تشارلي، ورجل الستة ملايين دولار، يوم واحد في كل مرة، والفتاة الأمريكية، والقرصان،وفيغاس،والمحترفون) اذا رغبنا فقط في ذكر أكثر البرامج شعبية.

وفي المسلسل التلفزيوني «فيغاس» (Vegas)، مثلاً، يظهر العرب كشيوخ أشرار، جبناء، وأغنياء. أحد هؤلاء الشيوخ الأشرار يمتلك داراً مشتركاً مع أحد حرسه، وهو أيضاً عليه سيماء الشر كما أنه خامل وقبيح. ويهدد أحد الجنود النظاميين (توني كرتيس) بالقتال مع الشيخ، ويقول لصديقه: «الحرب الأخيرة دامت سبعة أيام فقط؛ وهذه لن تدوم أكثر من بضع ساعات!»[٧٩]، وهكذا تتعزز صورة عدم الكفاءة العسكرية المشار اليها في القسم السابق.

أظهر المسلسل كذلك الثراء الفاحش والشهوات الجنسية والحريم، وكلها صفات منسوبة الى العرب. فالشيخ «خاليم Khalim» حاكم «مامونيا Mamoonia»، وكلا اللفظين غير عربي بصورة جلية، يجابه صعوبة في اختيار أية زوجة من حريمه الأربع ليقضي معها وطر الليلة. وهو يتعجّل الأمر، فالزوجة التي وقع عليها الاختيار يجب أن «تهيّأ وتغتسل». وبينما يخطط الشيخ لشراء منتجع بالم سبرنغ فإنه يشتري خمس طائرات نفاثة، أربع منها بيضاء لزوجاته والخامسة زرقاء لشقيقه. ولكن الحب الأخوي في هذه المملكة الخيالية قصير العمر: فالشيخ يقتله شقيقه الأمير زيد.

وتستمر العروض التلفزيونية في تقديم صورة خاطئة عن العرب كمهربين وقتلة وخاطفين وأنذال وبدائيين. ففي مسلسل «كانون Cannon» مثلاً يُجرى الحط من شأن العرب كمنتقمين، فاسقين، في جميع الحلقات. وفي إحداها، يركز المسلسل على طالب عربي شاب متهم بتهريب المخدرات والقتل. ومع ثبوت براءته في النهاية، فإن الحلقة تجد في الوقت ذاته أن معلم الطالب لفرع الرياضيات، وهو عربي ايضا، كان هو المجرم. وواضح أن هذا المسلسل يوحي هنا بطبيعة العرب الاجرامية، سواءً أكانوا من الطلاب أم المعلمين أم رجال الاعمال أو الأمراء: فالعرب مجرمون بالولادة ولا يسعهم إلا أن يسلكوا سلوك المجرمين. ويستمر مثل هذا الموضوع في حلقة أخرى من المسلسل، حيث نجد صبياً يشهد بالصدفة عربياً يختطف أميراً شرق أوسطي. فيطلب الأمير حسن، شقيق الأمير المختطف، من الشرطة ألا تتدخل وتترك الأمر لوالده الملك. ولكن ضابط الشرطة يرفض ذلك قائلاً: «إن والدك في الصحراء على بعد عشرة

---

(٧٨) J. Shaheen, «The American Media and the Stereotyped Arab,» in: International Press Seminar, 1979, *The Arab Image in the Western Mass Media.*

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٢٣.

آلاف ميل»، ثم يأخذ هذا الضابط بتوضيح الغرض من منظمة الصحة العالمية وهو توزيع «الدواء والأجهزة الطبية على الأقطار المحرومة»، وهنا يقترح بطل المسلسل كُنْنْ أن أمم الشرق الأوسط قد تكون مرشحة للعون، فيجيبه ضابط الشرطة: «إن القطر الذي بوسعه أن يقدم خمسة ملايين دولار فدية، ليس قطراً محروماً بمعنى الكلمة». وخاطفو الأمير طلبوا هذه الفدية. وهؤلاء يرئسهم ممثل سابق من وزارة الخارجية الأمريكية كان قد طرد من مملكة الأمير بسبب «صفقات نفطية مريبة» الأمر الذي لا يعرفه البطل كنن. ثم يظهر في الحلقة مذيع تلفزيوني فيقرأ نشرة تشير الى أن الخطف هو «من فعل منظمة إرهابية»، كما تعتقد السلطات. وينتهي العرض حين يقتل الأمير حسن الخاطفين الاثنين، وأحدهما موظف بوزارة الخارجية. ثم يحاول قتل شقيقه بالذات، ولكن كنن يصل لإنقاذه: «وسنرسلك الى أبيك في بلادك، أما ما الذي سيفعله بك فلا أريد حتى التفكير فيه»[٨٠]. والذي يلمح اليه كنن هنا أن الملك، الذي يظهر في المسلسل جاهلاً ومبذراً ومن سكان الصحراء، وهو قادر على انزال أقسى العقوبات، سيقوم بقطع رأس ابنه.

ويجري تعزيز مثل هذه الصورة في المسلسلات الشعبية مثل «رجل الستة ملايين دولار»، وهذا المسلسل يحاول تثبيت أعمال «السخافة» و«الجبن» و«الإرهاب». فعند حضور بطل المسلسل مدرسة طيران لتدريب طياري التجريب، يقوم بالتحقيق في مؤامرة لقتل طالب هو امير عربي مؤيد للغرب. الامير سكاري يختطفه «متطرفون عرب» ويأخذونه الى معسكر في وسط الصحراء. ويهزم بسهولة عشرات من «الارهابيين» العرب[٨١]. وما ان يستقل طائرة «الارهابيين» مع الأمير سكاري حتى يطلق مختطفو الامير النار من مسافة قصيرة، ولكنهم بالطبع لا يصيبون اهدافهم جميعها، فينجو «البطل» والامير والطائرة دون أذى.

ومرةً أخرى نجد العرب، في مسلسل فكاهي رائج عنوانه «يوم واحد في كل مرة»، يصورون كأغنياء متخلفين، يحاولون شراء البلاد، اما النساء فمتخلفات كذلك، ومحجبات ويسكنّ بيت الحريم ويرجمن حتى الموت إذا ارتكبن الزنا. والعرب ليسوا فقط أثرياء ومتخلفين، بل هم كذلك فاسدون ويحاولون استغلال الفتيات الشقراوات البريئات جنسياً (كما في الشرطية Police woman ومكلاود Mac cloud).

مكلاود هي الحامية لفتيات أمريكيات بريئات يجدن أنفسهن في غربة تامة لا مناص منها في مبغى عربي عصري. ومرة أخرى، يختطف العرب الفتيات الى مملكة

---

(٨٠) انظر: J. Shaheen, «The Image of the Arab on American Television,» in: Ghareeb, ed., *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media,* p. 165.

(٨١) ان الصورة الخاصة بالإرهاب موجودة كذلك في المسلسلات البريطانية مثل مسلسل «المحترفون» (The Professionals).

خيالية هي رامات وآرامي حيث يصبحن من الرقيق في بيت الحريم. فإن لم يستسلمن لساداتهن العرب الجدد، الشيوخ، فسيحدث أحد أمرين: «إما أن يقتلن أو يقبعن في الفساد مدى الحياة»[٨٢].

ولكن أكثر الافلام التلفزيونية التي ظهرت عن العرب تهجماً وتشويهاً هو فيلم «القرصان» (The Pirate). إن اسم الفيلم ذاته هو تعزيز لصورة القرن السادس عشر عن العرب «كقراصنة». وموضوعه عبارة عن تجميع لأسوأ الصور التي يمكن أن يتخيلها المرء عن العرب (مثل الثراء الفاحش والسخف والقسوة والتخلف وعدم الانسانية والجبن والارهاب والطبيعة الرجعية للاسلام وتعدد الزوجات عند العرب).

ويسود تشويه الصور العربية كذلك في البرامج المعدة للاطفال مثل «طرزان» و«الطبّال الصغير». ففي «طرزان» يصور العرب كقتلة وتجار رقيق وقتلة للرجال والنساء السود وكباعة للصبيان السود عبيداً. ونجد في «الطبّال الصغير» النمط نفسه من نشر القوالب الذهنية عن العرب الذين يستغلون بوقاحة الشبان الأبرياء.

لقد عجز التلفزيون، كسائر وسائل الاعلام الأخرى، عن تقديم صورة موضوعية عن العرب والاسلام بشكل متسق. وكنت هنا قد شدّدت على اكثر المسلسلات الشعبية رواجاً والتي اجتذبت جماهير واسعة وهي تبرهن بجلاء على التحيز والتشويه. ومع أن برامج تلفزيونية معينة حاولت في السنين الأخيرة أن تصحح عدم التوازن هذا (مثل «فزع في أرض الميعاد» الذي قدمه إم. كلارك سنة ١٩٧٨ في الولايات المتحدة، والحلقات الست التي قدمتها الـ (بي. بي. سي. عن فلسطين سنة ١٩٨٢ في بريطانيا)، فقد سادت القوالب الذهنية الشعبية التي ربما كان من شأنها تعزيز تغرّض المشاهد، لأن ما يعرض فيها يتفق مع ما هو موجود عادةً في الأدب والثقافة البريطانيين.

أظهر جاك شاهين، في بحثه عن بث القوالب الذهنية عن العرب، وبخاصة السعوديين والفلسطينيين، في الافلام الوثائقية في التلفزيون الأمريكي، كيف أن بعض الافلام الجديدة التي عرضت على الشاشة الصغيرة هناك قد صدمت الرأي العام الأمريكي، لأنها تناقضت مع خزين الصور (Stock - image) السيئة، عن الفلسطينيين بصفة كونهم «إرهابيين». ويضرب مثلاً بما أنتجه مالكولم كلارك لـ أي. بي. سي. نيوز، «فزع في أرض الميعاد»، باعتباره فيلماً ناجحاً جداً عن سبب انتماء صغار الفلسطينيين الى الفدائيين الذين منهم من يتولى احياناً مهمات عسكرية

(٨٢) Shaheen, «The American Media and the Stereotyped Arab».

انتحارية يعلم أنه لن يعود منها حياً. ويوثّق شاهين كذلك ما تعرّض له كلارك من تهديد من بعض الفئات من الرأي الأمريكي بسبب فيلمه هذا، بما في ذلك تهديده بالقتل، كما يدون ثناء كلارك على منتج الفيلم لشجاعته في «مكافحة بعض المعارضة الهستيرية التي جاءت من الخارج»[٨٣].

لقد كان كلارك مدركاً، كما يقول شاهين، للصورة المهيمنة عن الفلسطينيين بصفتهم «إرهابيين» في الولايات المتحدة، ولرد الفعل الذي سيحدثه الفيلم. وجه شاهين سؤالاً إليه عن هذا الإنجاز في عرض الفيلم، فأجاب كلارك يقول:

«إني فخور لأن الفيلم قد عرض. وفخور لأن الفيلم يظهر الوجه الانساني للفلسطينيين وهم يقاتلون عن قضية يؤمنون بها. لقد اتجه الفيلم الى قضايا جديدة واتجه اليها بنزاهة. في الماضي، لم يكشف النقاب عن الفلسطينيين إلا في حالات استثنائية معدودة. وحتى الآن لم يواجه أحد الحقيقة والواقع وجهاً لوجه، وهذا الواقع هو أن «الارهابي» ليس سوى صبي يبلغ السادسة عشرة من العمر من أحد مخيمات اللاجئين. انه لأمر مخيف حين تدرك أن ذلك الصبي ابن السادسة عشرة قد لا يبلغ السابعة عشرة لأنه يؤمن بشيء ما»[٨٤].

على أن هذا الخرق الجزئي (partial break through) في التلفزيون الامريكي لم يظهر إلا بعد حرب ١٩٧٣، وبخاصة بعد زيارة السادات للقدس في ١٩٧٧. وقد أظهر كل من ماگده باغنيد (Bagnied) وستيفن شنايدر (Schneider)، في تفحصهما للصور البصرية التي أحدثها السادات وبيغن، كيف قدم التلفزيون الأمريكي السادات بصورة حسنة، فتزامن التغيير في تغطيته مع «التغيير في طريقة تعامله مع اسرائيل، وان هذا التغيير بحد ذاته لا يقدم برهاناً على أي تغيير ملحوظ في لهجة التغطية عن الشرق الاوسط»[٨٥]. ولقد أيد هذه النتيجة كذلك مراد عاصي[٨٦]، الذي وجد في دراسته لتغطية الشرق الاوسط في السبعينات أن مصر قد حصلت في ١٩٧٩ على تغطية متعاطفة أكثر من بقية الوطن العربي.

على ان هذه التحليلات لم تأخذ بنظر الاعتبار المضمون السياسي لدبلوماسية السادات، ولا المعارضة الداخلية لفتحه المباحثات مع إسرائيل. في الواقع لقد خلقت وسائل الاعلام الغربية بطرق عديدة صورة للسادات (رقيق، مبدع، شجاع، صانع

---

(٨٣) J. Shaheen, «Images of Saudis and Palestinians: A Review of Major Documentaries,» in: William C. Adams, ed., *Television Coverage of the Middle East* (Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981), p. 103.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٨٥) M. Bagnied and S. Schneider, «Sadat Goes to Jeursalem: Televised Images, Themes and Agenda,» in: Adams, ed., Ibid., p. 64.

(٨٦) Murad Asi, «Arabs, Israelis and T.V. News: A Time-Series, Content Analysis,» in: Adams, ed., Ibid.

سـلام، سياسي ذو رؤيـة بعيدة وزعيم عـظيم) ضخّمت الرجـل فأسرته الى حـدٍ مـا بحيث انه انحصر في عملية أدت في النهاية الى سقوطه.

ثمة تطور حديث مثير للاهتمام في التغطية التلفـزيونيـة ألا وهو العودة الى صورة الاسـلام القديمـة كدين بـربري وخـطر بالنتيجـة على الـديمقراطيـة الغربيـة ومصالـح الغـرب. ويجـري ابـراز هـذا الهلع وهـذه الفـوبيـا ـ كـما أسميهـا ـ من الاسـلام (Islamophobia) وتسويغه من خلال «الممارسة» الخمينية لشرعة العقوبات الاسلامية. إن فيلم «موت أميرة»، الذي عرض في الولايات المتحـدة في ١٢ ايار/ مـايو ١٩٨٠، يعـزّز هذه الصـورة، كـما أن الحـرب الأهليـة في لبنـان تقـدم كحـرب بيـن الاسـلام والمسيحية، رجوعاً الى المنازعات القروسـطية وإن كـانت بلبوس حـديث. وقد أظهـر أدوارد سعيد في كتابه المعنون **تغطية الاسلام**(٨٧)، كيف عزّزت وسائل الاعـلام الحاليـة صورة الهلع والفوبيا من الاسلام عن طريق تغطيتهـا للرهائن الأمـريكيين وللخميني. وهو يجادل كذلك كيف جعلت وسائل الاعلام الاسلام مسؤولاً عن سعر النفط وأزمة الطاقة، وما رافقها من آثار ضارة على المجتمعات الغربية، ومسؤولاً كـذلك عن كثـير من الاضطراب الجاري في الوطن العربي.

وكما قلنا فان الكثير من هـذه الافلام والعـروض الوثـائقية والتغـطية الاخبـارية تظهر في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبـريطانيـا. اما الفيلم الـبريطاني «مـوت اميرة» (Death of Princess) الذي عرض على قنـاة أي. تي. في يوم ٩ نيسـان/ابريـل ١٩٨٠، فقد غذّى ما هو موجود أصـلاً من هلع وفوبيـا من العرب والاسـلام (Arabophobia and Islamophobia). ولقد سبب الفيلم توتراً في العلاقات بين الحكـومتين البريطانية والسعودية، إذ قد سحبت الأخـيرة سفيرهـا من لندن احتجـاجاً عـلى الفيلم الذي هو بنـظرها إهـانة لـلاسلام، ولأنـه يعطي صـورة مغلوطة عن المجتمـع العربي عموماً، وشؤون الأسرة المالكة خصوصاً. والفيلم هو «وثائقي خيـالي»، (وليس وثائقياً صرفاً لأن اشخاصه من الممثلين)، عن إعدام مشهـور لأميرة سعـودية شـابة عن سـوء تصرّفها مع عشيقها الذي اعترفت به، ويتضمن ذلك نقداً للأسرة المالكة السعوديـة. إن مخرج الفيلم، أنتوني توماس، قد ردد ـ بنظري ـ وهـو يبحث عن «حقيقة» اعـدام الأمـيرة مفاهيم التفـوق الثقافي الغـربي، وذلك بـاظهـاره القيم والاعـراف والعـادات العربية وشرعة العقوبات في الاسلام بشكل غريب، قـاس، ناشـز، وبعيد عـما يألفـه المشاهدون الغربيون.

---

(٨٧) Edward Said, *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World* (London: Routledge and Kegan Paul, 1981).

إن «القسوة» العربية و«عدم إنسانية» العرب هما في الواقع من المواضيع المتكررة في التلفزيون البريطاني. كان أحد الافلام الذي قدم تقويماً مقارناً للارهاب يثير الاهتمام هو «غارة على عينتيبي» (Raid on Entebee) (قناة أي. تي. في، ١٨ تشرين الأول/ اكتوبر، ١٩٨١). كان الجمهور يشاهد طيلة الفيلم «البطولة» الاسرائيلية في الغارة على مطار عينتيبي في اوغندا، حيث كان الفلسطينيون يحتجزون رهائن مدنيين لافتدائهم ببعض الفلسطينيين المسجونين في سجون اسرائيلية. كان الفيلم بنظري دعائيا، إذ انه عرض الفلسطينيين «كارهابيين» لا يرحمون، و«قتلة» وقساة وغير إنسانيين من ناحية، وعرض الاسرائيليين كإنسانيين وديمقراطيين وبطوليين من ناحية أخرى[٨٨]، وسواء أكانت طريقة الاختطاف التي لجأ اليها الفلسطينيون لجذب انتباه الرأي العام العالمي لقضيتهم المنسية هي طريقة لها ما يبررها أم لا، فإن الفيلم لم يتطرق لسبب اختطاف الفلسطينيين للطائرة. ثم إنه لم يظهر كيف جرح المغاوير الاسرائيليون، لا المختطفون الفلسطينيون، بعض الرهائن في «عمليتهم البطولية في الانقاذ».

وفي فيلم معاصر آخر هو «أشانتي» (Ashanti) الذي ظهر على قناة أي. تي. في ٣٠ آب/ اغسطس ١٩٨٢، وكان قوالبياً نمطياً جداً يظهر فيه العرب تجاراً أثرياء للرقيق وقساة مع النساء والاطفال، وجرى تصوير جزء منه في اسرائيل، ويدور موضوعه حول طبيب غربي ذهب في بعثة طبية مع زوجته الى افريقيا فيختطفه تجار الرقيق العرب.

وجرى تعزيز صورة العرب القديمة/ الجديدة «كمتخلفين»، بصورة ضمنية، في فيلم عرضته قناة بي. بي. سي بعنوان «إمرأة تدعى غولدا» (A Woman Called Golda) في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢. والفيلم، وقد عرض في قسمين، هو عن حياة غولدا مئير رئيسة وزراء اسرائيل السابقة، عن طفولتها في الاتحاد السوفياتي، روسيا آنئذٍ، حتى دورها في تأسيس إسرائيل وتحضيرها للحرب مع العرب. والفيلم لا يرمي الى الحط من شأن العرب، ولو أنه فعل ذلك في خالات عديدة، بقدر ما يرمي الى ترويج وتثبيت صور معينة عن اسرائيل والزعماء الاسرائيليين بصفتهم عاملين مجدّين، لا سيما الرواد، وبصفتهم محبين للسلام. وقد كسب الفيلم سمعة أوسع إذ قامت بالدور الرئيسي فيه الممثلة انغريد برغمان قبل وفاتها، ولذلك فقد شاهد الصورة المتفوقة للاسرائيليين جمهور أكبر من المعتاد.

---

(٨٨) للاطلاع على بحث قيم في تصوير وسائل الاعلام للصنف، انظر:
A.P. Schmid and J. de Graaf, *Violence as Communication: Insurgent Terrorism and the Western Media* (London: Sage Publications, 1982).

لقد حاولنا في هذا الفصل أن نستعرض الدراسات عن الوطن العربي في وسائل الاتصال الجماهيرية في امريكا الشمالية وبريطانيا. لقد كانت هذه الدراسات في شتى فروعها قليلة في عددها ومحدودة في منهجيتها. ولكن تبرز فيها مواضيع متكررة معينة. وقد ظهر انعكاس القيم الاستشراقية كعنصر مستمر في هذه الوسائل، ولو ان نمط التغطية لم يكن متراص الأجزاء (Monolithic) ولا مستكناً. ويبدو أن حرب ١٩٧٣ وأزمة النفط كان لهما اثر كبير في تغيير الاطار المادي الذي تضطرب فيه القوالب الذهنية. لذا غيّرت القوة العسكرية للأقطار العربية وسياستها النفطية تغييراً جوهرياً في تصوّر الناس للأقطار العربية ولطبيعة علاقاتها السياسية مع الغرب. وقد جرى تحدي الهيمنة الواقعية الاقتصادية والسياسية التي كانت وراء الاستشراق في القرن التاسع عشر تحدياً كبيراً، وبهذا جرى كذلك تحدي الشرعية المنطقية للصور الاستشراقية.

الفصل الرابع

الصهيونية وعلاقتها بموروث المستشرقين

أولاً: مقدمة

بما أن الصهيونية هي من المتغيرات المركزية في تكوين السياسة في الشرق الأوسط المعاصر، لذا فإن أية دراسة لهذه المنطقة ستكون غير وافية إذا لم تفحص ايديولوجيا هذه الحركة ومبادئها وأفكارها، وكذلك اتجاهات وصور مؤسسيها وأتباعها، في إطارها التاريخي. لهذا فإن هدف هذا الفصل هو البحث عن أفكار الصهيونية ومن أين أتت، من وماذا تخدم، إلى أي مدى ترتبط بالأيديولوجيا الامبريالية، كيف تتلاءم مع طروحات الاستشراق، وأخيراً: لماذا تمتعت ولا تزال بالنجاح في الغرب؟

إن الايديولوجية الصهيونية(1) عميقة الجذور في الحركة الامبريالية القومية الأوروبية. وهي لا يمكن أن تفهم، كما يقول عالم الاجتماع مكسيم رودنسون، إلا كجزء لا يتجزأ من العقلية التوسعية للاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر. «وبالضرورة فالحركة التي تطورت من هذه الأيديولوجية لا بد أن ترتبط بالامبريالية، وأنها لكي تحقق أغراضها لا بد لها أن تخرج عرب فلسطين من ديارهم»(2).

---

(1) سنتبنى في هذا الفصل تعريف عالم الاجتماع البلجيكي غاي باجويت للايديولوجيا. يعرّف باجويت الايديولوجيا بأنها «منظومة من التصورات والأفكار المتلائمة والمتماسكة، تعطي معنى معيناً للعلاقات الاجتماعية» وأما ما يعنيه باجويت بجملة «تعطي معنى» فهو «أن ذوي العلاقة المشتركين في هذه العلاقات يجدون ان تلك الايديولوجية طبيعية ومقبولة وصحيحة ومبرّرة ومشروعة، وباختصار يجدونها معقولة ومفهومة وليست خرقاء». انظر:

G. Bajoit, «Zionism and Imperialism,» in: International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, ed., *Zionism and Racism* (London: Billing and Sons Ltd., 1977).

(2) Maxime Rodinson, *Israel: A Colonial-Settler State* (New York: Monad Press, 1973). =

وتالياً فإن الايديولوجيا التي طورها الصهاينة لتبرير مشروعهم الاستيطاني وجعله شرعياً أسست على غرار نموذج الايديولوجيا والحجج ذاتها لحركة الدول الغربية الاستعمارية.

إن الصهيونية السياسية[3]، وعلى رأسها البرجوازية اليهودية الأوروبية التي كانت متأثرة بعمق بالقومية الأوروبية في القرن التاسع عشر، وعلى الأخص في ألمانيا وإيطاليا، قد عرضت نفسها ـ من بعض النواحي ـ بصفتها الحل البديل الوحيد لعزلة يهود أوروبا الشرقية وما يعانونه في الغيتو (Ghettoisation)، ولاستيعاب يهود أوروبا الغربية[4].

رغب مؤسسو هذه الحركة، وهم قد تأثروا بصورة عميقة جداً بالمفكرين القوميين الأوروبيين في القرن التاسع عشر (مثل كوفيير، غوبينو، شينغلر، نوكس) وبنظرياتهم واتجاهاتهم العنصرية نحو العنصر «غير الأبيض»، رغب أولئك المؤسسون الذين لم تكن تدفعهم غيرة دينية بإعادة تأسيس كيان سياسي ذي سيادة لليهود في فلسطين[5].

كانت الصهيونية من نتاج يهود أوروبا إلى حد كبير. وبسبب افتقار هؤلاء اليهود

= انظر أيضاً: G.V. Smith, ed., *Zionism, the Dream and the Reality: A Jewish Critique* (London: Zionist Alliance,» in: Abdul-Wahhab Kayyali, ed., *Zionism, Imperialism and Racism* (London; Totowa, N.J.: Croom Helm, 1979), and Walid Khalidi, ed., *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, I.P.S. Anthologie Series, no. 2 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971).

(٣) حفل تاريخ الصهيونية السياسية منذ بدايته حتى الآن بشكل مطرد بالمعارضة والنقد من عدد كبير من المثقفين والكتاب والزعماء اليهود البارزين المعارضين للصهيونية، وكان بعضهم عضواً في الحركة ثم خاب أمله بعقيدتها وتطبيقاتها وطرقها. وجميعهم، وهم يمثلون شتى المدارس العقائدية (مثل الانسانيين، والماركسيين الاشتراكيين، والمتشدّدين الدينيين)، يتفقون على أن الصهيونية السياسية هي تهديد للسلام في الشرق الأوسط وعقبة كأداء في وجهه، وتهديد لليهود بقدر ما هي تهديد للفلسطينيين أنفسهم، بسبب عقيدتها وتطبيقاتها التوسعية والعسكرية والعنصرية. للاطلاع على مزيد من مدارس الصهيونية السياسية، انظر على سبيل المثال:

Smith, ed., Ibid., and G.V. Smith, «Political Zionism: A Jewish Critique,» in: International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, ed., *Zionism and Racism*.

(٤) Smith, ed., *Zionism, the Dream and the Reality: A Jewish Critique*, and Ben Halpern, *The Idea of the Jewish State*, Harvard Middle Eastern Studies, 3 (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1961).

(٥) انظر: Edward Said: *The Question of Palestine* (London: Routledge and Kegan Paul, 1980); *Orientalism* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Pantheon Books, 1978); Said, «Intellectual Origins of Imperialism and Zionism,» and S.Goranov, «Racism: A Basic Principle of Zionism,» in: International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, ed., *Zionism and Racism*, and Rodinson, *Israel: A Colonial-Settler State*.

الأوروبيين، الى هوية كأبناء من صلب إبراهيم، وهو سبب احتمالي[٦] ويسبب الاضطهاد والشعور الجماعي بهوية عرقية بالتأكيد، تطورت لديهم أفكار في الهويّة القومية قامت ابتداءً على عوامل لغوية وثقافية وليست عوامل سياسية، وذلك على غرار تقاليد المثقفين في أوروبا الغربية. والواقع أن الأفكار العبرية/المسيحية القديمة عن «شعب الله المختار» كما ورد في الكتب المقدسة قد حولتها الحركات القومية الايطالية والبريطانية والألمانية، و «أعادت تصديرها»، إلى يهود أوروبا مع دعوى اقليمية نامية أفرخت الصهيونية. وهكذا ولدت علاقة عضوية تكافلية بين القومية الأوروبية والامبريالية والمطامح الصهيونية، وتطورت ثم تركزت تدريجياً في الأهمية الرمزية والسياسية لتأسيس دولة صهيونية في فلسطين.

إن الصور التي حملها الصهاينة في أذهانهم عن هذه المنطقة وأهاليها تتناغم وتتفق مع تلك الصور التي حملها المستعمرون الأوروبيون عمن استعمروهم. لقد كانت التبريرات الايديولوجية لمشروع الصهاينة مشابهة في الأساس لتبريرات أي استعمار كلاسيكي في آسيا وأفريقيا وغيرهما من مناطق العالم. ولكن الصهاينة أضافوا إلى ذلك تسويغهم الخاص بهم. ففي تبريرهم لمشروعهم، طوروا مجموعة متماسكة من الحجج تقوم على طروحات ومفاهيم معينة لإعادة تفسير التاريخ اليهودي، قائلين بأنهم إنما يزيلون فقط «ظلماً» أوقعته بهم سياسة الامبراطورية الرومانية.

وأولى طروحاتهم هذه هي إطروحة وحدة «جنسهم» و «أمتهم» و «شعبهم»[٧]. إن الصهاينة، وهم يواجهون التشتت والانقسامات والخلافات التي لا تعد ولا تحصى، والتي تطبع بطابعها الجماعات اليهودية في أرجاء العالم، سعوا كما يقول باجويت[٨] إلى إلهاب مشاعر وفكرة الوحدة اليهودية: إن جميع اليهود هم «أمة» واحدة، و «جنس» واحد، و «شعب» واحد. وفضلاً في ذلك، وبالنظر لخطر الامتصاص والتمثل الذي يتهدد الجماعات اليهودية، ولاسيما في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، كان على الصهاينة في الوقت ذاته أن يؤكدوا ثانية طروحاتهم وهي فذاذة وخصوصية «أمتهم» و «جنسهم» و «شعبهم» المتمثلة في ثقافتهم وقيمهم و «حضارتهم».

وبتأكيدهم للفوارق والخصوصية، كان من الممكن للصهاينة ليس فقط اعطاء

(٦) انظر: Arthur Koestler, *The Thirteen Tribe: The Khazar Empire and its Heritage* (London: Hutchinson, 1976).

(٧) المحور المطرد في حجج الصهاينة هو الخلط بين من يتبعون الديانة اليهودية وبين تأسيس «وطن» في فلسطين. وبما أن جميع اليهود يعتبرون أهلاً للهجرة الى الدولة الصهيونية فإنهم يصبحون، بالتدليس، صهيونيين، حتى وإن كانوا لا يطمحون بالاقامة في ذلك الوطن ولا يؤيدون أهداف الصهاينة.

(٨) Bajoit, «Zionism and Imperialism».

اليهود فكرة عن هـويتهم، وإنما كـذلك تفسـير معارضـة الأمم الأخرى لهم. فبـما أن اليهود مختلفون كما يقولون، فإنهم لا يمكن استيعابهم وتمثّلهم في أمم وأجناس وشعوب أخرى. إذاً فهم موجودون ولكن اللاسامية تشتتهم (واللاسامية مصطلح يطبق بشكلٍ غريب للتفرقة والتحيز ضد اليهود، وبعضهم ليسوا ساميين، ومع ذلك يستبعد عـدداً من الشعـوب الساميـة كشعب فلسطين)، وبمـا أن خصوصيتهم هـذه ثابتـة غير قـابلة للتغيير فاللاسامية هي تالياً قضية طبيعية، لا شفاء لهـا، وغير قـابلة للإزالـة وموجـودة على الدوام ومتغلغلة في كل مكان (أي أنها كونية)[٩].

ولكي يبرر الصهاينـة مشروعهم، كان عليهم أن يـروجوا ثـالثة طـروحاتهم ألا وهي استمرارية «جنسهم» و«أمتهم» و«شعبهم» مع وحدتهم وفذاذتهم الخاصتين منذ تشتتهم، بل وحتى قبل ذلك كما يقول بعضهم. وبعبارة أخـرى كان لا بـد عليهم من جعـل فلسطين وطنـاً تاريخيـاً وجغرافيـاً لهذه «الأمـة»، «الجنس»، «الشعب» بثقـافته الفذة[١٠]. وهذه الوحدة لم تنقطع على مدى التاريخ أبداً، كما أن «الشعب»، «الجنس» «الأمة» اليهودية قد أرادت دائماً أن تعود إلى أرض الميعاد (فلسطين).

مضى الصهاينة، وهم يقيمون حجتهم على هذه الطروحات، في إضفاء الشرعيـة على مشروعهم بصفته اعتيادياً وطبيعياً وحقاً. كان لا بد من جعل الدولـة اليهوديـة في فلسطين حقاً طبيعيـاً وتاريخيـاً؛ (لكل أمـة دولة، لـذا فعلى «الأمـة» اليهوديـة أن تخلق دولتها في وطنها التاريخي). هـذا، وبما أن «الأمة» اليهودية هي أمة مختلفة، واللاسامية لا شفـاء لها، وبمـا أن وضع اليهـود في الشتـات هـو وضـع شـاذ، إذاً فمن الـطبيعي والشرعي خلق دولة يهودية، باعتبارها الحل الوحيد «لمشكلتهم» والحل الوحيد لتـطبيع أوضاعهم الشاذة من غيتو وتشريد وما إليها[١١].

وعودة اليهود «لإعادة تأسيس» دولتهم الخاصة بهم، هي كذلك لها ما يبررها كما

---

(٩) انظر: المصدر نفسه؛

Smith, ed., *Zionism, the Dream and the Reality: A Jewish Critique,* and T. Petran, «Palestine, the Arabs and Zionism,» *Information Papers,* no. 1 (July 1970).

أخذ بعض الصهاينة يعتبر اللاسامية جرثومة بيولوجية، وأشهرهم حاييم وايزمن الذي قال: «أن اللاساميـة هي باسيلس يحمله غير اليهود جميعاً أينما ذهبوا مهما انكروا ذلك»، كما ورد في:

Alfred M. Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* (New York: Dodd, Mead, 1978).

(١٠) يمكن المرء ان يتلمس في مثل هـذه الأفكار المفهـوم الأوروبي للقوميـة ـ كما عـرضه هـردر ـ مفهوم «روح القـوم» «الذي يخضـع بسهولـة لزخـرفة الخيـال... إن جذور القـوم تمتد فيـما يفترض في تـربـة المـاضي القصيّ». انظر:

Hans Kohn, *Nationalism: Its Meaning and History* (Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1955), p. 30.

(١١) Bajoit, «Zionism and Imperialism».

يقولون، لأن مثل هذه العودة لا تثير مشكلة. ففلسطين هي «أرض بلا شعب» فلماذا لا تعطى إذاً إلى «شعب بلا أرض»؟؛ إلى شعب «متحضر»، شعب يستحقها ويعتز بها، شعب سيزرعها ويجعلها تزهر؟ أما أهالي هذه الأرض الأصليون ـ الفلسطينيون ـ كما يعترفون أحياناً بوجودهم فلا يعتزون بالأرض؛ إنهم بربريون، متخلفون، مشارقة، وسيؤتى بهم إلى التقدم و«الحضارة» عند عودة اليهود هناك.

وهكذا فإن الصهاينة يجادلون على ما يظهر بشأن قضية متناقضة نوعاً ما: ان الشعب اليهودي هو متفرد جداً، مختلف جداً، وذو هويّة وثقافة معينتين بحيث انه يحتاج إلى دولة قومية منفصلة؛ مع هذا فإنه شعب أوروبي بالأساس وذو مستويات متحضرة، ويمكنه أن يكون مخفراً أمامياً لأوروبا «الحديثة»، الحضرية، في الشرق الأوسط البربري.

لم تكن اتجاهات الصهاينة نحو أهالي فلسطين هي وحدها متفقة مع مواقف الاستعمار الأوروبي، بل إن اتجاهاتهم نحو الأرض هي كذلك متطابقة معها فيما يبدو. وقد عرض ادوارد سعيد هذا الأمر على النحو التالي:

«من بين الفوارق الشرعية المزعومة بين الشعوب المتحضرة وغير المتحضرة اتجاه حيال الأرض يكاد يكون حمداً لله بشأنها، وهو موقف يفتقر إليه الشعب غير المتحضر فيما يفترض. فالمعتقد أن الرجل المتحضر يستطيع زراعة الأرض لأنها تعني شيئاً ما له: عليها ـ بموجب هذا المنطق ـ يستولد فنوناً وصنائع مفيدة، وعليها يخلق وينجز ويبني. أما بالنسبة لشعب غير متحضر، فالأرض إما تفلح بصورة رديئة (أي غير كفوءة بالمستويات الغربية) وإما تترك للبوار. ومن هذه السلسلة من الأفكار، والتي حرمت بموجبها مجتمعات محلية كاملة كانت تعيش على أراضٍ أمريكية وأفريقية وآسيوية لمدة قرون من حقها في العيش عليها، جاءت حركات التشريد الكبرى للاستعمار الأوروبي الحديث، وجاءت معها كل برامج استصلاح الأرض، وإعادة توطين السكان الأصليين، وتحضيرهم، وترويض «أعرافهم الهمجية»، وتحويلهم إلى كائنات نافعة تحت الحكم الأوروبي. كانت الأرض في آسيا وأفريقيا والأمريكيتين مفتوحة أمام استغلال الأوروبيين، لأن أوروبا تفهم قيمة الأرض بشكل يستحيل على أهاليها فهمه»[١٢].

ومع أن الصهيونية تشترك في هذه الاتجاهات مع غيرها من المغامرين الاستعماريين، فإنّ لها سماتها وحججها الفذّة الخاصة بها. وأهمها ما يقوم على مبدأ نقل و/أو عودة السكان، لذا لم يكن توسع أمة كالأمة اليهودية في مجتمع قائم سلفاً، موضع سؤال أبداً. لذلك، كانت الخطة الصهيونية تهدف على الأخص لخلق دولة ونقل جميع اليهود إليها، إن استطاعوا، والذين يعتبرون أنفسهم «أمة» بلا دولة. وأنه، لفي هذا الإطار، شدّد الصهاينة (ولا يزالون يشددون) على فكرة العودة وعلى

---

(١٢) Said, *The Question of Palestine*, pp. 75-76.

اللاسامية وذلك لتعبئة وتسويغ خلق دولتهم تسويغاً عقلانياً(١٣).

إضافة إلى هذا، وخلافاً لأي استعمار استيطاني آخر، فإن هذه الدولة يجب أن تتألف بصورة مثالية، مقتصرة على اليهود وعلى اليهود فقط. وهكذا قامت الحجة على أبسط نظريات الدفع والجذب (Push - pull). وبالنظر لاضطهاد اليهود في أوروبا، واستبعادهم من كثير من نواحي الحياة الأوروبية، والعنف الذي يهددهم (كما في روسيا وبولندا حين كانت المذابح المنظمة وكأنها من الوسائل التي تستخدمها الدولة لتحويل عداء وغضب الجماهير إلى وجهة أخرى) واستمرار حياة الغيتو، فإن الحلم بدولة تقوم على المبادىء اليهودية كان حتماً له ما يبرّره كما يعتقدون. وكان «الكبرياء الجديد» و«الهوية الرفيعة» و«الحرية الواسعة هي جائزة المهاجر للدولة الصهيونية. ولم يجرِ البحث في «استغلال» القوى العاملة الفلسطينية المحلية، حتى بصفتها بخسة الأجور، أو استغلال المصادر والاسواق العائدة لمجموعة بشرية أخرى، كما فعلت الدول الاستعمارية الاستيطانية. بل كان البحث هو العثور على وسيلة «مشروعة» لتجريد الفلسطينيين من أرضهم وإبعادهم عنها. وقد جرى إضفاء صفة «الشرعية» على الطرد والتشريد، باعتبار ذلك هو الطريقة الوحيدة لتحاشي استغلال الفلسطينيين والوسيلة الوحيدة لتطبيع الوضع اليهودي(١٤).

وبعد أن نجح الصهاينة في تأسيس دولتهم، إسرائيل، لم يقتصروا على اطرادهم في التشديد على أفكار العودة، واللاسامية، والوحدة، والاستمرارية، والفذاذة، «لأمتهم»، بل استطاعوا كذلك أن يروّجوا مجموعة جديدة من الحجج أضفوا عليها الشرعية لتفسير الأساليب التي حققت تكوين الدولة. وكانت القضية الدقيقة التي تحتاج إلى إضفاء الشرعية عليها، هي العنف الذي ارتكبوه ضد الفلسطينيين وضد الحكم البريطاني لفلسطين في ذلك الوقت. فصوّروا هذا العنف وبرّروه بصفته الوسيلة «الطبيعية» والضرورية التي تلجأ إليها «حركات التحرير» ـ على اعتبار أن حركتهم هي حركة تحرر ـ أجمع في كفاحها من أجل الاستقلال. وقد وصفت غولدا مئير، رئيسة وزراء إسرائيل السابقة، في خطابها في جامعة يشيرا،

---

(١٣) انظر: A. El-Messiri, «Distinctive Traits of Zionist Settler Colonialism,» in: International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, ed., *Zionism and Racism;* H.Weinstock, *Zionism: False Messiah* (London: Ink Links, 1979); M. Machover and M. Offenberg, «Zionism and its Scarecrows,» *Khamsin,* no. 6 (1978); Uri Davis, *Israel: Utopia Incorporated: A Study of Class, State and Corporate Kin Control* (London: Zed Press, 1977), and Bajoit, «Zionism and Imperialism».

(١٤) انظر: Aric Bober, comp., *The Other Israel: The Radical Case against Zionism* (Garden City, N.Y.: Anchor Books, 1972); Davis, Ibid.; Elia T. Zureik, *The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism* (London: Routledge and Kegan Paul, 1979); Machover and Offenberg, Ibid., and Bajoit, Ibid.

نيويورك، بتاريخ ٨ آذار/مارس ١٩٧٣، وصفت إعادة تأسيس السيادة اليهودية في فلسطين «الثورة العظمى بين الثورات».

قال الصهاينة إن الأرض التي استعمروها في فلسطين كانت أرضاً لا تعود إلى أحد، لذا فإن من المبرّر حسب منطقهم أن يحتلوها، لأن الشعب الذي كان يعيش فيها لم يعد موجوداً. وقد أنكرت غولدا مئير سنة ١٩٦٩، وجود الفلسطينيين قائلة: «لم يكن هناك ما يدعى بالفلسطينيين... إنهم غير موجودين»[١٥]. وحتى حين يعترف الصهاينة أحياناً بوجود الفلسطينيين فإنهم يروجون صورة تخلفهم وبربريتهم، إزاء صورة تقدم الصهاينة و«حضارتهم»[١٦]. ويقولون كذلك انه لعدم استطاعة هؤلاء الناس المتخلفين إدراك «حضارة» الصهاينة وفهمها فقد فرّوا وفضلوا العيش كلاجئين بين إخوتهم العرب. ولكن بالنظر لكون هذه الحجة تبدو غير مقنعة، فقد كان على الصهاينة كذلك أن يجدوا حجة أخرى لتبرير استيلائهم على أرض فلسطين. لذا فهم يقولون أيضاً إن بعض الفلسطينيين إنما فرّوا بسبب دعوة إخوتهم العرب لهم بالمغادرة لإنقاذ حياتهم خلال «الكفاح الصهيوني» من أجل «الاستقلال»[١٧]، وكذلك ان بعضهم قد باع الأرض للصهاينة لأنهم لا يعرفون قيمة لها، وتالياً تركوا طواعية للعيش في الأقطار العربية المجاورة[١٨].

وجرى تبرير العنف أيضاً بكونه ضرورياً لإيقاف هؤلاء «المتسللين»، «المخربين»، «المغيرين»، «أفراد العصابات» و«الإرهابيين» العرب (أي الفلسطينيين) الذين لا يريدون أن يعيش اليهود بسلام كالأمم الأخرى. لذا على اليهود أن يدافعوا عن أنفسهم ضد التهديد المستمر بمجزرة أخرى تجري هذه المرة على يد العرب.

ينبغي أن يتحدد مكان هذه الحجج الصهيونية، المضفية للشرعية، في إطار

---

(١٥) Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?*, p. 146.

(١٦) كان موضوع التقدم، مصحوباً بجعل «الصحراء تزهر»، أداة لا تثمن في حرب الدعاية. وكانت صورة حركة الكيبوتز كابتكار ديمقراطي وتقدمي قائم بالأساس على المبادىء الأوروبية في المساواة والراديكالية، حيث المثابرة والاخلاص هما مما يحقق الانتاجية الزراعية، كانت هذه الصورة مثلاً يضرب في خلق صورة الحركة الصهيونية.

(١٧) ومن هنا يتضح تناقض آخر في الطروحات الصهيونية: ففلسطين من جهة، خالية من السكان الى حد كبير (أو كان فيها قلة من الفلسطينيين يمكن تحضيرهم)، ومن جهة أخرى ان الذين لا يفترض أنهم كانوا هناك أو كانوا قلة، قد أخلوا أرضهم وتركوها مفتوحة لاستيطان اليهود.

(١٨) انظر: Evanston Childers: «The Wordless Wish: From Citizen to Refugees,» in: Ibrahim Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab-Israeli Conflict*, Foreword by Arnold J. Toynbee (Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1971), and «The Other Exodus,» in: Khalidi, ed., *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*; Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* and David Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East* (London: Faber and Faber; New York: Harcourt, 1977).

تطورها التاريخي، لكي نرى كيف تطورت الصهيونية من كونها فكرة حتى أصبحت فيما بعد دولة. لذلك سأركز في استعراض هذا التاريخ على الصور «المشرقية» كما كانت في أذهان مؤسسي هذه الحركة، وانسجام هذه الصور مع صور المستشرقين القدامى والجدد عن المشرق.

ثانياً: موسى هس Moses Hess وصور المشرق (١٨١٢ - ١٨٧٥)

مع أن من الصحيح القول ان الصهيونية الرسمية المنظمة إنما بدأها هرتزل كما سأبين فيما بعد، ولكن المعتقد النظري بأسره للصهيونية الكلاسيكية والحديثة موجود في كتابات هس، لا سيما كتابه روما والقدس[١٩]، (وهذه إشارة مباشرة إلى الحركة القومية في إيطاليا). يردد هس في كتابه هذا تغرضاً عنصرياً ضد المشرق، يشابه تماماً - إن لم يكن متماثلاً - مع كتابات القوميين في القرن التاسع عشر، وكثير منها يقوم على افتراضات في التفوق العنصري، وعلى وضع قوالب ذهنية سلبية عن الأقوام الأخرى.

يشدّد هس في كتابه هذا أن على اليهود تحاشي اندماجهم في الشعوب الأخرى وأن يؤكدوا فذاذتهم وخصوصيتهم وذلك «بإعادة تكوين مركزهم القومي في فلسطين»[٢٠]. ويمضي هس، بتبنيه مفاهيم القرن التاسع عشر العنصرية وقبوله لحجة «رسالة التحضر»، إلى مماهاة الصهيونية بهذه الرسالة التي كان على «عنصره» المتفوق (أي اليهود) أن يحملها إلى «المشرق الميت»: «ثمة مهمة كبرى محجوزة لكم أيها اليهود أن تكونوا صلة وصل حية بين قارات ثلاث. عليكم أن تكونوا حملة الحضارة لشعب آسيا البدائي. . . عليكم أن تكونوا الوسطاء بين أوروبا وآسيا البعيدة، وأن تفتحوا الطريق إلى الهند والصين - تلك الأصقاع المجهولة التي يجب أن تفتح على مصاريعها في نهاية المطاف للحضارة»[٢١].

إن أهالي هذه الأصقاع الأصليين، «هؤلاء القطعان البهيمية من الأعراب والأفارقة» - على حد تعبيره - الذين يعيشون في أرض «يجب الا يرثها إلا اليهود»، سوف لن يستشاروا، وينبغي أن يفرض المستوطنون عليهم فرضاً: «يجب على هذا المجتمع الاستيطاني أن يقيم جهازاً للشرطة لحماية المستوطنين من هجمات البدويين. . .»[٢٢]. تصور هس هؤلاء البدو على أنهم برابرة ومتوحشون. لذا فإن على الفرنسيين، الذين ظن هس أنهم سيوطّنون اليهود في فلسطين، ان يستعمروهم؛ «الفرنسيون، وهم جنود الحضارة،

---

(١٩) Moses Hess, *Rome and Jerusalem* (New York: Bloch Publishing Co., 1862).

(٢٠) كما ورد في: Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance,» p. 13.

(٢١) كما ورد في: S. Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 2, no. 1 (1972), p. 89.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٨٩. انظر أيضاً:

Leonard J. Stein, *The Balfour Declaration* (London: Valentine; New York: Simon and Schuster, 1961), and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

يزيحون بالتدريج هيمنة البرابرة»[٢٣]. من الواضح، كما يقول ستاين[٢٤] أن هس كتب هذا في وقت بدا فيه فعلاً أن فرنسا ستوطن اليهود بالفعل في فلسطين. ولكن لماذا اليهود؟ يجيب هس:

«إن من صالح فرنسا أن ترى الطريق المؤدي إلى الهند والصين، وقد استوطنه شعب سيظل مخلصاً لقضية فرنسا حتى النهاية... وهل هناك أمة أخرى أكثر تأهيلاً لحمل هذه الرسالة من إسرائيل»[٢٥].

ويمضي هس ليبيّن المصالح والمنافع الاقتصادية التي ستعود من هذا المشروع الاستعماري على الطرفين: البرجوازية العليا للامبريالية الأوروبية والبرجوازية العليا لليهود[٢٦].

كان هس قد نشر في «أيامه الراديكالية» المزعومة كتاباً بعنوان حكومة أوروبية ثلاثية (١٨٤١) يدعو فيه إلى «رسالة التحضر» ويناشد بريطانيا وألمانيا وفرنسا أن تتحد «لتحضير العالم». والواقع أن فرنسا كانت مهتمة بإنشاء مستعمرة كالتي نادى بها هس، فقد أصدر نابليون خلال حملته في فلسطين (١٧٩٩) ـ تحدوه حاجات الحرب ثم طموحه فيما بعد باجتذاب ولاء اليهود كوكلاء وعملاء في أرجاء العالم[٢٧] ـ أصدر دعوته لإعادة بناء المعبد في أورشليم و«عودة» اليهود إلى فلسطين[٢٨]. وقد دعا كذلك سكرتير نابليون الخاص، إي. لاهارن، باهتمام فرنسا بفلسطين، فنادى بتأييد الاستعمار اليهودي لفلسطين وذلك «بجهود المصرفيين اليهود الدوليين، أو باشتراك مالي عام يدفعه جميع اليهود»[٢٩].

فصهيونية هس ستأتي تالياً إلى المشرق «المتفسخ»، «الأدنى مرتبة» و«المتوحش» بالحضارة والتنوّر الغربيين[٣٠]، ولكن هذا بالنسبة لهس لن يكون ممكناً من دون مساعدة الدول العظمى. إن هذا المنظور قد اتبعه باطراد خلفه هرتزل.

---

(٢٣) Halbrook, Ibid., p. 88.
(٢٤) Stein, Ibid.
(٢٥) Halbrook, Ibid., p. 89.
(٢٦) انظر: المصدر نفسه.
(٢٧) كما قال المؤرخ الكيالي، انظر: Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance,» p. 11.
(٢٨) انظر أيضاً: Ann Williams, *Britain and France in the Middle East and North Africa, 1914-1967* (London: Macmillan; New York: St. Martin's Press, 1968), and T.G. Fraser, *The Middle East, 1914-1979* (London: Edward Arnold, 1980).
(٢٩) كما ورد في: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» p. 88.
(٣٠) لم يكن «هس» هو المبشر الوحيد بالصهيونية. كان هناك عدد من القوميين اليهود (مثل ينده الكلاي، وزري هيرش). وكان أبرز من جاء بعد «هس» هو ليوبنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١). ويقترح هذا في كتابه المعنون «الانعتاق الذاتي» (١٨٨٢)، ان «على اليهود ان يستعمروا فلسطين. ويجب أن تكون زعامة هذه المستعمرة بيد البرجوازية اليهودية «أقوى وأحسن ما لدينا من قوة ـ رجال المال والعلم وغيرهما من الشؤون ـ من =

ثالثاً: ثيودور هرتزل Theodor Herzl (١٨٠٦ - ١٩٠٤)

يمكن القول، إلى حدٍ ما، إنه من دون هرتزل، ما كانت ستوجد حركة صهيونية منظمة. كان هرتزل صحفياً من فيينا في مهنته، برجوازياً في عقليته وتعامله، عنصرياً في مواقفه وفكره، استعمارياً في استعداده، وقد أراد دولة لليهود في أي مكان كان. إنه لم يلتزم بصورة قاطعة أبداً[٣١]، أن تكون الدولة في فلسطين، بل كان أقل التزاماً في هذا على ما يبدو بعد زيارته لها في ١٨٩٨. ولكن كان عليه أن يدعو إلى تلك الأرض فيما بعد، بسبب أهميتها الدينية لليهود. وفي المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل[٣٢] في سويسرا سنة ١٨٩٧ حدَّد هرتزل هدف حركته بأنه «إقامة وطن في فلسطين للشعب اليهودي بضمانة القانون العام».

كان من بين الوسائل التي وضعها المؤتمر لتحقيق هذا الهدف تقوية ورعاية الشعور القومي اليهودي (جنس واحد، شعب واحد) والحصول على دعم الدول الكبرى لتطبيق الهدف[٣٣]. يلاحظ أن الوسيلة التي اقترحها المؤتمر وهرتزل كانت هي ذاتها التي وضعها هرتزل قبل ذلك في كتابه الدولة اليهودية (١٨٩٦)، باستثناء كلمة «وطن» التي استبدلت بكلمة «الدولة». وقصد من هذا التغيير في المصطلح، كما يقول مالنسون مهادنة اليهود من ذوي التعلق الديني العاطفي بفلسطين، ولكنهم يعترضون على مفهوم القومية اليهودية أو الدولة اليهودية. وقد أدرك هرتزل في الوقت ذاته أن مؤيديه السياسيين سيفهمون من الكلمة أنها تعني «دولة يهودية» على أية حال[٣٤].

بيد أن هرتزل أدرك منذ بداية حلمه أهمية تأييد الدول الكبرى لتحقيق فكرته

= ساسة ودعائيين» الذين سيسلكون السبل القيصرية الصحيحة ويحصلون على تأييد الحكومات الغربية لتشكيل هذه المستعمرة». ان عنصريته مبتذلة على الأخص حين يتكلم عن «شعب الله المختار»: «انه على خلاف الزنوج ينتمي الى جنس متقدم». انظر:

Arthur Hertzberg, ed., *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader* (New York: Atheneum, °1969), p. 70.

(٣١) كما يقول كاتب سيرته المؤرخ ديزموند ستيورات، انظر:

Desmond Stirling Stewart, *Theodor Herzl* (New York: Doubleday, 1974).

(٣٢) اتخذت بازل مكاناً لانعقاد المؤتمر بدلاً من ميونيخ التي كان المفروض ان ينعقد فيها، بسبب قوة الشعور اليهودي المناهض للصهيونية في ألمانيا. وقد اكتسب التحريض من أجل «وطن» يهودي دفعة قوية. ففي روسيا مثلاً، ونتيجة للمذابح المنظمة سنة ١٨٨١ قامت حركة «محبي صهيون» بالتحريض من أجل العودة الى «وطن الأجداد» في فلسطين فذهب إليها «الرواد» فعلاً. وقد تولى هرتزل زعامة الحركة في هذا الوقت وأعطاها مركزاً سياسياً بتنظيمه للمؤتمر.

(٣٣) انظر: Walter Zéev Laqueur, ed., *The Israeli-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict* (London: Weidenfeld; New York: Citadel Press, 1969); W.T. Mallison, «The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law,» in: Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab- Israeli Conflict,* and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

(٣٤) انظر: Mallison, Ibid.

في خلق دولته المثالية، لذلك سعى أن يربط حركته بالقوى العالمية الفاعلة في مناطق النفوذ التي تقع فلسطين فيها. وعليه، قضى هرتزل حياته وهو يتعامل مع هذه الدولة الامبريالية أو تلك مبيناً لها منافع دولته المثالية. وقد صاغ ماكس نوردو، نائب هرتزل، هذه السياسة على الوجه الآتي:

«إن مطامحنا تشير إلى فلسطين كما تشير البوصلة إلى الشمال. لذلك يجب أن نتوجه بأنفسنا نحو الدول التي تقع فلسطين ضمن نفوذها»[٣٥].

كانت الدولة الأولى التي اتصل بها هرتزل لكسب تأييدها لغرض تحقيق دولته المثالية هي الامبراطورية العثمانية التي كانت تحكم فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى. وقد حاول أن يبيّن للسلطان منافع ذلك إذا أعطاه فلسطين:

«لو أن جلالة السلطان أعطانا فلسطين فيمكننا بالمقابل أن نتولى تنظيم مالية تركيا بأسرها. وإننا سنشكل هناك مخفراً أمامياً للحضارة ضد البربرية. وسنظل، بصفتنا دولة محايدة، على صلة بأوروبا جميعها التي سيكون عليها ضمان وجودنا»[٣٦].

وإضافة إلى طلب عون الدول الكبرى الذي لا غنى عنه لتحقيق فكرته وإظهار الرابطة العضوية بين الطرفين يكشف هرتزل، كما فعل هس، عن شعوره بالتفوق واتجاهاته العنصرية حيال المشرق. انظر مثلاً كيف خاطب المؤتمر الصهيوني الأول:

«إن من مصلحة الأمم المتحضرة جداً ومن مصلحة الحضارة عموماً أن تقام محطة ثقافية في أقصر طريق إلى آسيا. وفلسطين هي هذه المحطة ونحن اليهود حملة الثقافة، نحن الذين على استعداد لبذل أموالنا وأرواحنا لتحقيق تأسيسها»[٣٧].

ولا ينبغي فهم هذا التصور عن المشرق وهذه الأفكار التفوقية بمعزل عن التصور العنصري الاستعماري السائد في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الذي كان يحمله المستعمرون عن أنفسهم وعن سكان مستعمراتهم. لذا فإن اتجاه اليهود المذكور ينبغي رفضه كما يقول منظّر السلام جوهان غالتونغ:

«إن الدور التفوقي الذي أهّل اليهود أنفسهم لكي يلعبوه كشعب يحمل «رسالة الحضارة» ينبغي رفضه رأساً بصفته دوراً استعمارياً، لا إنكاراً للقدرة اليهودية بل إنكاراً لحق اليهود في تولي هذا

---

(٣٥) كما ورد في: Bober, comp., *The Other Israel: The Radical Case against Zionism*, p. 14, and Halpern, Ibid.

(٣٦) التشديد مضاف، انظر: L. Lewisohn, ed., *Theodor Herzl* (Cleveland: World Pub. Comp., 1955), pp. 54-55.

(٣٧) كما ورد في: Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance,» p. 16.

النمط من الرسالة»(٣٨).

لم يهتم هرتزل أبداً بما سيفكر به أهالي هذه الأرض التي يريد أن يستولي عليها، ولا بمشاعرهم حول الأمر. كان كل همّه منصباً بالطبع على كيفية الاستيلاء على الأرض. لذلك جرّب أن يغري السلطان، فعرض عليه معونة مالية لمساعدة الامبراطورية المتهاوية ومنعها من السقوط لقاء تلك القطعة من الأرض: «والمعونة المالية التي يستطيع اليهود إعطاءها إلى تركيا هي معونة كبيرة، وسيكون من شأنها تحاشي الكثير من العلل الداخلية التي تشكو منها البلاد الآن»(٣٩). وعرض هرتزل كذلك العرض الآتي على السلطان:

«سيكون الاستيطان اليهودي مفيداً للامبراطورية التركية حسب المنطق الآتي: فبمجيء اليهود سيدخل عنصراً موالياً جداً وجديداً في الشرق الأدنى، وإن عنصراً موالياً سيساعد بالتأكيد على التخفيف من أعظم خطر يهدد الحكومة الامبراطورية من جميع الأطراف، ألا وهو خطر انتفاضة عربية»(٤٠).

من المفيد أن نذكر هنا ما يتسم به هرتزل من انقسام الرؤية والنفاق. فالعلة التي يشير إليها هي العرب، ويضمنهم الفلسطينيون والذين يكافحون لنيل استقلالهم من الحكم التركي؛ فهو لذلك يعي وجود السكان في الوقت الذي يدّعي فيه أن فلسطين «فارغة» أو على أحسن الفروض يسكنها «البرابرة».

وحين كان هرتزل يحاول إقناع السلطان بمشروعه فإنه كان في الوقت ذاته يشرح منافع فكرته للبرجوازية اليهودية، الوسطى منها والعليا. وقد بيّن لهم، وبخاصة لآل روتشيلد، الذين كانوا قد أسسوا سلفاً مستوطنة في فلسطين، أن الدولة المقترحة ستكون على حد تعبيره «نافعة لهم قطعاً»(٤١). لقد أعاد مراراً وتكراراً المنافع التي ستجنيها الطبقتان المذكورتان:

«سيتمكن اليهود الأثرياء من التمتع بممتلكاتهم بسلام هناك. فإذا تعاونوا في تحقيق مشروع الهجرة هذا، فسيوفّق لهم رأسمالهم بعد أن يكون قد تولى مهمة لا مثيل لها»(٤٢).

بيد أن صهيونية هرتزل كانت دائماً مرتبطة بالدول الامبريالية العالمية وقد اتسم تاريخها منذ البداية بجهود متواصلة لتحظى برعايتها. اتصل هرتزل بهذا الصدد

---

(٣٨) Johan Galtung, «The Middle East and the Theory of Conflict,» *Journal of Peace Research*, vol. 8, nos. 3-4 (1971), p. 174.

(٣٩) كما ورد في: H. Arendt, «Zionism Reconsidered,» in: Michael Selzer, ed., *Zionism Reconsidered* (New York: Macmillan, 1970), p. 236.

(٤٠) كما ورد في: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» p. 96.

(٤١) Lewisohn, ed., *Theodor Herzl*, pp. 241-242.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٤ - ٢٦٨.

بقيصر ألمانيا[٤٣]، الرجل الذي «سيفهم مشروعي» على حد تعبيره[٤٤]. ولا يعود هذا التفاهم فقط إلى أثر الثقافة الألمانية في الصهيونية، بل كذلك إلى ميل ألمانيا للضغط بحثاً عن طريقها الامبريالي نحو المشرق، في منافستها للدول الأخرى في ذلك الوقت، أي انكلترا وفرنسا:

«أخذت السياسة الألمانية تتجه نحو المشرق، وإن هناك شيئاً رمزياً في الزيارة التي قام بها القيصر لفلسطين وذلك من وجوه عديدة. لهذا فإني (هرتزل) لعلى يقين جازم أكثر من أي وقت مضى بأن حركتنا ستنال المساعدة ممن كنت أتوقعها صابراً في السنتين الماضيتين. وقد اتضح الآن أن استيطان أقصر الطرق إلى آسيا من عنصر قومي محايد (من بين الأوروبيين) يمكن أن يكون له كذلك قيمة معينة لسياسة ألمانيا الشرقية»[٤٥].

لقد دعا زعماء الصهيونية الألمان صراحةً إلى فكرة استعمار اليهود لفلسطين. كانت هذه الدعوة واضحة في مذكرة كتبها بودنهايمر (محام صهيوني رافق هرتزل في زيارته لفلسطين) إلى وزارة الخارجية الألمانية في سنة ١٩٠٢:

«ألمحت فيما ألمحت إليه الى المنفعة الاقتصادية التي ستعود على الامبراطورية الألمانية من خلال الاستيطان الصهيوني. إن الوشيجة مع اللغة التي يستعملها اليهود في الشرق (أي أوروبا الشرقية التي تكلمت لغة اليديش، لغة ألمانيا في القرون الوسطى مضافاً إليها بعض الكلمات العبرية والبولونية) ستسهّل إقامة العلاقات التجارية والثقافية. فضلاً عن أن النفوذ المعنوي على الجالية اليهودية وأهمية اليهود في دنيا المال يجب ألا يُقلّل من شأنها»[٤٦].

ويلاحظ، كما أشار بولخن أيضاً، أن الفكرة ذاتها ظهرت في تقرير لنائب القنصل الألماني في يافا بفلسطين، وتاريخه ٢٩ شباط /فبراير ١٩١٢، وهو يقول:

«بما أن الألمانية لغة يعرفها اليهود، ولو أن أكثرهم يتكلمونها بشكل محرف فقط، فهناك بينهم وبين ألمانيا روابط قادرة على تعزيز المستقبل.. يوجد اليوم في البلاد حوالى مئة ألف يهودي، سبعون ألف منهم من الأشكنازي، أي أنهم ينتمون الى العالم الناطق بالألمانية. هنا تكمن إشارة قوية ليس فقط للمستوطنين الألمان في فلسطين، بل كذلك للدوائر الصناعية والتجارية في ألمانيا»[٤٧].

---

(٤٣) بذل هرتزل، قبل الاتصال بالقيصر، قصارى جهوده في محاولة لاثارة اهتمام عدد من المتعاطفين المهمّين والألمان المتنفذين في تأييد دولته المثالية (مثل دوق بادن، عم القيصر، فيليب زو يولنبرغ ـ السفير الألماني في فيينا، فون بولاو، وزير الخارجية وهوهنلو، المستشار). لمزيد من التفاصيل، انظر:
Stewart, *Theodor Herzl,* and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

(٤٤) كما ورد في: Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance,» p. 17.

(٤٥) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ١٧.

(٤٦) كما ورد في: K. Polkehn, «Zionism and Kaiser's Germany: Zionist Diplomacy with the Empire of Kaiser Wilhelm,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 4, no. 2 (Winter 1975), pp. 81-82.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٨٢.

على أن الدوافع الاستعمارية الألمانية في المشرق قد عبّرت عن نفسها في زيارة القيصر ولهلم الثاني الى القسطنطينية وفلسطين وسوريا في ١٨٩٨ (بعد المؤتمر الصهيوني الثاني مباشرة). وفي هذا الإطار، أراد هرتزل وحركته الصهيونية أن ينتهزا هذه الفرصة للحصول على التأييد والدعم المهمّين من ألمانيا[٤٨]. قدم هرتزل حركته للقيصر بصفتها «ممثلة للحضارة الغربية»[٤٩]. كما أنه أوضح للقيصر في رسالة له هدف حركته وفائدتها لسياسة ألمانيا المشرقية، قائلاً إن اليهود هم المستعمرون الاوروبيون الوحيدون الذين هم على استعداد للاستيطان في الأرض «الفقيرة»، فلسطين، والتي لا بد من استيطانها لأنها كما قال تحتل مركزاً استراتيجياً. وعاد هنا أيضاً الى موضوعه المتواصل عن شعب «محايد» على الطريق المباشر الى الشرق[٥٠].

ولكن على الرغم من هذه المناشدة، وعلى الرغم من المصالح الامبريالية الألمانية التي قد تنشأ من هذه الفكرة الصهيونية، فإن تحقيقها كان سيستفز ويغضب حليفة ألمانيا، ألا وهي تركيا التي رفض سلطانها بقوة اقتراح القيصر قائلاً: «ما دامت إمبراطوريتي باقية فإن فلسطين ليست للبيع»[٥١]. إن السلطان كما يقول ستوارت:

«لم يتزعزع أبداً في إيمانه بأن الأرض المقدسة تؤلف جزءاً من الأمانة المقدسة في عنقه، بصفته خليفة المسلمين وسلطان العرب معاً، وهم يؤلفون تسعة أعشار السكان في بلاده»[٥٢]. أما يولنبرغ، سفير ألمانيا في فيينا آنئذ، الذي رافق القيصر في زيارته للقسطنطينية، وكان متعاطفاً مع الصهيونية، فقد أخبر هرتزل عن معارضة السلطان لفكرته:

«رفض السلطان اقتراح القيصر بشأن الصهاينة بدرجة من الجفاف الفظ، بحيث لم يكن ممكناً الاستمرار في تتبع الأمر. لقد كنا تواقين أن نظل على صلات حسنة معه. ولم يستطع القيصر بالطبع، بصفته ضيفاً، أن يتابع الموضوع»[٥٣].

يضاف الى هذا أن رفض وزارة الخارجية الألمانية تأييد إقامة محمية صهيونية ـ

---

(٤٨) والواقع ان هرتزل قابل القيصر في تركيا سنة ١٨٩٨، لاقناع السلطان بفكرته/ دولته خلال اجتماعه به. وفي خلال تلك المقابلة وجّه القيصر سؤالاً لهرتزل: «قل لي بكلمة واحدة ماذا أطلب من السلطان؟» يذكر ستيوارت أن هرتزل استخدم كلمات انكليزية لجعل مرامه أكثر وضوحاً حين أجاب (مختاراً عبارة رودز): «شركة مسجلة تحت حماية ألمانية». انظر:

Desmond Stirling Stewart: «Herzl's Journeys in Palestine and Egypt,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 3, no. 3 (Spring 1974), pp. 18-36, and *Theodor Herzl*.

(٤٩) انظر: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology».

(٥٠) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٦، و Stewart, *Theodor Herzl*.

(٥١) Stewart, Ibid., p. 28.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) المصدر نفسه.

ألمانية في فلسطين ينبغي ألا ينظر إليه بمعزل عن تخوفها من فرنسا وانكلترا اللتين ما كانتا سترحبان بالتأكيد بامتداد النفوذ الألماني قريباً جداً من الموارنة في لبنان، فيما يتعلق بفرنسا، و/أو من قنال السويس فيما يتعلق ببريطانيا. لذلك تخلى الألمان عن تأييدهم التام(٥٤) لهرتزل، بعد أن أتضح لهم أن مساوىء التحالف الصريح مع الصهاينة تفوق فوائده بصورة جلية.

وبعد أن فشل هرتزل في إغراء السلطان والقيصر بتأييد فكرته، كان عليه أن يتجه الى دولة أخرى، وكانت أولى الدول التي تعطيه أرضاً في امبراطوريتها هي انكلترا. أعلن هرتزل أمام المؤتمر الصهيوني الرابع الذي انعقد في لندن سنة ١٩٠٠ قائلاً:

«إن الصهيونية ستمضي من هذا المكان صعداً إلى أعلى فأعلى.. وانكلترا، انكلترا الجبارة، انكلترا الحرة، بمنظورها الذي يحتضن العالم، (وقوتها العسكرية ومصالحها الاقتصادية التي تحتضن العالم) هي التي ستفهمنا وتفهم مطامحنا. وإننا لعلى ثقة أن الفكرة الصهيونية، وانكلترا نقطة انطلاق لها، سترتفع شاهقاً الى أعلى مما بلغته في الماضي على الاطلاق»(٥٥).

لقد وضع هرتزل آمالاً كبيرة في الجالية الأنكلو-يهودية في انكلترا. ولكن نشاطه الذي يكشف عن الكثير من الغوامض كان في الواقع منصبّاً على بناة الامبراطورية البريطانية من غير اليهود في ذلك الوقت، وكان هؤلاء اكثر تقبلاً لفكرته من معاصريهم اليهود الانكليز الذين رفضوا على العموم أن يشاركوا في الحركة الصهيونية، لاعتقادهم أنها تهدد مركزهم والاعتراف بهم مما حصلوا عليه في انكلترا(٥٦). وفي خلال فترة قصيرة، كان هرتزل يركز أقصى جهوده لكسب معونة ودعم الانكليز غير اليهود الذين، رغم ذلك، يؤيدون الصهيونية وبخاصة سيسيل رودز (Cecil Rhodes)، الذي كان هرتزل معجباً به جداً. كتب هرتزل في يومياته سنة ١٩٠٢ يقول:

«إن من الأشخاص الذين هم في لعبة الشطرنج التي ألعبها، سيسيل رودز، والذي سأقابله بعد عودته من سكوتلندة،.. ملك انكلترا (عن طريق مطران ريون)»(٥٧). وفي السنة ذاتها،

---

(٥٤) والواقع أن زعماء الصهيونية المتنفذين في ألمانيا لم يتخلوا من جانبهم عن بذل جهودهم للتحالف مع الامبريالية الألمانية. للاطلاع على جهودهم في تأييد الصهيونية، انظر على سبيل المثال:
Polkehn, «Zionism and Kaiser's Germany: Zionist Diplomacy with the Empire of Kaiser Wilhelm,» pp. 76-91.

(٥٥) Lewisohn, ed., *Theodor Herzel*, p. 330.

(٥٦) انظر: R. Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism,» in: Kayyali, ed., *Zionism, Imperialism and Racism;* Smith, ed., *Zionism, the Dream and the Reality: A Jewish Critique,* and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

(٥٧) كما ورد في: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» p. 97.

طلب هرتزل من رودز أن يلقي بثقله وراء هذه الفكرة، وقد شخصها كمشروع استعماري:

«إنك مدعو أن تساعد في صناعة التاريخ. وهذا لن يفزعك، لا ولن تهزأ به. إنه ليس في خطك المعتاد؛ إنه لا يتعلق بأفريقيا بل بقطعة من آسيا الصغرى، لا يتعلق بالانكليز بل باليهود. ولكن لو صادفك هذا في طريقك لكنت قد قمت به قبل الآن. فلماذا إذن أتوجه إليك، والأمر خارج نطاق اهتمامك؟ لماذا حقاً؟ لأنه أمر استعماري»(٥٨).

توسل هرتزل الى رودز، على حد تعبير هلبروك، لكي يلقي بثقله وراء الصهيونية وكذلك لكي يستثمر فيها، لأنه «سيكون راضياً عما يجنيه من ربح طيب»(٥٩). صحيح ان رودز قد مات قبل أن يحقق شيئاً، ولكنه ترك ميراثاً من استراتيجيته في الفتح لهرتزل، وهو ميراث أثّر فيه.

كان التأييد الذي نالته الصهيونية من غير اليهود من الصهاينة في فرنسا وألمانيا وانكلترا أكبر من تأييد الجماهير اليهودية ذاتها، وهذه الحركة في واقع الأمر لم تنبع من بين صفوفها، كما أنها لم تجتذب تأييدها. على أن التأييد للصهيونية كان واسعاً وشعبياً في انكلترا مدى العصور، وكذلك كان الحماس لها، وبدرجة تفوق ما جرى في أي بلد آخر في اوروبا. فقد وجدت الصهيونية غير السياسية في انكلترا وازدهرت قبل أمد طويل من ميلاد الصهيونية السياسية المنظمة، حيث كان بعض الدعاة الغيارى للاستيطان اليهودي في فلسطين قبل ظهور الصهيونية من الانكليز الذين ارتأوا أن هذا الاستيطان سيخدم مصالح الامبراطورية البريطانية على أحسن وجه. يوضح البروفسور أي. آر. تيلر هذا الأمر على النحو الآتي:

«إن فكرة التنمية اليهودية في إطار فلسطين وجدت أنصارها الرئيسيين منذ البداية لا في أوساط يهودية بل في أوساط غيرهم. وقد نشأت شتى المشاريع للاستيطان اليهودي في الأرض المقدسة ـ والتي أحدثت بالنتيجة بؤرة تركيز إقليمية في عقول القوميين اليهود الأوائل ـ نشأت بالدرجة الأولى من الاهتمام الأوسع في أعمال الخير اليهودية التي تطوّرت في القرن التاسع عشر وخاصة في انكلترا غير اليهودية»(٦٠).

---

(٥٨) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٦٠) انظر: A.R. Taylor, «Zionism and Jewish History,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 1, no. 2 (Winter 1972), p. 78.

انظر ايضاً: Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism»; Uri Avnery, *Israel without Zionist: A Plea for Peace in the Middle East* (New York: Macmillan, 1968); Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance,» and Franz Kobler, *The Vision Was There: A History of the British Movement for the Restoration of the Jews to Palestine* (London: Published for the World Jewish Congress, British Section by Licolns-Praeger, 1956).

ويعلق المؤرخ اليهودي الشهير شوكولوف على هذه العلاقة الدائمة بين انكلترا والصهيونية قائلاً: «إن المسيحيين الانكليز علموا الناس المبادىء الأساسية للقومية اليهودية». ثم يمضي الى إبداء اعترافه بجميل الكثيرين من «المفكرين والأدباء والشعراء الإنكليز على مدى العصور»، الذين حملوا راية المناصرة للقضية الصهيونية:

«منذ ثلاثة قرون والصهيونية هي فكرة دينية وسياسية معاً، والتي أخذ بيدها عظام الرجال من المسيحيين واليهود، في انكلترا بالدرجة الأولى، وسلموها للأجيال القادمة»[٦١].

ومنذ ١٨٤٠ ومشروع الاستيطان اليهودي يلقى التأييد الكبير ويشغل تفكير المتنفذين الانكليز من الصهاينة غير اليهود. من هؤلاء إيرل شافتزبري (١٨٠١ - ١٨٨٥) الذي اقترح سنة ١٨٤٠ إصدار تأييد رسمي للاستيطان اليهودي في فلسطين، والكولونيل جورج غولر حاكم جنوب استراليا السابق الذي تزعم حملات نشطة لإقامة مستوطنات يهودية في فلسطين[٦٢]، وهذان هما من أوائل الانكليز الذين أيدوا الصهيونية. ورغم أن جهودهما لم تفلح إلاّ أنّ الاستيطان اليهودي في فلسطين حظي بجاذبية متزايدة في بريطانيا، فدعا اليه وروّجه رجال الكنيسة والمؤلفون[٦٣] ورؤساء الوزراء من الامبرياليين البريطانيين البارزين، والساسة والقادة العسكريون والمغامرون الاستعماريون على السواء (مثل بالمرستون، دزرائيلي، الكولونيل تشارلز هنري تشرتشل، لورنس أوليفانت، جوزيف تشمبرلين، جان سمطس، أي. جي. بلفور وونستون تشرتشل)[٦٤].

والواقع أن الصهاينة البريطانيين من غير اليهود لم يكن يحدوهم حب السامية، وكان أكثرهم يحمل التغرضات ذاتها التي حملها معاصروهم من اللاساميين. لقد كانوا

---

(٦١) كما ورد في: Sharif, Ibid., p. 56.

(٦٢) كان تبرير غولر لاقامة مستوطنة يهودية في فلسطين يقوم أساساً على اعتبارات سياسية واقتصادية - ضمان طرق الامبراطورية البريطانية الى الهند: «إن العناية الإلهية قد وضعت سوريا ومصر في الفجوة ذاتها بين انكلترا وأهم مناطق تجارتها الاستعمارية والخارجية، الهند، الصين، الأرخبيل الهندي واستراليا. . . إن دولة أجنبية. . . سرعان ما ستهدد التجارة البريطانية بالخطر. . . والأمر متروك الآن لانكلترا لتتولى تجديد سوريا عن طريق الشعب الوحيد الذي ستوضع طاقاته قيد العمل بصورة واسعة ودائمة - أبناء التربة الحقيقيين، بني اسرائيل». كما ورد في: المصدر نفسه.

(٦٣) من أبرز من تطرق للموضوع في الأدب جورج إليوت في دانيال دروندا (١٨٧٦)، ودزرائيلي في تانكريد. وكلاهما حرك الاستجابة الرومانسية والتعاطف الجماهيري والقبول العام، وبخاصة كتاب إليوت، للفكرة البريطانية الوحي والذاتية المصلحة الخاصة «بعودة اليهود الى فلسطين». انظر:
Said: *Orientalism*, and *The Question of Palestine*, and Smith, Ibid.

(٦٤) انظر: Sharif, Ibid; Taylor, «Zionism and Jewish History»; Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance»; R.P. Stevens, *Weizmann and Smuts* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1976); Said, *The Question of Palestine*, and Halpern, *The Idea of the Jewish State*.

مدفوعين بدافع مصالحهم الذاتية الامبريالية في المشرق، وإن كانت مصالح ذات مذاق أخلاقي وديني في ظاهرها. كانت هذه المصالح واضحة في مشروع ١٨٧٩ والذي وضعه الدبلوماسي والمؤلف لورنس أوليفانت ودعا فيه الى استيطان يهودي في شرق الأردن. ومع أن مشروعه لم يطبق أبداً، ولكنه رفع من اهتمام الجمهور في الاستيطان اليهودي في فلسطين، وحثّ الحكومة على إمعان نظرها في المشرق. يقول كاتب سيرته، فيليب هندرسون ان أوليفانت لم يكن يحمل أي تعاطف بعينه مع اليهود بل إنه «كان يشترك في الكثير من مشاعر اللاسامية السطحية السائدة في زمنه»[٦٥]. ويقول كاتب سيرته أيضاً إن اهتمامه الأساسي بمشروع الاستيطان يرتبط بفكرة «تغلغل بريطانيا السياسي والاقتصادي في فلسطين، واتخاذ اليهود بيادق في اللعبة»[٦٦]. وقد كان لهذا المشروع فائدة مضافة هي تشريد سكان بلدٍ ما، الأمر الذي كان في صلب الكراهية العنصرية لحركة مناهضة الأجانب في بريطانيا.

كانت الاهتمامات والمصالح البريطانية في فلسطين خلال القرن التاسع عشر، تتلخص في الحقيقة بتوازن القوى الاوروبي، وحماية الهند المهددة ابتداءً من فرنسا وروسيا؛ طريق المرور والمواصلات غير المنقطع الى الهند عبر سوريا، وقرب فلسطين من مصر التي احتلتها بريطانيا سنة ١٨٨٢[٦٧]. لقد كانت هذه هي الشؤون التي اجتذبت وحتمت اهتمام أكثرية بناة الامبراطورية البريطانية، لا المصالح الدينية أو الشعور بالعدالة الاجتماعية، في مسألة الاستيطان اليهودي في فلسطين.

يمكننا أن نشهد هذه المصالح، وكذلك المسألة الشرقية المعقدة وبوضوح في أوائل القرن التاسع عشر في سياسة بالمرستون حين توليه وزارة الخارجية البريطانية، وقبوله باقتراح شافتزبري القاضي باستخدام اليهود كإسفين بريطاني داخل الامبراطورية العثمانية، وكانت بريطانيا مستعدة للقيام بكل ما يمكن للحيلولة دون سقوطها المفاجىء. فمثل هذا السقوط سيعطي لكل من فرنسا وروسيا حصة في امبراطورية «الرجل المريض»، بصفتها حماة الأقليات الدينية فيها (الكاثوليك في سوريا ولبنان وفلسطين فيما يتعلق بفرنسا، والارثوذكس فيما يتعلق بروسيا)[٦٨].

كانت انكلترا في عهد بالمرستون بحاجة ماسة الى تابع تحت حمايتها في

---

(٦٥) كما ورد في: Taylor, Ibid., p. 39.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٦٧) انظر: Kayyali, «The Historical Roots of the Imperialist-Zionist Alliance»; Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism»; Fraser, *The Middle East, 1914-1979,* and Williams, *Britain and France in the Middle East and North Africa, 1914-1967.*

(٦٨) انظر: Kayyali, Ibid.

الامبراطورية العثمانية لصيانة مصالحها في المستقبل. لذا سعى بالمرستون أن يقيم علاقة مع الأقلية اليهودية في فلسطين بهدف تحقيق فائدتين، كما تقول آر. شريف[٦٩]. الفائدة الأولى هي وجود جماعة مناصرة لبريطانيا في منطقة ليس لها فيها مثل هذه الجماعة. ثم ان البريطانيين سينتفعون بصورة غير مباشرة من تدفق رأس المال اليهودي الى هناك والذي يحتاج اليه السلطان عاجلاً، مما سيقوي مركزه، وينعش نظامه الاقتصادي المفلس تقريباً، ويمكّنه من الحفاظ على «وحدة اراضي امبراطوريته»[٧٠].

وفي رسالة كتبها بالمرستون سنة ١٨٤٠ الى سفيره في القسطنطينية يحثه فيها أن يوضح للسلطان لماذا ينبغي له أن يشجع الهجرة اليهودية الى فلسطين:

«... يجب ألا تغفل اقتراحي للباب العالي بدعوة اليهود للعودة الى فلسطين. إنك لا تستطيع أن تتصور إلى أي حدٍ سيثيره هذا الاجراء من اهتمام جميع الاوساط الدينية في هذه البلاد، بما لها من نفوذ كبير وعلاقات واسعة. فضلاً عن ذلك فالإجراء بذاته سيكون نافعاً جداً للسلطان، وذلك بما سيجلبه الى بلاده من الأعداد الكبيرة من الرأسماليين الأثرياء الذين سيستخدمون الناس ويغنون الامبراطورية»[٧١].

وعلى الرغم من رفض السلطان الاقتراح البريطاني، فقد واصلت بريطانيا جهودها لحماية مصالحها في المشرق بصورة عامة ولإقامة مستعمرة لليهود في فلسطين بصورة خاصة. إن الأهمية الجديدة التي اكتسبتها فلسطين بالنسبة للامبراطورية البريطانية ـ لقربها من مصر ـ جعلت من مشاركة بريطانيا في إقامة مستعمرة يهودية في فلسطين، بحلول نهاية القرن الماضي، ضرورة سياسية وليست خياراً سياسياً[٧٢]. وقد عكس اللورد كتشنر مثل هذه الأهمية الدائمة في دعوته لحكومته بأن «تحصل على فلسطين كحصن يدعم وضع بريطانيا في مصر وكذلك كصلة برية بالشرق»[٧٣]. أما جوزيف تشمبرلين، وزير المستعمرات، والذي كان في بحث مستمر عن أمكنة للاستعمار وعن مستوطنين فيها وذلك «للإتيان بالحضارة الى الأنسانية الأدنى، التي تحيا دون شريعة»، فقد رأى في اليهود «مجموعة جاهزة من المستوطنين الاوروبيين حاضرة للإقامة والتنمية ولديها كل شيء، باستثناء أرض خالية تحت الرعاية البريطانية»[٧٤]. إن دعوته لإقامة مستعمرة يهودية في فلسطين لم تنبع،

---

(٦٩) Sharif, Ibid.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٧١) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٦١ ـ ٦٢.

(٧٢) انظر: المصدر نفسه.

(٧٣) انظر: George Antonius, *The Arab Awakening: The Story of Arab National Movement* (London: Hamilton, 1938), pp. 261-262.

(٧٤) كما ورد في: Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism,» p. 64.

كما يقول كاتب سيرته جوليان امري، من نبوءة توراتية ولا من اعتبارات إنسانية، بل من تطلّعه لتوسيع الامبراطورية البريطانية في المشرق:

«إن مستعمرة يهودية في سيناء قد تكون أداة نافعة لتوسيع النفوذ البريطاني في فلسطين بأكملها حين يحل وقت التفكك الحتمي للامبراطورية العثمانية»(٧٥).

وكان تشمبرلين مدفوعاً كذلك بمشكلة محلية أخرى جعلته يلحّ في محاولة إقامة مستعمرة يهودية، والمشكلة هي تدفق يهود روسيا بموجات جديدة كبيرة على انكلترا بعد المذابح المنظمة في اوروبا الشرقية، وخوف تشمبرلين من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي قد يسببها مجيئهم.

قام هرتزل سنة ١٩٠٢، بهذا الخصوص، بمقابلة تشمبرلين عن طريق اللورد روتشيلد، في محاولة للعثور على أرض مناسبة للاستيطان اليهودي، ولكي يقدم تقريره الى «اللجنة الملكية البريطانية» بصفته رئيساً «للمنظمة الصهيونية» عن تدفق اليهود العارم على انكلترا(٧٦). فلما جاء هرتزل الى انكلترا كان موقف بريطانيا الرسمي أصلاً يحبّذ إقامة مستعمرة لليهود. سجل هرتزل في يومياته هذه المحادثة مع تشمبرلين:

«ثم تكلمت عن الأرض التي أريدها من انكلترا: قبرص والعريش وشبه جزيرة سيناء... كان مستعداً للمساعدة إن استطاع؛ وهو يحب الفكرة الصهيونية، الخ. بل إن كنت أستطيع أن أجد له قطعة في الممتلكات البريطانية ليس فيها من البيض أحد حتى الآن، فبوسعنا الحديث عنها»(٧٧).

قام تشمبرلين بإخبار هرتزل عن صعوبات استيطان قبرص التي كان يسكنها أصلاً مسيحيون يونانيون ومسلمون أتراك، لذلك فإنه، أي تشمبرلين، لا يستطيع طردهم من أجل مهاجرين يهود. أجاب هرتزل مقترحاً تأسيس «شركة شرقية يهودية» اتباعاً لتقليد الامبريالية الطويل القائم في إطار مالي بالدرجة الأولى، كما هو الحال بالنسبة لشركة الهند الشرقية. ما ان تؤسّس هذه الشركة لاستيطان سيناء والعريش:

«حتى يأخذ القبارصة بالمطالبة بتساقط ذلك الغيث الذهبي على جزيرتهم ايضاً. المسلمون سيغادرون، واليونانيون سيبيعون أراضيهم بامتنان لقاء سعر طيب، ويهاجرون الى أثينا أو كريت»(٧٨).

بيد أن تشمبرلين رفض فكرة هرتزل واقترح أوغندا بدلاً منها، آملاً من ذلك

---

(٧٥) كما ورد في: المصدر نفسه.

(٧٦) انظر: Taylor, « Zionism and Jewish History,» and Stewart, «Herzl's Journeys in Palestine and Egypte».

(٧٧) كما ورد في: Stewart, Ibid., p. 30.

(٧٨) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٣١.

أن يحقق أموراً عديدة منها: تجهيز التجارة والصناعة في انكلترا بالسكر والقطن من جهة، وتشكيل قاعدة من هذه المستعمرة لتعزيز القوة البريطانية في شرق افريقيا المتمردة(٧٩). وحبّذ هرتزل قبول عرض أوغندا مما يدل على افتقاره للالتزام الديني إزاء فلسطين. على أن اقتراح أوغندا أدّى إلى انقسام الحركة الصهيونية الى فريق يقبل به وفريق يرفضه لأنه «لا علاقة له أبداً بحرمة الأرض المقدسة»(٨٠). وبالنظر للخصام المرير في داخل «المنظمة الصهيونية»، لم تتخذ أية خطوة عملية لتطبيق العرض البريطاني، فأهمل بعد وفاة هرتزل في سنة ١٩٠٤. وكان أقوى معارض من الصهاينة لعرض أوغندا هو حاييم وايزمن الذي نجح في نقل الصهيونة من مجرد فكرة الى دولة.

رابعاً: حاييم وايزمن Chaim Weizmann، (١٨٧٤ - ١٩٥٢)

ولد وايزمن في روسيا، وتلقى تعليمه العالي في الكيمياء العضوية في جامعات ألمانيا وسويسرا. ولاعتقاده بأن بريطانيا هي التي يحتمل جداً أن تقدم، من بين الدول الكبرى، تأييداً فعالاً للصهيونية، فقد انتقل الى انكلترا وأقام في مدينة مانشستر، وكانت مركزاً يهودياً رئيسياً، في سنة ١٩٠٤. وفي خلال العقد التالي من السنين، وضع هو وزملاؤه بكل اجتهاد أساس الأهداف الاقليمية الصهيونية في فلسطين.

كان وايزمن يعرف حقاً كيف يجتذب اليهود الأثرياء والساسة والضباط البريطانيين (مثل بلفور، سمطس، كير..) باقناعهم بأن الامبراطورية البريطانية التي بنيت، على حد تعبيره، على أسس اخلاقية «ستنتفع سياسياً واقتصادياً واستراتيجياً من إقامة مستعمرة يهودية في فلسطين، مستعمرة يأمل أن تقوم على نموذج المستعمرة الفرنسية في تونس»(٨١).

قال ليونارد ستاين، مؤرخ وعد بلفور، أنه كان واضحاً لوايزمن منذ البداية أن رعاية بريطانيا لمطمح الصهيونية في فلسطين لم تكن فقط شيئاً يمكن الحصول عليه في أكبر احتمال، بل مرغوباً به بشكل لا يضاهى من أكثر من أية دولة أخرى(٨٢). فالصهاينة، في تقديم قضيتهم للانكليز، لن يكون اتصالهم بهم كمتضرعين، فهم لا يتضرعون من أجل شيء لا يتفق في ظاهره مع المصالح البريطانية. وقد كتب وايزمن

---

(٧٩) انظر: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

(٨٠) Halpern, Ibid., p. 154.

(٨١) انظر: Hertzberg, ed., *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader,* and Halbrook, Ibid.

(٨٢) انظر: Stein, *The Balfour Declaration,* and Mallison, «The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law».

الى اسرائيل زانغويل(٨٣) بتاريخ ١٠ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩١٤، انه يرى أنه من الجلي أن تحتاج انكلترا فلسطين لحماية ممراتها الى مصر، فلو فتحت فلسطين على مصراعيها للاستيطان اليهودي «فسيكون لانكلترا حاجز فعال وسيكون عندنا وطن». كان هذا يجري وتركيا لا تزال محايدة في الحرب. وبدخولها الحرب الى جانب دول اوروبا الوسطى، أصبح مستقبل فلسطين مسألة مفتوحة. وكانت هذه فرصة انتهزها وايزمن مؤكداً المصلحة المشتركة بين بريطانيا العظمى والصهاينة. كانت القضية الصهيونية تأتي بالنسبة له في المقام الأول، ولكنه وهو يبذل ما في وسعه لدفعها الى الامام، لم يكن يتكلم بصورة عابرة، وباختصارحين يتناول ما ستجنيه بريطانيا العظمى، اذا انتهجت سياسة مناصرة للصهيونية، بل يبدي ويعيد(٨٤).

من الواضح أن وايزمن كان صهيونياً مكرّساً للقضية، وقد استغل اهدافه لبلورة مَثَل هرتزل الأعلى في فكرة دولة. لذا فإنه، وقبل كل شيء أنفق حياته وهو يحاول إقناع الحكومة البريطانية بالمنافع التي ستجنيها من تلك الدولة. فقد قام مثلاً خلال الحرب العالمية الأولى، هو وآخرون ـ وأبرزهم سي. بي. سكوت، محرر المانشستر غارديان المتنفذ، والقاضي براندیس، عضو المحكمة العليا الامريكية الذي أقنع فيما بعد الرئيس ويلسون (٨٥) بأن الصهيونية هي كذلك لمصلحة الإمبريالية الأمريكية ـ بتشكيل لجنة بريطانية ـ فلسطينية أخذت تنشر برعايتها صحيفة اسبوعية باسم فلسطين وذلك لتوضيح المنافع التي ستعود على بريطانيا العظمى من تأييدها للصهيونية(٨٦). ولقناعة أولئك الرجال بأن الاستيطان الصهيوني في فلسطين سيكون شيئاً مفيداً من الناحيتين السياسية والعسكرية للامبراطورية البريطانية، فقد كانوا يحثون على تأييد وايزمن. وقد كتب هربرت سايد بوثام، الخبير العسكري للغارديان الذي كان يسهم في الكتابة في صحيفة فلسطين معدداً هذه المنافع على النحو الآتي:

«إن المستعمرين المحتملين الوحيدين لفلسطين هم اليهود. وهم وحدهم يمكنهم بناء سلطة

---

(٨٣) ولد إسرائيل زانغويل عام ١٨٦٤ وكان كاتباً بارزاً من اليهود الانكليز، ونشطاً في الحركة الصهيونية، إذ شارك كعضو في المؤتمر الصهيوني الأول والخامس والسادس والسابع، وحضر الثاني والثالث والرابع كمراقب. كان أول صهيوني يرفع شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». ولكنه انقلب على الصهيونية وأسس «المنظمة الإقليمية اليهودية» التي رأسها منذ تشكيلها حتى حلّها، وكانت تدعو الى حل بديل غير صهيوني للمشكلة اليهودية. للاطلاع على الأسباب النفسية والعقائدية التي غيّرت رأيه في الصهيونية. انظر على سبيل المثال:

Hani Faris, «Israel Zangwill's Challange to Zionism,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 4, no. 3 (Spring 1975), pp. 74-91.

(٨٤) Stein, *The Balfour Declaration,* pp. 14-15.

(٨٥) كما يقول: Halbrook, «The Class Origin of Zionist Ideology,» p. 107.

(٨٦) Hertzberg, ed., *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader,* p. 593; Halbrook, Ibid., and Halpern, *The Idea of the Jewish State.*

سياسية جديدة تشارك مع بلادنا منذ الابتداء في العمل الامبريالي وتكون حماية ضد الشرق الغريب ووسيطاً بينه وبيننا، حضارة تختلف عن حضارتنا، ولكنها قد أشربت بأفكارنا السياسية.. (ونحن نعتقد) أن الدولة العازلة في جنوب سورية قد تعمل بنفس الفعالية كما في الهند، وبسلاسة أكبر. وبأن دولة عازلة في سورية ستزيل عدداً من الاعتراضات على توسيع مسؤولياتنا العسكرية، وبأنها فيما إذا أصبحت سلطة سياسية مهيمنة أو مستعمرة صحيحة، فستكون من مصادر قوتنا في شرق المتوسط من الناحيتين السياسية ثم العسكرية في نهاية الأمر؛ وأخيراً فإن المستعمرين المحتملين الوحيدين على نطاق واسع وقيّم في فلسطين هم اليهود»[٨٧].

يلاحظ هنا أن تبرير إقامة مستعمرة يهودية في فلسطين هو التبرير ذاته بالضبط الذي سوّغ به الأوروبيون توسّعهم في أفريقيا وآسيا وأمريكا. وجرى التأكيد على رسالة المستعمرين «الحضارية» وعلى الفوائد الاقتصادية والسياسية التي ستعود على أنصار وحلفاء الصهاينة. كذلك فإن مواقف المستشرقين القدامى والجدد إزاء المشرق «الغريب» كانت واضحة تماماً. كما تبين أيضاً نجاح الصهاينة في خلق وسيلة إعلام ملتزمة في بريطانيا من خلال صحيفة «فلسطين» مباشرةً، وعن طريق التأييد ذي النفوذ من أوساط أخرى.

ولكن توّحد الصهيونية ومماهاتها المطلقة للجانب المشين من اتجاهات الاوروبيين البيض الثقافية والعنصرية، قد أبداهما وايزمن نفسه بسهولة ووضوح، مقدماً حركته كممثلة «للحضارة» الغربية الى بدو الصحراء «الخامدين»:

«مع هذا فإننا نسمع حتى اليوم ما يقوله الناس مثل: (نعم حسناً، ربما ما فعلتموه هو جيد جداً بأجمعه، ولكن عرب فلسطين كانوا متعودين على حياة هادئة. كانوا يركبون الجمال، كانوا منسجمين مع الطبيعة. فلماذا لا تحتفظون بهذا كمتحف، كمتنزه قومي؟ لقد جئتم من الغرب بمعرفتكم وبالاصرار اليهودي. أنتم لستم رسمانيين، وغير منسجمين مع الطبيعة. لقد جففتم المستنقعات. وأبدتم الملاريا. وأنتم تقومون بذلك بطريقة تجعل البعوض يطير الى القرى العربية. ولا زلتم تتكلمون العبرية بلكنة رديئة، ولم تتعلموا بعد كيف تستعملون المحراث بشكل صحيح. وبدلاً من الجمل تستعملون السيارة. وهذا يذكر المرء بصراع الخمود الأزلي ضد التقدم والكفاءة والصحة والتعليم. صراع الصحراء ضد الحضارة)»[٨٨].

إن مماهاة وايزمن للغرب جعلته يبالغ في الادعاء بأنه «خبير» وذو معرفة «بالعقل الشرقي» والشخصية الشرقية. قال ادوارد سعيد إن اسلوب وايزمن الكلامي هو «أن يماهي نفسه مع بلفور كأوروبي يعرف الفرق بين العقل الشرقي والعقل الغربي»[٨٩]. والذي ترتب على هذه المماهاة بالنسبة لسعيد هو:

---

(٨٧) التشديد مضاف، كما ورد في: Halbrook, Ibid.

(٨٨) التشديد مضاف، كما ورد في: R.P. Stevens, «Smuts and Weizmann,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 2, no. 1 (Autumn 1973), p. 37.

(٨٩) Said, *The Question of Palestine*, p. 28.

«إن العرب شرقيون، فهم بالتالي أقل إنسانيةً وقيمة من الأوروبيين والصهاينة؛ إنهم غدارون، ضالّون متمسكون بالمعتقدات البالية، الخ. وأهم من كل هذا انهم لا يستحقون أن يملكوا وطناً، حتى وإن كانت أفضليتهم العددية تبدو وكأنها تخوّلهم ذلك»[٩٠].

انظر مثلاً الى هذه الرسالة التي تكشف عن أمور كثيرة والتي كتبها وايزمن، وهو يعتبر نفسه «أعلى مرتبة» من أهالي فلسطين و«خبيراً» بشخصيتهم، ووجّه الرسالة الى بلفور، وهو كذلك ينظر وايزمن «خبير» (بصفته اوروبياً) بالعرب كشرقيين، والرسالة تتعلق بالوضع في فلسطين والمشاكل التي تواجه «اللجنة الصهيونية» هناك بعد صدور وعد بلفور:

«إن العرب وهم أذكياء وسريعو البديهة بصورة سطحية، يعبدون شيئاً واحداً، وواحداً فقط - القوة والنجاح. . وعلى السلطات البريطانية، وهي تعرف كما نعهده طبيعة العرب الغادرة. . أن تراقب بحذر واطراد. . فكلما كان النظام الانكليزي منصفاً ازداد تيه العرب خيلاء. إن الوضع الحاضر يميل بالضرورة نحو خلق فلسطين عربية، إن كان هناك شعب عربي في فلسطين. والواقع ان الوضع لن يأتي بهذه النتيجة لأن الفلاح متخلف عن زمننا بما لا يقل عن أربعة قرون، والأفندي. . غير أمين وغير متعلم وجشع، وهو كذلك غير وطني وغير كفوء»[٩١].

لقد كان أول اجتماع لوايزمن مع بلفور يتعلق في واقع الامر بمشروع أوغندا، فقامت بينهما علاقات ودية، وبخاصة خلال الحرب العالمية الأولى، وعن ذلك كتب وايزمن:

«أدخلت على بلفور في غرفة «بفندق الملكة» العريق الطراز. . سألني لماذا يعارض بعض اليهود، الصهاينة، عرض أوغندا بمرارة شديدة؟ فالحكومة البريطانية توّاقة حقيقة لأن تفعل شيئاً للتخفيف من شقاء اليهود؛ والمشكلة هي مشكلة عملية وتستدعي مدخلاً عملياً. وانهمكت في جوابي بما أتذكر أنه كان خطاباً رناناً مسهباً عن معنى الصهيونية. . عن فلسطين، وجاذبيتها السحرية والرومانسية لليهود»[٩٢].

والواقع أن وايزمن قد بيّن كيف تستغل الصهيونية مشاعر فقراء اليهود الدينية، والذين لا يمكن تعبئتهم إلا على أساس ديني. إن وايزمن ورفاقه الصهاينة قد نجحوا في الواقع في تحقيق اهدافهم السياسية عن طريق ميثاق سياسي أصدرته الحكومة البريطانية: ألا وهو وعد بلفور الصادر في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩١٧ الذي خاطب اللورد روتشيلد يقول:

---

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٩١) كما ورد في: Doreen Ingrams, comp., *Palestine Papers, 1917-1972: Seeds of Conflict* (London: John Murray, 1972), pp. 31-32.

(٩٢) كما في: H.B. Zebel, *Balfour: A Political Biography* (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1973), p. 240

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وانها ستستعمل مساعيها لتسهيل وتحقيق هذا الغرض، على أن من المفهوم بوضوح أنه سوف لا يتم فعل أي شيء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للجاليات غير اليهودية القائمة في فلسطين، أو الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر».

والحقيقة أنه كان هناك ثلاثة مشتركين مباشرين في المفاوضات التي جرت على مدى ثلاث سنين، وأثمرت سبع مسودات مع النص النهائي: والمشتركون هم الحكومة البريطانية والمجموعة الصهيونية ممثلة بوايزمن وناحوم سوكولوف واليهود الانكليز بزعامة ادوين مونتغو (Montagu) وزير الدولة البريطاني لشؤون الهند. وقد أظهرت هذه الجماعة الأخيرة منذ بداية المفاوضات شكوكها العميقة بالأهداف الصهيونية السياسية، فلما كشف النقاب عن المسودات الصهيونية للتصريح، وبخاصة تلك التي تصر على تقديم اليهود «كجنس»، اتخذت هذه الجماعة موقفاً حازماً ضد الصهيونية لا لبس فيه. لقد عارض مونتغو الحركة الصهيونية استناداً الى مبادىء معينة لخّصها في مذكرته المؤرخة ٢٣ آب/ أغسطس ١٩١٧ المعنونة «لا سامية الحكومة الحاضرة»، ووزعت على زملائه الوزراء. إن اليهودية بالنسبة له هي ديانة كونية وليست اليهودية قومية، فالناس من شتى القوميات يؤمنون باليهودية ويمارسونها. وقال كذلك إنه لا يوجد أمة يهودية، بل ديانة يهودية وتقاليد يهودية فقط. وفلسطين ليست وطناً قومياً لليهود، ذلك لأن الوطن القومي لكل يهودي يعتمد على القطر الذي ينتمي اليه والذي هو مواطن فيه، لذا فالصهيونية لا تمثّل اليهود، وذكر أن أغلبية اليهود البريطانيين هم ضد الصهيونية: «لقد بدت لي الصهيونية دائماً عقيدة سياسية ماكرة غير مقبولة من أي مواطن وطني في المملكة المتحدة»(٩٣).

كان النصيران الرئيسيان لهذا التصريح المؤيد للصهيونية في الحكومة البريطانية، كل من رئيس الوزراء لويد جورج ووزير الخارجية بلفور. ومع أن صهيونية بلفور لها بعض الجذور التوراتية ولكنه يشترك مع الصهاينة غير اليهود من الانكليز في مواقفهم اللاسامية. لقد أقرّ هو ذاته قائلا «إني صهيوني»، لكنه قال في الوقت ذاته لوايزمن بأنه يعتقد ببعض «المسلّمات اللاسامية»(٩٤). يقول ستاين انه ليس هناك أي لبس في مواقف بلفور اللاسامية، لأنه منذ ١٩٠٥ اقترح كرئيس للوزراء إصدار «قانون الغرباء» وأصرّ عليه، والقانون يحدّ من الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية الى انكلترا بسبب «الشرور الأكيدة التي أصابت البلاد من جراء هجرة كانت يهودية بالدرجة الأولى»(٩٥). وفي

(٩٣) Arab League Information Office (London, [n.d.]), p. 8.

(٩٤) Stein, *The Balfour Declaration*, pp. 154-164, and Zebel, Ibid, p. 244.

(٩٥) كما ورد في: Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism,» p. 68.

إيضاح بلفور لأساس معارضته لهجرة اليهود المستمرة، كشف في مجلس العموم البريطاني عن شعور لاسامي قائلاً إن اليهود سيكونون خطراً على حضارة بلاده:

«يمكننا أن نتصور بسهولة ظهور حالة لن تكون نافعة لحضارة هذه البلاد إذا وجدت كتلة كبيرة جداً من الأشخاص التي ستظل، مهما كانت وطنية أو مقتدرة أو كدودة، مهما كان اشتراكها كبيراً في الحياة القومية، ستظل شعباً على حدة لا يدين فحسب بديانة تختلف عما تدين به أغلبية المواطنين بل كذلك يقتصر أفراده على التزاوج فيما بينهم»(٩٦).

ومرة أخرى في ١٩١٧ حين ناشده يهود بريطانيا بصفته وزيراً للخارجية طلباً لمساعدة إنسانية، رفض التدخل الدبلوماسي مع الحكومة الروسية نيابة عن ضحايا الاضطهاد اليهود(٩٧). فمع إقراره بالمعاملة البغيضة لليهود في روسيا فقد قال: «إن المضطهدين لهم قضيتهم الخاصة بهم»(٩٨). وقد خصّ هذه «القضية» بأنها تشمل يهوداً ينتمون إلى «جنس قائم بذاته» وله ديانته التي تعتبر في روسيا «شيئاً مكروهاً بالوراثة»(٩٩).

كانت مسؤولية لويد جورج في إصدار وعد بلفور أكبر في واقع الأمر من مسؤولية بلفور نفسه. كانت الصحيفة الصهيونية المسماة The Zionist Review وهي لسان حال الحركة الصهيونية شبه الرسمي، تولي بالنسبة له «المكان الأول داخل الوزارة بين واضعي هذا القرار العظيم»(١٠٠).

ولقد اتضحت اتجاهات لويد جورج في الحقيقة بعد توليه رئاسة الوزارة سنة ١٩١٦. ففي واحدة من أعقد مناورات الحرب الدبلوماسية، وأكثرها تضارباً بين جهات مختلفة، كان إصدار تصريح علني عن سياسة الحكومة في فلسطين يبدو له (للويد جورج) من الضرورات، فبدأت محادثات رسمية مع الصهاينة لهذا الغرض وصدر وعد بلفور(١٠١). وفي الجدل الذي دار حول إدارة الحرب اختار لويد جورج(١٠٢)، أن يؤيد الذين رأوا في الشرق الأوسط مسرحاً أساسياً للمجهود الحربي البريطاني بعد الاستعصاء في الجبهة الغربية. لذلك اعتبر حملة فلسطين «هي الجانب المثير للاهتمام حقاً من جوانب الحرب»(١٠٣). لقد كانت مخاوفه تتركز ليس على الحلف الألماني -

---

(٩٦) Stein, Ibid., p. 164, and Kayyali, ed., *Zionism, Imperialism and Racism,* p. 112.

(٩٧) انظر: Mallison, «The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law,» p. 68.

(٩٨) Stein, *The Balfour Declaration,* p. 164.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(١٠٠) كما ورد في: Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism,» p. 66.

(١٠١) انظر: Stein, Ibid.; Ingrams, comp., *Palestine Papers, 1917-1972: Seeds of Conflict,* and Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?*

(١٠٢) كما تقول: Sharif, Ibid., p. 66.

(١٠٣) كما ورد في: Stein, Ibid., p. 145.

التركي فقط، بل كذلك على تهديد النفوذ الفرنسي في الشرق الاوسط في المستقبل:

«سيكون على الفرنسيين أن يقبلوا بفلسطين كمحمية عائدة لنا؛ فنحن سنفتحها وسنظل فيها»[١٠٤]. لذلك أصبح الاستيلاء على فلسطين من المتطلبات الاستراتيجية التي لا غنى عنها للحكومة البريطانية، لا سيما وأن مصالحها اتفقت مع مصالح الصهاينة هناك وكان بعضها متمماً للبعض الآخر.

يقول ستاين بشأن مواقفه اللاسامية:

«كان لدى لويد جورج، شأنه شأن بعض المناصرين البارزين للصهيونية، مشاعر مختلطة عن اليهود. ويمكن أن نلمس في بعض خطبه عن حرب افريقيا الجنوبية وما أعقبها شيئاً من اللاسامية الفظة المعتادة»[١٠٥].

كانت بعض ملاحظات الصهاينة البريطانيين الآخرين أكثر فظاظةً ومنهم مارك سايكس، السكرتير المساعد لوزارة الحرب سنة ١٩١٥ والضابط السياسي الأول لشؤون فلسطين في وزارة الخارجية، ورتشارد ماينرزيغن الذي اعتنق الصهيونية «لأن اليهود جنس فحل، باسل، عزوم وذكي» كما قال، في حين أن العرب «متفسخون، سخفاء، غير أمينين، وليس عندهم سوى ما هو غريب بتأثير رومانسية الصحراء وسكونها»[١٠٦].

ومن الأمور الجدلية أن صهيونية لويد جورج في معظمها، كما هو شأن الصهاينة البريطانيين الآخرين، كانت ذرائعية (براغماتية) ومناقضة لشعوره اللاسامي الدفين. انظر مثلاً إلى تصريحه هذا:

«ولكن إذا اكتسب اليهود نفوذاً عظيماً في هذه البلاد ـ انكلترا ـ في الحرف والتجارة والجامعات والمتاحف، في المال وكأصحاب أراض، عندئذٍ علينا بالطبع أن نعمل ضدهم»[١٠٧]. إن هذه المواقف لها أهميتها في تفسير أهداف بعض أعضاء الوزارة البريطانية خلال المفاوضات. لذلك فليس من الممكن، كما يقول ماليسون[١٠٨]، تحاشي الوصول الى نتيجة مفادها أن اللاسامية كانت «شيئاً مهماً جداً جنباً الى جنب مع الاهتمام المعلن بالمصالح القومية البريطانية».

---

(١٠٤) كما ورد في: Sharif, Ibid., p. 66.

(١٠٥) Stein, Ibid., p. 164.
وقد هاجم مثلاً ـ حين حمل بعنف على السياسة الاستعمارية التي اتبعت في حرب البوير ـ هاجم يهود الراند وكذلك رأسماليي الراند، وخصمه الرئيس جوزيف تشمبرلين. انظر:
R. Kruger, *Good-Bye Dolly Gray* (London: Pan Books, 1974), p. 204.

(١٠٦) كما ورد في: Sharif, «Non-Jewish Zionism: Its Roots and Origins in England in Relation to British Imperialism,» p. 68.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(١٠٨) Mallison, «The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law,» p. 69.

كان هدف الصهاينة الرئيسي، قبل المفاوضات وبعدها، هو الحصول على تحويل بتحقيق اطماعهم عن طريق القانون العام، وبهذه الروحية اشتركوا، كما يقول تيلر، في المفاوضات متطلعين للحصول على مطالبهم الاقليمية كاملة(١٠٩). ولكنْ كان يحدّ من هذه الأطماع عاملان موضوعيان: «قلة عدد اليهود في فلسطين خلال الحرب»، وإدراكهم أن البريطانيين لن يعطوهم أي شيء «لا يتفق مع مصالح الامبراطورية، الحقيقية منها والمفترضة»(١١٠).

هناك نقطتان كان الصهاينة، في سعيهم لتحقيق غرضهم الاقليمي في فلسطين، يعتبرونها في مفاوضاتهم من النقاط الجوهرية لقضيتهم: «يجب أن (يعاد تركيب) مشروع الوطن القومي الصهيوني لكي يضفي شيئاً من الواقعية على دعواهم بملكية فلسطين تاريخياً، كذلك اعتبر جوهرياً إصدار الحكومة البريطانية التزاماً قاطعاً بتنفيذ الغرض الاقليمي في فلسطين»(١١١). وقد جرى بالطبع تجاهل وجود الفلسطينيين بشكل عمومي.

بيد أن بريطانيا، بإصدارها وعد بلفور، خلقت لنفسها مشكلة لم تكن أصلاً موجودة؛ فتحملت مسؤوليتها، وذلك لإبعاد فرنسا من المنطقة الاستراتيجية، واخيراً لحماية قنال السويس، كما سعت لنيل مطالبها في الامبراطورية العثمانية.

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى، بقي على الامبرياليين البريطانيين وحلفائهم الصهاينة أن ينفذوا خططهم. كان قد تقرر أصلاً ان تقع فلسطين تحت النفوذ البريطاني. وكان قد جرى هذا الترتيب في اتفاقية سايكس - بيكو السرية لسنة ١٩١٦ وبموجبها قسّمت بريطانيا وفرنسا المنطقة فيما بينهما على أثر تفكك الامبراطورية العثمانية(١١٢). ثم نقل هذا الترتيب ليتخذ شكل نظام الانتداب لعصبة الأمم.

كان لدى زعماء الصهيونية من الأسباب الوجيهة ما يجعلهم يعتقدون أن الانتداب على فلسطين يقصد منه تنفيذ وعد بلفور، وكان ذلك منبراً مثالياً ينطلقون منه لتنظيم «الهجرة» اليهودية بهدف تشكيل أغلبية يهودية. وقد تذبذبت السياسة البريطانية حول «الهجرة» اليهودية، فأحياناً تحدد الهجرة وأحياناً أخرى تشجّع، ولكن توازن السكان خلال ثلاثين سنة من السيطرة البريطانية قد تغير جذرياً بحيث ان فلسطين سنة ١٩٤٨ لا شبه لها بفلسطين سنة ١٩١٨. يضاف الى هذا أن البريطانيين

---

(١٠٩) انظر: Taylor, «Zionism and Jewish History,» pp. 18-20.
انظر أيضاً: Isaiah Friedman, *The Question of Palestine, 1914-1918: British-Jewish-Arab Relations* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Schocken Books, 1973); Ingrams, comp., *Palestine Papers, 1917-1972: Seeds of Conflict*, and Stein, *The Balfour Declaration*.
(١١٠) Mallison, «The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law,» p. 69.
(١١١) Stein, Ibid., and Mallison, Ibid.
(١١٢) انظر: Stein, Ibid., and Rodinson, *Israel: A Colonial-Settler State*.

قاموا علناً بتدريب وتسليح المنظمات العسكرية الصهيونية التي أنجزت تشريد الفلسطينيين سنة ١٩٤٨. وبهذا تكون بريطانيا قد لعبت دوراً رئيسياً في قيام الأساس لظهور الدولة الصهيونية.

كان رد الفعل لدى السكان الاصليين عنيفاً ضد هذه الهجرة الواسعة ابتداءً من العشرينات، واشتد ذلك في الثلاثينات، ولا سيما سنة ١٩٣٦ حين نظم الفلسطينيون إضراباً عاماً دام ستة أشهر، ثم تغلبت القوات البريطانية والضغط الصهيوني الى حدٍ ما على مقاومة السكان.

على أن ظهور الفاشية في أوروبا، وحدوث الجرائم النازية، كانا من الأمور الحاسمة في تطور مشكلة فلسطين. كانت «الهجرة» اليهودية مسألة حياة أو موت بالنسبة لكثير من اليهود بعد أن بدأ هتلر حملته لإبادتهم. وقام الصهاينة بتشجيع عدد منهم على الهجرة، إذ رأوا في التهديد القائم فرصة طيبة لمتابعة خططهم.

وبتقوّض النفوذ البريطاني بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حوّل زعماء الصهيونية وجهتهم وولاءهم بسرعة وبعد نظر الى الولايات المتحدة الأمريكية التي برزت كدولة عالمية عظمى. لذا تم تشييد لوبي صهيوني قوي في واشنطن.

وأدرك الامريكيون سريعاً أهمية المنطقة، إذ كانت أعمال التنقيب عن النفط في الخليج العربي تتطور منذ الثلاثينات. ومما أكد على هذه الأهمية حاجات الحرب من جهة و«الخوف» الأمريكي الشامل من «تهديد» و«توسع» السوفيات في الشرق الاوسط. إن هذه المصالح دفعت الولايات المتحدة لتكون فعالة في المساعدة بتأسيس الدولة الجديدة، إسرائيل، سنة ١٩٤٨، ومنذئذٍ وجميع الحكومات الأمريكية تشجع اسرائيل وتدعمها على شتى المستويات.

خامساً: المواقف الصهيونية بعد خلق إسرائيل

ما ان بلور الصهاينة فكرتهم في دولة - اسرائيل - سنة ١٩٤٨ حتى اختفى عن النظر الفلسطينيون «البرابرة» و«المتخلفون»، وظلت المواقف الصهيونية مطردة ومتوافقة بشكل مشهود مع الصفة العامة للاستعمار في تجاهل السكان الأصليين (مثل اختفاء الجزائريين عن أنظار المستعمرين الفرنسيين، واختفاء سكان أمريكا الأصليين عن أنظار المستوطنين البيض). وعلى العموم فإن «الغشاوة» على عيون المستعمرين نحو السكان الأصليين لا تعني ضمناً افتقارهم الى التغرض العنصري، بل على العكس

إنها ترمز، كما يقول إي. سلين، الى «رفضهم لأنهم.. أتفه وأحقر من أن يروهم»(١١٣). فإذا قبل المرء بالفكرة القائلة بأن فلسطين كانت بلاداً خالية، فينبني على هذا أن الفلسطينيين لم يوجدوا أبداً، وهكذا يكون من السهل نسبياً على الصهاينة، لا سيما على زعمائهم الأوائل، أن يقوموا بالدعوة الى الفكرة التي تفيد بأنهم كانوا مسؤولين عن كل ما جرى من تقدم وإعمار في تلك البلاد. فلنلاحظ كمثل على هذا كيف أن غولدا مئير، رئيسة الوزراء السابقة، تجاهلت تماماً وجود الفلسطينيين:

«لم يكن هناك شيء يدعى بالفلسطينيين.. ولم يكن الأمر كما لو كان هناك شعب فلسطيني في فلسطين يعتبر نفسه شعباً فلسطينياً، ثم جئنا نحن وطردناه وأخذنا وطنه منه. إنه لم يكن موجوداً»(١١٤).

ثمة تصريح آخر يتضمن مثل هذه التخيّلات، جاء على لسان رئيس وزراء اسرائيلي آخر هو ليفي أشكول، في مقابلة مع الجريدة الاسرائيلية دافار سنة ١٩٦٩:

«ما هم الفلسطينيون؟ حين جئت الى هنا كان يوجد فقط ٢٥٠,٠٠٠ من غير اليهود، عرب وبدو بالدرجة الأولى. وكانت صحراء اكثر مما هي غير متطورة. لا شيء. وبعد أن جعلنا الصحراء تزهر وسكنّاها، وبعد ذلك فقط، صاروا يهتمون بأخذها منا»(١١٥).

والى جانب الشبه العام مع الاستعماريين في تجاهلهم «للسكان الأصليين»، فإن مثل هذا الرفض بالنسبة للصهاينة وعدم اعترافهم بوجود السكان بأجمعهم (الذين كانوا يؤلفون عند صدور وعد بلفور ٩٥ بالمائة من سكان البلاد) ينبغي الا يُرى بمعزل عن مساعيهم المطردة لإخفاء الحقيقة عن اللاجئين الفلسطينيين. كان هؤلاء الفلسطينيون هم الذين أُخضعوا للارهاب والتذبيح بشكل منظم (systematic) وشُنّت ضدهم حرب نفسية منظمة لاجبارهم على الفرار من بلادهم، تاركين وطنهم لكي يصبح دولة يهودية صرف(١١٦). لقد صور أشكول الفلسطينيين كبدو وقال إن

(١١٣) E. Sellin, «Alienation and Intellectual Invisibility of Algerian Nationals: The Writer's Vision,» in: Ibrahim Abu-Lughod and Baha Abu-Laban, *Settler Regimes in Africa and the Arab World: The Illusion of Endurance,* AAUG Monograph Series, no. 4 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1974), p. 129.

(١١٤) كما ورد في: Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* p. 146.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(١١٦) للاطلاع على الاسباب الكامنة وراء قرارهم والارهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين، انظر على سبيل المثال:

Childers, «The Wordless Wish: From Citizen to Refugees»; Childers, «The Other Exodus,» in: Khalidi, ed., *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948;* Netanel Lorch, *Israel's War of Independence, 1947-1949* (Hartford: Hartmore House, 1968); Hirst, *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East;* Nafez Nazzal, *The Palestinian Exodus from Galilee, 1948,* I.P.S. Monograph Series, no. 49 (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1978), and David Gilmour, *Dispossessed: The Ordeal of the Palestinian* (London: Sphere Books Ltd., 1982).

ارضهم قاحلة وكانت تنتظر وصول الصهاينة لجعلها تزهر، وكان إخفاؤه للعدد الحقيقي للفلسطينيين موقفاً نموذجياً لحجج الصهاينة الأوائل و«تحريفاً كلياً للحقيقة» على حد تعبير المؤرخ ليلينثال[١١٧].

أما أن الصهاينة الأوائل قد أقاموا بعض المستوطنات وزرعوا بعض الأراضي في فلسطين فهذا ينبغي ألا يقبل تبريراً لاستعمارهم لتلك البلاد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه ينبغي ألا يحوّل أنظارنا عن التدمير المادي المتنظم للمدن الفلسطينية التي كانت أصلاً «صناعية» ومأهولة، وكذلك للبلدان والقرى، وكلها كانت قد تطورت اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، حسب تطور الأزمان يومذاك وقبل أمد طويل من استيلاء الصهاينة عليها[١١٨].

على أن الأهم من هذا هو المماهاة والتوحد (Identification) بين الصهاينة والمستشرقين في ناموسهم العريق المتسم بالعنصرية والعداوة ضد الاسلام والعرب. يقول ادوارد سعيد:

«كان هناك بين الصهيونية والغرب، ولا يزال، ما يجمعهما لغةً وعقيدة؛ وبقدر ما يتعلق الامر بالعرب فإنهم ليسوا جزءاً من ذلك. وكان هذا الذي يجمع بين الطرفين يعتمد كثيراً والى حد كبير جداً على تقليد شهير في الغرب في العداء نحو الاسلام بخاصة والمشرق عامة.. العرب والاسلام يمثلان الخبث والتفاهة، والرذيلة والفسق والسخف، وذلك في ما يكتب وينشر في المجالين الشعبي والعلمي. والصهيونية، كأصلها العقائدي الغربي، إنما تستمد ما تستمده من هذا التمثيل الجماعي للعرب والاسلام»[١١٩].

لم يتوقف الصهاينة أبداً، سواءً أقبل تأسيس إسرائيل كدولة أم بعدها، عن تقديم أنفسهم بصفتهم أذكياء ومتفوقين على أهالي البلاد الأصليين الذين هم بنظرهم برابرة ودينهم مفسد أخلاقياً. لنضرب مثلاً بكتاب اغتصاب فلسطين (The Rape of Palestine)[١٢٠]، ومؤلفه يهودي صهيوني مخلص هو وليام زِفْ. يلجأ المؤلف في هذا الكتاب باتساق الى قوالب ذهنية عنصرية بشأن الصفات البدنية والتهتك الجنسي والنزعة النفسية للعنف، والتأثر واللاعقلانية المتعطشة للدماء والافتقار للذكاء، يلجأ الى كل هذه الصفات لوصف العرب. أما الاسلام فيصفه زف بأنه مليء «بالمستويات

---

(١١٧) Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* p. 159.
(١١٨) كما ورد في: Said, *The Question of Palestine*, p. 19.
للاطلاع على تدوين لمثل هذا التدمير، انظر على سبيل المثال:
M.R. Mehdi, ed., *A Palestine Chronicle: Being a Record of Injustice* (London: Alpha, 1973), and *Sunday Times* (19 June 1977).
(١١٩) Said, Ibid., pp. 25-26.
(١٢٠) William Bernard Ziff, *The Rape of Palestine* (London: St. Botolph's Pub. Co., 1948).

الخلقية الحقيرة، والخرافات والجهل المتعصب»[121]. وعلى الضد من «القطعان البربرية» العربية، على حد تعبيره، نجده يصوّر اليهود أذكياء، متفوقين و«خير من خلق للاستعمار على وجه الأرض»[122].

ومن اقوال هذا المؤلف الفاضحة بشكل عجيب جداً عن اتجاهاته وآرائه التي أبداها في الكتاب المذكور، ما أورده من إدانة للعرب والمسلمين لافتقارهم للوعي العنصري (Racial Consciousness)، وهذا بنظره يدعو للاحتقار ليس إلا. يقول الكاتب:

«إن الفخر العنصري غير معروف في الاسلام. فكل شخص يشهد بأن لا إله إلا الله يدخل في الدين أخاً متساوياً، سواءً كان زنجياً أو آسيوياً أو أوروبياً»[123].

وبالنظر لفقدان «الفخر العنصري» عند العرب، فإنهم بنظر زف لم يعودوا موجودين، وما هم إلا «خليط متنوع من الناس، منحطون في سلم التطور الانساني، ولسانهم عربي»[124].

وكما اعتقد المستشرق «الخبير» أنه وحده الذي يستطيع التحدث عن الأهالي «البدائيين» في المجتمعات التي درسها، ادعى زف وأمثاله من الصهاينة في فلسطين أنهم وحدهم الذين يعرفون ويفهمون «العقل العربي» من «الداخل». وتالياً فَهُم لا غيرهم، مؤهلون للتحدث عن العرب وتمثيلهم وتفسير شخصيتهم «الحقيقية».

ظل الصهاينة يقاومون مواجهة وجود الفلسطينيين بعد حرب ١٩٦٧. سئلت غولدا مئير لماذا لا يعيد الاسرائيليون الأراضي التي احتلت خلال تلك الحرب الى العرب؟ فأجابت: «كيف نعيدها؟ لا يوجد أحد لنعيدها اليه»[125]. واستمر الصهاينة، حتى بعد ظهور حركة التحرير الفلسطينية بعد تلك الحرب، يتجنبون ذكر كلمة «الفلسطينيين» ويفضلون بدلها استعمال مصطلحات مثل: «اللاجئين»، و«اللاجئين العرب» و«الارهابيين العرب». وأما عندما يتعلق الأمر بتصويرهم للزعماء العرب، فإنه عادة يتم تشخيصهم على انهم يحملون أفكاراً (مهووسة) و/أو يهدهدون «ثملاً وحشياً» (Wild intoxication)[126]. وقد ذهب بعض الكتاب (مثل جي. إل. تلمون)

(١٢١) المصدر نفسه، ص ١٩١.
(١٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.
(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.
(١٢٥) كما ورد في: Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?* p. 146.
(١٢٦) Janice Terry, «Zionist Attitudes toward Arabs,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 5, no. 1 (Autumn 1976), p. 73.

الى اسناد أنواع شتى من الضعف النفساني لهؤلاء الزعماء فوصفهم بأنهم «معاقون ومثقلون بعوائق عصابية وبحساسيات متوترة بافراط»[١٢٧].

ويمكن القول ان تقديم الصهاينة وضع العرب على هذا النحو الى الغرب لم يكن مسؤولاً عن تشويه صورهم فقط، بل أدى الى إحياء وتثبيت الصور الاستشراقية القديمة، وحال دون قبول تحدي العرب للقوالب الذهنية القديمة التي حملت عنهم، أو منع رؤية هذا التحدي. وقد وصف ادوارد سعيد عملية الإعاقة هذه على النحو الآتي:

«. . . لقد أخذ الصهاينة على عاتقهم، بصفتهم شعباً شرقياً، بصورة جزئية، وقد أعتق نفسه من أسوأ أنواع الافراط الشرقي، أخذوا على عاتقهم تفسير العرب المشرقيين للغرب، وتولوا مسؤولية التعبير عن حقيقة العرب وما يريدون، . . . وكان هذا يعني دائماً عملية إعاقة، بحيث لا يستطيع الفلسطيني أن يسمع صوته (أو يمثل نفسه) مباشرةً عما يجري في العالم»[١٢٨].

وقد وجدت جانيس تيري في دراستها للاتجاهات الصهيونية حيال العرب، كما تعكسها نشراتهم «الموجهة الى الجماهير الغربية» أن الصهاينة قد جرّدوا الفلسطينيين من إنسانيتهم بشكل يحطّ من قدرهم، وثبّتوا الصور القديمة التي روّجها المستشرقون. مثلاً، نجد في المجلة الشهرية كومنتري، وهي مجلة ذات نفوذ تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية، أن مجمل الصورة التي يضعها الصهاينة عن العرب هي صورة قوالبية منمّطة يظهر فيها العرب جبناء، متخلفين، عنيفين، غرباء، وأساليب حياتهم «مشابهة الى حد كبير لتلك التي تنشر في مجلات السفر عن الأماكن المستطرفة الغرابة»[١٢٩]. كما أن تاريخهم يوصف بأنه «سجل للغزو والحرب المتواصلة»[١٣٠].

ثمة تعزيز آخر للقالب الذهني القديم عن بدائية العرب نجده كذلك في المجلة ذاتها، حيث يصف أستاذ «محترم» من جامعة هارفارد، وهو نداف سافران (Safran)، كيف شعر وهو بين المصريين فيقول «كأنني وقعت بين أيادي قبيلة بدائية»[١٣١]. ان التفوق الصهيوني «وبدائية الفلسطينيين هما من المواضيع البارزة في المجلة المذكورة، لا سيما في الحقول التقنية. وقد قامت تيري كذلك بدراسة صحف مهنية متخصصة بشكل كثير التقدم «منها كوميونيتي ونيولوك والشرق الاوسط عام ٢٠٠٠، فوجدت الكاتبة أن الصهاينة قد سعوا باطراد لتبيان أن من مصلحة العرب «المتخلفين» المثلى، الاعتراف بدولة اسرائيل المتقدمة تقنياً.

---

(١٢٧) J. Talmon, *Israel among the Nations* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1970), p. 183.

(١٢٨) Said, *Orientalism*, pp. 26 - 39.

(١٢٩) Terry, «Zionist Attitudes toward Arabs,» p. 75.

(١٣٠) كما ورد في: المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٧٥.

وتقول تيري ان الدعائيين الصهاينة قد حاولوا ان يقودوا القارىء غير المتمحّص الى الاعتقاد بأن العربي هو «بدوي» أو «فلاح» وأن الاسرائيلي شخص «متفوق» عليه سيأخذ بيد هذا «البدوي المتفسخ» نحو التقدم، فيصبح هذا القارىء في الوقت عينه مقتنعاً بأنه ما لم يعترف هذا البدوي باسرائيل، فسيستمر متخلفاً بمسافة طويلة جداً وراء الاسرائيلي الذي سيتقدم، سواء اعترف «البدوي» بالدولة الجديدة، أم لم يعترف[١٣٢]. ان مثل هذه الجهود التي تبذلها الصهيونية لتأبيد وتخليد مثل هذه الصور النمطية الجامدة عن العرب، نجدها ايضا في الدراسة المستفيضة - ولو أنها جاءت متحزبة بعض الشيء - التي قام بها ليلينثال عام ١٩٧٨[١٣٣].

واما في بريطانيا، فاننا نجد أن الضغط والنفوذ الصهيونيين على الصحافة ليسا بالقوة التي هما عليها في الولايات المتحدة، ولو انهما يلعبان دوراً مهماً في نشر المعلومات غير الدقيقة عن العرب، وحجب المعلومات السلبية عن «الدولة» الصهيونية. ومن ابرز من بحث في هذا الضغط الصهيوني كل من الصحفي البريطاني البارز، مدير مجلس تطوير التفاهم العربي - البريطاني (CAABU) مايكل آدمز، وعضو حزب العمال البريطاني كرستوفر ميهيو، في كتابهما المشترك المعنون «إيّاك والنشر - **Publish it Not**، قصة التغطية على شؤون الشرق الاوسط»[١٣٤].

يضم هذا الكتاب فصولاً حسنة التوثيق ودقيقة المناقشة، فيما يخص تخفّي الحكومتين البريطانية والأمريكية وتغطيتهما على تاريخ العنصرية الصهيونية المغرّض ضد الفلسطينيين، ويبيّن الكتاب كذلك مدى الضغط الصهيوني في مجال الصحافة. ومن النقاط المثيرة جداً للاهتمام التي يثيرها آدمز، قوله إن الكثير من الكتابة الصحفية المتحيّزة الصادرة من إسرائيل ترجع الى عادة الصحف البريطانية المستحكمة في تعيين مراسلين لها في اسرائيل، من الصهاينة اليهود أو من المناصرين للصهيونية من غير اليهود. وهذا يحتمل أن يؤدي، حتى ضمن روحية الصحافة المهنية، الى توليد عنصر من عناصر الكتابة الصحفية الانتقائية.

يذكر آدمز بألم بعض الصعوبات التي واجهها خلال عمله الصحفي الطويل عند نشر بعض ما كان يتوصل إليه عن اوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في ١٩٦٧، ويشير الى الضغط الذي كان يسلط عليه. ويتحدث آدمز عن رفض جريدته، الغارديان، بل وحتى التايمز، نشر سلسلة مقالات كتبها سنة ١٩٦٧

---

(١٣٢) المصدر نفسه.
(١٣٣) Lilienthal, *The Zionist Connection: What Price Peace?*
(١٣٤) Michael Adams and Christopher Mayhew, *Publist It Not: The Middle East Cover Up* (London: Longman, 1975).

عن الأحوال السيئة في الأراضي المحتلة، والتي لم يكتب عنها غيره من الصحفيين، ولم تكن معروفة للجمهور العام في بريطانيا[١٣٥]. فلما نشرها في جريدة أخرى، انهالت رسائل الاحتجاج والنداءات التلفونية على محرر الجريدة وغيره من المحررين الذين يعمل في صحفهم، وعلى ناشري اعماله، وحتى على المنظمة التي كان يحاضر فيها عن الشرق الاوسط، وهي تطالب بقطع صلاتهم به، ورافق ذلك تدخل شخصي من الصهاينة في لندن لنفس الغرض. أما المحرر الذي نشر مقالات آدمز، فقد تلقى نقداً مستمراً وإهانات من السفارة الاسرائيلية في لندن، والصحف اليهودية في بريطانيا، ومن مؤيدين آخرين للصهيونية.

ومن الأمثلة العديدة التي يستشهد بها آدمز على الضغط الصهيوني، الاستجابة «الوحشية والمسعورة»، على حد تعبيره، التي جاءت من بعض المؤيدين الكبار للدولة الصهيونية في بريطانيا، وبينهم أعضاء في البرلمان (مثل جوليان سنو J. Snow وعمانوئيل شنويل Shinwell)، بل وحتى من وزراء سابقين، عن مقال نشرته التايمز في ٢٩ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦٩، كتبه محرر محايد ذو خبرة طويلة في شؤون الشرق الاوسط هو إي. سي. هوجّكن (Hodgkin)، عن أحوال وظروف الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. انظر مثلاً كيف انتقد النائب جوليان سنو جريدة التايمز في مجلس العموم على ما كتبه فيها هوجكن، بشأن معاملة اسرائيل القمعية ومعاقبتها الجماعية للفلسطينيين:

«إني شخصياً لا أستغرب أن تجد تلك الجريدة، التي كانت علاقتها ودية مع الحكومة النازية والمعروفة بلاساميتها الشريرة والفظيعة، من المناسب لها الآن أن تنشر مقالاً كهذا»[١٣٦].

أما المثير للاهتمام في جواب محرر التايمز على انتقاد سنو، فهو ليس تبرُّؤهُ وجريدته من مقال هوجكن، بل تأييده الصريح لاسرائيل قائلاً في مقاله بتاريخ ١ تشرين الثاني/ نوفمبر، ١٩٦٩: «كانت التايمز، في الحرب الكبيرة بين اسرائيل والعرب، متعاطفة مع اسرائيل اساسياً»[١٣٧].

بيّن آدمز، بضرب أمثلة متعددة، مدى الصعوبة التي يواجهها الصحفي، مهما كان مؤهلاً، في كتابة مقال لصحيفة قومية مما لا يسّر الصهاينة وأصدقاءهم و/أو السفارة الاسرائيلية. إن مثل هذه الكتابة الصحفية قد تكلفه عمله كما يقول آدمز، أو على الأقل تثبطه عن كتابة المزيد. ثم يذكر محادثة جرت له مع مراسل دبلوماسي حول الضغط الذي يسلّط عليه، كلما كتب شيئاً يتعلق بالشرق الأوسط، وينقل آدمز عن هذا المراسل قوله:

---

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٧٧ - ٧٩.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٨٥.

«إذا كتب شيئاً عن الشرق الأوسط مما يمكن إساءة تأويله بأنه غير ودي للاسرائيليين، فسينتظر أن يجد على مكتبه صباح اليوم التالي قصاصة من رئيس المنظمة يقول فيها إنه يود أن يتسلّم قبل ظهر اليوم أجوبة على ثلاث أو أربع نقاط جوهرية أثيرت معه حول المقال. عندئذٍ أشعر بالرعشة تسري في بدني»[١٣٨].

ولما سأل آدمز مراسلاً كبيراً مختصاً بالشؤون الخارجية، لماذا لم يكتب عن الشرق الأوسط منذ أمد طويل أجابه: «إذا كنت ستُسأل عن كل فارزة لعينة فلا داعي للكتابة»[١٣٩].

وذكر آدمز أن جهود الصحفيين لرفع هذا التحريم لم يكن لها إلا تأثير قليل فيما يظهر بمواجهة «جبروت الوكالات الدعائية الصهيونية المختلفة ومجموعات الضغط في هذه البلاد»[١٤٠]. ثم يمضي ليفسرّ النجاح النسبي في مواجهة ماكنة الاعلام الصهيونية المنظمة جداً، فيقول:

«بدأنا منذ ١٩٦٧ نؤثر كثيراً، وقد أدخلنا على الأقل عنصراً جديداً في وضع كان الصهاينة في السابق يفعلون ما يشاؤون في نطاقه. ولم نكن نتوقع القيام بأكثر من هذا ضد خصم مستحكم بمتانة منذ نصف قرن قبل ميلاد منظمتنا (مجلس تطوير التفاهم العربي ـ البريطاني)؛ خصم لديه مقر رئيسي كبير في لندن مع فروعه المنتشرة في أرجاء البلاد، ناهيك عن وكلائه ومؤيديه في مجلسي البرلمان، وفي شارع الصحافة، وفي دنيا المال حيث يستمد قوته المالية»[١٤١].

سادساً: الصهيونية وجاذبيتها في الغرب

واذا ما أردنا تفسير النجاح الصهيوني وشعبية الصهيونية في الغرب فانه لا يكفي ان نعزو ذلك الى ملكية الصهاينة لوسائل الاتصال، فهـذا بذاته ليس تفسيراً، اذ على المرء أن يفسر كذلك جاذبية الصهيونية المستمرة. ففي الوهلة الأولى يبدو من الخطل، إن لم نقل من غير المنطقي، أن تجتذب عقيدة مرتكزة كلياً على الدين عدداً مهمّاً من الاتباع من خارج المذهب ـ من خارج الديانة اليهودية. ولكننا رغم هذا، نرى الصهيونية مقبولة بشكل واسع من غير اليهود، وهؤلاء بالتحديد لا يمكن أن يقال عنهم انهم قبلوا بالصهيونية على أساس من «المماهاة البدائية مع (القبيلة)»، لذا فلا بد من وجود «عامل من القومية الفكرية»، على حد تعبير إم. هدسن[١٤٢]، لتفسير الأمر. إن

---

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٧٠ ـ ٧١. للاطلاع على تغلغل الصهاينة في حزب العمال البريطاني، انظر:
David Watkins, *Labour and Palestine* (London: Labour Middle East Council, 1975), and Ingrams, comp., *Palestine Papers, 1917-1972: Seeds of Conflict.*

(١٤٢) M. Hudson, «The Efficacy of Zionist Ideology and its Implication,» in: Kayyali, ed., *Zionism, Imperialism and Racism*, p. 241.

أحد الأسباب الكامنة وراء نجاح الصهيونية هو جاذبيتها «القائمة على توافقها المفترض مع التقليد اليهودي ـ المسيحي وعلى ما يضاهيها في اللاهوت المسيحي الأصولي»[143]. ومع أن التوافق السياسي بين الصهيونية واليهودية هو حديث العهد نسبياً، وأن الحركة الصهيونية لم تصبح هي الاتجاه السياسي السائد في اليهودية إلا في الحرب العالمية الثانية، فإن الصهاينة قد نجحوا جداً، ولا زالوا ينجحون، في اللعب على وتر «الوجدانية التوراتية» الموجودة في الغرب لتعبئة الناس وراء حركتهم. فضلاً عن ذلك فإن الصهيونية قادرة على الاستفادة من الفظائع التي ارتكبتها النازية بحق اليهود في ألمانيا، وهذا عامل قوي آخر من العوامل النفسانية الكامنة وراء نجاحها الكبير.

وقد اتبع الصهاينة بنجاح وسيلة فعالة لمواجهة من يختلف معهم ومع حركتهم وذلك بعرض حركتهم باعتبارها سبيل «التحرير» اليهودي والجواب الصحيح للاسامية ومحرقة الأحياء (holocaust)، وبهذا فإن أي شخص غير يهودي يعارض الصهيونية يكون حكماً ضد اليهود (fortiori) ويعتبر لاسامياً، وأن أي يهودي ضد الصهيونية هو يهودي «يكره نفسه(Self - hater)»[144]. ومن بين العوامل العديدة الأخرى لنجاح الصهيونية، مركز الصهاينة ـ الاسرائيليين المزعوم بصفتهم الفريق الضعيف في نزاعهم مع العرب، والطبيعة «السلمية» المزعومة للدولة الصهيونية، والأفكار «الاشتراكية» للرواد، و«الديمقراطية» التي ترمز اليها الصهيونية في الشرق الأوسط[145].

وأما فيما يتعلق بموضوع الديمقراطية هذا فهو موضوع مستمر حتى اليوم، حتى وإن كان البرهان يدلّ على خلافه. ففي ١٣ شباط /فبراير ١٩٨٣، كان بامكان صنداي تايمز أن تذكر في افتتاحيتها[146] «أن تقرير كاهان[147] مضرّ بالسيد بيغن شخصياً، ولكن ليس من دون عوض حصل عليه. لقد انتقد التقرير تصرف مكتب الرئاسة ولكن بيغن يمكنه، كبرلماني مخلص (كذا)، أن يكون راضياً لأن التقرير أمدّ ديمقراطية إسرائيل بحقنة قوة».

إن مثل هذه الجاذبية السياسية والفكرية والنفسانية قد زوّدت الصهيونية بشيء من المناعة، وجعلت الغرب يميل الى تجاهل كون الصهاينة أنفسهم يشتركون مع اللاساميين بالادعاء الذي يرى بأن اللاسامية هي ظاهرة أزلية وليست ظاهرة تتقرر تاريخياً ومادياً، وأنهم هم أنفسهم ينظرون الى اللاسامية باعتبارها متأصلة في طبيعة التفاعل ذاتها، وهو التفاعل الجاري بين اليهود وغير اليهود.

---

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(١٤٤) انظر الجدل حول مثل هذه الاتهامات بين:

R. Gottlieb, «The Dialecticts of National Identity: A Reply to Johnson,» *Socialist Review*, no. 47 (1979), and P. Johnson, «A Historical Dialectics: A Response to Roger Gottlieb,» *Socialist Review*, no. 47 (1979).

(١٤٥) Hudson, Ibid.

(١٤٦) *Sunday Times* (13 February 1983), p. 16.

(١٤٧) وهو الخاص بمذبحة الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين في بيروت في ايلول/ سبتمبر ١٩٨٢.

سابعاً: خلاصة واستنتاج

وكتلخيص لما ذكر فانه يمكن القول بان الصهيونية كانت، ولا تزال، حركة استعمارية عنصرية نشأت في اوروبا كنتاج طبيعي للنظام الاوروبي البرجوازي الرأسمالي القائم في القرنين التاسع عشر والعشرين. وينحدر مؤسسوها ومؤيدوها من الطبقة البرجوازية الرأسمالية (مثل عائلة روتشيلد وهرتزل ووايزمن)، المرتبطة بالطبقات الحاكمة الاوروبية. ولإدراك الصهاينة لافتقار حركتهم الى قاعدة جماهيرية يهودية، فقد اتخذوا من الاساطير الدينية (مثل شعب الله المختار) والفوارق العنصرية الخيالية شبه الميتافزيقية بين اليهود وغير اليهود (مثل الوحدة والفذاذة والاستمرارية) وسائل لتسهيل خلق دولة إسرائيل.

ولكي يفعل الصهاينة ما أرادوا فعله، وهو خلق دولة يهودية بالكامل، كان عليهم طرد وتشريد أهالي البلاد الأصليين ـ الفلسطينيين. وكان عليهم، بصفتهم مستوطنين تتعارض مصالحهم مع الأهالي، أن يسعوا بالضرورة لنيل الحظوة والحماية والمساعدة من الطبقات الحاكمة في الدول الامبريالية (وهي تركيا والمانيا وفرنسا، ثم انكلترا فيما بعد). فوعدوا لقاء ذلك بخدمة المصالح الامبريالية عن طريق التمويل وكذلك عن طريق إقامة مخفر متقدم في فلسطين، للعمل كقاعدة عسكرية امبريالية. واستخدم الصهاينة، في إضفائهم التبرير العقلي والمسحة الشرعية على مستعمرتهم، حجة «رسالة الرجل الأبيض» فأخذوا على عاتقهم بصفتهم أوروبيين بيض رسالة «تمدين» و«تحديث» ذلك الجزء «المتخلف» من العالم ـ فلسطين. لذا فمنذ ايام الصهاينة الأولى وحتى نجاحهم في بلوغ هدفهم بخلق الدولة اليهودية، اسرائيل، سنة ١٩٤٨، كان الافتراض الذي اقاموا عليه مواقفهم إزاء العرب متفقاً باطراد مع موقف المستعمرين نحو أهالي المجتمعات التي استعمروها، والافتراض الأساسي هو التفوق العنصري، وخلق القوالب الذهنية السلبية عن العرب.

وبعد خلق الصهاينة لدولتهم أصبح أولئك الفلسطينيون «البرابرة» «غير مرئيين (invisible)» و«غير موجودين». وحتى بعد حرب ١٩٦٧ حين كسبت حركة التحرير الفلسطينية أهمية عسكرية وسياسية وفرضت نفسها على الضمير الجماعي الصهيوني، كان هناك عدم استعداد للاعتراف بالفلسطينيين، فهؤلاء مجرد «إرهابيين» خارج القانون، ولا يستحقون النظر اليهم بعين الاعتبار السياسي الجدي.

على أن الصهاينة لم ينقطعوا عن تثبيت المركز الأدنى المنسوب للعرب إجتماعياً ونفسانياً وثقافياً. وهذا النقص تحوّل في الوقت الحاضر الى شيء آخر ألا وهو «النقص التقني». فالعرب، على زعم الصهاينة، يفتقرون الى أية قدرة تقنية لتحديث أنفسهم،

لـذا فبديلهم الـوحيـد لتحـديث انفسهم هـو أن «يتعلمـوا» منهم وذلـك بـالاعـتراف بدولتهم.

هذا، وبينما غدت لهجة الصهاينة و/أو تأكيدهم معتدلاً نسبياً في الوقت الحاضر، إلاّ أنّ افـتراضـاتهم الأسـاسيـة بشأن الفلسـطينيـين لم تتغـير في واقـع الأمـر، وظـل الفلسطينيون /العرب جزءاً من كتلة لا وجه لها، إرهابية، مجردة عن الانسانية، تظهر دائماً في صور عنصرية سلبية قـوالبية. وليس من المستغـرب أن تتبنى وسائـل الاعلام الغـربية مثـل هذه الصـور بالنظر للصلة الحميمـة التي تـربط الأهـداف الأمـريكيـة ـ الأوروبية بأهداف الصهيونية خلال القرن الماضي.

القِسْمُ الثَاني

الفصل الخامس
البحوث الجارية حول وسائل الإتصال الجماهيرية وتقويم الكتابة الصحفية

أولاً: البحوث الجارية في حقل وسائل الاتصال الجماهيرية: منظورات متنافسة

يقاس تاريخ البحوث الجارية في شتى حقول وسائل الاتصالات الجماهيرية بعقود عدة من السنين. وفي خلال هذا الزمن، حدث توسع كبير في عدد الباحثين النشطين، بل وأصبح الفرع حقلاً أكاديمياً معترفاً به، وله مركزه المهم في التعليم الجامعي في أعلى درجاته في أمريكا الشمالية. وموضوع وسائل الاتصالات الجماهيرية موجود في جامعات بريطانيا ايضاً، كمجال للتخصص في العلوم الاجتماعية، وكفرع مستقل يؤهل لنيل درجة جامعية. ولم يكن التغيير الجاري في هذا الباب على مدى السنين ذا طبيعة كمية فقط تتمثل في تزايد مقدار النشاط، بل شهد التغيير كذلك تحولات نوعية في مواطن التأكيد على نقاط بحث معينة وفي نماذج البحوث. كان التأكيد في منتصف هذا القرن ينصبّ على العامل النفساني ويعكس المصالح العلمية، في حين أن البحوث في حقل الاتصالات الجماهيرية اليوم متعددة الجوانب والخواص، وتحوي من المواد الاجتماعية وتحليلاتها ما هو ملموس جداً وذو روحية علمية أكاديمية دون الروحية السوقية أو الدعائية (Market or Propaganda ethos).

وقد نوقش تطور تاريخ البحوث عن وسائل الاتصالات الجماهيرية في سيل مستمر من أدبيات المراجعة اعتباراً، وعلى سبيل المثال، من الاسهامات المبكرة التي قام بها شرام[1]، وبريلسون وجانوفيتز[2]، وكلابر[3]، وهالوران[4]، إلى أعمال أحدث

---

(١) W. Schramm, *Mass Communication: A Book of Reading*, 2nd ed. (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1960).

(٢) B. Berelson and M. Janowitz, *Reader in Public Opinion and Communication*, 2nd ed. (New York: Free Press, 1966).

(٣) J.T. Klapper, *The Effects of Mass Communication* (New York: Free Press, 1960).

(٤) J.D. Halloran, *The Effects of Mass Communication with Special Reference to Televi-* =

قام بها مكويل(٥)، وشاني(٦)، وكريلنغ(٧)، وكوران مع آخرين(٨)، ومكـويل ووندال(٩). ولغرض وضع تحليل صورة الوطن العربي في الصحافة البريطانية في منظور نظري، فانه من الضروري أن نقدّم خلاصـة مختصرة للمدخـل التحليلي النقـدي الذي ستتبعه في هذا الشأن.

من الناحية التاريخية، كـان موضـوع أثر وسـائل الاتصـال هو الشغـل الشاغـل لأوائل الأكاديميين والباحثين في هذا الحقل، اذ كان هؤلاء متـأثرين بنـظرية «المجتمـع الجماهيري» ويقيمون افتراضاتهم عليها. تقـوم هذه النـظرية التي انتشرت بعـد الحرب العالمية الأولى، على تصوّر يرى بأن لوسائل الاتصال تـأثيراً قـوياً عـلى اتجاهـات وآراء وسلوك الجماهير الـذين هم ـ برأيهـا ـ مجرد ذرات منفصلة من كتلة مـلايين من القـراء والمستمعيـن ومشاهـدي الأفلام، لا تجمـع بينهم أية عـلاقة. هؤلاء الافـراد/ الذرات مهيأون دائماً لاستقبال الرسائل الاعلامية. وبنـاء على ذلـك، فقد نـظر أصحاب هـذا الاتجاه الى وسائل الاتصال بصفتها قادرة على كل شيء ومتمكنـة من ممارسـة قوة كليـة مطلقة في الإقناع لا حدود لها ولا قيود عليها (Omnipotent)، هذا إضافة الى قـدرتها على غسل أدمغة الناس الذين هم في ـ رأيهم ـ جمهور يتقبل بلا مقاومة كـل ما تقـدمه اليه هذه الوسائل(١٠).

ولكن جرى في السنين اللاحقة تحـدٍ لهذا الاعتقـاد بالقـوة الاسطوريـة لوسـائل الاتصال وإعادة تقويمه(١١). يؤكد الباحثون الجدد، وذلك على أساس البراهـين العلمية الجديدة، ان قوة وسائل الاتصال ليست قوة مطلقة وانما هي قوة «محددة الأثر» على من توجّه اليهم، اذ أثبتت هذه البراهين والدراسات العلمية ان عملية الاتصال الجماهيري هي في الواقع «عملية» تخضع لمؤثرات عديـدة قد تكـون خارجـة عن عملية الاتصـال

---

sion: A Survey (Leicester: Leicester University Press, 1964). =

(٥) Denis McQuail, *Towards a Sociology of Mass Communication* (London: Macmillan, 1969), and Denis McQuail, ed., *Sociology of Mass Communication* (London: Penguin Books, 1972).

(٦) D. Chaney, *Process of Mass Communication* (London: Macmillan, 1972).

(٧) A. Krieling, «Recent British Communication Research,» *Communication Research*, vol. 3 (January 1976).

(٨) James Curran, Michael Gurevitch and Janet Woollacott, «The Study of the Media: Theoretical Approaches,» in: Michael Gurevitch [et al.], ed., *Culture, Society and the Media* (London: Methuen, 1982).

(٩) Denis McQuail and S. Windahl, *Communication Models for the Study of Mass Communication* (London: Longman, 1981).

(١٠) انظر في نقد ذلك:

McQuail, *Towards a Sociology of Mass Communication;* McQuail, ed., *Sociology of Mass Communication;* James Curran and J. Seaton, *Power without Responsibility: The Press and Broadcasting in Britain* (London: Fontana Paperbacks, 1981); P. Golding and G. Murdock, «Theories of Communication and Theories of Society,» *Communication Research*, vol. 5, no. 3 (July 1978), and Krieling, «Recent British Communication Research.»

(١١) انظر مثلاً: Klapper, *The Effects of Mass Communication.*

نفسها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ثبت ان الافراد لا يستهلكون أو يعرّضون أنفسهم لوسائل الاتصال بسهولة أو بشكل عشوائي، كما كان يعتقد اصحاب الاتجاه السابق. ومن الانتقادات المحورية الموجهة للاعتقاد الذي يرى ان جمهور وسائل الاتصال يستهلك و/أو يتأثر بكل ما تقدمه هذه الوسائل من مواد اعلامية، هو بروز وظهور مفاهيم جديدة تعرف باسم «العوامل الوسيطة» و«التعرض الانتقائي» (Selective exposure) و«الادراك الانتقائي»، أي أن الافراد يعرّضون أنفسهم بشكل عام، لوسائل الاتصال التي تقول شيئاً يتّفق مع اتجاهاتهم واهتماماتهم، ويتجنبون بقصد وادراك المعلومات التي لا تتفق مع آرائهم واتجاهاتهم. وفي الحالات التي يتعرضون فيها لمعلومات لا تنسجم أو تتفق مع آرائهم واتجاهاتهم، فانهم يميلون عادة الى تفسيرها وادراكها بطريقة تجعلها تتناغم وتتسق معها. لقد اتاحت هذه المفاهيم الجديدة المجال امام الميكانزمات النفسية والعوامل الوسيطة لتقوم بدور وسيط وفعّال بين وسائل الاتصال وجمهورها من جهة، ولتحمي الفرد وتصون معتقداته من التأثير الفوري لوسائل الاتصال الجماهيرية من جهة أخرى[١٢].

وتطور هذا التصور مؤخراً، وذلك بإعادة تركيبه واعادة تحديد معناه، فتعزز بظهور ما يسمى بالدراسات الخاصة بالاستعمالات وإشباع الرغبات (uses and gratifications studies) وتحاول مثل هذه الدراسات ان تكتشف الدوافع الخاصة التي تؤدي بالافراد الى استعمال وسائل الاتصالات الجماهيرية، وما يشبعونه من رغبات بمثل هذا الاستعمال. يجادل دعاة «النظرة الجديدة» في بحوث الاتصال الجماهيري، على حد تعبير بلوملر، بأن مزايا هذا المدخل هي أنه يصوّر أفراد الجمهور كأفراد فاعلين، مدفوعين ذاتياً، ذوي أهداف يتطلعون اليها وليسوا من العاجزين والسلبيين الخاضعين لوسائل الاتصال، كما كانت تصورهم الدراسات السابقة الخاصة بأثر وسائل الاتصال الجماهيرية.

هذا المدخل، الذي يعرف أحياناً بالمدخل الوظيفي، وكذلك بالتعددي في شكله في العلوم السياسية، خضع لانتقاد عدد من الباحثين السوسيولوجيين المختلفين مع انصاره ايديولوجياً ومنهجياً[١٣]. ولكن أهم نقد له جاء من إليوت[١٤]، الذي يرى

---

(١٢) انظر: McQuail, Ibid.; McQuail, ed., Ibid.; Krieling, Ibid.; Curran and Seaton, Ibid.; Tony Bennett, «Theories of the Media, Theories of Society,» in: Gurevitch [et al.], eds., *Culture, Society and the Media,* and Curran, Gurevitch and Woollacott, «The Study of the Media: Theoretical Approaches».

(١٣) انظر مثلاً: Chaney, *Process of Mass Communication;* Stanley Cohen and Jock Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems Deviance and the Mass Media,* revised ed. (London: Constable, 1981), and Golding and Murdock, «Theories of Communication and Theories of Society».

(١٤) P. Elliott, «Uses and Gratifications Research: A Critique and Sociological Alterna- =

انه مدخل يقتصر على تعامل وسائل الاتصال الجماهيرية مع افراد الجمهور بشكل ضيق تجريدي، دون القيام بمحاولة لربط ذلك بطبيعة وشكل البناء الاجتماعي بشكله الواسع، والذي تعمل فيه هذه المؤسسات الاتصالية، هذا علاوة على كونه منهجاً يتجاهل القضايا الخطيرة الخاصة بالدور الخلاق الذي تلعبه وسائل الاتصال الجماهيرية في مساهمتها في عملية التغيير الاجتماعي. يقوم انتقاد اليوت، اذا آثرنا الصراحة، على قصر نظر المدخل وعدم دقته وعدم كفايته فيما يتعلق بافتراضات أتباعه الأساسية في المنهج والايديولوجيا (مثل كون المدخل تاريخياً، فردياً، مادياً، امبريقياً، وظيفياً)[١٥].

دعا فيليب اليوت في نقده كذلك الى تطوير مدخل بديل أكثر عمومية وشمولية (Holistic) من المدخل السابق، مدخل يعتمد على الفهم الكلي لطبيعة العلاقات بين البناء الاجتماعي ووسائل الاتصال الجماهيرية وجماهيرها. انه مدخل يقول عنه إليوت:

«إنه يبدأ بوضع شتى وسائل الاتصال وجماهيرها في مواضعها في البناء الاجتماعي. ففيما يتعلق بوسائل الاتصال، من الضروري تحليل ملكيتها وعمليات الضبط والانتاج فيها لمعرفة أيّ من الجماعات والمصالح ممثلة فيها مباشرة، وأي منها تستخدم كمصدر في الإنتاج... من جهة أخرى فإن الجماهير المختلفة تواجه أوضاعاً اجتماعية مختلفة فتخلق شتى المشاكل التي تجري مواجهتها بحلول وتفاهم مشتركة عن الوسائل المستخدمة»[١٦].

إن المدخل الذي يتبناه اليوت ويستخدمه، لا يتحدى فقط التقليد الامبريقي المقيّد الذي كان ولا يزال مستمراً و«موضته» رائجة - على حد تعبيره - في بحوث وسائل الاتصال الجماهيرية، بل يعكس كذلك ويمثل تحولاً رئيسياً في الاهتمامات بدراسة حقل مهمل نسبياً: الا وهو مؤسسات الاتصال (media institutions) وطرق عملها في التطبيق وعلاقتها بمحيطها الاجتماعي - السياسي. أما أسباب هذا التحول الرئيسي فمختلفة كما يقول كوران مع آخرين، ١٩٨٢. فقد دفع اليه من جهة حدوث شيء «من خيبة الأمل في قدرة البحوث الاتصالية الخاصة بدراسة الأثر على تفسير تام لقوة وسائل الاتصال، وهو في الوقت ذاته يعكس إدراكاً للإهمال النسبي لمؤسسات وسائل الاتصال كمواضيع

tive,» in: Jay Blumler and E. Katz, eds., *The Uses of Mass Communication* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1974). =

(١٥) انظر: المصدر نفسه؛

P. Golding and P. Elliott, *Making the News* (London: Longman, 1979); Golding and Murdock, Ibid.; J.Van Leuven, «Expectancy Theory in Media and Message Selection,» *Communication Research*, vol. 8, no. 4 (October 1981); D. Swanson: «The Continuing Evolution of the Uses and Gratification Approach,» *Communication Research*, vol. 6, no. 1 (January 1978), and «Political Communication Research and the Uses and Gratification Model: A Critique,» *Communication Research*, vol. 6, no. 1 (January 1978), and G.J. Blumler, «The Role of Theory in Uses and Gratification Studies,» *Communication Research*, vol. 6, no. 1 (January 1978).

(١٦) Elliott, «Uses and Gratifications Research: A Critique and Sociological Alternative,» pp. 261-262.

للدراسة»[17]. لكن الدافع الاهم للتحوّل، والأكثر اثارة للاهتمام، جاء كما يجادل هؤلاء من:

«حدوث تطورات نظرية خارج المجال الضيق لبحوث وسائل الاتصال... تطورات في البحوث السوسيولوجية على نطاق واسع...؛ النفوذ المتزايد للتنظيم الماركسي، الاهتمام المتزايد بدراسة دور وسائل الاتصال الجماهيرية في السياسة...»[18].

لقد قام بكثير من هذه البحوث الجديدة في بريطانيا، باحثون في مركز بحوث وسائل الاتصالات الجماهيرية في جامعة لستر وفي «مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة». أما جماعة مركز لستر فقد استخدموا طرقاً معروفة في دراسات علم الاجتماع المتعلقة بالمؤسسات ومجموعات العمل، وشدّدوا على أهمية دراسة ايديولوجيات المحترفين العاملين في وسائل الاتصال، والقيود التي يفرضها عليهم مركزهم[19].

ويقف الى جانب هذا العمل أيضاً مجموعة كبيرة ومتماسكة من دراسات علم الاجتماع عن ايديولوجية المحترفين في وسائل الاتصال، أجريت في مدارس فكرية أخرى في بريطانيا[20].

ومن الحقول المهملة في البحوث التقليدية لوسائل الاتصالات الجماهيرية، والتي

---

(١٧) Curran, Gurevitch and Woollacott, «The Study of the Media: Theoretical Approaches,» p. 16.

(١٨) انظر: المصدر نفسه، ص ١٦. انظر ايضاً:

James Curran, Michael Gurevitch and Janet Woollacott, eds., *Mass Communication and Society* (London: Edward Arnold in association with the Open University Press, 1977), and Harry Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press*, Sociological Review Monograph, 29 (Keele: University of Keele, 1980).

(١٩) انظر مثلاً: J.D. Halloran, «The Communicator in Mass Communication Research,» in: Paul Halmos, ed., *The Sociology of Mass Media Communicators*, Sociological Review Monograph, 13 (Keele: University of Keele, 1969); J.D. Halloran, ed., *The Effects of Television* (London: Panther Books, 1970); J.D. Halloran, P. Elliott and G. Murdock, *Demonstrations and Communication: A Case Study* (Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1970); Hartmann, C. Husband and J. Clarke, «Race as News: A Study in the Hanling of Race in the British National Press from 1963-1970,» in: *Race as News* (Paris: UNESCO Press, 1974), and Golding and Elliott, *Making the News*.

(٢٠) انظر مثلاً: Harry Christian, «Journalists Occupational Ideologies and Press Commercialisation,» in: Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press;* Philip Schlesinger, *Putting «Reality» Together, BBC News* (London: Constable, 1978); O. Boyd-Barrett, «The Politics of Socialisation: Recruitment and Training for Journalism,» in: Christian, ed., Ibid.; Curran and Seaton, *Power without Responsibility: The Press and Broadcasting in Britain;* Jeremy Tunstall, *Journalist at Work* (London: Constable; Urabana, Ill.: University of Illinois, 1971); J. Downing, *The Media Machine* (London: Pluto Press, 1980), and Glasgow University Media Group: *Bad News* (London: Routledge and Kegan Paul, 1976); *More Bad News* (London: Routledge and Kegan Paul, 1980), and *Really Bad News* (London: Routledge and Kegan Paul, 1982).

وجّه الباحثون الجدد اهتماماتهم اليها، مسألة بناء الملكية والسيطرة في وسائل الاتصال وكيف تؤثر في انتاج هذه المؤسسات ومحتواها. ومع أن دراسات علم الاجتماع في هذا الحقل، لا تزال قليلة نسبياً في بريطانيا، فقد بذلت مؤخراً بعض الجهود لتجسير هذه الفجوة. ويعتبر اسهام ميردوك وغولدنغ[٢١] من بين أولى الدراسات في هذا الحقل بالذات، وذلك في دراستهما المعنونة «نحو اقتصاد سياسي لوسائل الاتصال». وفيها يقولان ان مضمون ما تبثّه هذه الوسائل، والمعاني التي تحملها، تتحدّد وتتقرر أساساً بالقاعدة الاقتصادية للمؤسسات التي تنتجه. ومنذئذ وميردوك وغولدنغ منهمكان في تقديم رأي بنيوي الأساس عن دور وسائل الاتصال، مع التركيز على العلاقة بين الملكية والسيطرة في هذه الوسائل وبين بناء القوة (power structure) في المجتمع، وكذلك على المغزى الايديولوجي للمعاني التي تبثها هذه الوسائل، وتأثيرها في اعادة خلق النظام الطبقي وتجديده[٢٢].

على ان هناك، بشأن الملكية والضبط، رأيين سائدين ومتنافسين وهما يعرفان على العموم برأي «الماركسيين» ورأي «التعدديين الأحرار» (Liberal Pluralists). ومع ان النقاش بينهما حول من يسيطر على وسائل الاتصال ويضبطها هو نقاش قديم، ولكن أعنف النقاش، كان يجري في السنين الأخيرة داخل نطاق الماركسيين، وليس بينهم وبين التعدديين الاحرار[٢٣]. يرى الماركسيون ان الملكية هي المصدر الأساسي والنهائي للضبط، فمن يملك الوسائل الرئيسية من وسائل الاتصال، سواء من الافراد أو الجماعات أو الطبقات، تكون له القوة على تقرير محتوى الاتصال. وقد قال ماركس نفسه في كتابه المبكر المعنون **الايديولوجية الالمانية** (١٨٤٥):

«إن الطبقة التي تحظى بوسائل الانتاج المادي تحت تصرفها، هي التي تحظى بضبط وسائل الانتاج الفكري في نفس الوقت. ولذلك فإنه يمكن القول ـ عموماً ـ ان افكار اولئك الذين يفتقدون وسائل الانتاج الفكري تعتبر عرضة لتلك الطبقة... من ثم، فانه بقدر ما تقوم هذه الطبقة ـ كطبقة ـ بالحكم، وتحدّد مدى امتداد عصر معين ونطاقه، يكون ذلك في حد ذاته برهاناً ذاتياً على انها تقوم ـ ضمن ما تقوم به من أعمال اخرى ـ بتنظيم إنتاج وتوزيع افكار عصرها، وهكذا تكون **أفكارها هي الأفكار الحاكمة لتلك الفترة الزمنية**»[٢٤].

هذه السيطرة «للأفكار الحاكمة» تعمل اذاً، بالنسبة لماركس، عن طريق ملكية

---

(٢١) G. Murdock and P. Golding, «For a Political Economy of Mass Communication,» in: Ralph Miliband and John Saville, eds., *The Socialist Register* (London: Merlin Press, 1974).

(٢٢) انظر: G. Murdock and P. Golding, «Capitalism, Communication and Class Relations,» in: Curran, Gurevitch and Woollacott, eds., *Mass Communication and Society*.

(٢٣) انظر: Gurevitch [et al.], eds., *Culture, Society and the Media*.

(٢٤) التشديد مضاف، كما ورد في: Murdock and Golding, Ibid., p. 15.

وسيلة الانتـاج المادي والسيـطرة عليها، وبـذلك تسيـطر كذلـك على وسيلة «الانتـاج الفكـري». وبإخـراج الأفكار لتعـريف الواقـع الاجتماعي، فـإنها «تكـوّن صـورة معينـة للمجتمع تمثل مصالح طبقة معينة وكأنها مصالح أفراد المجتمـع كلهم»[٢٥]. يقول هـول وجماعتـه انه، بالنظر لسيطرة هذه الطبقة على المصادر الماديـة والفكريـة، وبالنـظر لهيمنتها عـلى مؤسسـات المجتمع الرئيسية، فإن «تعريف هذه الطبقة للعالم الاجتماعي يشكل الأساس المنطقي الرئيسي لتلك المؤسسات التي تقوم بدورها بحماية «نمـط حياة هذه الطبقة» والعمل على اعادة انتاجـه من جديد»[٢٦]. وعلى هذا الأساس، فإن الطبقات المالكة تستخدم سيطرتها على الانتـاج الثقافي لكي تضمن للصور والافكار والعروض المهيمنة ان تدعم الترتيب القائم.

يـرى الماركسيـون، إذاً، ان السيطرة عـلى وسائـل الاتصالات تقـع كلياً في يـد الملّاك (property owners) المسيطرين في المجتمع، وتلعب دوراً حاسماً في الحفاظ على صعـودهم. لهذا فهم يـرون، بهذا المعنى، ان الملكيـة والسيـطرة الاقتصـاديـة والقـوة الطبقية مرتبطة كلهـا بعضها بـالبعض الآخر بشكـل لا ينفصم. تتفق هذه الهيمنـة في الواقع، كما يتصورها الماركسيـون، مع قـوة وسائـل الاتصال ودورهـا في تحصين القيم والمعايير الاجتماعية القائمة في الثقافة السائدة، وفي تـركيزهـا وإضفاء الشرعيـة عليها. وقد جاء عمل «مركز الدراسات الثقافية المعاصرة» في مدينة برمنغهام، وبشكـل مهم، ليعكس على الأخص التوتر القائم داخل النظرية الماركسية، وذلك باهتمامه بالربط بين القاعدة والايديولـوجيا. حـاول هذا العمـل ان يلقي الضوء عـلى تلك المجالات التي تتمتع فيها وسائل الاتصال الجماهـيرية بـالاستقلاليـة (autonomy)، وتلك التي يكون فيهـا صراع سلطوي متبادل من أجـل الهيمنـة عـلى مـواقـع اجتماعيـة مختلفـة داخـل المجتمع[٢٧]. وقد أوضح فرانك باركن قوة وسائل الاتصال هذه على النحو التالي:

«إن التعريف الاجتماعي والسياسي لأولئك الذين يحتلون مراكز مهيمنة، يميـل لأن يصبح شيئاً موضوعياً ملموساً في انظمة المؤسسات، وبهذا يزوّد النسق الاجتماعي بأسره بإطاره الاخلاقي»[٢٨].

وقد قامت مجموعة من الباحثين البريطانيين بإجـراء دراسات عـلى قوة وسـائـل الاتصال هذه. ومن بـين المواضيـع التي تناولتهـا دراساتهم بـالتحليل مـوضوع العنف

---

(٢٥) Stuart Hall [et al.], «The Social Production of News: Mugging in the Media,» in: Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media*, p. 343.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

(٢٧) Stuart Hall, «Cultural Studies and the Centre: Some Problematics and Problems,» in: Stuart Hall [et al.], eds., *Culture, Media, Language* (London: Hutchinson, 1980).

(٢٨) Frank Parkin, *Class Inequality and Political Order* (London: McGibbon and Kee, 1971), p. 83.

(Violence) والكيفية التي يتم تصويره بها من قبل وسائل الاتصال الجماهيرية(٢٩).

وقد توصلوا بهذا الخصوص الى تأييد الحجة الماركسية القائلة بأن قوة وسائل الاتصال تكمن في «تجديد وتضخيم وتأكيد الافتراضات القائمة في المجتمع، والتي تشكل ثقافته السائدة، وليس في خلق هذه الافتراضات»(٣٠). وقد طور جون داوننغ(٣١)، الحجة الماركسية الخاصة باعتبار وسائل الاتصال وبخاصة الصحف كوكلاء (agencies) للهيمنة الايديولوجية في المجتمع. وقد لجأ داوننغ، بشيء من التوسع، الى مفهوم غرامشي (Gramsci) في الهيمنة (Hegomony) لتفسير دور وسائل الاتصال في المجتمع الرأسمالي. يقول داوننغ ان وسائل الاتصال هي: «جزء لا يتجزأ من الهيكل الايديولوجي - المؤسسي للحكم الرأسمالي، جزء من تطور الطبقة الحاكمة في حلفها مع طبقات اخرى أو كفاحها ضدها... وصلة الوصل هي الهيمنة البرجوازية. انها هيمنة المصالح الرأسمالية، وقد نظّمت في شركات ضخمة تعمل في الغالب في أكثر من قطر واحد (وهذا بدوره يعني عملاً امبريالياً ضد العالم الثالث). انها هيمنة تعمل بصورة عامة من خلال عين الدولة الساهرة، من خلال السرية والرقابة الرسميتين»(٣٢).

وبالنظر لهذه القوة التي تتمتع بها وسائل الاتصال، فإن الطبقات الحاكمة تمارس هيمنتها، عن طريق ما يسميه داوننغ «ميكانزم ضبط معين» (Specific Controlling Mechanism) على أولئك العاملين في المؤسسات الإعلامية والذين يتوجب عليهم استيعاب ايديولوجية الطبقة الحاكمة وروحيتها السائدتين، والحفاظ عليهما (Ideology and Ethos).

ولقد عالج ميردوك هذا الموضوع في بحثه المعنون «الطبقة والقوة والصحافة»، وتوصل الى النتيجة نفسها التي أكدها جون داوننغ، والقائلة بأن الصحف هي الوكيلة الرئيسية للهيمنة الايديولوجية. ولكنه، في الوقت ذاته، أبدى عدم رغبته واستعداده لقبول التأكيدات الماركسية التقليدية عن القوة الطبقية للصحافة، وذلك لأنها - في رأيه - ليست أكثر من مجرد تأكيد ونقطة بداية في التحليل. لهذا، فهو يشدّد على الحاجة لوضع هذه التأكيدات والادعاءات المجردة موضع التجريب والفحص الامبريقي من

---

(٢٩) ومنهم: Stuart Hall, «Deviance, Politics and the Media,» in: M. McIntosh and P. Rock, eds., *Deviance and Social Control* (London: Tavistock, 1974); Stanley Cohen, *Folk Devils and Moral Panics: The Creation of the Mods and Rockers* (St. Albans: Paladin, 1973); G. Murdock, «Political Deviance: The Press Presentation of a Militant Mass Demonstration,» in: Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media*, and S. Chibnall, *Law Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press* (London: Tavistock Publications, 1977).

(٣٠) Curran, Gurevitch and Woollacott, «The Study of the Media: Theoretical Approaches».

(٣١) Downing, *The Media Machine.*

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦ و١٧٩.

أجل الوصول، والعثور على فهم افضل وأدق لطبيعة العلاقة القائمة بين السيطرة الايديولوجية والقوة الطبقية. يقول ميردوك ان المشكلة في التحليل الماركسي التقليدي هي انه:

«مجرد توكيد. فبينما يفيد بوجود روابط قوية وحيوية بين الملكية الاقتصادية والسيطرة الايديولوجية والقوة الطبقية، فإنه لا يفعل شيئاً لبيان عمل هذه الروابط في التطبيق وتوضيحه. إنه مجرّد قول تصويري ينتظر الإثبات والبرهان»(٣٣).

لقد كانت هذه الآراء النقدية لميردوك محوراً مركزياً في عمل آخر له مع بيتر غولدنغ، وفيه يهاجمان الماركسيين التقليديين، وبخاصة ايان كونيل، الذي يرى أن وسائل الاتصال تنتمي أولاً وبالدرجة الأولى الى حقل الايديولوجيا. يقول الكاتبان في نقدهما لتحليله، والذي هو بنظرهما تحليل يوضح موقف الماركسيين الثقافي والتقليدي:

«إننا نتفق مع كونيل بأن وسائل الاتصال الجماهيرية تلعب فعلاً دوراً ايديولوجياً مركزياً؛ اذ ان نتاجها مصدر رئيسي للصور والتقارير والتبريرات الشرعية للرأسمالية البريطانية ولعدم المساواة القائم بنيوياً في الثروة والقوة اللتين تولدهما. على ان خلافنا معه هو على عبارة - أولاً وبالدرجة الرئيسية - فوسائل الاتصال الجماهيرية بالنسبة لنا هي بالدرجة الأولى مؤسسات صناعية وتجارية تنتج سلعاً، وتوزعها في نظام اقتصادي رأسمالي متأخر المرحلة»(٣٤).

إن هذه الآراء تطرح في الواقع مجموعة جديدة من الاسئلة، ذلك ان ميردوك لا يستطيع ان يتقبل وضعاً يقوم على دليل مشكوك فيه كدليل كونيل (Connell) وبيرل ومين (Berle and Mean)، (١٩٦٨) مثلاً بشأن «الثورة الادارية» (Managerial Revolution) المزعومة، ولذا كان عليه ان يستكشف طبيعة الرأسمالية في مرحلتها الأخيرة الأكثر تطوراً، ويخوض في النقاش الدائر بين أصحاب المدخل «البنيوي» وأصحاب المدخل «الذرائعي» بشأن السيطرة في الشركات الحديثة التي تدير وسائل الاتصال الجماهيري(٣٥). ومع أن ميردوك يمد خيوطاً مفيدة في هذا الاتجاه، ولكنه في حقيقة الأمر لا يفعل سوى طرح أسئلة نظرية تقتضي مزيداً من الاستقصاء والتحري في المستقبل. وهو كذلك يدعو الى التفريق المهم بين الضبط الذي يمارس على السياسات البعيدة المدى وتخصيص المصادر (السيطرة على التخصيصات allocative control)، وبين الضبط الذي يمارس على عمليات انتاج وسائل الاتصال الجماهيرية

---

(٣٣) G. Murdock, «Misreprecenting Media Sociology: A Reply to Anderson and Sharrock,» *Sociology*, vol. 14, no. 1 (February 1980), p. 37.

(٣٤) G. Murdock and P. Golding, «Ideology and Mass Media,» in: Michelle Barrett [et al.], *Ideology and Cultural Production* (London: Croom Helm, 1979), p. 210.

(٣٥) انظر: G. Murdock, «Large Corporations and the Control of the Communications Industries,» in: Gurevitch [et al.], eds., *Culture, Society and the Media.*

اليومية. (السيطرة على العمليات operational control). ويقول ان مثل هذا التفريق ضروري لكي يُعرف بالضبط من يمارس السيطرة على التخصيصات في المؤسسة، وكيف تؤثر في صياغة مدى ومضمون الإنتاج اليومي. والسيطرة على التخصيصات ـ وتتألف من صلاحية وضع السياسة الأساسية للمؤسسة، سواء أكانت السياسة هي استراتيجية عمل شاملة أم قرارات تتعلق بالأسواق والادارة المالية وتوزيع الأرباح، هي سيطرة مستقرة في أيدي المدراء المحترفين (Professional Managers) الذين يملكون معرفة ومهارات متخصصة لادارة مؤسسات الاتصال الجماهيري الحديثة(٣٦).

وفي حين يجادل الماركسيون التقليديون بأن السيطرة في المؤسسات تنبع عادة من الملكية، نجد ان الذين يستكشفون تعقيدات فن الادارة، ينظرون الى المدراء الخبراء ذوي المعرفة الواسعة على انهم هم مصدر السيطرة النهائي. لهذا يرى «انصار الفن الاداري» (Managerialists)بأن الرأي الماركسي التقليدي عن ضبط المالك وسيطرته بصفته المصدر النهائي للضبط، كان مقبولاً في تحليله حين كان الأفراد و/أو العائلات يديرون جميع جوانب مشروعهم البسيط التركيب. ولكن التطور والتعقيد والنمو في المؤسسات الحديثة، بما في ذلك وسائل الاتصال، جعلت الوضع أكثر تعقيداً بكثير. ومع انه لا ينكر ان المساهمين والمدراء يمكنهم أن يتصرفوا فعلياً «كمالكين»، ولكن هذا لا يمكن مقارنته بمعادلة الملكية بالضبط، والتي قال بها ماركس في القرن التاسع عشر. لذا، فقد ظهرت بالضرورة طبقة جديدة متخصصة مهنياً، ومحترفة. ولقد لخّص ميردوك وغولدنغ التحوّلات التي طرأت على نظام الملكية والضبط في صناعة الاتصالات الجماهيرية، من كونه ضبطاً يتمركز بأيدي العائلات (Family Control) الى كونه انتقل وأصبح ضبطاً مدموجاً (Conglomerate Control) على النحو التالي:

«تميزت صناعة الاتصالات في البلاد الرأسمالية المتقدمة بنموذجين للتحول في بنية المؤسسة الرأسمالية، أولهما هو الاتجاه ذو المدى الطويل نحو المركزية الذي أدّى الى وجود عدد متزايد من القطاعات التي تسيطر عليها حفنة من الشركات الكبرى. واما الاتجاه الثاني فيتمثل بالتزايد الحديث في التنويع والانقسام، مما افضى الى ظهور شركات كبرى مدمجة تمتلك حصصاً في قطاعات متعددة من صناعات الاتصالات الاعلامية ووسائل التسلية وقضاء وقت الفراغ»(٣٧).

وعلى الرغم من هذا الاتجاه نحو ملكية الشركات الكبرى المدمجة للمؤسسات الاتصالية، فان ميردوك يقول إن وسائل الاتصالات الجماهيرية، وبخاصة الصحافة كواحدة من أقدم هذه الوسائل، لا تزال تهيمن عليها الى حد كبير شركات يسيطر

---

(٣٦) انظر: المصدر نفسه.

(٣٧) Murdock and Golding, «Capitalism, Communication and Class Relations,» p. 28.

عليها بقوة أولئك المنحدرون من سلالات العائلات المؤسسة الأصلية ومشاركوهم[٣٨].

اما تنستول[٣٩]، فهو، على نقيض ميردوك، لا يوافق على مقولة الملكية العائلية القوية هذه، بل إنه يرى أن الصحافة البريطانية، لا سيما خلال «عصر التلفزيون» مملوكة بشكل واسع جداً من قبل شركات كبرى مدمجة ومتعددة الجنسيات ينصبّ اهتمامها على صناعات أخرى (النفط، النقل، التعدين، الانشاءات، المصارف... الخ). وتأتي أرباحها منها[٤٠].

ويقدّم جيمس كوران، رأياً مشابهاً لرأي تنستول بقوله:

«إن نموّ عملية الضبط الذي تمارسه المؤسسات المتعددة الجنسيات على الصحافة، والاتجاه العام نحو التنويع الاقتصادي في الصحافة، قد أديا الى تدهور هيمنة الملكيات الفردية. وهناك بضعة استثناءات... ولكن، مع ان الجماعات الرئيسية المالكة للصحف لا يزال يسيطر عليها المنحدرون من سلالات المؤسسين، فان الشركات هي الآن بدرجة من كبر الحجم والتنوع بحيث تحوّل أمور السيطرة على أكثرية الصحف الى مدرائها. اما المحررون فصلاحيتهم محدودة في هذا المضمار. إن أغلب القرارات الأساسية المؤثرة في تطوير الصحف تتصل بالأمور المالية، وهذه القرارات تحال غالباً الى مجالس الإدارة»[٤١].

وعلى كل حال، فإن مسألة الملكية والضبط في المؤسسات الاتصالية، تبقى بحاجة الى المزيد من الدراسات الامبريقية لتوضح كيفية تحقيق هذه العملية في الواقع الملموس، ولعل دراستي للصحافة البريطانية هي بمثابة خطوة في هذا الاتجاه.

ثانياً: القيم الاخبارية News Values

يتصل بأهمية بناء الملكية والسيطرة، أمر آخر هو بناء «القيم الاخبارية» ـ اي المعيار الذي بموجبه يمارس المحترفون في وسائل الاتصال أحكامهم التقويمية وتفضيلاتهم لشيء على شيء، مما يوجّه عملية جمع الأخبار وانتقائها وتقديمها. وقد أظهرت الدراسات السوسيولوجية لوسائل الاتصال، وبخاصة منها الصحافة، أن صناعة الأخبار يقوم بتحديدها:

---

(٣٨) انظر: Murdock: «Misreprecenting Media Sociology: A Reply to Anderson and Sharrock,» and «Large Corporations and the Control of the Communications Industries».

(٣٩) Jeremy Tunstall, «The British Press in the Age of Television,» in: Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press.*

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٤١) انظر: Curran and Seaton, *Power without Responsibility: The Press and Broadcasting in Britain*, p. 112.

انظر أيضاً: Christian, «Journalists Occupational Ideologies and Press Commercialisation,» p. 260.

«مجموعة متميزة من المعايير الصحفية الخاصة بقيمة الخبر وبالطرق الروتينية لجمعه وتصنيعه، والتي بواسطتها توضع تلك القيم موضع التطبيق»(٤٢).

وفي أعقاب الدراسات التي قام بها كل من: اوستغارد؛ وغالتونغ ورروج، وروزنغرن(٤٣)؛ تجمعت نتيجة البحوث الجارية أدلة تفيد بأن جمع الأخبار ليس انعكاساً موضوعياً لأحداث عشوائية، كما كان يرى بعض الصحفيين وغيرهم، بل إن هذا الجمع هو الحصيلة النهائية لعملية معقدة تبدأ من اختيار أحداث معينة من المعلومات المتوافرة، وذلك بموجب مجموعة من المعايير المركّبة اجتماعياً، وتفسيرها في إطار اجتماعي وثقافي مألوف من المفاهيم والقيم و«التأويلات»، مما يفصح عما يزعم أن الجمهور يفكر به ويعرفه من الأحداث والأوضاع والأنظمة الاجتماعية(٤٤). ولقد طوّر غالتونغ ورروج(٤٥) مجموعة من العوامل الاخبارية افترضا أنها تزيد من امكانية تصوّر الحدث ونشره بشكله النهائي كحدث ذي قيمة اخبارية. ومن أهم العوامل المهيمنة في هذا الباب، والتي تجعل الحدث، في رأيهما، ذا قيمة اخبارية: الوضوح والتكرر والاستهلالية والمعنى الهادف والسلبية أو التضاربية، والنخبوية الشخصية أو القومية. وقد أهمل الباحثون بعض هذه العوامل الاخبارية إهمالاً نسبياً في حين أولَوْا بعضها الآخر اهتماماً غير قليل ولا سيما عوامل المعنى الهادف (Meaningfulness) والنخبوية (elitism) والسلبية(٤٦) (negativism).

---

(٤٢) انظر: Murdock, «Misreprecenting Media Sociology: A Reply to Anderson and Sharrock,» p. 60.
انظر ايضاً: P. Hartmann and C. Husband, «The Mass Media and Racial Conflict,» in: Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media;* Stuart Hall [et al.], *Policing The Crisis: Mugging, the State and Law and Order* (London: Macmillan, 1978); Chibnall, *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press;* Golding and Elliott, *Making the News;* Halloran, Elliott and Murdock, *Demonstrations and Communication: A Case Study;* Tunstall, *Journalist at Work,* and Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media.*

(٤٣) E. Ostgaard, «Factors Influencing the Flow of News,» *Journal of Peace Research,* no. 2 (1965); J. Galtung and M. Ruge, «The Structure of Foreign News,» in: Jeremy Tunstall, *Media Sociology: A Reader* (London: Constable, 1975); Kirk E. Rosengren, «International News: Methods, Data and Theory,» *Journal of Peace Research,* no. 11 (1974).

(٤٤) انظر: Hall [et al.], *Policing in Crisis: Mugging, the State and Law and Order;* Golding and Elliott, *Making the News;* Hartmann and Husband, «The Mass Media and Racial Conflict»; Chibnall, *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press,* and Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media.*

(٤٥) Galtung and Ruge, Ibid.

(٤٦) انظر: Murdock, «Political Deviance: The Press Presentation of a Militant Mass Demonstration»; S. Peterson, «International News Selection by the Elite Press: A Case Study,» *Public Opinion Quarterly,* vol. 5, no. 2 (Summer 1981), and T. Nnaemeka and J. Richstad, «Internal Controls and Foreign News Coverage,» *Communication Research,* vol. 8, no. 1 (January 1981).

إن عامل الوضوح الخاص بجلاء الحدث أو بساطته (unambiguity)، وعامل الاستهلالية (Threshold) الخاص بمدى نطاق الحدث، وقد أكدهما مثلاً سميث[٤٧] في دراسته لجريدة نيويورك تايمز وغولدنغ وإليوت[٤٨] في دراستهما لانتاج الأخبار في ايرلندا ونيجيريا والسويد[٤٩].

وجرى كذلك تأكيد النخبوية كعامل اخباري. وهذا العامل يتعلق بالأشخاص و/أو الأمم. فالنخبة ذات بروز طبيعي، وافرادها بالتحديد يتمتعون بعلو بارز فوق الجمهور: «الأسماء تصنع الأنباء». وقد أكد ابستاين[٥٠] في دراسته عن «اخباريي التلفزيون» الأولوية العظمى التي تعطى للأحداث المتعلقة بأشخاص بارزين. إن شهرة شخص من النخبة، هي في الواقع بؤرة اهتمام، لا بسبب ما يفعله هذا الشخص، بل، وكما يقول شبنول «بسبب ما يمثله، إنه صورة للمثل الأعلى، وتجسيد للفترة الشعبية، وموضوع للمصالح التجارية واستغلالها»[٥١]. أيد ساند كذلك ما ذهب اليه ابستاين، وقد درس تغطية الاخبار الخارجية في عدد من الجرائد النرويجية[٥٢].

وهناك فيما يتعلق بعامل المعنى الهادف، وهو بذاته متصل عادة بقيم الصلة (relevance)، على أهمية الشخص الذي تعرضه وسائل الاتصال للفرد المستقبل) والمقاربة (Proximity) (أي المدى الذي تشرك به الاحداث شخصاً دولياً ينظر اليه بمعنى من المعاني على أنه شبيه، وله علاقة، ببلاد المرء)، هناك حول هذا العامل بيانات دراسة تؤيد فيما يظهر إسهامه في تقرير القيمة الاخبارية للحدث[٥٣]. وعند مراجعة الأدبيات الخاصة بالمقاربة، ويشار اليها أحياناً «بالمصلحة الذاتية» أو «النرجسية»، كما يسميها بيترسون، يبدو أن هناك اتجاهاً في الجرائد نحو نشر و/أو تخصيص مساحة كبيرة للأحداث الدولية ذات الصلة بأقطار هذه الجرائد، أو غيرها من الأمم والمناطق،

---

(٤٧) R.F. Smith, «On the Structure of Foreign News: A Comparison of the New York Times and the Indian White Paper,» *Journal of Peace Research*, no. 6 (1969).

(٤٨) Golding and Elliott, *Making the News*.

(٤٩) للاطلاع على عرض شامل، انظر:

Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media*.

(٥٠) E.J. Epstein, *News from Nowhere: Television and the News* (New York: Random House, 1973).

(٥١) Chibnall, *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press*, p. 27.

(٥٢) انظر: O. Sande, «The Perception of Foreign News,» *Journal of Peace Research*, no. 8 (1971).

انظر أيضاً: Golding and Elliott, *Making the News*, and W. Schramm, *Mass Media and National Developement* (Paris: UNESCO Press, 1964).

(٥٣) انظر: Peterson, «International News Selection by the Elite Press: A Case Study».

القرية منها سياسياً أو اقتصادياً، وأحياناً جغرافياً، وتشترك معها بمشاكل متشابهة[٥٤].

أما أكثر البحوث الخاصة بالقيم الاخبارية، فقد تركزت على عاملي السلبية (negativeness) والتضاربية (Conflictual). وقد يكون هذا بسبب ما للاعلام عن حدث معين من جاذبية للجمهور بصدد ما يفهمه من معنى الحدث الطبيعي[٥٥]. ويرى تنستول[٥٦]، أن الاضطرابات (riots) كمثل على السلبية، مع ما يرافقها من عنف وخطر جسماني، «تفي بجميع متطلبات الخبر الكبير». ومع أن تنستول يشير هنا الى اضطرابات معينة وقعت سنة ١٩٦٥ في واطز (Watts) (لوس أنجلوس) ولكن أقواله تصدق على أغلب الحالات التي يكون لاحداثها السلبية أهمية اضافية بسبب المفاجأة (unexpectedness) الكامنة في الحدث، وعدم استطاعة التنبوء (unpredictability) بما يجري فيه. هنا أيضاً نرى كيف أن القيم الاخبارية نادراً ما تعمل بمعزل عن بعضها البعض. وقد أيّد غولدنغ وإليوت كذلك فرضية غالتنغ وروج بشأن السلبية، وقالا «إن الأخبار السيئة هي أخبار حسنة»[٥٧].

وكانت الدراسة التي قام بها هالوران وزملاؤه سنة ١٩٧٠[٥٨] للمظاهرة الجماهيرية السلمية في لندن ضد حرب فيتنام، والتي ركزت الصحافة فيها على حوادث عنف منفصلة وعلى بعض الشخصيات، كانت قد تجاهلت كلياً المنظور السياسي للمتظاهرين. كذلك فإن دراسة هارتمان وهازبند[٥٩] قد أظهرت كيف أن وسائل الاعلام عرضت «السود» كعناصر خطر وتهديد للمجتمع البريطاني. إن نتائج

---

(٥٤) للاطلاع على عرض شامل لهذا العامل، انظر: المصدر نفسه؛ Nabil Dajani and John Donhue, «Foreign News in the Arab Press: A Content Analysis of Six Arab Dailies,» *Gazette*, vol. 19, no. 3 (1973);Schlesinger, *Putting «Reality» Together, BBC News*, and Rosengren, «International News: Methods, Data and Theory».

(٥٥) انظر: C. Husband, «News, Media, Language and Race Relations: A Case Study in Identity Maintenance,» in: Howard Giles, ed., *Language Ethnicity and Intergroup Relations* (London: Academic Press, 1977), and Murdock, «Political Deviance: The Press Presentation of a Militant Mass Demonstration».

(٥٦) Tunstall, *Journalist at Work*, p. 20.

(٥٧) انظر: Golding and Elliott, *Making the News*, p. 20.

انظر ايضا: Hartmann, Husband and Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race»; P. Braham, «How the Media Report Race,» in: Gurevitch [et al.], eds., *Culture, Society and the Media;* Halloran, Elliott and Murdock, *Demonstrations and Communication: A Case Study;* B. Troyna, «Reporting the National Front: British Values Observed,» in: Charles Husband, ed., *Race in Britain: Continuity and Change* (London: Hutchinson University Library, 1982); C. Critcher, M. Parker and R. Sandhi, *Race in the Provincial Press: A Case Study of Five West Midlands Newspapers* (Brimingham; London: Centre for Contemporary Cultural Studies, 1975), and Murdock, «Political Deviance: The Press Presentation of a Militant Mass Demonstration».

(٥٨) Halloran, Elliot and Murdock, Ibid.

(٥٩) Hartmann Husband and Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race in the British National Press from 1963-1970».

هذه الدراسات لا تؤكد صحة القيم الاخبارية هذه في تركيب الأخبار فحسب، بل تبين كذلك كيف أن وسائل الاتصال تستبعد وتتجاهل شرائح كبيرة من المجتمع من عرضها في الاعلام. فضلاً عن أنها تبيّن كيف تلعب هذه الوسائل دوراً لا يستغنى عنه في عملية «تدبير» الأوضاع المتضاربة وإضفاء الشرعية على الوضع الراهن وعلى مصالح المسيطرين على هذه الوسائل(٦٠).

ومع أن هذه القيم الاخبارية غير مكتوبة، إلّا أنها مقبولة، يشترك فيها الجميع، ويفهمها ضمناً العاملون المحترفون في وسائل الاعلام، وهم يتعلمونها عن طريق ما يصفه شبنول «بعملية التنشئة الاجتماعية غير المهنية اثناء قراءة الجرائد، وبالتحدث مع زملاء المهنة الأكثر خبرة، ومراقبة إجراءات الانتقاء التي يزاولها مساعدو المحررين»(٦١). وبهذه الطريقة، يتم الحفاظ على السيطرة الادارية، فتصير حقيقة واقعة في المؤسسة. هذا وإن هذه القيم الاخبارية معروفة لأغلبية المؤسسات الاخبارية، إن لم نقل كلها، ولو أن هذه المؤسسة قد تختلف عن تلك في الأخذ بها أو تأكيدها بشكل معيّن. ويقول شبنول ان كل مؤسسة من هذه المؤسسات «سيكون لها سياستها الاخبارية الخاصة بها، وهي سياسة ضمنية الى حد كبير، وستبثّ هذه السياسة بين الصحفيين العاملين لديها عن طريق إيلاء القيم الاخبارية وزناً لائقاً. إن هذا سيمكن الصحيفة من تطوير اسلوب متميز»(٦٢). ويمضي شبنول الى القول ان هذا الأسلوب المتميز والقيم وأوزانها ستقترن سريعاً بتوقعات القارىء، فهي:

«لها ما يبررها فيما يتعلق بإرضاء القراء وإعطائهم ما يريدون. وهكذا تتحول القيم الاخبارية الى أعراف لصناعة الصحافة تملي ليس فقط أنماط الواقع التي يجوز للصحفي أن يفيها حقها في تقاريره، بل كذلك أنواع المعاني التي له أن يفهمها من الأحداث المقبولة»(٦٣).

وعليه فإن لكل جريدة معناها المهني المختلف لقيمة الخبر وإطارها الفني المتميز ومؤسستها المتميزة، ومعناها الذي تتصوّره عن الجمهور أو القراء المنتظمين. كل هذا يشكّل بمجموعه الأسلوب الخاص للجريدة، أو ما يسمى عادة «بشخصيتها الاجتماعية»(٦٤).

إن وجود «شخصية اجتماعية» لكل جريدة من الجرائد ينبغي ألا يعني أن هذا التنوع هو مظهر واف لتعدد العروض والأصوات التي يقول التعدديون ان وسائل

---

(٦٠) انظر: Hall [et al.], *Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order;* Chibnall, *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British Press*, and Cohen, *Folk Devils and Moral Panics: The Creation of the Mods and Rockers.*

(٦١) Chibnall, Ibid., p. 13.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٦٤) انظر: المصدر نفسه، و Hall [et al.], *Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order.*

الاعلام تمثلها في المجتمع الرأسمالي. بل هو تعدد ضمن «حدود عقائدية معينة» على حد تعبير هول مع آخرين(٦٥). أما الذي يجب تأكيده، فهو أن للشخصية الاجتماعية لجريدة ما أثراً عميقاً في تقرير درجة قبولها لأحداث معينة تتلاءم مع معيارها لقيمة الخبر، كما تتحدّد عن طريق الصورة الذاتية المسبقة للصحيفة عن نفسها وتوقّع الجمهور. فالجريدة، إذا أرادت ان تبقى حية تجارياً في وضع تتفاقم فيه المنافسة، فإن عليها أن تقدم مادة مفهومة وممتعة وجذابة الى جماهير معينة من القراء، لكي تحافظ على موارد المبيعات والاعلان(٦٦).

إن التزام وسائل الاعلام التزاماً مهنياً بهذه الممارسات تؤدّي عادة الى التشويه والتحيّز في عملية صنع الأخبار. وينبغي أن ينظر الى هذا الشكل من التحيّز على أنه كامن، في الواقع، في ممارسة الصحافة كمهنة بذاتها (as profession perse)، وتالياً ينبغي تمييزه عن تحيّز بعض الصحفيين الأفراد بسبب افتقارهم الى الخبرة الكافية أو الإلمام اللازم بوضع معين مما يكتبون عنه؛ بما في ذلك عدم الكفاية ثقافياً ولغوياً. وخلافاً للنوع الأول من التحيّز الذي ينشأ عادة عن جمع الأخبار وانتاجها كعملية معقدة، فإن هذا التحيّز الآخر يمكن تقليله بشتى الطرق (مثل الضبط الذاتي والتدريب المهني والتعليم والألفة بالأمور)(٦٧).

ويمكن القول بأن هذا الدور النشيط، والانتقائي والخلاق لمحترفي وسائل الاتصال في عملية إنتاج الأخبار، يبطل حجة التعدديين الذين يعتبرون هؤلاء المحترفين «كناقلين سلبيين» للواقع الاجتماعي من جهة، ويقبلون من جهة أخرى بروحية المحترفين (professional ethos) الموضوعية (objectivity) وغير المتحيزة (impartiality) باعتبارها كافية لضمان الجمع المحايد للأخبار. إني أتفق مع هالوران بأن مثل هذه الأفكار عن الموضوعية والحياد وعدم التحيّز التي يقول بها التعدديون، هي عبارة عن:

«ألفاظ جوفاء عند استعمالها فيما يتعلق بأخبار وسائل الاتصال الجماهيرية. إنها في أحسن الأحوال تنطبق فقط ضمن نطاق تسود فيه قيمة الخبر ومجموعة القيم المتصلة اتصالاً وثيقاً بالوضع الراهن وبالمتطلبات التجارية»(٦٨).

---

(٦٥) Hall [et al.], Ibid.

(٦٦) انظر: J. Curran, «Advertising as a Patronage System,» in: Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press*, and Murdock, «Political Deviance: The Press Presentation of a Militant Mass Demonstration».

(٦٧) انظر: Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press;* Golding and Elliott, *Making the News*, and Boyd-Barrett, «The Politics of Socialisation: Recruitment and Training for Journalism».

(٦٨) انظر: J.D. Halloran, «Mass Media and Race: A Research Approach,» in: *Race as News*, p. 18.
=

ثالثاً: خاتمة

خلاصة القول إن الدور المهم والقوي لوسائل الاعلام الاخبارية هو دور ينبغي التشديد عليه. فهذه الوسائل توفّر المعرفة والمعلومات عن أوضاع معينة، وبخاصة حين لا يكون للأفراد خبرة مباشرة عنها؛ والاعلام ينشر الصور والقوالب الذهنية وينقل عقيدة الذين هم في مراكز مؤسسية قوية وذات امتيازات، كما يضفي الشرعية على هذه العقيدة. وعملية إضفاء الشرعية ونقل الأفكار المهيمنة، لا تجري بالطبع بطريقة تآمرية، بل بالأحرى بواسطة نظام التنشئة الاجتماعية (socialization) التي يتعلم من خلالها محترفو الإعلام كيف يستوعبون مستلزمات روح الاستقلالية (Ethos of autonomy). هذا، ويجري تنشئة هؤلاء المحترفين على استدخال واستدماج (internalization) معايير وقيم المؤسسة الصحفية القائمة ضمن بُنى تنظيمية معينة. فعليهم بالتالي تطبيق المعيار الخاص بانتقاء الاخبار وانتاجها، وهذا يخدم ضمناً المصالح السياسية والاقتصادية للطبقة المهيمنة. أما آثار مثل هذا الانتقاء، وما فيه من إغفال، فتنصبّ على إبقاء شريحة كبيرة من المجتمع فقيرة في المعلومات أو جاهلة بأمور معينة تخص واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ولكن على محترفي وسائل الاتصال، لغرض الحفاظ على وسائل المهنة تجارياً، وسياسياً بدرجة أقل، والابقاء عليها ناجحة وقادرة على البقاء، عليهم ان ينتجوا سلعة جذابة ومفهومة تعرض على جماهيرهم المفترضة. وواضح ان هذه العملية لا هي حرة تماماً وغير مقيدة، ولا هي عملية إنتاج بسيط لسلعة لا منافس لها. إن الوضع المادي للجماهير المختلفة، ومقدار خبرة هذه الجماهير، يوفّران سلسلة من المنظورات الفكرية التي بها تقوّم منتجات وسائل الاتصال. وبالنظر كذلك لاحتواء الأفكار والصور «المهيمنة» نفسها على تناقضات ينبغي التغلب عليها فيما يتعلق بأحداث معينة، فإنه من الخطر المبالغة في تبسيط القوى المتنافسة العاملة في نطاق إنتاج الأخبار ونتائجها.

سنسعى، في هذه الأطروحة، الى ملاحظة استمرارية الصور عن الوطن العربي، وتغيرها، كما تنعكس كجانب من جوانب التحيّز الثقافي والاستعلائي العرقي. على

= انظر ايضاً: Curran, Gurevitch and Woollacott, «The Study of the Media: Theoretical Approaches»; Cohen and Young, eds., *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media;* Hall [et al.], *Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order;* Golding and Elliott, Ibid.; Glasgow University Media Group: *More Bad News*, and *Really Bad News*, and J. Hartley, *Understanding News* (London: Methuen, 1982).

انظر ايضا بدرجة محدودة النقاش بين كل من:

D.C. Anderson and W.W. Sharrock, «Biasing the News: Technical Issues in Media Studies,» *Sociology*, vol. 13, no. 3 (September 1979).

أنـه من المنتظر أن تحقق صـور مختلفة بـروزاً ما عنـد إعـادة تحـديـد عـلاقـة «المشرق» ببريطانيا، في إطار التغيرات الاقتصادية المادية والسياسية. وفي سعينا لتتبّـع مثل هـذه التـطورات، سنشير الى عمـل القيم الاخباريـة في الصحافة البريـطانية في بـريـطانيـا المعاصرة، ووضع هذه القيم في إطار المناقشة ضمن الفصل المقبل.

سنستخدم طريقة تحليل المحتوى لجرائـد قوميـة معينة، وذلـك لغرض الفحص الامبريقي لطبيعة ما تنشره عن الوطـن العربي. ولا يمكن تقـويم البيانـات الناشئـة عن هذا التحليل تقويماً وافياً بطريقة منتظمة، إلا إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكر آنفاً.

الفَصْلُ السَّادِسْ

مَنهَجيَّة البَحْث :
عَرضٌ لِتحليلِ المَضمُون وَبيانٌ لِطريقَتِه

أولاً : المدارس الفكرية المتنافسة في موضوع تحليل المضمون

نظراً للدور المهم الذي تلعبه وسائل الاتصال الاخبارية، فليس من المستغرب أن ينصبّ الاهتمام على مضمون هذا الحقل الخاص بوسائل الاتصال الجماهيرية. وتحليل المضمون، كطريقة بحث، نشأ وتطور، تاريخياً، استجابة لعدد متزايد من التساؤلات والتقويمات النقدية لوسائل الإتصال، وهي تتغير كثيراً على مدى السنين لظهور قضايا جديدة مع تبدل الظروف(١).

كان الهدف الأصلي كما وضعه الرواد الأوائل ـ لزويل (Losswell)، لزار سفيلد (Lazarsfeld) وبيريلسون (Berelson) ـ هو جمع مسائل يمكن قياسها، ويمكن التحقّق منها موضوعياً، من نتاج الدعاية النازية، واستنتاج دلائل منها بشأن القرارات المتخذة من صانعي السياسة الألمان، أو التي كانوا يفكرون بها، حول الظروف المادية أو النفسية السائدة في ألمانيا(٢). والفرضية الأساسية وراء هذا النمط من تحليل المضمون،

(١) للإطلاع على عرض لهذا الموضوع، انظر على سبيل المثال:

B. Berelson, *Content Analysis in Communication Research* (New York: Free Press of Glencoe, 1952); Ole R. Holsti, *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities* (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969); G. Gerbner [et al.], eds., *The Analysis of Communication Content* (New York: John Wiley, 1969); K. Krippendorff: «Theories and Analytical Constructs: Introduction,» in: Gerbner [et. al], eds., Ibid., and *Content Analysis: An Introduction to its Methodology* (London: Sage Publications, 1980); A Beardsworth , «Analysing Press Content: Some Technical and Methodological Issues,» in: Harry Christian, ed., *The Sociology of Journalism and the Press*, Sociological Review Monograph, 29 (Keele: University of Keele, 1980), and Kirk Erik Rosengren, ed., *Advances in Content Analysis* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1981).

(٢) I. De Sola Pool, ed., *Trends in Content Analysis* (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1959), and Krippendorff, *Content Analysis: An Introduction to its Methodology.*

هي أن التكرار النسبي لرموز الفئات المختلفة في نتاج الدعاية، يكشف عن معلومات كثيرة تخص نمط وطبيعة ذلك النتاج، واللذين لا يلاحظان فوراً في ظاهر الأمر.

على أن تحليل المضمون كفرع من فروع المنهجية، أو كأسلوب تطبيقي خاص، لم يقتصر على ذلك النموذج الأصلي المسمى «نموذج التكرار». فقد شهد تاريخه محاولات متواصلة من علماء الاجتماع لتحديث وصقل إجراءات التحليل، بقصد توفير بيانات موضوعية، وموثوقة، وسليمة لغرض التعميم. إن الأدبيات المذكورة آنفاً تشير إلى حوار متطور بين التحليل الموضوعي والذاتي، والظاهري والباطني.

من بين التعاريف الأولى لتحليل المضمون ما وضعه لزويل (١٩٤٨)، ولزار سفيلد (١٩٤٨)، والتي تشدد على أهمية التحليل الكمّي القابل للتحقق تجريبياً وتحليل المضمون الظاهري باعتبارهما من مميّزات ومتطلبات هذا النوع من المحاولة، وقد جرى التشديد على هاتين الصفتين بشكل متكرّر في بعض التعاريف اللاحقة لتحليل المضمون. يعرّفه بيريلسون مثلاً بأنه «أسلوب في البحث يهدف في وصف المضمون الظاهر لوسائل الاتصالات وصفاً موضوعياً، منتظماً وكمياً»[٣]. أما الذين نحوا هذا المنحى، فإن تحليل المضمون عندهم هو:

«أسلوب فني منتظم لتحليل مضمون الرسالة وطريقة تناولها ـ إنه أداة لملاحظة وتحليل مسلك وسائل الاتصالات الظاهري الخاص بوسائل منتقاة منها»[٤].

ومع أن هذا التعريف أوسع من تعريف بيريلسون، لأنه يشير إلى طريقة تناول الرسالة كموضوع مناسب للتحليل، ولكنه يتبع أساساً خط بيريلسون الرئيسي[٥].

إن بيريلسون وآخرين، شخّصوا وعرّفوا المتطلبات «العلمية» الرئيسية لهذا الأسلوب من البحث، وقالوا إن تحليل المضمون يجب أن يكون موضوعياً، كمياً ومنتظماً، وبهذا يكونون قد قاموا ببداية قيّمة. على أن تعاريفهم ليست وافية وذلك لأنها لم تفصّل بصورة كافية، بل اقتصرت في تطبيقها على المحتوى الظاهري ـ الكمي لمضمون وسائل الاتصال. ففي اسكندنافيا مثلاً هاجم روزنغرن تحليل المضمون الذي وضعه بيريلسون هجوماً قوياً باعتباره «مثلاً على الفلسفة الوضعية الساذجة التي تتميز بالتقديس الأعمى للأساليب التطبيقية الكمية وبالافتقار للنظرية»[٦].

---

(٣) Berelson, *Content Analysis in Communication Research*, p. 18.

(٤) R. W. Budd, R.K. Thorp and L. Donohew, *Content Analysis of Communication* (New York: Macmillan, 1967), p. 2.

(٥) للاطلاع على عرض مستفيض للتعاريف، انظر مثلاً:

Berelson, Ibid.: Holsti, *Content Analysis for the Social Siences and Humanities*, and Krippendorff, *Content Analysis: An Introduction to its Methodology*.

(٦) Rosengren, ed., *Advances in Content Analysis*, p. 12.

وتحليل المضمون الذي وضعه بيريلسون يستند إلى حدٍ ما على ما استحوذ على رواد علماء الاجتماع الأوائل من استعارة منهجهم من منهج العلوم الطبيعية والفيزيائية، وذلك لإضفاء الشرعية عليه. وعلى الرغم مما يحتويه هذا النموذج من قيمة للحصول على الدقة والضبط والمعرفة المنتظمة لنوع معين من المضمون الاتصالي، فإنه ينبغي عدم اتباعه إلى حد استبعاد نماذج تحليل بديلة تستكشف جوانب المضمون النوعية الكامنة (Latent qualitative). هذه النماذج الأخيرة كانت موضوع النقاش الذي جرى في الاجتماع الدولي للباحثين المتخصصين في تحليل المضمون - «أكبر اجتماع من نوعه يعقد على الاطلاق»[7] - حيث أدان المشاركون بالاجماع تقريباً الموقف الكمي - الظاهري لمضمون وسائل الاتصال لأنه لا يكفي لفهم مضمون وسائل الاتصال هذه، ودعوا إلى مدخل أكثر مرونة[8]. وهكذا لم يعد تحليل المضمون مقتصراً على انتاج بيانات كمية - ظاهرية، بل أخذ يهتم بصورة متزايدة بتحليل معاني الرسائل الاتصالية الكامنة، فضلاً عن معانيها الظاهرية. وهذا لا يعني بالطبع أن تحليل المضمون القائم على نموذج النوعية - الكامنة لم يكن مستخدماً قبل هذا المؤتمر، بل يعني أنه نضج في المؤتمر. في الواقع يعود استخدام مثل هذا الاسلوب إلى عام ١٩٥٩ وذلك حين قام جورج باستكشاف الفروق بين المداخل الكمية والكيفية، وتبنّى الكيفية منها مبيناً فائدتها ومرونتها وانتاجيتها في عدد من الحقول (مثل: تحليل الدعاية، علم النفس السريري)[9]. وبعد ذلك بعشر سنين، قام هولستي بتأكيد آراء جورج، وذلك بأن أدخل في تعريفه إمكانية قيام الباحث بمعالجة السمات الكامنة في مضمون وسائل الاتصال. إن تحليل المضمون بالنسبة له هو:

«أي أسلوب بحث يرمي للخروج باستدلالات عن طريق تشخيص صفات محددة للرسائل تشخيصاً موضوعياً ومنتظماً»[10].

وفي الفترة الأخيرة، وضع كرينـدورف تعريفاً محسّناً ودقيقاً يضاهي هذا، إذ يقول إن تحليل المضمون هو:

«أسلوب في البحث يهدف إلى الخروج باستدلالات صحيحة وشرعية من البيانات الخاصة بالمضمون»[11].

---

(٧) Krippendorff, «Theories and Analytical Constructs: Introduction».

(٨) في المؤتمر السويدي الأول عن تحليل المضمون وكذلك في المؤتمر السكندناڤي الذي تلاه، جرى التشديد أيضاً على الجمع بين مدخل بيريلسون وبين الأنماط الأخرى الأوسع نطاقاً. انظر الكتاب المخصص لتحليل المضمون في سكندنافيا:
Rosengren, ed., *Advances in Content Analysis.*

(٩) انظر: De Sola Pool, ed., *Trends in Content Analysis* .

(١٠) Holsti, *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities*, p. 14.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢١.

ويمكن القول بوجه عام إن النقاش الجاري بين المدرسة الكمية ـ الظاهرية وبين أولئك الذين يطبقون النموذج «الأوسع» في التحليل، هو في الأساس نقاش بين الوضعيين/الامبريقيين من جهة، والمنظّرين الناقدين الجدد من جهة أخرى. وعلى ما يبدو، فإن التحليلات الوضعية/الامبريقية في العلوم الاجتماعية، هي تحليلات تلاقي قبولاً على نطاق واسع، وذلك لما يحتله العلم الدقيق التجريبي من مكانة عالية في أذهان الناس. على أن أثر مثل هذا البحث ـ هو على المدى الأبعد ـ أثر محدود لأنه لا يساهم جوهرياً في فهم أوسع، بل يقتصر على تعريف ظواهر قابلة للملاحظة السهلة والسريعة وتوكيدها فقط.

ولقد لخّص بيرين سبستراب (Sepestrup) هذا النقاش على النحو التالي:

«إننا، من جهة، أمام نظرية ماركسية نقدية متطورة ومنهج بحث يحتويان على قدرة كبيرة على الفهم والتغيير ولم تكن نتائج ذلك مفهومة بسهولة، بل وحتى اعتبرت غير موثوقة وأتفه من أن تستدعي جواباً. ومن جهة أخرى لدينا نظرية وضعية ومنهج بحث على صلة وثيقة بالأسلوب الإمبريقي الكامل. وقد حازت نتائجها على احترام كبير لأنه (وقد يكون هذا هو السبب الرئيسي) يمكنها أن يحللا وينقدا المعرفة بشأن كميات كبيرة من البيانات، ولأن الطرق المتبعة تتفق مع المفهوم التقليدي للعلم»[12].

ومع أن تحليل سبستراب يلقي الضوء على المداخل المتعارضة، إلّا أن قوله عن البحث «الماركسي ـ النقدي» بأنه ينظر إليه كبحث غير موثوق وتافه لا يمكن تبريره، وذلك بالنظر لوفرة ما كتب استناداً إلى هذا المدخل الواسع في السنوات الأخيرة. إنه مدخل استخدم أساليب بحث كمية وكيفية معاً وأظهرت النتائج سلامته وشرعيته، كما يتضح من الكتابات التي وضعها كثيرون[13]. على أنني في الوقت عينه، لا أجادل بأن هذا التحليل للمضمون هو تحليل مصون من الانتقاد وخالٍ من النواقص[14].

---

(١٢) P.Sepstrup, «Methodological Development in Content Analysis,» in: Rosengren, ed., *Advences in Content Analysis*, p. 135.

(١٣) انظر على سبيل المثال:

J.D. Halloran, P. Elliott and G. Murdock, *Demonstrations and Communication: A Case Study* (Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1970); P. Hartmann, C. Husband and J. Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race in the British National Press from 1963-1970,» in: *Race as News* (Paris: UNESCO Press, 1974); P. Elliott, «Uses and Gratifications Research: A Critique and Sociological Alternative,» in: Jay Blumler and E. Katz, eds., *The Uses of Mass Communication* (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1974); B. Troyna, *Public Awareness and the Media: A Study of Reporting on Race* (London: Commission for Racial Equality, 1981), and Stuart Hall [et al.], *Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order* (London; Macmillan, 1978).

(١٤) انظر مثلاً:

= D. Chaney, *Process of Mass Communication* (London: Macmillan, 1972); C. Critcher, M. Par-

إنه على كل حال، أسلوب بحث يمكن أن يقدّم تفهّماً مفيداً وسليماً لعملية الاتصالات عموماً، والصحافة خصوصاً، بشرط أن يستخدمه الباحث مستعيناً بنظرية صريحة في وسائل الاتصالات يكون للجوانب الإحصائية والكمية من تحليل المضمون علاقة مباشرة بها. وإنه منهج نافع في التحليل، طالما التزم الباحث بالمطلب الأساسي للتصنيف (Categorization) خلال بحثه، وذلك المطلب هو الشمولية (Exhaustiveness) والتركيز والدقة (Accuracy) والكفاية (Adequacy). فضلاً عن ذلك فإن الدعوة للاستخدام المرن للمداخل الكمية والكيفية لا تعني ضمناً انها تؤلف أساليب بحث مستقلة بشكل مطلق. وقد لخص ديسولا بول الطبيعة التبادلية بين هذين المدخلين لتحليل المضمون تلخيصاً حسناً على النحو الآتي:

«ينبغي ألاّ يفترض بأن الطرق الكيفية هي طرق عميقة النظر، والطرق الكمية مجرد طرق آلية لتدقيق الفرضيات. فالعلاقة بينهما هي علاقة دائرية، تُثري كل منهما الأخرى»(١٥).

إن هذا المنهج التحليلي الدائري (Circular) بالذات هو المنهج الذي سنستخدمه في تحليلنا لصورة الوطن العربي في الصحافة البريطانية، في بحثنا هذا.

ثانياً: تصميم البحث: سرد لتطوره

١ ـ العيّنة

أ ـ التحليل العام (General Analysis)

لغرض إعطاء خلفية عامة لتغطية الوطن العربي في الصحف البريطانية، جرى تحليل عينة عشوائية لكل سنتين أخذت من التغطية الواردة من سنة ١٩٦٨ إلى ١٩٨٠ في جرائد معينة أي ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ١٩٨٠. وبالنظر لكثرة الأعداد الصادرة، كان من المناسب اختيار العدد الصادر في العشرين من الشهر لكل جريدة ابتداءً من تاريخ جرى اختياره عشوائياً وهو ١٩٦٨/١/٢٢. وهكذا كان من الممكن تحليل عيّنة تتكون من ١٠٨ أعداد من كل جريدة من الجرائد المنتخبة، وهي الديلي اكسبرس **Daily Express** والغارديان **The Guardean** والتايمز **The Times** والمورننغ ستار **The Morrinng Star**. وبلغ مجموع الأعداد التي حللت ٤٣٢ عدداً.

---

ker and R. Sondhi, *Race in the Provincial Press: A Case Study of Five West Midlands Newspapers* (Brimingham, London: Centre for Contemporary Cultural Studies, 1975), and Beardsworth, «Analysing Press Content: Some Technical and Methodological Issues». =

(١٥) De Sola Pool, ed., *Trends in Content Analysis*, p. 192.

وإذ لا يتيح التكرري العيّنة حدوث تحوّلات في التغطية خلال السنة الواحدة بشكل يمكن تشخيصه بوضوح، ولكنه يوفر مع ذلك إطاراً لتكوين البيانات، مما يسمح بالتسجيل الامبريقي الصحيح بشأن المواضيع والمحاور السائدة (Predominant) والتي تكون قد عزلت على حدة باعتبارها تميّز الكتابة الصحفية عن الوطن العربي خلال الفترة ذاتها. لذا فإن هذه المرحلة من البحث وسنسميها هنا بالتحليل العام، لا تبتغي سوى تحديد الخلفية العامة لكي يمكن النظر في الأحداث المحددة على أساسها.

ب ـ التحليل المركّز (Focussed Analysis)

أما المرحلة الثانية من التحليل فهي مرحلة التحليل المركّز، وهو يجري لغرض التشخيص على وجه التحديد لأحداث سيتم تحليلها بعمق عن طريق تحليل يومي للمضمون تحليلاً مفصلاً، ويشمل فحص كل عدد من أعداد الجرائد المنتخبة خلال الفترة الزمنية المضروبة. والأحداث الرئيسية في هذا التحليل المركز هي المدرجة في الجدول الآتي:

الأحداث	السنة	اليوم	الشهر
الحرب	١٩٦٧	٢ ـ ١٩	حزيران/يونيو
الحرب	١٩٧٣	٥ ـ ٢٠	تشرين الأول/اكتوبر
اجتماع أوبك	١٩٧٣	٢١ ـ ٣١	كانون الأول/ديسمبر
مبادرة السادات السلمية	١٩٧٧	١٧ ـ ٢٨	تشرين الثاني/نوفمبر
اتفاقية كامب ديفيد	١٩٧٨	١٨ ـ ٢٥	أيلول/سبتمبر
تصريح البندقية	١٩٨٠	١٢ ـ ١٩	حزيران/يونيو

ومن الواضح أن اختيار الأحداث لغرض التحليل المركّز يمثل تدخلاً في عملية البحث، وقد تكون له فيها يفترض آثار وتحيزات غير معلومة. ويجب أن نتذكر، في النتائج التي سنقدمها في هذه الأطروحة، أن إدخال أحداث بديلة قد يولّد بيانات تعطي دليلاً من شأنه أن يكمل أو يناقض النتائج المقدمة هنا. واعترافاً بهذا الغموض الذي لا مهرب منه والكامن في الحاجة إلى تحديد مقدار البيانات المعدة للتحليل، سنقدم هنا سرداً مختصراً للأسباب التي دعت إلى اختيار هذه الأحداث بذاتها.

وهذه الأسباب متعددة. ففي حالة حرب ١٩٦٧، كان اختيارها لأنها ثالث مواجهة عسكرية بين اسرائيل وبعض الأقطار العربية بعد «حرب» ١٩٤٨ (إذا كان

من الممكن تسميتها حرباً) ونزاع السويس في ١٩٥٦. هذه المنازعات السابقة ولّدت قالباً ذهنياً سلبياً عن العرب، وبخاصة في الجرائد والمجلات الأمريكية، وهو قالب يصوّر العرب على أنهم مقاتلون عاجزون في مواجهة اسرائيل. لهذا، فمن المأمول أن تقوّم الصحافة البريطانية، وهل انها استمرت تقدّم في الستينات ما كانت تقدمه في الأربعينات والخمسينات من تراث استشراقي؟ أم هل انها أخذت تنشر صوراً جديدة في تغطيتها لحرب ١٩٦٧؟ لذا فإن تحليل هذا النزاع العسكري وغيره من الفترات المنتخبة، سيهتم بما لم تنشره الصحافة بقدر ما يعطي من وزن لما نشرته.

وكانت الاستمرارية والتغير في الصور والقوالب النمطية الجامدة، من العوامل المهمة في اختيار حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣. كانت هذه الحرب هي التي نظر إليها في الوطن العربي، بل وحتى في الجرائد والمجلات الأمريكية المشار إليها في الفصول السابقة، على أنها الحرب التي «بددت الأوهام» (Shattered the myths) أو «قوّضت الأساطير» عن الجبروت الاسرائيلي والعجز العربي. والتحليل سيسعى إلى تشخيص الطرق التي اتبعت لنشر أخبار هذه الحرب من ناحية علاقتها بوجود الاستمرارية أو التغير في نهج المستشرقين الذي بحث في فصول سابقة.

وأما فيما يتعلق باجتماع اوبك فقد بيّنا في الفصول السابقة أن النظرة إلى العرب هي باعتبارهم «مبتزّين» ومسؤولين عن أزمة الطاقة في الغرب، لاستخدامهم النفط كسلاح سياسي. لذلك أدخلنا في اختيارنا هذا الاجتماع للدول المصدرة للنفط الذي انعقد بعد حرب ١٩٧٣ لتشخيص الطريقة التي تم بها النشر عن هذا القرار السياسي العربي الحاسم والمهم دولياً.

ولن يكون التحليل وافياً بالغرض، وسيعدّ متحيّزاً إذا لم تفحص كذلك الأحداث الدرامية الكبرى في سياسات الشرق الأوسط في أواخر السبعينات. أي مبادرة السادات السلمية تجاه اسرائيل في ١٩٧٧ التي توّجت بمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل، وهي التي وقّعتها الولايات المتحدة وضمنتها في ١٩٧٨ في اتفاقية كامب ديفيد، والتي ستخضع هي ذاتها للتحليل. لذا سيجري تحليل «مبادرة ١٩٧٧ السلمية» واتفاقية كامب ديفيد، وذلك لاستكشاف كيفية تقديم الصحافة الأطراف المشتركة في مفاوضات السلام.

وأخيراً سيخضع تصريح البندقية للتدقيق، وهو الذي شددت فيه دول السوق الأوروبية المشتركة على ضرورة تحقيق السلام في الشرق الأوسط، وهذا التصريح هو مبادرة السلام الأوروبية في سنة ١٩٨٠ والذي صدر بعد محاولات مستمرة لتحقيق تسوية مستقرة في الشرق الأوسط. وبالنظر لعلاقة بريطانيا وعلاقة الغرب السابقة

بالمصالح الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ سيكون من المفيد ملاحظة ما نشر عن العلاقات الدولية التي ظهرت لغرض متابعة عملية السلام.

٢ ـ الجرائد

إن عملية اختيار الجرائد للتحليل يقدّم سلسلة من الخيارات التي لا بد من تحليلها وتقويمها في إطار عدد من المتغيرات المتنافسة. والجرائد التي اخترناها لغرض «التحليل العام» هي الديلي اكسبرس والغارديان والمورننغ ستار والتايمز. تعتبر الغارديان والتايمز من الجرائد الممثلة للصحافة النوعية Quality Press في بريطانيا، وهما تحتلان مركزين مختلفين على مسرح الأحداث السياسية. وتعتبر الديلي اكسبرس نموذجاً يمثل الصحافة «الشعبية» Popular Press وهي تقف في يمين الوسط وتحتل مركزاً قومياً تقليدياً. أما اختيار المورننغ ستار في هذه العينة فبسبب علاقتها بالحزب الشيوعي البريطاني، ولأن البحوث السابقة أشارت إلى أنها تنحو منحى في تفسير الأحداث يختلف كثيراً عن الجرائد اليومية الأخرى في بريطانيا(١٦). وقد استبعدنا جرائد أخرى، كما هو واضح، مما يثير التساؤل والقلق. فالجرائد ذات العناوين الكبيرة الجذابة هي جرائد واسعة الانتشار بين القراء، كما أن كلاً من الديلي تلغراف Daily Telegraph والفايننشال تايمز The Financial Times لها قراء «متنفذون». بيد أن الذي أملى علينا الاختيار هنا هو قرار عملي Pragmatic يرغب في عكس الفروق والاختلافات في المنظور السياسي لكل جريدة وأسلوبها المميز ونوعية قرائها، وذلك ضمن ما هو متيسر من مجال للعثور على أعداد الجرائد المدروسة وحسب مقتضيات جدول أوقات البحث القابل للتطبيق.

أما في حالة «التحليل المركّز» فلم يكن من الممكن تحرّي تغطية الوطن العربي في الجرائد الأربع، لأن الدراسة الاستطلاعية Pilot حول الموضوع أشارت إلى احتمال وجود تغطية واسعة جداً للأحداث المنتخبة، وعدد كبير من أعداد الجرائد التي يجب تحليلها، مما جعل إدخال جميع الجرائد الأربع في التحليل المركّز أمراً غير ممكن لنا لاعتبارات الوقت والنفقات. لهذا اقتصرنا هذا التحليل على جريدتين فقط هما الغارديان والديلي اكسبرس كصحيفتين ممثلتين للصحافة «النوعية» و«الشعبية» في بريطانيا.

٣ ـ التحليل The Analysis

لقد اتبّعنا منهجين متكاملين في تحليلنا للصحافة البريطانية. **الأول**: منهج كمي

---

(١٦) J. Downing, *The Media Machine* (London: Pluto Press, 1980).

بصورة جوهرية على غرار منهجية بول هارتمان وزميله تشارلز هازبند[١٧]، وباري تروينا[١٨].

والمنهج الثاني: يعتمد التقويم النوعي والوصفي للطريقة التي عالجت بها الجرائد المقالات المعينة كما أوضحها «التحليل المركّز».

وقد قمنا من جانبنا بمحاولة لتعديل وتطوير منهجية خاصة تتلاءم وطبيعة بحثنا، وتتجاوز الصعوبات التي وقعت بها الدراسات السابقة، وبخاصة منهجية هارتمان وهازبند التي استخدمت أعداداً قليلة من الفئات والمواضيع، والتي هوجمت على أساس أنها غير دقيقة في التحليل[١٩]. لذلك فقد عمدنا إلى تصميم جدول ترميز Coding Schedule يضم سلسلة كبيرة وشاملة من «المواضيع والمحاور» و «القضايا» تتناسب وطبيعة موضوعنا والفترة الزمنية الطويلة التي يغطيها، آملين أن تساعدنا شمولية هذا الجدول على تجاوز الصعوبات التي واجهت من سبقنا من الباحثين، وتجنبنا الوقوع في «فخ التكثيف» المتجسد في العدد القليل من الفئات والذي أفرز تالياً تحليلاً غير دقيق وغير شاف.

وهكذا، وبعد دراسة مسبقة ومكثفة لما كتبته الجرائد عن الموضوع، تمكنّا من وضع (٥٢) اثنين وخمسين موضوعاً و (٣٧٨) ثلاثمائة وثماني وسبعين قضية و (٤٥٨) أربعمائة وثمانية وخمسين محوراً. حاولنا ـ قدر جهدنا ـ أن نغطي كل ما كتب عن العرب، والمجتمع العربي، والاسلام، وصراع الشرق الأوسط بكل جوانبه (بما في ذلك ايران وشؤونها الخاصة لأن هناك خلطاً في الصحافة بينها وبين البلدان العربية كما أوضحت الدراسة الاستطلاعية، ويود البحث تجلية هذا الخلط).

وأما فيما يتعلق بعملية الترميز نفسها، فقد قمنا بعملية تحليل للقصص/البنود الاخبارية (News Items) المتعلقة بالوطن العربي، ورمّزنا لكل بند من هذه البنود «بموضوع» (Topic) على أساس ما يركز عليه ذلك البند/القصة، وكان من الممكن عندئذ أن نحدّد بصورة أدق ضمن ما يتناوله كل موضوع بصورة عامة ما هدف إليه الخبر الاعلامي. وهذا ما سميناه «القضية» (Issue). وقد أشارت الدراسة الاستطلاعية التي قمنا بها إلى أن هذه الفئات يمكن استخدامها بصورة وافية وبمصداقية «مقبولة». وأخيراً، وبعد تصنيف كل بند اخباري تحت «موضوع» معيّن

---

(١٧) Hartmann, Husband and Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race in the British National Press from 1963-1970».

(١٨) Troyna, *Public Awareness and the Media: A Study of Reporting on Race.*

(١٩) انظر: Critcher, Parker and Sondhi, *Race in the Provincial Press: A Case Study of Five West Midlands Newspapers.*

وتحديد قضيّته المناسبة، رمّزنا إلى ما تبقّى من أخبار ومتغيرات أخرى من ذلك البند/القصة «بالمحاور» (Themes) وهذا يعني أن لكل بند اخباري «موضوعاً» واحداً يركّز عليه يندرج تحت «قضية» واحدة رئيسية هي الهدف الأساسي من هذا الموضوع، ومحوراً واحداً أو أكثر هو/هي الأفكار الأخرى الواردة في ذلك البند/القصة الاخبارية. ومما تجدر الاشارة إليه هنا هو ضرورة التفريق بين «القضايا» و «المحاور». ففي حين يجب اختيار «القضية» من بين محتويات «الموضوع» الذي يعالجها، نجد أنه ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك بالنسبة للمحور/المحاور، إذ يكون واحداً من بين أيّ من المحاور الموجودة في جدول الترميز الخاص بها، أي «جدول المحاور» وعددها (٤٥٨)[٢٠].

وأما المواد الاخبارية الداخلة في «موضوع» معين والتي لا يمكن تصنيفها تحت إحدى القضايا، الموجودة ضمن ذلك الموضوع فقد رُمّزت تحت ما سمّيناه «أمور أخرى Others» وأما المواد الاخبارية التي لا تدخل تحت المواضيع الاثنين والخمسين فقد رُمِّزت تحت «أشياء أخرى»، هي في الغالب لا علاقة كبيرة لها بالشرق الأوسط.

ونتيجة لهذه الطريقة الخاصة المتبعة هنا، وبسبب المجال الواسع للأحداث المشمولة في فترة التحليل الزمنية، كان لا بد - كما قلنا - من وجود عدد كبير من المواضيع، والقضايا والمحاور يتطلبها المسح الجاري لتغطية الوطن العربي في الجرائد كما ظهرت في العينة، بأقل ما يمكن من الغموض أو التداخل. وقد أفادت الدراسة الأولية الاستطلاعية التي قمنا بها قبل تصميم البحث (Pilot Study) أنه بالنظر لتداخل «القضايا» في «المواضيع» فإن مهارة الباحث ودقته في الترميز تتجسد في قراره الحاسم بتحديد «الموضوع» وتشخيصه وتمييزه عن غيره من المتغيرات الأخرى (القضايا، المحاور). هذا، وقد كشفت الدراسة الاستطلاعية أيضاً على أن صناعة الأخبار المتعلقة بالوطن العربي قد اتخذت شكل قصة اخبارية يمكن للباحث أن يحلّلها ويستخرج منها موضوعاً رئيسياً سائداً وقضيةً مهمة يعالجها ذلك الموضوع، وكذلك «محوراً» أو محاور أخرى ذات صلة وثيقة بهذا الموضوع.

---

(٢٠) انظر الملحق رقم (١) من جداول الترميز الكاملة «للقضايا والمحاور».

الفصل السابع
الوطن العربي كأخبار:
النتائج العامة للعينة

أولاً: مقدمة

عند تحليل تكرر حدوث المواضيع الاثنين والخمسين بالكومبيوتر تحليلاً «عاماً» للمضمون، ظهر أن طروء البنود الاخبارية المتعلقة بالوطن العربي لم يقدم صورة موحدة للأحداث تسودها قضية بمفردها. أي أن التغطية عكست فيها يبدو الأحداث المتغيرة، الاقتصادية والسياسية، لتلك السنين. مثلاً، نجد أن موضوع النزاع/عدم الاستقرار قد تكرر، من بين الأصناف الرئيسية الخمسة، في كل السنين، في حين أن موضوع النفط برز في سنة ١٩٧٢، وتصدرت إيران التغطية في سنة ١٩٨٠. وهكذا تفاوت توزيع البنود الاخبارية بين الأصناف تفاوتاً كبيراً من سنة الى أخرى، كما تفاوت باطّراد بين الجرائد.

بلغ معدل البنود الاخبارية عن الوطن العربي ١,٧٥ بنداً تقريباً في كل قضية جرى تحليلها. وقد توزعت هذه البنود الاخبارية على سلسلة واسعة من المواضيع، ولم تبرز إلا مواضيع قليلة نسبياً كمواضيع سائدة في التغطية الاخبارية. تقدم هذه البيانات الخام دلالة بديلة على تشتت البنود الاخبارية بين أصناف المواضيع، بحيث ان أكثر من ٥٠ بالمائة من الأصناف يكون تكررها صفراً في السنة الواحدة، في حين أن ثلاثة أصناف فقط يكون تكررها صفراً في سبع سنين (والمواضيع هي البداوة والشيخ اليماني والمعارضة الاسرائيلية لكامب ديفيد). هذا التغاير بين الأصناف على مدى السنين والتشتت عبر الأصناف ضمن السنين، قد جعلا من الصعب فحص الطريقة التي تمت بها حتى معالجة المواضيع «الرئيسية»، من خلال تحليل «القضايا» و «المحاور» ضمن كل «موضوع»: وهذا لأننا نجد أن ضمن درجة التكرار المنخفضة

نسبياً للبنود الاخبـارية في «مـوضوع» مـا، تكون المحـاور ذاتها مشتتـة جداً في بعض الأحيان.

على أن استخدام نقطة قطع اعتباطية في تكرار يبلغ عشر نقاط للبنـد الاخباري الواحد في أي صنف من الأصناف، قد أدى الى توليد ٢٤ موضوعاً رئيسياً في الجـدول رقم (٧ ـ١). إن بحث أغلبيـة هذه المـواضيع سيشـير الى الـطريقـة التي بـواسـطتهـا عكست المـواضيع الـرئيسية السـتة خاصـةً (والتي تؤلف الربعـين العلويين في تـوزيـع التكرار) عكست اتجاهاً صحفياً انكليزياً في عرض الأحداث العالمية. سنحلل فيـما يلي مواضيع الجدول رقم (٧ ـ ١) قبل أن نبـين باختصـار ما ينـطوي عليه التحليـل العام للمضمون.

ثانياً: النزاع والعنف والمواضيع المتصلة بهما

يبيّن تحليل المواضيع أن الصنف الـذي برز كـأكثر الأصنـاف حدوثـاً هو النـزاع وعدم الاستقرار. وهذا الصنف هو أحد الأصناف القلائل التي لهـا ظهور مستمـر على مدى السنين التي يشملها التحليل، وكان له أقصى درجة من تكرار الحدوث (كما يبين الجدول رقم (٧ ـ ١)). أما القضية السائدة ضمن هذا المـوضوع فيشـير الجدول (٧ ـ ٢) أنها كـانت «المشاكـل الـداخليـة في الـوطن العـربي» وقـد شكلت أكثر من نصف القضايا المثارة، وهذا يتفق مـع عقيدة المستشرقـين التي تؤمن بوجـود فوضى كـامنة في البلدان العربية كما يجادل إدوارد سعيد[1]. إن كلاً من التذبذب خلال السنين الواضح في الجدول رقم (٧ ـ ١)، وهو تذبـذب مفهـوم تاريخيـاً الى حدٍ مـا، وظهور مثـل هذه القضايا التي أوّلها الغرب على أنها حروب أهلية في لبنان والأردن. (أنـظر الجدول رقم (٧ ـ ٢)) يشـير الى الطريقـة التي عكست بها الصحـافة مجـرى النـزاعـات في الشرق الأوسط. وكـانت تغطيـة صنف النزاع (كما يشير الجـدول (٧ ـ ٣)) أوسـع بكثـير في جريدتي الغارديان والتايمز «الثقيلتي الوزن»، بل كانت التغطيـة لهذا الصنف تستحـوذ على الجزء الأكبر من الأقسام الإخبارية في هاتين الجريدتين.

وثمة دلالة أخرى على التفـاعل الجـاري بين الأحـداث وبين اهتـمام الصحف، وهو الظهور الواسع نسبياً للمـوضوع المتصـل بالنـزاع، ألا وهو الحـرب. فقد كـانت الحرب، كما يشير الجدول رقم (٧ ـ ١) محوراً مستمراً في الكتابة الصحفيـة عن الوطن العربي، كما كانت القضية السائدة هي «العـرب يهاجمـون إسرائيل» وهـو الأمر الـذي يبينه الجدول رقم (٧ ـ ٤). أمـا إسرائيل فتعـرض بدرجـة أقل جـداً عـلى أنها تهـدد

(١) Edward Said, *Orientalism* (London: Routledge and Kegan Paul; New York: Pantheon Books, 1978).

بالحرب وتهاجم العرب. إن هذا الوزن الذي يعطى للعدوان القومي في «القضايا» ينعكس كذلك في الظهور النسبي لموضوعي «العنف الفلسطيني» و«العنف الاسرائيلي» في الجدول رقم (٧ ـ ١). حيث نجد للعنف الفلسطيني ظهوراً أكبر. ويبيّن الجدول رقم (٧ ـ ٥) أن العنف الفلسطيني يوصم باستمرار «بالإرهاب»، ويدان مجرد إدانة: وهذا يحدث فقط في التايمز والغارديان وهو أمر له أهميته. أما الحديث عن العنف الاسرائيلي فمقتصر الى حد كبير على التايمز مقروناً «بالبطولة» و«الدفاع الشرعي عن النفس»، كما يبيّن الجدول رقم (٧ ـ ٦). بيد أن تحليل موضوع «الأهداف الاسرائيلية» يشير بوضوح الى تغطية سلبية بدرجة أكبر، ذلك أن الجدول رقم (٧ ـ ٧) يبيّن وجود بروز للقضايا المتعلقة بمهاجمة المدنيين العرب وتأييد أقل ظهوراً لمثل هذه الأعمال كأعمال شرعية. وتحقق منظمة التحرير الفلسطينية بعض الظهور كموضوع رئيسي، وتبحث بالدرجة الأولى في إطار فعالياتها ضد إسرائيل، ونجاحها في كسب تأييد عالمي وتصور «كمنظمة إرهابية». وهكذا يتضح من تحليل المواضيع الرئيسية في الجدول رقم (٧ ـ ١) أن حوالى ٣٥ بالمائة من جميع البنود الإخبارية تدور حول مواضيع النزاع وعدم الاستقرار والأهداف الاسرائيلية ومنظمة التحرير الفلسطينية والعنف الفلسطيني والحرب والعنف الاسرائيلي. إن الوطن العربي يقدم بشكل غالب للقراء، على الأقل لقراء التايمز والغارديان، على أنه منطقة نزاع وعنف، وتفيد البيانات هنا أن العدوان الاسرائيلي يقدم بدرجة أفضل مما يقدم عدوان الأقطار العربية المجاورة. هذا النزاع ينعكس كذلك في الحديث التكميلي الجاري عن السلام، وهو موضوع رئيسي نسبياً، ويعكس الأهداف المتنازع عليها لكل من اسرائيل والدول المجاورة لها في الشرق الأوسط. هذا، وتنعكس مركزية النزاع وعدم الاستقرار السائدة على المقالات الصحفية عن الوطن العربي، تنعكس هذه المركزية في الطريقة التي يقدم بها الموضوع كمحور في المواضيع. وكما سيأتي بحثه[٢]، يؤلف النزاع وعدم الاستقرار ٢١,٢ بالمائة من المحاور، ويؤلف النزاع وموضوع السلام المكمل له ٢٧,٩ بالمائة منها. لذا فإن النزاع وعدم الاستقرار كلاهما بارز في التركيز الاخباري السائد، سواء في المواضيع أم في محاورها.

ثالثاً: التشخّص(*) (Personalization)

يشير تحليل الجدول رقم (٧ ـ ١) الى وجود بروز التشخّص في المقالات الصحفية عن الشرق الأوسط. ففي الأصناف الممثلة في الجدول المذكور، نجد أن

(٢) انظر الجدول (ب) في الملحق رقم (٣).

(*) بمعنى ربط الأنباء بأشخاص معينين. (المحرّر)

المقالات الصحفية عن الأحداث في إطار عمل الشخصيات القومية (السادات، الشاه، الخميني، عبدالناصر، مثير، بيغن) تؤلف ١٥ بالمائة من البنود. يبرز هؤلاء الأفراد بدرجات متفاوتة من التكرار على مدى سنوات العينة حسب تطور قوتهم الشخصية وأهميتهم الدولية، صعوداً وهبوطاً. لذا، فبينما سجل الخميني بنداً واحداً فقط في سنة ١٩٧٨ نجده يسجل ١٣ بنداً في سنة ١٩٨٠، مما يعكس أهميته في طرد الشاه، وفي مسألة الرهائن الأمريكيين. (أنظر الجدول رقم ٧ ـ ١٠).

ويشير هذا الى أن البنود الاخبارية عن مثل هذه الشخصيات تعزو الى أفرادهم صفات وطباعاً ومطامح معينة. ويشار كذلك الى أهمية هؤلاء الأفراد في توجيه العلاقات الدولية. ويبدو، ضمن حدود هذا التحليل العام للمضمون، أن العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وبعض الزعماء العرب، المصريون منهم على وجه التعيين، كانت مجالاً لظهور اهتمام صحفي متكرر عنها. لذا ففي حين أن اتخاذ العلاقات الدولية طابعاً شخصياً يعود لطباع وأفعال الزعماء الأفراد قد يخلق مقالاً جذاباً، فمن الواضح أن هذا لا يتناقض مع تغطية العلاقات الدولية في إطار الكتل الدولية المتناحرة الخاصة بالغرب والاتحاد السوفياتي. فلئن كان باستطاعة الأفراد تمثيل عملية صنع القرار الخاصة ببلادهم، فيمكنهم إذن أن يكونوا أصدقاء كذلك لكتلة سياسية بأسرها، سواءً أكانت تمثل الغرب أم «روسيا». وبوسعهم أيضاً أن يرمزوا الى نظام سياسي أو الى ديانة. مثلاً، برز الخميني كتجسيد للقالب الذهني السلبي في الغرب عن السلفية الاسلامية ـ وليس هنا مجال بحث أبعاد هذه المسألة ـ على أن هذا التحليل أشار الى العلاقة المستمرة للتشخّص (أو: التجسّد) بالقيم الاخبارية المؤثرة في الكتابة الصحفية عن الشؤون العالمية؛ وكذلك في أخبار ما وراء البحار فيما يتعلق ببريطانيا. أما أن ١٥ بالمائة فقط من البنود الاخبارية في الجدول (٧ ـ ١) تتلاءم مع هذا الصنف فإنها قد تبدو نسبة منخفضة نسبياً. على أن هذا قد يعكس وجود قضايا إخبارية واضحة جداً تستهوي الكتابة الصحفية /أولها علاقة وثيقة بمصالح بريطانيا الذاتية. إن النفط والحرب والمصالح البريطانية في الشرق الأوسط مواضيع تجتذب القراء الانكليز؛ وإن كان هذا فيما يبدو، وكما سنبحثه قريباً، لا ينطبق كثيراً على سياسة هيئة التحرير لجريدة الديلي اكسبرس.

رابعاً: المصالح الذاتية والاقتراب الثقافي في القيم الاخبارية

عند تحليل التغطية الصحفية، يبرز موضوع النفط بروزاً كبيراً، فيأتي بالمرتبة الثانية من تكرر الحدوث (أنظر الجدول رقم (٧ ـ ١)). ويشير الجدول رقم (٧ ـ ١١) الى أن من «القضايا» التي صنفت تحت هذا الموضوع يجري بحث النفط كثيراً في إطار

ما ينطوي عليه من مصالح غربية وبريطانية. وهكذا فإن اجتماعات أوبك وأسعار النفط والمصالح «الغربية» المتعلقة بالنفط تشير بوضوح الى علاقتها المباشرة ببريطانيا. ويعطى لهذا تأويل سياسي معين من خلال بحث النفط كسلاح سياسي بيد العرب. وقد اتضح في هذا التحليل أنه حتى جريدة الديلي اكسبرس تعترف في هذا الصدد بأهمية النفط لبريطانيا مع أنها تلتزم الصمت في الغالب بشأن مواضيع أخرى.

وينظر الى موضوع الثروة العربية (أنظر الجدول رقم (٧ ـ ١٢)) على أن له علاقة وثيقة بالنفط، فالنفط هو مصدر هذه الثروة الرئيسي. والتغطية الصحفية التي حللناها، أوردت بشكل غالب استثمار الثروة العربية في مشاريع إيجابية في الأقطار العربية؛ ولو أن هذه النتيجة الجيدة التي توصلنا اليها قد تشوهت كثيراً بما وقعنا عليه من ملحق خاص بالأقطار العربية النفطية أصدرته التايمز في آذار/مارس ١٩٦٨. ومن المثير للاهتمام أن الصورة التي رسمت للثروة العربية كانت في إطار من الاستهجان من جراء الاستهلاك البريطاني الواسع، ولم تبرز كقضية رئيسية لدى الممثلين الهزليين ورسامي الكاريكاتور المعاصرين كما كان متوقعاً. ولعل هذا يعود الى العدد المحدود نسبياً من البنود الاخبارية التي ولّدها أسلوبنا التطبيقي في وضع العيّنة واختيارنا للجرائد.

إن بحث الشرق الأوسط الجاري في إطار المصالح البريطانية، ينعكس كذلك في الظهور النسبي لموضوع «العلاقات بين العرب وبريطانيا». (أنظر الجدول رقم (٧ ـ ١)).

يشير الجدول رقم (٧ ـ ١٣) الى أن هذا الموضوع قد بحث كثيراً في إطار الضغط السياسي البريطاني على البلدان العربية لمحاولة التأثير عليها لكي يكون خطها متفقاً مع الأهداف البريطانية. وجرى تشخيص المصالح البريطانية المهمة على أنها تزويد الوطن العربي بالسلاح ومصالح بريطانيا الاقتصادية العامة في الأقطار العربية. ونجد هذا الاهتمام نفسه الخاص بالتأثير في القرارات الاقتصادية والسياسية للحكومات العربية، نجده واضحاً كذلك بطريقة متممة في الجدولين رقم (٧ ـ ١٥) ورقم (٧ ـ ١٦) حيث ينظر الى الوطن العربي باعتباره مجال تنافس للمصالح السياسية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي. ويُعرض كل منهما على أنه يقدم بيد «جزرة» المساعدة العسكرية ويقدم باليد الأخرى «عصا» الضغط السياسي الى الدول التابعة لها، سواءً منها التابعة حقيقةً أم احتمالاً.

أما إسرائيل (الجدول رقم (٧ ـ ١٦)) فيبدو أنها ينظر اليها كدولة غربية أساساً، تقاتل من أجل بقائها ضد «جاراتها الدول العربية الاعتدائية». ثمة إشارة، بدرجة محددة جداً، الى اسرائيل كدولة امبريالية فعلياً.

ويفيد الجدول رقم (٧ ـ ١٧) أن اسرائيل ذات علاقات مع الولايات المتحدة أقوى من علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي؛ وتتضح الوشيجة مع الولايات المتحدة من خلال المساعدة العسكرية والتأييد السياسي.

ولكن إذا كانت إسرائيل قد قدمت بطريقة تميل الى اعتبارها عضواً في الكتلة الغربية، وأنها ذاقت نصيبها من تجربة «العدوان العربي» عسكرياً واقتصادياً معاً، فلا بد أن نلاحظ أن التقارير الاخبارية لم تكون غير ناقدة لإسرائيل، كما تشير التقارير عن الضفة الغربية وقطاع غزة (الجدول رقم (٧ ـ ١٨)).

يشير هذا الجدول الى الاعتراف بتوسع اسرائيل وعدوانها في هذه المنطقة؛ ويمكن القول استناداً الى هذا والى الدليل المحدود الوارد في الجدول (٧ ـ ١٦) أن اسرائيل لم تقدم، على الأقل بالنسبة لقراء التايمز والغارديان، على أنها حليف ناصع الصحيفة تماماً.

بيد أن التحليل الشامل للتغطية الصحفية «للمواضيع» و«القضايا» يبين أنها كانت تغطية في صالح اسرائيل، كما كانت وبمختلف الطرق انتقادية للعرب، وتصم الوطن العربي وصماً شائناً (Stigmatising) حين تتناول الصحف شؤونه المختلفة.

ومع أن هذا التحليل ليس قطعياً بالكامل (لأن الاجراءات التي تتخذها العيّنة لا يمكن أن تكون بديلاً عن الاحصاء التام) فإن الوضع واضح. لقد أنيط عدد من المواضيع، عظمت أهميتها أو صغرت، بصنف «المواضيع الأخرى» في الجدول رقم (٧ ـ ١)، لأن البيانات لم تكن كافية لوضع دراسة أوسع وأشمل.

خامساً: المحاور

في تحليل المضمون، توضع المحاور في موضع أعلى من التجريد وتكون قاعدتها أوسع. وهي تختار من القضايا المقدمة ما له علاقة بتطوير البنود الاخبارية التي تسلط اهتمامها في موضوع معين. وهكذا فالمحاور إما تشير الى مفاهيم وصور وأشخاص بالذات، وإما تشير الى مسألة ثانوية. يدرج الجدول(ب)[٢] الملحق رقم (٣) المحاور الرئيسية كما صنفت وفق تكررها أو ظهورها.

يشير تحليل هذا الجدول الى أن النزاع يبرز مرة أخرى كصورة متكررة ضمن «المواضيع»؛ وتؤلف المحاور المتصلة بالنزاع[٣] ٢ , ٢١ بالمائة من مجموع التكرار، وعند

(٣) المحاور المتصلة بالنزاع هي: الحرب الأهلية في الاردن، العنف الاسرائيلي، خطف =

الجمع بين النزاع وموضوع السلام[4] الذي يتممه ترتفع النسبة الى ٢٧,٩ بالمائة. وهكذا يبدو أن «المحاور» تعكس «المواضيع» في بروز النزاع ـ عدم الاستقرار كصورة متكررة في الكتابة الصحفية عن الوطن العربي.

كذلك ينعكس التشخّص (التجسد) في ظهور الزعماء النخبويين كمحاور في التحليل. يشير الجدول (ب) الملحق رقم (٣) إلى أن مثل هذه الشخصيات النخبوية تمثل ١٩,٦ بالمائة من المحاور. يلاحظ مثلاً أن كيسنجر يحقق، في حدود هذا التحليل ظهوراً نسبياً «كموضوع» الجدول (أ)، الملحق رقم (٣) و«كمحور» الجدول (ب)، الملحق رقم (٣) . أما موشي ديان فله ظهور نسبي «كمحور» أكثر منه «كموضوع» في المقارنة ذاتها. وقد يدل هذا على قوة المكانة النخبوية، إذ إن كيسنجر، بصفته الأداة المتحركة لسياسة أمريكا الخارجية، يمثل موضوعياً مكانة أكبر من مكانة ديان بصفته وزيراً رئيسياً وعضواً في الكنيسيت. أما هل أن لكل منهما قوة مختلفة موضوعياً، فهذه مسألة تثير سلسلة من الأسئلة المتضاربة. يقول هول إن كل واحد من أمثال هؤلاء من رجال النخبة قد يمثل «الأول بين متساوين».

يشير الجدول رقم (٧ ـ ١٩) الى عدد «المواضيع» المختلفة التي اقترنت بها الشخصيات «كمحاور»، ويبيّن تكرار ظهورها في «المواضيع» التي اقترنت بها بصورة كبيرة جداً. ويظهر ذلك في جوهره ميلاً نحو تأييد الرأي القائل بأن هذه الشخصيات النخبوية تظهر مقترنة «بالمواضيع» المهيمنة مثل النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي، مبادرات الحرب والسلام. إن كلًا من السادات وبيغن يقترن فيها يظهر بالسلام، في حين يقترن عبدالناصر ومئير وديان بالحرب في مرات من التكرر أكثر عدداً؛ ولعل هذا يعكس المدة الأطول التي تقتضيها عملية السلام، وهي أطول من فورية الحرب.

يعدد الجدول رقم (٧ ـ ٢٠) تكرار الحدوث للأصناف ذاتها «كقضايا» و«كمحاور». تمثل هذه «القضايا» التركيز الرئيسي المحدد نسبياً في البنود الاخبارية بينها تعكس «المحاور» المسائل الثانوية. ويظهر هذا الجدول أن المشاكل الداخلية في الوطن العربي كبيرة الأهمية في كلا الصنفين؛ وفي حين أن «الحروب الأهلية» في لبنان والأردن هما محوران مهيمنان، فإنهما لا يبرزان «كقضايا» إلا بروزاً معتدلاً. ولعل

= الطائرات/الرهائن، الحرب الأهلية في لبنان، العنف الفلسطيني، القصف الاسرائيلي، ارهاب منظمة التحرير الفلسطينية، المشاكل الداخلية في الوطن العربي، العنف الفلسطيني ـ ارهاب، التهديد الاسرائيلي، غزو جنوب لبنان، والنزاع/عدم الاستقرار.

(٤) المحاور المتصلة بالسلام هي: السلام، المفاوضات، قوات حفظ السلام، العرب يطلبون تسوية سلمية، وإيقاف اطلاق النار.

السبب هو أن هذه النزاعات لا تسجل بذواتها شيئاً على مقياس الاستعلاء العرقي للقيم الإخبارية البريطانية إلا إذا تعلقت بقضايا أكبر؛ مثل المصالح البريطانية المتعلقة بالاستقرار في الشرق الأوسط وبالنفط. وكانت المساعدة الأمريكية لاسرائيل محوراً بارزاً جداً كذلك ولكنها ذات ظهور منخفض كقضية. هنا تكون الإشارة الى الوشيجة التي تربط الكتلة الغربية بإسرائيل بطريقة متوارية نسبياً ضمن «القضايا» الرئيسية. كذلك ثمة تباين في معادلة منظمة التحرير «بالإرهاب» بين ظهورها «كمحور» و «كقضية». إن هذا الجدول يشير بشكل مفيد الى التفاعل بين «المحاور» و «القضايا» ويؤكد الحاجة الى إدخال كلا هذين المستويين في تحليل المضمون للمقالات الاخبارية.

سادساً: خاتمة

إن الانطباع العام الذي يبرز من هذا «التحليل العام» هو ما يلي: ففي حين ركزت الجرائد على الأحداث الرئيسية في الشرق الأوسط فإنها إنما فعلت ذلك ضمن النسق القيمي الاستعلائي الانكليزي. إن الصحف البريطانية، وهي تعكس استمرارية الروح الاستشراقية، إن لم نقل جميع الصور التاريخية التي وضعها المستشرقون، إنما وزنت تلك الأحداث بميزان المصالح البريطانية. فقد ظهرت إسرائيل بشكل غالب على أنها مقاربة للغرب ثقافياً وسياسياً، في حين جرى تصوير العرب على أنهم معارضون لاسرائيل يدعمهم السوفيات وهم يهددون المصالح البريطانية والغربية في الشرق الأوسط. بيد أن الأهمية التي تولى لمثل هذه التحالفات لم تكن بدرجة متساوية، فالديلي اكسبرس و المورننغ ستار على الأخص تقدمان تحليلات سياسية متضاربة جداً. انظر مثلاً الى هذه التعليقات الواردة في افتتاحية في الديلي اكسبرس وفيها تبدي بغموض رأياً باسرائيل كما يلي:

«بلغت دولة إسرائيل اليوم ثلاثين سنة من العمر. إنها حين ولدت في ١٩٤٨ كان الحدث نهاية لكفاح وبداية لكفاح آخر، وهو كفاح لا يعرف الآن متى ينتهي. أما الذين لا تنفعل مخيلتهم بمشهد بني إسرائيل وهم يعودون الى الوطن بعد قرون من النفي والاضطهاد فهم أناس روحهم خاوية حقاً. إن إسرائيل هي إحدى الملاحم في عصرنا. إنها، على الرغم من نسبة التضخم وعبء الضرائب، لبرهان حيّ على ما يمكن أن تحققه الحيوية والاخلاص.

فضلاً عن ذلك فإن إسرائيل هي وحدها فذةً في الشرق الأوسط ذات نظام ديمقراطي. ولو أن أمة مهددة من الأعداء باستمرار تخلت عن ترف الديمقراطية الليبرالية الغربية لكان ذلك أمراً مفهوماً. لكنهم لم يفعلوا. فالجيش بالمعنى الحقيقي هو الأمة، وكلاهما مقترن بعمق بالتقليد الديمقراطي.

وتعرض إسرائيل كذلك ما تتحلى به من الفضائل الماوية. من منا سينسى أبداً الغارة على

عتتيبي؟ هناك شهدنا، في شكل ديمقراطي، الشجاعة، والانضباط العسكري وهما يلبيان نداء الكرامة والحضارة. إننا نرى إسرائيل قبل كل شيء آخر، ورغم جميع ما في اللحظة الراهنة من شكوك، أمة ذات هدف، أمة تؤمن بنفسها وبرسالتها. أليس في هذا رسالة لنا؟»[٥].

في هذا المثال نرى دولة إسرائيل وقد وضعت في إطارها «التاريخي» باعتبارها عادت الى الوطن من المنفى والاضطهاد. أما النتائج بالنسبة للفلسطينيين فلا ذكر لها، بل إن وطنهم ما هو إلا أطلال يجب اكتشافها (كما عرض التلفزيون في بريطانيا خلال الستين الماضيتين). وتصور إسرائيل كديمقراطية إجتماعية فذة، حتى عند قيامها بأعمال عسكرية في أوغندا كما يبدو! وهي توفر مخفر مقاومة أمامياً للكرامة والحضارة ضد أعداء برابرة، فيما يفترض، والذين يهددونها باستمرار. إن التقليد الاستشراقي موجود في هذه الافتتاحية بشكل يكاد يكون كاريكاتورياً، وهي افتتاحية تماهي بريطانيا بصورة غامضة بإسرائيل.

أما جريدة المورننغ ستار فهي تميل الى تأييد العرب نتيجة لموقفها السياسي المؤيد للسوفيات. لذا فهي لا تتقبل المفهوم القاضي بأن إسرائيل هي ضحية الاضطهاد، ولا تتقبل مكانتها التي هي موضع ثناء في أوساط الكتلة الغربية المنهمكة في صراع القوة السياسي. يتضح هذا الموقف من افتتاحية الجريدة[٦]. فهي تقول في عرضها للعلاقات العربية ـ السوفياتية باعتبارها علاقات لتحقيق التوازن تجاه تزويد أمريكا سلاحاً لإسرائيل:

«إن العون السوفياتي للأقطار العربية ليس تهديداً للشعب الأمريكي أو البريطاني. إنه يرمي الى مساعدة العرب في الدفاع عن أنفسهم، ويهدف الى كبح نفوذ الصقور في تل أبيب».

إن هذا التحليل الوارد آنفاً يعكس إذن ما ورد في دراسة دوانتغ[٧] التي شرحت المركز الفريد نوعاً ما الذي تحتله جريدة المورننغ ستار بين الجرائد اليومية الأخرى في بريطانيا. أما أرقام المبيعات للجرائد الداخلة في عيّنة تحليلنا وأرقام المبيعات للجرائد غير الداخلة فيها، فإنها بالتأكيد لا تتيح مجالاً للنظر الى ما تكتبه هذه الجريدة كتحدٍ مهم للروحية السائدة.

وعلى العموم، لا يعطي «العرض العام» بالتأكيد دليلاً على الاطراد في وضع تعريفات أساسية للواقع كما وجد هارتمن مع آخرين[٨] في دراسته عن الكتابة الصحفية

---

(٥) التشديد مضاف. انظر: *Daily Express*, 11/3/1978.

(٦) *Morning Star*, 26/3/1970.

(٧) J. Downing, *The Media Machine* (London: Pluto Press, 1980).

(٨) P. Hartmann, C. Husband and J. Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race in the British National Press form 1963-1970,» in: *Race as News* (Paris: UNESCO Press, 1974).

حول العلاقات العنصرية. يبيّن الجدول رقم (٧ ـ ٢١) عدم وجود إتفاق. إن النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي والنفط هي وحدها التي ظهرت في المقدمة في الجرائد الأربع. بل إن إحدى الحقائق المهمة التي تبرز في هذا الجدول هي الغياب النسبي لذلك النوع من هيكلة الأخبار الواسعة النفوذ التي ذكرها هارتمن وجماعته. إن التحليل أعلاه يشير الى هيمنة النزاع والشخصيات في الأخبار وظهور المصلحة البريطانية كبؤرة للاهتمام في التقارير.

يؤكد الجدول رقم (٧ ـ ٢١) كذلك وجود مشكلة كبيرة في تقويم التقارير الصحفية عن الوطن العربي، ألا وهي التفاوت الكبير جداً في أعداد التوزيع للجرائد المختلفة. فإذا ربط هذا بتحليل للاختيار الذاتي لقراء كل جريدة فيمكن أن يثير هذا سؤالاً للدراسة وهو هل يؤدي المزيد من الأعداد الى مزيد من التحليلات المتضاربة، أم الى مزيد من اهتمام معين فقط؟ يشير الفصل الآتي، كما يشير هذا الفصل الى حدٍ ما، الى أن قراء الغارديان والتايمز يزودون بمعلومات لا تتفق كلياً مع تقديم صورة مؤيدة لاسرائيل ذات لون واحد فقط. بل إن مدى البنود الأخبارية في هاتين الجريدتين، تقدم معلومات أكثر من هذا مما يتفق مع سياستيهما في التحرير.

وباختصار، لا يقدم «التحليل العام» دليلاً قوياً على أن الصحافة البريطانية قد أفسدتها ماكنة الدعاية الصهيونية كما يدعي البعض. أما الذي يبرز أمامنا فهو التماسك بين جميع الجرائد التي حللناها، باستثناء المورننغ ستار في عرض بريطانيا واسرائيل ضمن إطار المصالح الغربية التي هي في نزاع حتمي مع السياسة السوفياتية. وهناك دليل على الاستعلاء العرقي وعلى وجود عناصر من الاستشراق في «الجرائد القومية الكبرى»، مع اختلاف مواقفها في التحرير، مما يؤدي الى تفاقم هذا الاتجاه بحدود مختلفة.

سابعاً: الجداول

جدول رقم (٧ ـ ١)

المواضيع الرئيسية × عدد المرات × السنة

الرقم	المواضيع	١٩٦٨ ع.م.	١٩٧٠ ع.م.	١٩٧٢ ع.م.	١٩٧٤ ع.م.	١٩٧٦ ع.م.	١٩٧٨ ع.م.	١٩٨٠ ع.م.	المجموع
٤٨	النزاع وعدم الاستقرار	٥	١٨	٥	٥	٣٢	١١	١٢	٨٨
٤٠	النفط	٧	٤	١٢	١١	٢	١	١٣	٥٠
٤٩	ايران	صفر	صفر	٣	صفر	٢	٥	٣٦	٤٦
١٧	أهداف اسرائيلية	٢	٢١	٢	٦	صفر	٣	٤	٣٨
٢٣	منظمة التحرير الفلسطينية	١	٤	٢	٨	٤	٨	٩	٣٦
٢٨	السادات	صفر	صفر	١١	٦	٦	١٠	٢	٣٥
٢٠	العنف الفلسطيني	٦	٥	١٥	٢	١	٢	٢	٣٣
٣٨	اسرائيل	صفر	٤	٣	٣	٣	١٢	٧	٣٢
١	السلام	صفر	٩	١	٥	٤	١٠	صفر	٢٩
٤١	الثروة العربية	٧	صفر	١	١٣	٢	٢	صفر	٢٥
١٢	العلاقات العربية ـ البريطانية	٢	١	١	٦	صفر	٢	١٢	٢٤
١٥	العلاقة العربية ـ السوفياتية	١	٩	٨	٥	صفر	صفر	صفر	٢٣
٢	الحرب	٤	٤	٣	٨	١	صفر	صفر	٢٠
١٣	العلاقات العربية ـ الأمريكية	١	٥	صفر	٥	٣	٢	١	١٧
٢٤	الضفة الغربية وقطاع غزة	صفر	١	٤	١	٣	صفر	٨	١٧
٣	وقف اطلاق النار	٢	٧	١	٢	٢	١	صفر	١٥
٥٠	الشاه	صفر	صفر	١	٢	٣	٢	٦	١٤
٥١	الخميني	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١	١٣	١٤
٤	المفاوضات	صفر	١	صفر	١	١	٨	٢	١٣
٣٢	غولدا مئير	صفر	٧	صفر	٣	صفر	١	١	١٢
٩	العلاقات الاسرائيلية ـ الأمريكية	صفر	صفر	٢	١	٢	٤	٢	١١
٢٧	عبدالناصر	٤	٦	صفر	١	صفر	صفر	صفر	١١
٣١	بيغن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٦	٤	١٠
١٩	العنف الاسرائيلي	صفر	١	٦	٢	صفر	صفر	١	١٠
٣٤(*)	كامب ديفيد	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٩	١	١٠
٥٢(**)	غير ذلك	٧	١٠	٩	١٢	١٧	٩	١٤	٧٨

(ع. م.) = عدد المرات.

(*) بالنظر للخصوصية لوقف اطلاق النار في ١٩٧٠ ومفاوضات ١٩٧٨ فيما يتعلق بكامب ديفيد، جرى تحليل هذه مفصلاً في العيّنة المركزة. انظر الفصل الثامن.

(**) استبعدت عن التحليل نظراً لسعة تنوع المواضيع تحت الدرس.

جدول رقم (٧ - ٢)
النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي ×
القضية × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
٣٥٤	الحرب الأهلية في لبنان	—	٤	٢	٢	٨
٣٥٥	الحرب الأهلية في الأردن	٤	١	—	٣	٨
٣٥٦	النزاع في لبنان باعتباره بين الاسلام والمسيحية	—	١	—	—	١
٣٥٧	الاضطرابات على العموم	١٠	٣	—	٢	١٥
٣٥٨	مشاكل داخلية في الوطن العربي	٢٦	١٨	٢	٣	٤٩
٣٥٩	غير ذلك	١	٦	—	—	٧

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ - ٣)
النزاع وعدم الاستقرار ×
تذبذب التغطية × الجريدة × السنة

الغارديان (ت)	التايمز (ت)	الديلي اكسبرس (ت)	المورننغ ستار (ت)	السنين (ت)
٢	٣	—	—	١٩٦٨
٥	٩	—	٤	١٩٧٠
٣	١	—	١	١٩٧٢
٣	٢	—	—	١٩٧٤
١٠	١٥	٤	٣	١٩٧٦
٤	٦	—	١	١٩٧٨
٧	٤	—	١	١٩٨٠

(ت) = تذبذب التغطية.

جدول رقم (٧ ـ ٤)
الحرب × القضية × الجريدة

الرقم	القضايا	التايمز (ت)	الغارديان (ت)	الاكسبرس (ت)	المورننغ ستار (ت)	المجموع
١٧	وصف/تحليل النزاع	١	ـ	ـ	ـ	١
١٩	العرب يدّعون النجاح في النزاع	ـ	ـ	١	١	٢
٢٠	العرب يهاجمون اسرائيل	ـ	١	٣	٢	٦
٢١	اسرائيل تهاجم العرب	١	ـ	١	ـ	٢
٢٣	معاملة العرب لأسرى الحرب	١	ـ	ـ	ـ	١
٢٤	معاملة اسرائيل لأسرى الحرب	١	ـ	ـ	ـ	١
٢٥	العرب يهددون بالحرب	٣	ـ	ـ	ـ	٣
٢٦	اسرائيل تهدد بالحرب	١	١	ـ	ـ	٢

(ت) = تذبذب التغطية.

جدول رقم (٧ ـ ٥)
العنف الفلسطيني × الجريدة × القضايا

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
١٤٤	العنف الفلسطيني ينعت «بالإرهاب»	٩	٦	ـ	ـ	١٥
١٤٥	العنف الفلسطيني ينعت بالإرهاب العربي	٣	ـ	ـ	ـ	٣
١٤٦	النظر الى العنف الفلسطيني كعمل ثأري	١	ـ	ـ	ـ	١
١٤٧	إدانة العنف الفلسطيني	١	٦	ـ	ـ	٧
١٤٨	غير ذلك	٤	٣	ـ	ـ	٧
المجموع		١٨	١٥	ـ	ـ	٣٥

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ٦)
العنف الاسرائيلي × القضايا × الجريدة

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
١٣٤	العنف الاسرائيلي ينعت «بالبطولة»	١	١	ـ	ـ	٢
١٣٥	العنف الاسرائيلي ينعت بالعدوان «المشروع» والدفاع الشرعي عن النفس	١	ـ	ـ	ـ	١
١٣٧	العنف الاسرائيلي يبرر كعمل ثأري	٣	ـ	ـ	ـ	٣
١٣٨	النظر الى العنف الاسرائيلي «كاحتياطات أمنية»	٢	ـ	ـ	ـ	٢
١٣٩	العنف الاسرائيلي ضد الفلسطينيين البارزين داخل أوروبا وخارجها	ـ	ـ	ـ	١	١
١٤٠	إدانة العنف الاسرائيلي	ـ	ـ	١	ـ	١

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ٧)
أهداف اسرائيلية × القضية × الجريدة

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
١٢٣	القصف والرمي الاسرائيلي لمخيمات اللاجئين ولأهداف مدنية في لبنان، الأردن، مصر	٨	٦	٦	٦	٢٦
١٢٤	نسف بيوت المدنيين في الضفة والقطاع	١	ـ	ـ	ـ	١
	القصف والرمي عامة	١	ـ	٢	ـ	٣
١٢٦	تبرير غزو جنوب لبنان كهدف لحماية حدود اسرائيل من الفدائيين الفلسطينيين	٣	١	ـ	٢	٦
١٢٨	النظر الى غزو لبنان كهدف «للدفاع» عن المسيحيين ضد عدوان العرب	١	ـ	ـ	ـ	١
١٢٩	غير ذلك	ـ	ـ	ـ	١	١

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ٨)
منظمة التحرير الفلسطينية × القضية × الجريدة

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
١٦٤	منظمة التحرير باعتبارها الممثل الوحيد للفلسطينيين	١	٢	–	–	٣
١٦٥	المنظمة باعتبارها حركة تحرير قومي	١	–	–	–	١
١٦٦	المنظمة «كعصابة إرهابية»	٥	–	–	–	٥
١٦٧	المنظمة تكتسب تأييد العالم واعترافه	٢	٣	–	–	٥
١٦٩	المنظمة وعلاقتها بالوطن العربي	٣	١	–	–	٤
١٧١	المنظمة والأمم المتحدة	٤	–	–	–	٤
١٧٤	نشاط المنظمة ضد إسرائيل	٣	٢	–	٣	٨
١٧٥	الخلافات/المصادمات بين بعض فصائل منظمة التحرير	–	١	–	١	٢
١٧٦	المنظمة وعلاقتها بلبنان	٢	٢	–	–	٤

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ٩)
السلام × القضية × الجريدة

الرقم	القضايا	التايمز ع.م.	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.	المورننغ ستار ع.م.	المجموع
١	الأمم المتحدة تطالب اسرائيل بالانسحاب من أراض عربية كشرط للسلام	٢	١	–	١	٤
٢	بريطانيا تطالب إسرائيل بالانسحاب	١	–	–	–	١
٣	البلدان العربية تطالب إسرائيل بالانسحاب	–	–	–	٢	٢
٥	اسرائيل ترفض مقترحات السلام بشأن الانسحاب من أراض عربية	١	٢	–	–	٣
٦	العرب يطلبون تسوية سلمية	١	٣	١	–	٥
١٢	إمكانية السلام بين سوريا واسرائيل	١	–	–	–	١
١٤	المنظمة/الفلسطينيون كعقبة كأداء بوجه السلام	–	١	–	–	١
١٥	قوات حفظ السلام	٣	٤	–	–	٧
١٦	غير ذلك	٢	٢	١	–	٥

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ - ١٠)
الشخصيات × القضايا × الجرائد

الشخصيات	الرقم	القضايا	التايمز	الغارديان	الاكسبرس	المورننغ ستار	المجموع
			ع. م.	ع. م.	ع. م.	ع. م.	
عبدالناصر	٢٠٨	النظر إلى عبدالناصر كزعيم الوحدة العربية	٢	–	–	١	٣
	٢٠٩	النظر اليه كصديق طيب للاتحاد السوفياتي	١	١	–	٢	٤
	٢١٠	ناصر كصانع للسلام	١	–	–	–	١
	٢١١	غير ذلك	٢	١	–	–	٣
السادات	٢١٢	النظر إلى السادات كمتعصب	–	١	–	–	١
	٢١٣	النظر إلى السادات كصانع للسلام	٣	٢	–	١	٦
	٢١٤	النظر إلى السادات كمقامر سياسي	١	١	–	–	٢
	٢١٥	النظر إلى السادات كطالب للسمعة	–	٢	–	–	٢
	٢١٧	النظر إلى السادات كأحسن صديق للغرب	١	١	–	–	٢
	٢١٨	علاقة السادات بالاتحاد السوفياتي	٣	٦	–	١	١٠
	٢١٩	معارضة مناوئيه	٢	١	–	–	٣
	٢٢٠	غير ذلك	٤	٤	–	١	٩
بيغن	٢٣٦	النظر إلى بيغن كعنيد	٤	٣	١	١	٩
	٢٣٩	النظر إليه كارهابيّ معتدٍ	١	–	–	–	١
غولدا مئير	٢٤٤	النظر إلى مئير كسيدة عقلانية	١	١	–	–	٢
	٢٤٩	النظر إليها كعنيدة	٣	٣	–	–	٦
	٢٥١	غير ذلك	٢	٢	–	–	٤
الشاه	٣٦٦	النظر إلى الشاه كدكتاتور قمعي	٢	٢	–	١	٥
	٣٦٨	النظر إليه كمركز للمصالح الغربية	–	–	٣	–	٣
	٣٧٠	غير ذلك	٣	٣	–	–	٦
الخميني	٣٧١	النظر إلى الخميني كزعيم ديني متعصب	١	–	–	–	١
	٣٧٢	النظر إليه كأكبر زعيم للثورة الاسلامية	١	–	–	–	١
	٣٧٣	النظر إليه كممثل للعقيدة الاسلامية	١	–	–	–	١
	٣٧٦	الخميني والوطن العربي	١	–	١	–	٢
	٣٧٧	غير ذلك	٤	٥	–	–	٩

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١١)
النفط × القضايا × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع ٠ م ٠	الغارديان ع ٠ م ٠	الاكسبرس ع ٠ م ٠	المورننغ ستار ع ٠ م ٠	المجموع
٣٠٣	اجتماعات الأوبك وأسعار النفط	٧	٣	ـ	١	١١
٣٠٤	النفط كسلاح سياسي بيد العرب	٤	٤	١	ـ	٩
٣٠٥	مصالح الغرب النفطية	٨	٤	٢	١	١٥
٣٠٦	تهديد الغرب باحتلال منابع النفط	ـ	١	ـ	ـ	١
٣٠٨	تأميم النفط العربي	١	١	ـ	ـ	٢
٣٠٩	غير ذلك	٧	٣	ـ	٢	١٢

(ع ٠ م ٠) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٢)
الثروة العربية × القضايا × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع ٠ م ٠	الغارديان ع ٠ م ٠	الاكسبرس ع ٠ م ٠	المورننغ ستار ع ٠ م ٠	المجموع
٣١٠	النظر الى النفط كمصدر مهم للثروة العربية	٢	١	ـ	ـ	٣
٣١١	العرب يبذّرون ثروتهم في مرابع الغرب الليلية	١	ـ	ـ	ـ	١
٣١٢	العرب يشترون البيوت والفنادق في لندن	ـ	ـ	١	ـ	١
٣١٤	العرب يستثمرون ثروتهم في مشاريع إنشائية وإنمائية	١٢	ـ	٢	ـ	١٤
٣١٥	غير ذلك	٥	١	ـ	ـ	٦
المجموع		٢٠	٢	٣	ـ	٢٥

(ع ٠ م ٠) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٣)
العلاقات العربية ـ البريطانية × القضايا × الجرائد

الرقم	القضـايـا	التايمز ع. م.	الغارديان ع. م.	الاكسبرس ع. م.	المورننغ ستار ع. م.	المجموع
٨٩	مـساعدة عـسكرية (أسلحة)	٢	٣	ـ	ـ	٥
٩١	مصالح اقتصادية	٢	ـ	ـ	ـ	٢
٩٢	تأييد سياسي	١	ـ	١	ـ	٢
٩٥	الضغط السياسي على العرب	٢	٢	٣	ـ	٧
٩٦	غير ذلك	٥	ـ	٢	١	٨
المجموع		١٢	٥	٦	١	٢٤

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٤)
العلاقات العربية ـ السوفياتية × القضايا × الجرائد

الرقم	القضـايـا	التايمز ع. م.	الغارديان ع. م.	الاكسبرس ع. م.	المورننغ ستار ع. م.	المجموع
١١٣	مساعدة عسكرية (أسلحة)	٥	٤	ـ	ـ	٩
١١٤	تأييد عسكري (قوات)	ـ	١	ـ	ـ	١
١١٦	تأييد سياسي	ـ	١	ـ	١	٢
١١٨	ضغط اقتصادي	ـ	١	ـ	ـ	١
١١٩	ضغط سياسي	٢	٥	ـ	١	٨
١٢٠	غير ذلك	٢	ـ	ـ	ـ	٢
المجموع		٩	١٢	ـ	٢	٢٣

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٥)
العلاقات العربية ـ الامريكية × القضايا × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع. م.	الغارديان ع. م.	الاكسبرس ع. م.	المورننغ ستار ع. م.	المجموع
٩٧	مساعدة عسكرية (أسلحة)	—	٣	—	—	٣
٩٨	تأييد عسكري (قوات)	١	١	—	—	٢
٩٩	مصالح اقتصادية	٢	٢	—	—	٤
١٠١	ضغط عسكري	—	١	—	—	١
١٠٣	ضغط سياسي	٣	١	—	—	٤
١٠٤	غير ذلك	١	١	—	١	٣

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٦)
اسرائيل × القضايا × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع. م.	الغارديان ع. م.	الاكسبرس ع. م.	المورننغ ستار ع. م.	المجموع
٢٨٦	دولة صغيرة باسلة تقاتل من أجل بقائها	٣	١	٢	—	٦
٢٨٧	النظر إلى إسرائيل كدولة غربية/عصرية	١	٣	—	—	٤
٢٨٨	النظر إليها «كوطن لتجميع اليهود» من مختلف أنحاء العالم	—	١	—	—	١
٢٨٩	النظر اليها كدولة امبريالية وعنصرية	٢	—	—	—	٢
٢٩١	غير ذلك	١٤	٣	١	١	١٩
	المجموع	٢٠	٨	٣	١	٣٢

(ع. م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٧)
علاقات اسرائيل الدولية × القضايا × الجرائد

العلاقات الدولية	الرقم	القضايا	التايمز ع . م .	التارديان ع . م .	الاكسبرس ع . م .	المورننغ ستار ع . م .	المجموع
العلاقات الاسرائيلية الامريكية	٦٧	مساعدة عسكرية	٢	٣	ـ	ـ	٥
	٦٩	مصالح اقتصادية	١	١	ـ	ـ	٢
	٧٠	تأييد سياسي	١	١	ـ	ـ	٢
	٧٣	ضغط سياسي	٢	ـ	ـ	ـ	٢
		المجموع	٦	٥	ـ	ـ	١١
العلاقات الاسرائيلية السوفياتية	٦٧	علاقات متوترة	٢	١	ـ	ـ	٣
		المجموع	٢	١	ـ	ـ	٣

(ع . م .) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٨)
الضفة الغربية وقطاع غزة × القضايا × الجرائد

الرقم	القضايا	التايمز ع . م .	الغارديان ع . م .	الاكسبرس ع . م .	المورننغ ستار ع . م .	المجموع
١٨٢	«فكرة» تأسيس دولة فلسطين في الضفة والقطاع	١	ـ	ـ	ـ	١
١٨٤	طرد اسرائيل للفلسطينيين من الضفة والقطاع	٢	١	ـ	ـ	٣
١٨٥	تهديد اسرائيل للفلسطينيين في الضفة والقطاع	٦	٢	ـ	ـ	٨
١٨٧	القيود على السفر والعمل في الضفة والقطاع	ـ	١	ـ	ـ	١
١٨٨	معارضة الفلسطينيين للحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة والقطاع	٣	١	ـ	ـ	٤

(ع . م .) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ١٩)
الشخصيات كمحاور: مواضيع رئيسية

المحاور	الحدوث	التكرار	مواضيع رئيسية ذات صلة (عدد مرات)
السادات	١٨	٣٢	مفاوضات (٥) نزاع/عدم استقرار (٤) وحدة عربية (٣)
عبد الناصر	١١	٢٠	نزاع/عدم استقرار (٥) أهداف اسرائيلية (١٧)
بيغن	١١	١٧	اسرائيل (٤) السلام (٢) كامب ديفيد (٢) مفاوضات (١١)
موشي ديان	١١	١٦	أهداف اسرائيلية (٣) مفاوضات (٢) حرب (٢)
غولدا مئير	٧	١٣	عنف فلسطيني (٤) حرب (٣) نزاع/عدم استقرار (٢)

جدول رقم (٧ ـ ٢٠)
قضايا ومحاور سائدة × عدد المرات:
جميع الجرائد، جميع السنين

القضايا و المحاور	القضية ع. م.	المحور ع. م.
المشاكل الداخلية في الوطن العربي	٤٧	١٢
تصف إسرائيل للمدن والمخيمات	٢٦	١٠
المصادمات/الاضطرابات في الوطن العربي	١٧	٨
العنف الإسرائيلي	١٥	٩
مصالح الغرب النفطية	١٥	٧
اجتماعات أوبك وأسعار النفط	١١	٦
المشاكل الداخلية في ايران	١١	٥
النظر إلى بيغن كعنيد	٩	١١
النظر الى النفط كسلاح سياسي بيد العرب	٩	٧
خميني والرهائن	٩	٩
نشاط منظمة التحرير الفلسطينية ضد إسرائيل	٨	٧
تهديد اسرائيل للفلسطينيين في الضفة الغربية	٨	١٠
الحرب الأهلية في لبنان	٨	١٦
الحرب الأهلية في الأردن	٨	١٣
قوات حفظ السلام	٧	٧
غزو لبنان/احتياطات أمنية من الفدائيين	٦	٦
النظر إلى السادات كصانع سلام	٦	٥
العرب يهاجمون إسرائيل	٥	٦
معونة الولايات المتحدة لإسرائيل	٥	١٢
النظر إلى منظمة التحرير «كعصابة إرهابية»	٥	١٠
منظمة التحرير الفلسطينية ولبنان	٥	٧

(ع . م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٧ ـ ٢١)
عدد المرات التي تتكرر فيها المواضيع الرئيسية × الجرائد لجميع السنين

المواضيع الرئيسية	التايمز ع. م.	الغارديان ع. م.	الاكسبرس ع. م.	المورننغ ستار ع. م.
النزاع وعدم الاستقرار	٤١	٥٣	٤	١٠
النفط	٢٧	١٦	٣	٤
ايران	١٤	٢٢	٣	٧
أهداف اسرائيلية	١٤	٧	٨	٩
منظمة التحرير الفلسطينية	٢١	١١	—	٤
السادات	١٤	١٨	—	٣
العنف الفلسطيني	١٨	١٥	—	—
اسرائيل	٢٠	٨	٣	١
السلام	١١	١٣	٢	٣
الثروة العربية	٢٠	٢	٣	—
العلاقات العربية ـ البريطانية	١٢	٥	٦	١
العلاقات العربية ـ السوفياتية	٩	١٢	—	٢
الحرب	٨	٣	٦	٣
العلاقات العربية ـ الأمريكية	٧	٩	—	١
الضفة والقطاع	١٢	٥	—	—
وقف إطلاق النار	٩	٢	—	—
الشاه	٥	٥	٣	١
الخميني	٨	٣	١	—
غولدا مئير	٦	٦	—	—
العلاقات الاسرائيلية ـ الأمريكية	٦	٥	—	—
عبد الناصر	٦	٢	—	٣
بيغن	٥	٣	١	١
العنف الاسرائيلي	٧	١	١	١

(ع. م.) = عدد المرات.

الفصل الثامن
الوطن العربي كأخبار: التحليل المركّز

أولاً: مقدمة

سننظر في هذا الفصل في البيانات المستمدّة من تحقيقنا للتقارير الصحفية عن أحداث منتخبة محددة في السنوات ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٧٧، ١٩٧٨، و١٩٨٠ (٦٢ تقريراً في كل جريدة من جرائد العيّنة). وقد حللنا كل عدد من أعداد جريدتي الغارديان والديلي اكسبرس الصادرة خلال الفترة المحدودة للتحليل، باستثناء أعداد الأحد. وجاءت البيانات، نتيجةً لاتباع هذه الطريقة، مختلفة في طبيعتها عن البيانات المقدمة في الفصل العام السابق. وقد استخدمنا مقداراً متعاقباً من التغطية الصحفية على مدى فترة محددة بدلاً من اتباع أسلوب العيّنات العشوائية على مدى فترة طويلة. وهكذا سيشير تحليل المضمون إلى المواضيع الرئيسية التي استخدمت لتطوير قصة صحفيّة معينة، ثم يدعم التحليل الكمي ببحث بنود اخبارية معينة. سيقوم هذا الفصل بتأشير الحدث المعين، أو مجموعة الأحداث، وبعد وصفها باختصار سيجري تحليل البيانات عن كل حالة من الحالات. ولكن من المفيد، قبل الانتقال إلى تلك المرحلة، أن نتفحص أولاً الجدول رقم (٨ ـ ١) والذي يؤلف خلاصة شاملة، لأهم المواضيع البارزة والسائدة.

يشير هذا الجدول إلى تكرار حدوث المواضيع الرئيسية في الجريدتين المذكورتين على مدى الفترات المحددة. وهو يعطي دلالة على الطبيعة الموقتة للأخبار، ويبين كيف تعكس هذه الطبيعة الأحداث، والمقدمة كأحداث مهمة. فالحرب، مثلاً، كانت موضوعاً سائداً خلال فترتي ١٩٦٧ و١٩٧٣ الخاصتين بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، ولكنها لا تظهر في التحليل اللاحق. كذلك «وقف إطلاق النار»، إذ ينطبق وصفه على

نزاعات ١٩٦٧ و١٩٧٣، في حين استمرت النتائج البعيدة المدى للحربين تظهر في مواضيع «السلام» و«المؤتمرات» و«النزاع وعدم الاستقرار». أما عدم ظهور أثر «للمؤتمرات» في ١٩٧٨ فيعكس الصنف الأكثر تحديداً بطريقة منهجية، وهو «كامب ديفيد» أكثر مما يعكس فشل المؤتمرات «كموضوع» بذاته.

جدول رقم (٨ ـ ١)
عدد المرات التي تتكرر فيها المواضيع الرئيسية/التحليل المركّز

رقم تسلسل الموضوع	المواضيع	حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ ع.م.	حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣ والأوبك ع.م.	مبادرة السادات السلمية ١٩٧٧ ع.م.	كامب ديفيد ١٩٧٨ ع.م.	الجماعة الأوروبية ١٩٨٠ ع.م.	المجموع
١	السلام	١٦	٣	١١	١	—	٣١
٢	الحرب	٩٨	١٤٧	—	—	—	٢٤٥
٣	وقف اطلاق النار	١٨	٢٠	—	—	—	٣٨
٧	المؤتمرات	—	١١	٢	—	٨	٢١
٨	العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا	١٠	٨	—	—	—	١٨
٩	العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة	٤	١٨	—	—	—	٢٢
١٢	العلاقات بين العرب وبريطانيا	١٣	٣	—	—	٤	٢٠
١٥	العلاقات بين العرب والاتحاد السوفياتي	١٢	١٠	—	١	—	٢٣
١٦	العلاقات بين العرب والغرب	١٣	٣	—	—	—	١٦
٢٢	اللاجئون الفلسطينيون	٧	٤	—	—	—	١١
٢٣	منظمة التحرير الفلسطينية	—	٣	—	—	٨	١١
٢٧	عبد الناصر	١٧	—	—	—	—	١٧
٢٨	السادات	—	٦	٣٤	٣	—	٤٣
٣٤	كامب ديفيد	—	—	—	١٩	١	٢٠
٣٥	معارضة العرب لكامب ديفيد	—	—	—	١٢	—	١٢
٣٨	اسرائيل	٢٨	١٥	١	—	٢	٤٦
٤٠	النفط	١٧	٤٤	٢	١	١٠	٧٤
٤٨	النزاع وعدم الاستقرار	٨	٢	١	—	٣	١٤
	مسائل عامة	١٦	١٠	٢	٥	١١	٤٤
٣٢	غولدا مئير	—	٢	١	—	—	٣

(ع.م.) = عدد المرات.
ملاحظة عامة: أدخلت المواضيع التي بلغ عدد مرات تكرارها (١٠) فأكثر.

ومن المثير للاهتمام أن «المواضيع» التي تحدد العلاقة بين إسرائيل والعرب من

جهة، والغرب والاتحاد السوفياتي من جهة أخرى، هي مواضيع لا تظهر باطراد في أحداث لاحقة، رغم أنها كانت ظاهرة جداً خلال الحربين. لكأن «طبيعة التأزم» في الأعمال العدائية وما ينشأ عنها من نتائج غامضة يعطي الأحداث بروزاً فورياً فيما يتعلق بمصالح بريطانيا والكتل الدولية المتناحرة. ويلاحظ بصورة ذات مغزى أن هذه المصالح، في الاطار المستقرّ نسبياً لوقف الأعمال العدائية، قد انعكست بصورة كافية على مستوى «المحاور».

ويظهر تشخّص الأخبار، أي تجسّدها في شخصيات، في الجدول رقم (٨ ـ ١) كما كان الحال في التحليل العام. بيد أن الشخصيات في هذه العينة هي شخصيات عربية، فعبد الناصر والسادات يمثلان وجهين للوطن العربي، الأول قومي متعصب (Fanatical Nationalist) والآخر صانع سلام عقلاني (Rational Peace-Maker). أما غولدا مئير فلم تظهر في هذه العينة إلاّ مرتين في ١٩٧٣ ومرة واحدة في ١٩٧٧. ويمكن للمرء أن يخمن بأن الكيان القومي لاسرائيل معروف بدرجة كبيرة من الإلمام لدى القراء الانكليز، وقريب ثقافياً منهم، بحيث لم تكن هناك حاجة لتمثيله بواسطة شخصيات كرموز مكثفة. إن هذه الفرضية لا يمكن الدفاع عنها «بالتحليل العام» فقط، ولكن من الممكن استكشافها.

وبالنظر إلى ما جاء أعلاه يمكن القول إن الجدول رقم (٨ ـ ١) يصوّر الطريقة التي استجابت بها التقارير الصحفية للأحداث، وإلى أي مدى أتاح تحديد الأحداث أن يجري النشر عنها ضمن سلسلة ضيقة من الأصناف. ويبدو أن الأمر كان كذلك فيما يتعلق بتحليل المبادرات السلمية، حيث كانت فئات الدراسة الأولية الاستطلاعية واسعة فيما يظهر بدرجة كافية، بحيث تتبلور البنود الاخبارية في «مواضيع» قليلة جداً. ويتّضح نهج المقالات الصحفية بأشكال متنوعة ضمن «القضايا» و «المحاور».

ثانياً: حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧

١ ـ تحليل كمي

الحدث التاريخي الرئيسي الأول الذي شملته هذه الدراسة هو حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، بين اسرائيل وبلدان عربية معينة.

يشير الجدول رقم (٨ ـ ٢) إلى تكرار «المواضيع» في التقارير الصحفية عن هذه الأحداث في جريدتي **الغارديان والديلي اكسبرس**.

جدول رقم (٨ ـ ٢)
حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ (المواضيع × الجرائد المنتخبة)

الرقم	المواضيع	الغارديان ع.م.	الديلي اكسبرس ع.م.
١	السلام	١٣	٣
٢	الحرب	٦٦	٣٢
٣	وقف اطلاق النار	٧	١١
٨	العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا	٨	٢
١١	العلاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي	٤	٢
١٢	العلاقات بين العرب وبريطانيا	٧	٦
١٤	العلاقات بين العرب وفرنسا	٥	—
١٥	العلاقات بين العرب والاتحاد السوفياتي	٩	٣
١٦	العلاقات بين العرب والغرب	٨	٥
٢٢	اللاجئون الفلسطينيون	٧	—
٢٧	عبد الناصر	٩	٨
٣٨	إسرائيل	١٩	٩
٤٠	النفط	١١	٦
٤٨	النزاع وعدم الاستقرار	٨	—

(ع.م.) = عدد المرات.

وكما هو متوقع كان «الموضـوع» الرئيسي هـو الحرب ذاتها في الجدول رقم (٧ ـ ٤)، أما «القضية» الرئيسية ضمن هذا «الموضوع»، فقد كانت وصف النزاع وتحليله. انظر الجدول أدناه:

جدول رقم (٨ ـ ٣)
حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ (القضايا × الجرائد المنتخبة)

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٧	وصف وتحليل النزاع	١٦	٢
١٨	إسرائيل تدّعي النجاح في النزاع	٥	١٠
١٩	العرب يدّعون النجاح في النزاع	٤	—
٢٠	العرب يهاجمون إسرائيل	١	١
٢١	إسرائيل تهاجم العرب	٣	—
٢٢	البلدان العربية تساعد في الحرب	٥	—
٢٤	معاملة إسرائيل لأسرى الحرب	١	٦
٢٥	العرب يهددون بالحرب	—	١
٢٦	إسرائيل تهدد بالحرب	—	١
٢٧	غير ذلك	٢٧	٩

(ع.م.) = عدد المرات.

هكذا كانت استجابة الجريدتين للنزاع بأن قدمت كل منهما للقراء ما تراه هي عن الأحداث. بيد أن هذه الأحداث لم تقع في حيّز معزول وبشكل ينحصر بالحرب. ويبين الجدول رقم (٨ ـ ٢) أن التقارير وضعت في إطار الشرق الأوسط بصفته منطقة يتنازعها النفوذ البريطاني والدولي. والمواضيع (Topics) رقم ٨، ١١، ١٢، ١٤، ١٥ و١٦ الخاصة بالعلاقات الدولية تؤلف ٢٢ بالمائة من المواضيع في هذا الجدول. وبهذا تشير إلى تعريف الشؤون العربية في إطار علاقتها بمصالح الغرب، وقد استمر ذلك في السنين اللاحقة. مثلاً، ظهر «اللاجئون الفلسطينيون» كموضوع في الغارديان، ولكن لم يكن له ذكر في الديلي اكسبرس؛ وكما سنبين فيما يلي في التحليل الوصفي لمقالات معينة، كان بروز «اسرائيل» النسبي كبؤرة للبحث عبارة عن انعكاس للشعور الغربي بالاستعلاء العرقي (Ethnocentric Sensibility).

ويرافق إغفال الديلي اكسبرس لأية إشارة للاجئين الفلسطينيين تشديد ظاهر على نشر مزاعم النجاح الاسرائيلية واستبعاد مزاعم العرب المشابهة، وهذا اتجاه يبدو أنه قد تكرر بدرجة أقل سنة ١٩٧٣، وقد انعكس عدم التوازن هذا في كل من الغارديان والديلي اكسبرس في إطار حدوث هذه المزاعم كمحاور في المقالات (الجدول رقم (٨ ـ ٤)).

جدول رقم (٨ ـ ٤)

حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ (المحاور السائدة × الجرائد المختارة)

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٤٣١	مسائل عامة	١١	٧
٢٠	اسرائيل تدّعي النجاح في النزاع	٩	٤
٢٣٢	عبد الناصر	٨	٤
٣٠	وقف اطلاق النار	٧	—
٢٣٨	مناهضة الصهيونية تعادل باللاسامية	٦	—
٤٥٤	قصور العسكرية العربية	٦	—
٢١	العرب يدّعون النجاح في النزاع	٥	٢
٢٣	إسرائيل تهاجم العرب	٥	٢
٦٨	إسرائيل/بريطانيا ـ التأييد العسكري	٥	—
٢٨٤	موشي ديان	٥	٣
٤٣٤	اللاسامية	٥	—
٤٣٢	السويس	٤	٢
٤٤٧	تفوق اسرائيل وتمنّتها	٤	٢
١٠٧	الضغط السياسي/العرب/بريطانيا	٣	—
٣٢٤	اسرائيل دولة صغيرة باسلة	٣	—
٢٢	العرب يهاجمون اسرائيل	١	٣

(ع.م.) = عدد المرات.

يشير هذا الجدول كذلك إلى أن عبدالناصر لم يظهر فقط كتهديد يبرز في المؤشرات الرئيسية التي شملتها «المواضيع» بل برز كذلك «كمحور» في المقالات، وهي تميل إلى النظر إليه كتجسيد للعداء الحاد لاسرائيل والمصالح البريطانية. وكان ظهور السويس كمحور يمثل، بالنسبة للقراء الانكليز، شيئاً يضاف إلى مجال المصالح البريطانية في الشرق الأوسط، ودور عبدالناصر في الوقوف بوجهها في السنين الأخيرة.

ويبرز موشي ديان، كمحور ضمن موضوع «الحرب» بصفته أكثر الشخصيات ظهوراً فيما يخص قضية إسرائيل. وإذ تسجل كل من الجريدتين إصرار إسرائيل على رفض الانسحاب من الأراضي المحتلة كمحور، تعطي الغارديان فقط ظهوراً نسبياً للنقاش «شبه الليبرالي» الذي يساوي معاداة الصهيونية «بمعاداة السامية» (الجدول رقم ٨ ـ ٤). ويمكن الافتراض أن الديلي اكسبرس كانت ستعطي هذا النقاش ظهوراً أكبر، وذلك استناداً إلى ما أشير عنها سابقاً بشأن تأكيد الانتصارات الاسرائيلية وإغفال قضية الفلسطينيين. وهنا نجد أنفسنا مضطرين لاستنتاج ما يلي: بينما قد يعطي التحليل دليلاً على وجود عاطفة مؤيدة لاسرائيل في الصحافة البريطانية، إلاّ أنّه لا يعطي دليلاً على وجود حملة دعاية منظمة فيها، سواءً في هذا الصدد أم في غيره. يمكن أن يعطي التحليل الوصفي لمقالات معينة أمثلة قوية على التحيّز، كما سنرى، ولكن بيانات تحليل المضمون الكمي تعطي صورة أكثر تعقيداً في طبيعتها. وينبغي ألا يكون هذا أمراً غير متوقع، فحرية الصحافة البريطانية، التي غالباً ما يستشهد بها، تتيح مجالاً للتنوع ضمن إطار اجتماعي ـ ايديولوجي معين.

يشير الجدول رقم (٨ ـ ٢) إلى بروز «النفط» كموضوع ظاهر في تغطية نزاع ١٩٦٧، ويشير الجدول رقم (٨ ـ ٥) إلى أن أخص «قضية» بحثها هذا الموضوع كانت بشكل غالب قضية «النفط كسلاح سياسي بيد العرب». ويشير الجدول رقم (٨ ـ ٦) إلى أن الاهتمام بالمصالح الغربية وتهديد الاستثمارات الغربية كانتا ظاهرتين جداً كمحورين ضمن النقاش العام «لأزمة النفط».

وهكذا أشار الجدول رقم (٨ ـ ٢) ليس فقط إلى المدى الذي وضعت فيه حرب ١٩٦٧ حصراً بإطار المصالح الدولية والبريطانية المتنافسة، بل أظهر الجدولان رقم (٨ ـ ٥) ورقم (٨ ـ ٦) كيفية تفسير نزاع مسلح بين دول قومية متجاورة في الشرق الأوسط وذلك في اطار العلاقة بالمصالح النفطية البريطانية والغربية. إن هذا الرأي النفعي اقتصادياً ينعكس في الجدول رقم (٨ ـ ٧) الذي أشار إلى مدى مركزية «الاستثمارات الغربية» كقضية ضمن موضوع «العلاقات بين الغرب والعرب».

جدول رقم (٨ ـ ٥)
النفط × القضايا × الجرائد

الرقم	القضـايـا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٣٠١	النظر إلى العرب «كميتزين»	ـ	١
٣٠٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط	٣	ـ
٣٠٣	اجتماعات أوبك وأسعار النفط	ـ	ـ
٣٠٤	النظر إلى النفط كسلاح سياسي بيد العرب	٧	٢
٣٠٥	مصالح الغرب النفطية	١	١
٣٠٧	النزاع بين البلدان العربية «المتعقلة» و«غير المتعقلة»	ـ	١
٣٠٨	تأميم النفط العربي	ـ	١

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٨ ـ ٦)
النفط (١٩٦٧) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحـــاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٠٧	الضغط السياسي ـ بريطانيا/العرب	١	٢
١٣٧	تهديد الاستثمارات الغربية	٤	ـ
٣٤٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط في الغرب	ـ	٢
٣٤٤	النفط كسلاح سياسي بيد العرب	١	٢
٣٤٥	مصالح الغرب النفطية	٢	٢
٤٣٩	الاهتمام الصريح بالمصالح المكتسبة	٣	ـ
٤٤٠	تهديد المصالح البريطانية	٤	١

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٨ ـ ٧)
العلاقات الغربية العربية × القضايا × الجرائد المنتخبة

الفترة	الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
(أ)	١٢١	تهديد الاستثمارات الغربية	٨	٤
١٩٦٧	١٢٢	المخاوف من التوسع السوفياتي	١	ـ
(ب)	١٢١	تهديد الاستثمارات الغربية	١	١
١٩٧٣	١٢٢	المخاوف من التوسع السوفياتي	١	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

ولئن كان العرب قد عُرضوا كتهديد للمصالح البريطانية، فمن المهم أن نلاحظ التغطية التي أعطيت إلى اسرائيل والتي برزت «كموضوع» رئيسي في الجدول رقم (٨ ـ ٢). أما الجدول رقم (٨ ـ ٨) فيشير إلى تقديم موضوع «اسرائيل» بشكل غالب كدولة صغيرة باسلة تقاتل من أجل بقائها، باستثناء الغارديان التي أبدت ما يصوّر اسرائيل كدولة امبريالية و/أو عنصرية.

جدول رقم (٨ ـ ٨)
اسرائيل × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٨٦	اسرائيل كدولة صغيرة باسلة تقاتل من أجل بقائها	٦	٧
٢٨٨	دولة ديمقراطية وأوروبية حديثة	١	ـ
٢٨٩	اسرائيل كدولة امبريالية/عنصرية	٢	ـ
٢٩٠	اسرائيل كاستراتيجية حيوية للغرب	ـ	١
٢٩١	غير ذلك	١٠	١

(ع.م.) = عدد المرات.

وبالمقارنة مع تصوير العرب كتهديد للمصالح البريطانية، يشير الجدول رقم (٨ ـ ٩) إلى أن ما يغلب من اهتمام في موضوع «العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا» والذي ينعكس في «القضايا»، إنما هو التأييد البريطاني لاسرائيل.

جدول رقم (٨ ـ ٩)
العلاقات الاسرائيلية ـ البريطانية × القضايا × الجرائد المتتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.٠	الاكسبرس ع.م.٠
٥٩	مساعدة عسكرية	ـ	١
٦٠	تأييد عسكري	٥	ـ
٦٢	تأييد سياسي	٣	١

(ع.م.٠) = عدد المرات.

٢ ـ تغطية حرب حزيران/يونيو في الغارديان: تقرير يختص بالكيف

بعد أن فحصنا ما نشر عن حرب ١٩٦٧ بواسطة التحليل المركّز، من المناسب الآن أن نمضي في ذلك إلى تحليل وصفي لبنود اخبارية محدّدة. ستعتمد الدراسة في هذه المرحلة على «المعرفة» الكيفية المتعلقة بخلفية الموضوع والتي اكتسبها البحث من قراءة التغطية اليومية للأحداث خلال فترات العيّنة الخاصة بالتحليل المركّز.

عند النظر في المقالات الصحفية عن الحرب والسلام المنشورة في جريدتي الغارديان والديلي اكسبرس في سنة ١٩٦٧، نجد أن الوطن العربي يتلقى من التغطية خلال فترات الحرب، أكثر مما يتلقى خلال فترات السلم. ودرجة التكرار العالية للتغطية حدثت في الغارديان، ولو أن الديلي اكسبرس قد أبدت اهتماماً كبيراً كذلك. فمنذ بداية الحرب، حاولت الغارديان أن تقدم تغطية «للمناخ الحار» السائد في الاتهامات المتبادلة بين مصر، وكانت تسمى آنئذٍ الجمهورية العربية المتحدة، وبين اسرائيل، كما نشرت عن مناقشة مجلس اللوردات قبل تفاقم العمليات العدائية وتحولها إلى عمل عسكري. ففي اليوم الثاني من حزيران/يونيو، أي قبيل نشوب الحرب، نشرت الغارديان مقالاً يغطي النقاش البرلماني وفيه وقف اللورد آفون (Lord Avon) بصراحة مع اسرائيل كلياً، متهماً العرب «بذبح» الجنس المضطهد ـ «اليهود».

«إن السمة الفاجعة في هذا الأمر هي المحاولة الصريحة لإضفاء طابع الحرب المقدسة على مجهود يرمي إلى إبادة هؤلاء الاسرائيليين التعساء، الشعب الذي قاسى في زمننا أكثر من أي جنس (Race) آخر. وإنه لأمر فظيع أن ينظر إلى ذبح شعب بأسره، أو إلى المناداة في المذياع بإبادة جنس بشري، على أنه فعل حسن، ولكن، هذا هو ما يجري إذ نحن نجلس هنا». (التشديد مضاف).

إننا نجد في هذا المقطع ما يسمى بعلم الاتصال الجماهيري «المحدِّد الأولي»

(Primary definer) لكل ما يستفز الصورة التاريخية عن الحروب المقدسة الاسلامية، ويربطها بالتصور العاطفي للمفهوم الخاص بإبادة اليهود. إن هذا «المحور» كان ولا يزال يبرز في تفسيرات الصهاينة لسياساتهم العسكرية والاقليمية.

وفي اليوم ذاته ظهرت في الغارديان رسالة كتبها ميوري، حاولت الأخذ بالمنظور العربي وقالت:

«... يشعر العرب بالعزلة، لذلك يتخذون موقف الدفاع بشأن القضية الفلسطينية. إنهم يتساءلون لماذا لا تتوقف الصحافة الغربية عن تشويه الحقائق، وتكتفي بنشرها باطراد كما لو كانت قضية اسرائيل هي قضية الغرب»(١).

وظهر مثل هذا في مقال لمايكل وول (M. Wall)، مراسل الغارديان في القاهرة، تحدث فيه عن مشاعر المصريين في ذلك الوقت، قائلاً:

«لا يستطيع المراقبون أن يفهموا لماذا يتكلم حزب العمال الآن فيما يبدو بلغة إيدن ذاتها ويكيد كيده بالاتجاه نفسه؛ ذلك الحزب الذي كان معارضاً لمغامرة السويس؟ وهؤلاء المراقبون مغتمون خاصةً لأن الجمهورية العربية المتحدة تتهيأ لإعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع المملكة المتحدة. وقد بدأ يساورهم الظن أن هناك كراهية عميقة الجذور للمصريين في بريطانيا»(٢).

إن هذه البنود التي تعرض القضية العربية، إنما تفعل ذلك إستجابةً لمماهاة المصالح البريطانية، وهي مماهاة قائمة أصلاً، مع قضية اسرائيل. إن عليهم أن يكرروا وجود الاجماع لكي يقفوا بوجهه.

ولم يكن رأي اللورد آفون (Lord Avon) هو الوحيد في تقديم ذلك الاجماع يوم الثاني من حزيران/يونيو. ففي تقرير من واشنطن كتبه رتشارد سكوت (R. Scott) للغارديان وقال فيه:

«لا شك أن عبدالناصر ستغريه المغريات للمضي قدماً بمطمحه الخطير، وهو تدمير دولة اسرائيل. وليس من المؤكد، طبعاً، بأي شكل من الأشكال أن تتمكن الجمهورية العربية المتحدة من ذلك. بل والأقل درجة في اليقين هو أن تقف الدول الغربية ساكنة تراقب اسرائيل وهي تدمر، إذا قام العرب بالهجوم. ولكن بوسع الرئيس عبدالناصر أن يسبب أخطر الأضرار لاسرائيل إذا سمح له بذلك»(٣).

يكشف هذا التقرير عن أشياء كثيرة في منطوياته السياسية، وفي الصور التي يعرضها. فهو يفصح بطريقة لا حرج فيها عن الوشيجة الطبيعية (Natural Affinity)

---

(١) *Guardian*, 2/6/1967.
(٢) *Guardian*, 5/6/1967.
(٣) المصدر نفسه.

بين «الدول الغربية» واسرائيل. وهو ينجح كذلك في عرض ناصر كمعتدٍ يبتغي «تدمير دولة إسرائيل». كما يوحي التقرير ضمناً بوحدة جميع العرب في هذا الغرض، وبذلك يبرز الاستقطاب ويجعل احتمال إبادة الجنس أمراً واقعياً بشكل أكثر ظهوراً. وتتعزز مثل هذه المشاركة في مقال آخر في العدد ذاته، عنوانه «العراق ينضم إلى ميثاق الحسين ـ ناصر» ويتناول الأقطار العربية المتحالفة مع مصر[4].

وتقدّم الغارديان في افتتاحية العدد ذاته دفاعاً عن عبدالناصر ضد معارضيه في مجلس العموم:

«إن الأمل الوحيد في الشرق الأوسط هو ايجاد طريق وسط عن طريق الدبلوماسية الهادئة.. إن الرئيس عبدالناصر ليس هتلر آخر. وإن مقارنات من هذا النوع، كالتي قيلت في البرلمان في الأسبوع الماضي، تعتبر مضللة»[5].

ولكن انتقاد عبدالناصر والعرب استمر طيلة أيام الحرب. وفي مقال نشرته الغارديان في اليوم التالي، أفصحت فيه عما ينطوي عليه العدوان العربي، وأشارت إلى مسؤولية بريطانيا في الدفاع عن اسرائيل ضد هذا العدوان قائلة:

«إن الكابوس الحالي الذي يخيّم على حزب العمال ـ ويخيم، بلا شك على بعض الوزراء العماليين ـ هو أن القوات العربية ستبدأ بإلقاء الاسرائيليين في البحر. إن مسؤولية بريطانيا المباشرة في تأسيس الأمة الاسرائيلية قد تراءت لعدد من نواب الحزب. وهناك شعور بالتخوف بأن هذه المسؤولية تنطوي على مسؤولية أخرى في حماية اسرائيل من أعدائها»[6].

ودلالة هذا الكلام هي أن اسرائيل كانت ولا تزال مشروعاً غربياً، وأن نتيجة وعد بلفور هي أن يشعر الغرب، وبخاصة بريطانيا، بالالتزام أدبياً وسياسياً للدفاع عن مخلوقهم ضد عدوه. سرت هذه الحجة في المقالات الصحفية التي كتبت في الأسبوع الأول من الحرب، لاسيما حين وقفت الغارديان والديلي اكسبرس بجانب نجاح اسرائيل في حربها ضد العرب. وقد جرى تبيان التزام بريطانيا الأدبي نحو اسرائيل ضد المعتدين ـ الذين يجسدهم عبد الناصر ـ في خطاب ألقاه جريمي ثورب (J. Thorps) زعيم حزب الأحرار آنئذٍ، وفي خطاب آخر ألقاه الحاخام الأكبر مهاجماً مؤيدي العرب في بريطانيا (مثل برنارد لفين). قال الحاخام في خطابه هذا المعنون «التضامن مع اسرائيل» الذي ألقاه في «البرت هول» في لندن يوم السادس من حزيران/يونيو:

---

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) *Guardian*, 6/6/1967.

«إن الشعب البريطاني يواجه من خلال هذه القضية (الحرب) أعظم التزام أدبي واجهه منذ الحرب العالمية الثانية».

أما ثورب فقد مضى يهاجم عبدالناصر ويدعو إلى تأييد الغرب، ومن بريطانيا بخاصة للدفاع عن إسرائيل ضد العرب. قال:

«إذا قدر لعبد الناصر أن ينجح في جهوده ضد اسرائيل، فستكون حركته القادمة ضد اخوته العرب. فإذا كانت نية الرئيس المصري متجهة لمسح إسرائيل من الخارطة.. إذن فإنه يتحدى ليس اسرائيل فقط، بل الأمم المتحدة وحكم القانون. إن بريطانيا وجميع الناس في الغرب لا يستطيعون العيش إذا تقوّض حكم القانون».

ونشرت الغارديان تحت عنوان «الحاخام الأكبر يكيل الضربات» خبراً عن مهاجمته لأمثال برنارد لفين، ولكن دون تسميتهم بأسمائهم:

«إن بعض اليهود الذين خانوا ربهم ودينهم يدعون الآن إخوتهم اليهود لخيانة شعبهم».

يتضح من هذا، ان الحاخام الأكبر هنا، يكرّر المقولة التي تصف كل يهودي ينتقد اسرائيل بأنه «يهودي يعاني من كراهية الذات Self hater» لذلك فهو يتحسّر على هؤلاء اليهود الذين يتكلمون ضد اسرائيل أو ينتقدونها رابطاً بذلك الدين بالقضية الصهيونية، وهذا تنويع خاص على النغمة الأدبية العامة الخاصة بكون اسرائيل مصونة باعتبارها الدولة الوطن للشعب اليهودي المضطهد.

صحيح أن عبدالناصر لم يتعرض، في إطار التغطية الصحيفة، لهجوم قاسٍ في الغارديان كما تعرض في الديلي اكسبرس، ولكن هذا لا يعني أنها لم تكن واسطة لنقل شيء من الايديولوجية الصهيونية وحججها إلى القراء. انظر، مثلاً، إلى هذا المقال عن «مركز» ليفي اشكول، وفيه قالت يوم ٦ حزيران/يونيو:

«يدّعي المستر أشكول أن الطرف الآخر ضرب الضربة الأولى. وقال في كلمة اذاعية انه يأمل ألّا تقف الأمم المحبة للسلام متفرجةً، بل أن تتفهم حق اسرائيل بأن تحيا حياتها بدون أن يكون سيف العدوان مسلطاً على رأسها». (التشديد مضاف).

ومع أنه اتضح، فيما بعد، ان اسرائيل هي التي بدأت الحرب، وكانت هي المعتدية ابتداءً (لذا كان رئيس وزراء اسرائيل أقل من أمين)، ولكن كلامه يبث صورة تمثّل اسرائيل بأنها ضحية، دولة صغيرة تريد العيش بسلام. وإنه سيف العدوان العربي الذي يشهر لتمزيق الأمة الفتية (والفتح العربي يقرن دائماً في الغرب بالسيف). وما هذا سوى مثل واحد من الصور الصهيونية، صورة داود الصغير الذي لا يهاجم بل يدافع عن نفسه ليس إلّا. إن هذا المنظور سرى في عدد من المقالات

التي نشرتها الغارديان في تلك الفترة. مثلاً، نقل عن الجنرال ديان قوله مكرراً النغمة ذاتها:

«كتب هارولد جاكسون من تل أبيب يقول إن الجنرال ديان، وزير الدفاع الاسرائيلي، قد خاطب قواته قائلاً: إن الهجوم المباغت الذي قامت به القوات المصرية هو انقضاض علينا... اننا لا نريد القيام بأي فتح، ولسوف نقوم فقط بالدفاع عن انفسنا»(٧).

أما أوضح مثال على مقولة «داود الصغير»، فقد ورد في خطاب السفير الاسرائيلي في لندن بعد يومين من ذلك التاريخ، وفيه أقر صراحة من جهة، بأن بلاده بدأت الحرب وبرّر من جهة أخرى هجومها. جاء تحت عنوان: «مندوب اسرائيل يقول: نحن أطلقنا النار أولاً» ما يلي:

«اعترف السفير الاسرائيلي، المستر أهارون ريميز، اعترافاً صريحاً في اجتماع لأعضاء البرلمان من جميع الأحزاب الليلة الماضية (٧ حزيران/يونيو) أن اسرائيل هي التي أطلقت الطلقة الأولى في حرب الشرق الأوسط. وقد جادل بالقول إن أمة ضئيلة الحجم جغرافياً كاسرائيل، لا بديل لها سوى أن تتصرف على هذا النحو، حين يكون الهجوم عليها وشيكاً بصورة واضحة»(٨).

ولا بد من التشديد على هذه النقاط المهمة هنا. النقطة الأولى تتعلق بالتفنيد المتأخر للزعم القائل بأن العرب ابتدأوا الحرب، كما قال اشكول. والثانية هي تكرار مقولة الدفاع عن النفس (Self-defence thesis). هذا اضافة إلى وصف اسرائيل كدولة صغيرة كان عليها أن تبادر فوراً إلى مواجهة «التهديد» المفروض عليها من قبل الأعداد الضخمة من العرب، وهو وصف يمثل طريقة ناجحة نفسانياً لإضفاء الشرعية على العدوان الاسرائيلي ضد هؤلاء العرب الذين «يعرفون» بأنهم «معتدون» أو «ينتظر» أن يكونوا كذلك. وعلى الرغم من تبريرات بدء الحرب، فإن الحجة القائلة «بالعدوان المتوقع» تظل حجة ضعيفة. لذا تابع السفير الاسرائيلي الأمر في اليوم التالي، مستخدماً مركزه كسفير، ومستغلاً ما للصفوة من نفوذ في الوصول إلى مسالك وقنوات الاتصال (Elite access)، وهو بالطبع ـ نفوذ غير مفتوح أمام الجميع ـ ليكتب للغارديان مؤكداً بأن «توقعاتهم» لها من الأدلة الفعلية ما يبررها. قالت الجريدة المذكورة:

«كتب إلينا سفير إسرائيل، أهارون ريميز عن تقرير أمس بشأن ما قاله في اجتماع النواب من جميع الأحزاب... وهو يقول إن لدى الحكومة الاسرائيلية دليلاً قاطعاً من تقارير الاستخبارات

(٧) المصدر نفسه.

(٨) *Guardian*, 8/6/1967.

والرادار على أن القوات المصرية كانت تتجمع لشن هجوم واسع النطاق. إننا نأسف إذا كان تقريرنا قد أسيء فهمه»(٩).

أما شرعية هجوم اسرائيل الإجهاضي، فقد بحثت في إطار الإبادة المتخيَّلية. فقد كتبت الغارديان تحت عنوان «الحاخام الأكبر: معركة حقيقية يجب خوضها»:

«قال الحاخام الأكبر الدكتور جاكوبو فيتز إن اسرائيل بحاجة إلى الدعم الآن، كما كانت بحاجة إليه في الماضي. وما يخيّب الآمال أن الصوت العمومي للضمير المسيحي لم يسمع عالياً في قضية تتعلق في واقع الأمر بإبادة مليونين ونصف من اليهود في أرض إسرائيل»(١٠).

وواضح هنا بشكل صارخ أن الحاخام يضرب على وتر ضمير أوروبا الجمعي بشأن محرقة الموت (Holocaust) السالفة.

ونجد في الغارديان أيضاً بعضاً من المقولات الصهيونية مثل «أسطورة جعل الصحراء تزهر». هذه المقولة واضحة في تقرير كتبه مراسل الجريدة في تل أبيب هارولد جاكسون، في ٩ حزيران/يونيو:

«إنك إذ تتجول في هذه البلاد الصغيرة جداً، إذ ترى المناطق الغنية المزروعة التي انتزعوها من إهمال دام ألفيّ سنة، إذ تتطلع إلى الأراضي المديدة للدول المجاورة، فستقتنع بأن ما تسمعه في أحاديث لا تنتهي هو أمر صحيح ـ إن الاسرائيليين سيقاتلون إلى آخر رجل للحفاظ على هذه الحرية واحترام الذات اللذين كسبا حديثاً.

ولكن نوعية الجنود الاسرائيليين هي التي كان لها التأثير الحقيقي. فقد اشترك رجال قوة الدفاع الاسرائيلية خلال عشرين سنة في ثلاثة حروب كبيرة ـ الحرب العالمية الثانية حين خدم عديدون في الجيش البريطاني، وحرب الاستقلال في ١٩٤٨، وحملة سيناء... والنتيجة هي **هيئة متينة من الضباط المحترفين وهي من بين أحسن الهيئات في العالم**». (التشديد مضاف).

هناك إلى جانب مقولة «جعل الصحراء تزهر» حجة تراقبها تتعلق «بالتفوق» الصهيوني والمعرفة التقنية في إحياء الصحراء. كررت هذا باميلا فيتون (P. Fitton) يوم ٨ حزيران/يونيو بشكل صريح وهي تتحدث عن اللاجئين الفلسطينيين:

«يجب أن تتضمن شروط التسوية بالنسبة للاجئين العرب، وقد استغلهم أشقاؤهم لمدة عشرين سنة، الإصرار على اتاحة الفرص لهم لاستيطان **الأرض العربية القاحلة وإحيائها. إن لدى اسرائيل المعرفة لتعطيها للعالم.** فليستمد العالم الآن من قوتها المعنوية و ليتعلم كيف تعاد الحياة للأرض الخراب في الشرق الأوسط» (التشديد مضاف).

إن هذه المراسلة تردد رأي بعض الصهاينة والمستشرقين بشأن «الدور» التقدمي

(٩) *Guardian*, 9/6/1967.
(١٠) المصدر نفسه.

الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الأوسط، هذا اضافة إلى تعزيزها للمقولة الخاصة «بالصحراء».

ثمة نقطة مهمة أخرى نذكرها، وهي أن أكثرية المراسلين، إن لم نقل كلهم، الذين يكتبون من اسرائيل، قد قبلوا ورددوا مصطلحات اسرائيل ومفاهيمها بشأن النزاع، وذلك بالإشارة إلى هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين بصفتهم لاجئين عَرَباً. وسيان أكانت مثل هذه المصطلحات تستعمل عمداً للتعمية على قضية الفلسطينيين كمجموعة شُرِّدت بالذات عند تأسيس دولة اسرائيل، أم كان الأمر مجرد تعميم كاسح يلجأ إليه الصحفيون في اشارتهم إلى العرب، بمثابة «المشرق» إزاء «الغرب»، فإن كلا الحالين مضلل ومرفوض كلياً. ولئن قبلنا هذا المصطلح ـ مصطلح اللاجئين العرب ـ فسنكون عندئذ ملزمين بقبول الحلول المقترحة لحل «مشكلتهم». أليس من «المألوف» و«الطبيعي» بل و«الأقل إشكالية» ان يستوعب هؤلاء اللاجئون العرب بين إخوتهم العرب الآخرين في أراضيهم الشاسعة، كما يدعو الاسرائيليون وغيرهم؟ كان هذا في الواقع هو اقتراح النائب جيمز ديفدسون (J. Davidson) من حزب الأحرار، الذي عرض فكرته في **الغارديان** [١١]، قائلاً:

«لا بد من استيعاب اللاجئين العرب سواءً في اسرائيل، أم في أراضي جيرانها **بصورة دائمة**» (التشديد مضاف).

ودعا النائب دونكان سانديز (D. Sandys)، وهو وزير محافظ سابق، إلى الحل ذاته: «يجب أن يعاد توطين اللاجئين العرب في أقطار عربية».

وخيّب الاسرائيليون ظن المستمر ديفدسون، فلم يقبلوا بالقسم الأول من اقتراحه الخاص باستيعاب اللاجئين العرب في اسرائيل، وذلك لأسباب أوضحها موشي ديان في خطاب ألقاه في نيويورك ونشرت عنه **الغارديان**[١٢].

«... لا يعتقد ديان أن عليهم استيعاب هؤلاء في اسرائيل، لأن ذلك سيحوّل إسرائيل إلى دولة يهودية عربية (ونحن نريد دولة يهودية)».

وواضح أن موقف ديان نحوهم ينسجم مع العقيدة الصهيونية بشأن دولة يهودية «خالصة» (Pure) و«مقتصرة عليها» (Exclusive). إن الصهاينة أرادوا منذ الابتداء أرض فلسطين وليس سكانها الفلسطينيون[١٣].

---

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) *Guardian*, 11/6/1967.

(١٣) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

حاولت الغارديان ، في افتتاحيتها عن اللاجئين يوم ١٣ حزيران/يونيو أن تقدم رأياً متوازناً بشأن بعض الأسباب الكامنة وراء خروجهم من فلسطين والضفة الغربية، كما قدمت بعض الحلول المقترحة:

«إن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو تكرار مأساة ١٩٤٨ ـ أن يصبح الفلسطينيون لاجئين مرةً ثانية، في خروج جديد من اسرائيل الجديدة. إن الادعاءات القائلة بأن بعضهم قد أخرج عمداً يجب أن تؤخذ بتحفظ. ولعل الحقيقة معقدة، كما كانت في ١٩٤٨. كانت السياسة الاسرائيلية، آنئذ، وقد نفذت في أغلب الأمكنة، تقضي بدعوة العرب للبقاء. ولكن بعض الجماعات المتطرفة رأت وتصرفت خلاف ذلك ـ فقتلت عرباً لكي تجعل الآخرين يفهمون القصد فيذهبون. وفي المناطق الحدودية أيضاً طُرد العرب لأسباب أمنية. ويجب بالنسبة لهؤلاء اللاجئين أن تتحمل الحكومات العربية اللوم كاملاً، كما يجب أن تتحمله بالنسبة لأولئك الذين شجعتهم على المغادرة...».

وفي مقال ينتقد طبيعة التدخلات التي تقوم بها الدول العظمى، ويعارض إلى حدٍ ما تعريفها للأحداث، نجد أن صور المستشرقين القديمة عن استبداد الأنظمة العربية وصورة العرب القروسطية لا تزال موجودة. هذا المقال كتبه ستيفن فيزنجي (S. Vizinczey) في الجريدة ذاتها يوم ١٤ حزيران/يونيو ١٩٤٧ وقال فيه:

«... إن كل واحدة من هذه الحكومات (بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) قد تابعت حتى الآن مطامحها السياسية أو الاقتصادية الخاطئة في الشرق الأوسط، فتحملت مسؤولية عمّا سفك من دماء مؤخراً أخطر من مسؤولية أي طرف من المشتركين فيه. لقد أيدت هذه الحكومات **طغاة قروسطيين ودكتاتوريين عسكريين أبقوا على ملايين العرب جياعاً وناقمين، جهلة ومتعصبين**...» (التشديد مضاف).

ومع أن هذه الأمثلة من التقارير المنشورة في الغارديان عن حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ لا تحتوي على تعريف موحد للأحداث، إلّا أنّ فيها قدراً كبيراً من الاشارة إلى تصورات المستشرقين التقليدية. وسيكون من المعقول القول إنه، وبالنظر لمقدار الحجم المخصص للأخبار في الجريدة المذكورة، فإن الاعتماد على مصادر نخبوية بارزة يسهّل بث الحجج المؤيدة والمناصرة لإسرائيل، والتي لا تعكس بالضرورة رأي هيئة التحرير المدروس. وعلى كل حال، فإنه يبقى من المحتمل أن يكون لمشاعر الصحافة البريطانية وعواطفها المتميزة لجانب اسرائيل تأثير اقوى على الرأي العام، مما قد توحي به نتائج هذه الدراسة الأمريقية؛ وذلك لكون هذه المشاعر تتسق وتنسجم مع وجهات نظر المستشرقين ووجهات النظر الانكليزية ذات الأفق الاستعلائي الضيق.

٣ ـ تغطية حرب حزيران/يونيو في الديلي اكسبرس: تقرير يختص بالكيف

عند المقارنة بين هذه الجريدة و الغارديان فيما يتعلق بتغطية الوضع قبل نشوب

الحرب والصورة التي تنقلها في الفترة نفسها، نجدها تتماهى وتتوحد صراحةً مع إسرائيل في معارضتها للعرب والاتحاد السوفياتي. وقد قامت كالجريدة الأخرى، بتغطية خطاب اللورد افون الذي هاجم فيه عبدالناصر علناً ودافع عن اسرائيل. نشرت الديلي اكسبرس تحت عنوان «افون يحذّر: لا تخلّي» فقرات من خطابه ومنها قوله: «إن اسرائيل عضو في الأمم المتحدة ولها حق الحياة. ولا يمكن تجريدها من هذا الحق - إن هذا شيء يجب ألاّ يقع»(١٤).

وتأييد اسرائيل في تغطية الديلي اكسبرس يربط بشكل جليّ «بتهديد» التوسع السوفياتي والطبيعة المتعصبة لعبد الناصر. كتب تشابمن بنشر (C. Pincher) المعلق في هذه الجريدة تحت عنوان «الجائزة الكبرى التي يسعى لها الكرملين» يقول:

«كم يستغرق الوقت لتحويل عبدالناصر إلى كاسترو آخر، عبدالناصر الذي يتخذ لنفسه من موسوليني نموذجاً حتى الآن؟ هذا هو الخطر الأكبر الذي تواجهه بريطانيا والغرب في أزمة الشرق الأوسط - وهو خطر يفوق في عظمته أية إعاقة لمرور سفن الشحن في خليج العقبة. قد يحكم عبدالناصر امبراطورية عربية بالاسم، إنما فقط كصنيعة سوفياتية. والروس هم الذين سيكونون ورثة الشرق الأوسط الحقيقيين مع قواعد عسكرية للتوسع تمتدّ من الاسكندرية إلى عدن. إن روسيا تتحدّى التفوق الغربي في البحر الأبيض المتوسط، مع عدد وافر من السفن الحربية لها حق مضمون بالعبور إلى البحر الأحمر عن طريق قنال السويس، وهو حق يمكن إنكاره على البريطانيين والأمريكيين في أي وقت»(١٥).

ونجد هذه الحجة بذاتها في افتتاحية الجريدة الصادرة في اليوم نفسه، بعنوان «تهديد تجب مواجهته».

هناك، اضافة إلى هذه الصور، إشارات إلى الإرهاب العربي، وذلك فيما يتعلق بالحرب ضد الاحتلال البريطاني المستمر في عدن (وهو موضوع مختلف ولكن فيه المحور ذاته): «لقد قتل مظلي بريطاني وجرح آخرون في معركة دامت يوماً كاملاً مع الارهابيين في ضاحية شيخ عثمان في عدن» (٢ حزيران/يونيو). وهذا تذكير موجّه إلى الحضور المادي البريطاني في الشرق الأوسط، وتعبير ملموس عن دورها الإمبريالي الاستشراقي.

قامت الديلي اكسبرس خلال أيام حرب حزيران/يونيو، ولاسيما خلال اليومين الأولين منها، بتعزيز تعاطفها (Empathy) مع إسرائيل ومماهاتها معها وهي توالي نشر أنباء الحرب. مثلا، عبرت الجريدة، في ٦ حزيران/يونيو عن روابط الغرب القوية بإسرائيل على الوجه الآتي وبعنوان: «إذا خابت اسرائيل سيكون على بريطانيا أن تعمل شيئاً»:

---

(١٤) *Daily Express*, 2/6/1967.

(١٥) المصدر نفسه.

«يدرك الوزراء والزعماء المحافظون وأعضاء البرلمان من جميع الأحزاب، أنه إذا ظهر اكتساح العرب لاسرائيل أمراً محتملاً، فسيكون تدخل بريطانيا وأمريكا بشكل ما لا مناص منه».

فضلاً عن هذا، ظهرت صورتان أخريان يوم ٧ حزيران/يونيو وهما: التفوق الاسرائيلي واستخدام النفط كسلاح سياسي بيد العرب. نشرت الجريدة فيما يتعلق بالصورة الأولى مقالاً لمراسل الاسوشيتدبرس هانز بنديكت (H. Bendict)، بعنوان «غزة: لقد قطعنا العرب كما نقطع كعكة»، جاء فيه:

«ثمة مجموعة من مغاوير جيش التحرير الفلسطيني الميت، وقد انبطحوا وراء الأسلاك الشائكة لأحد المعاقل بشكل يبعث على الضحك والبكاء معاً، وهم يحتذون أحذية الرياضة. قال ملازم اسرائيلي صغير: «انظر إلى هؤلاء المساكين ليس لديهم حتى أحذية لائقة». وحين اشتد وطيس القتال حارب الفلسطينيون العرب ببسالة وتعصب. لقد قطعناهم قطعةً قطعة، تماماً كما نقطع كعكة».

ومع الإقرار ببسالة العرب، ولو أنه جاء بالإشارة إلى التعصب (الاسلامي) ولكنه إنما جاء لتوكيد تفوق القوات الاسرائيلية.

أما بشأن النفط فقد قالت الديلي اكسبرس:

«إن قرار العرب بقطع إمدادات النفط إلى بريطانيا لم يذعر الحكومة. وقد قاوم جورج تومسون، وزير الدولة للشؤون الخارجية، الضغط الجاري من أجل مزيد من العمل نيابةً عن اسرائيل»[١٦].

وتكررت صورة العرب «كمبتزّين» وفكرة تهديد المصالح البريطانية في الشرق الأوسط في اليوم نفسه في موضوعين، عنوان الأول «النفط يبتزّ ولسون» والثاني «الضمانات بعد الهدنة». وتحت هذا العنوان الثاني قالت الجريدة: «إن مصالحنا في الشرقين الأوسط والأقصى كثيرة وواضحة». وجادلت بأن من الواجب الدفاع عن هذه المصالح بوجه التدخل السوفياتي في المنطقة. ومضت تشجّع الغرب على التدخل بجانب اسرائيل للحفاظ على مصالحه ضد الاتحاد السوفياتي وقالت: «إن الوقوف جانباً، والكرملين يفرض حله، سيكون بمثابة تنازل الغرب عن نفوذه في الشرق الأوسط إلى الأبد». ويبدو أن هناك انسجاماً مطرداً ومتسقاً في افتتاحيات هذه الجريدة ورسومها الكاريكاتورية وتغطيتها العمومية. وتكشف الفترة التي درست عن موقف متماسك: انتقاد عبدالناصر باعتباره «متعصباً» و«لا يعوّل عليه»، وكذلك وقوف الصحيفة في صفّ نجاح اسرائيل في الحرب. إن صورة عبدالناصر كشخص مريب يفتقر إلى المبادىء، وردت في رسم كاريكاتوري له، وقد جرّد من ملابسه باستثناء قطعة صغيرة من كمّه، وهو يقف ووجهه إلى الجدار. وقد وقف خلفه جنديان اسرائيليان أحدهما يضع نجمة داود

---

(١٦) *Daily Express*, 7/6/1967.

على خوذته الحربية، والآخر هو ديان بالعصبة على إحدى عينيه. يقول أحدهما للآخر: «رغم أننا لم نترك عليه إلاّ كمّه، فأراهن أنه يخفي فيه ورقة لعب ليلعب بها». لقد جاء التعبير عن عدم الأمانة (بصورة الغش في لعب الورق) في حلبة المقامرة الدولية واضحاً بشكل صارخ.

وكتب ديفيد انكلش (D. English) مقالاً وصف فيه عبد الناصر بالدجّال الخطر:

«إن عبد الناصر هو أخطر مقامر سياسي في العالم... ومع أنه دجال من عيار كبير، ولكنه غير مصاب بجنون العظمة مثل نكروما»(١٧).

وسرى هذا المحور ذاته في افتتاحية الديلي اكسبرس في اليوم ذاته، وفيه قالت الجريدة تحت عنوان «ثمن الحماقة» منتقدة عبدالناصر بأنه متعصب وخطر على المجتمع الدولي معاً.

إن التحيّز ضد عبدالناصر والعرب عموماً، اضافة إلى المماهاة والتوحد مع اسرائيل، قد جعلا من الصعب عرض قضية العرب في بريطانيا خلال فترة الحرب. من الأمثلة الجيدة على ذلك محاولة كريستوفر ميهيو أن يعرض الحجة المعاكسة. فعندما جرّب أن يقدم وجهة النظر العربية على التلفزيون كانت الديلي اكسبرس هي التي ردت بعنوان «مشاجرة بشأن أحد مؤيدي العرب» وقالت: «احتج نواب البرلمان العماليون بأسرهم أمس على ظهور مستر كريستوفر ميهيو (المؤيد للعرب) على شاشة الـ بي بي سي»(١٨).

إن تغطية الديلي اكسبرس لحرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ قد أبانت عن وضع أكثر تحزباً، وعن أسلوب أشد عاطفية نوعاً ما من وضع الغارديان. مع هذا، هناك عرض مشترك للصور المناهضة للعرب، وبعضها يرتبط مباشرةً بصور المستشرقين التقليدية التي جاء ذكرها في فصول سابقة.

ثالثاً: حرب تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣

١ ـ تحليل كمّي

غلب على التقارير الصحفية عن حرب ١٩٧٣ نشر وقائع الحرب ذاتها كما كان الامر في حرب ١٩٦٧. يتضح هذا من بروز «الحرب» كموضوع في الجدول رقم (٨ ـ ١٠)، ومن بروز «وصف وتحليل النزاع» كقضية في الجدول رقم (٨ ـ ١١).

---

(١٧) *Daily Express*, 10/6/1967.

(١٨) Michael Adams and Christopher Mayhew, *Publish It Not: The Middle East Cover Up* (London: Longman, 1975).

جدول رقم (٨ ـ ١٠)

حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣ × المواضيع × الجرائد المنتخبة

الرقم	المواضيع	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢	الحرب	٩٢	٥٥
٣	وقف إطلاق النار	١٦	٤
٦	كيسنجر	٦	٢
٧	المؤتمرات	١٠	١
٨	العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا	٥	٣
٩	العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة	١٢	٦
١٥	العلاقات بين العرب والاتحاد السوفياتي	٦	٤
٢١	العنف العربي	٤	١
٢٨	السادات	٤	٢
٣٨	اسرائيل	٩	٦
٤٠	النفط	٣٠	١٤

(ع.م.) = عدد المرات.

جدول رقم (٨ ـ ١١)

حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣ × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٧	وصف وتحليل النزاع	٤٣	١٠
١٨	اسرائيل تدّعي النجاح في النزاع	٧	١٠
١٩	العرب يدّعون النجاح في النزاع	٤	٤
٢٠	العرب يهاجمون اسرائيل	٢	٢
٢١	اسرائيل تهاجم العرب	٢	٢
٢٢	البلدان العربية تساعد في الحرب	٦	١
٢٣	معاملة العرب لأسرى الحرب	—	٢
٢٧	غير ذلك	٢٨	٢٤

(ع.م.) = عدد المرات.

والتقارير الصحفية، في هذا الصدد، والخاصة بحرب ١٩٧٣ شبيهة بسابقاتها. ويتبين من إجراء مقارنة ضمن الجدول رقم (٨ ـ ١) وبينه وبين الجدول رقم (٨ ـ

١٠) أن السادات برز، بعد نهاية عبدالناصر، باعتباره شخصية النخبة العربية: وقد أخذت تقف في وجهه بعد ذلك شخصية كيسنجر باعتباره رجل دبلوماسية المكوّك الأمريكية في المسرح الدولي. كلتا الشخصيتين ترتبط احداهما بالأخرى برباط مبادرات السلام. فبالمقارنة مع ١٩٦٧، حين ألّفت علاقات المتقاتلين بالدول الأخرى ٢٢ بالمائة من «المواضيع»، نجد أن علاقاتهم في ١٩٧٣ «بالدول الكبرى» وبريطانيا تؤلف ١٢ بالمائة فقط من «المواضيع الرئيسية»، ولكن هذا يضع الشرق الأوسط مرة أخرى في موضع الاعتماد على الغير (الجدول رقم (٨ ـ ١)). واختلف كذلك ظهور «النفط» كموضوع بعقد اجتماع أوبك سنة ١٩٧٣، فارتفعت نسبة «النفط» الى ١٥ بالمائة من البنود الاخبارية في الجدول رقم (٨ ـ ١) إزاء ٦,٣ بالمائة في ١٩٦٧.

يشير الجدولان رقم (٨ ـ ١١) ورقم (٨ ـ ٣) الى أن موضوع «الحرب» قد عولج بشكل غالب، كما في ١٩٦٧، في إطار وصف الحرب ذاتها وتحليلها: مع الادعاءات المتقابلة، مرة أخرى، عن النجاح العسكري كما انعكس في التقارير الاخبارية. ومرةً أخرى كانت الادعاءات الاسرائيلية رغم نجاح القوات العسكرية العربية في ١٩٧٣، هي التي حققت ظهوراً أكبر. يوضح الجدول رقم (٨ ـ ١٢) انعكاس هذه الادعاءات المتقابلة كذلك كمحاور ضمن المقالات. كما يبيّن بروز قدرة النشاط العسكري العربي وكفاءته كمحور ظاهر، ولعل ذلك كرد فعل للقالب الذهني السابق عن عدم اقتدار العرب. ظهرت في الوقت ذاته إشارة الى القالب الذهني الخاص بإطراء اسرائيل على أنها لا تقهر، وكان ذلك في ظهورها كمحور ضمن التقارير الاخبارية.

يشير الجدول رقم (٨ ـ ١٢) كذلك الى المقالات الصحفية عن دور بريطانيا سعياً للتأثير في الأحداث، إذ تعكس «المحاور» الخاصة بالضغط العسكري البريطاني على كل من اسرائيل والعرب المشتركين في الحرب، محاولات المملكة المتحدة لممارسة السلطة من خلال مركزيتها كمورّد رئيسي للسلاح. وتبرز المعونة العسكرية كذلك في إطار تزويدها لاسرائيل من امريكا وللعرب من الاتحاد السوفياتي. ويتعزز مرة أخرى اقتراب اسرائيل من الكتلة الغربية من خلال الادراك للمصالح الاقتصادية/العسكرية الحقيقية للكتلة الغربية في الشرق الاوسط. ومركزية اسرائيل في كل هذا قد تتعزز من خلال تحديد التهديدات العربية للمصالح البريطانية والغربية. إن ما في الجدول رقم (٨ ـ ١٢) من ظهور نسبي لوحدة العرب والمساعدة من البلدان العربية غير المشتركة مباشرة في القتال، ظهورهما «كمحورين» تحت «موضوع» الحرب، لا يمكن إلا أن يؤديا الى تصوّر مستقطب للأوضاع السياسية في المنطقة.

وكانت الهدنة كذلك، كما يشير الجدول رقم (٨ ـ ٢)، «موضوعاً» ظاهراً جداً

جدول رقم (٨ ـ ١٢)
حرب تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣ × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٠	اسرائيل تدّعي النجاح في النزاع	٢٥	١٢
٢١	العرب يدّعون النجاح في النزاع	١٨	١١
٤٥٧	قدرة العرب وكفاءتهم في الحرب	١٤	٣
٤٤٧	تفوق إسرائيل وتعنّتها وعنجهيتها	١٠	٣
٤٣١	مسائل عامة	١١	١١
٤٥٨	اسرائيل لا تقهر	٨	٣
٧١	الضغط العسكري/ بريطانيا ـ اسرائيل	٧	٣
١٠٥	الضغط العسكري/ بريطانيا ـ العرب	٧	٣
٤٤٣	الوحدة العربية	٧	١
٣٠	وقف اطلاق النار	٦	١
٢٣٩	السادات	٥	١
١٩	وصف وتحليل النزاع	٤	١
٤٥٦	التوسع الاسرائيلي/ الأمن	٤	ــ
٢٤	البلدان العربية تساعد في الحرب	٣	٣
٢٨٤	موشي ديان	٣	١
٣٤٠	النفط	٣	ــ
٤٣٢	السويس	ــ	٤
٤٤٢	حرب الدعاية الاسرائيلية	٣	ــ
٧٦	الولايات المتحدة واسرائيل ـ مساعدة عسكرية	٤	٣
١٢٨	الاتحاد السوفياتي والعرب ـ مساعدة عسكرية	٢	٤

(ع.م.) = عدد المرات.

في بحث حرب ١٩٧٣ كما كان الأمر في ١٩٦٧، مما يعكس اهتماماً إنسانياً ونفعياً معاً في إقرار السلم في المنطقة. يؤيد الجدول رقم (٨ ـ ١٣) هذا الرأي بإشارته الى أن الاخبار ضمن موضوع «الهدنة» كانت تنشر بصورة غالبة في إطار سعي «الدول الكبرى» لإنهاء النزاع.

جدول رقم (٨ ـ ١٣)
وقف إطلاق النار (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣)
× القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٨	الدول الكبرى تطلب وقف إطلاق النار	٩	٤
٢٩	العرب يطلبون وقف اطلاق النار	١	ـ
٣٠	اسرائيل تقبل وقف اطلاق النار	٢	ـ
٣١	اسرائيل تنقض وقف اطلاق النار	ـ	ـ
٣٢	العرب ينقضون وقف اطلاق النار	١	ـ
٣٥	غير ذلك	٣	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

أما الجدول رقم (٨ ـ ١٤) فيعكس منظوراً غربياً فيما يتعلق «بموضوع» مختلف، ألا وهو «النفط». فالفترة الزمنية للعيّنة هنا، كما ذكرنا، لا تغطي حرب ١٩٧٣ فحسب بل ما تلاها من عمل منظمة أوبك كذلك.

جدول رقم (٨ ـ ١٤)
النفط (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣) × القضايا ×الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٣٠١	العرب «كمبتزّين»	٥	٥
٣٠٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط	٦	١
٣٠٣	اجتماعات أوبك وأسعار النفط	٤	ـ
٣٠٤	النفط كسلاح سياسي بيد العرب	٩	٤
٣٠٥	مصالح الغرب النفطية	٢	٣
٣٠٧	النزاع بين البلدان العربية «المتعقلة» و«غير المتعقلة»	ـ	١
١٠٩	غير ذلك	٤	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

يشير هذا الجدول الى أن كلاً من الغارديان والديلي اكسبرس قد نظرت في ١٩٧٣ الى قضية «النفط» بدرجة أساسية في إطار كونه سلاحاً سياسياً بيد العرب،

وكون العرب يبتزون الغرب بواسطة هذه القوة النفطية. وتبرز مصالح الغرب النفطية كذلك بروزاً جلياً «كقضية» في هذه التغطية الاخبارية. وكما يشير الجدول رقم (٨ ـ ١٥) تظهر هذه الشؤون كذلك «كمحاور» ضمن المقالات، بشكلٍ يبرز أمر المصالح الغربية، وتهديد العرب لها في بحث «أزمة النفط».

جدول رقم (٨ ـ ١٥)
النفط (تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الفارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١١٥	الضغط الاقتصادي ـ الامريكي ـ العربي	٣	١
٣٤٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط في الغرب	٥	٦
٣٤٣	اجتماعات أوبك وأسعار النفط	٤	—
٣٤٤	النفط كسلاح سياسي بيد العرب	١٢	٦
٣٤٥	مصالح الغرب النفطية	١٣	٣
٥٣	كيسنجر	٢	١
١٣٧	تهديد الاستثمارات الغربية	٢	٢
٢٣٩	السادات	٢	—
٣٤١	العرب/ابتزازيون	٢	—
٤١٨	الشاه كمحطٍ لمصالح الغرب	٢	—
٤٣١	مسائل عامة	٢	١
٤٣٩	اهتمام صريح بالمصالح المكتسبة	٢	—
٤٤٠	تهديد للمصالح البريطانية	٢	٢

(ع.م.) = عدد المرات.

كذلك من الواضح أن اسرائيل نفسها قد برزت، تماماً كما برزت في ١٩٦٧، كقضية مهمة.

جدول رقم (٨ ـ ١٦)
اسرائيل (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الفارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٨٦	إسرائيل كدولة صغيرة باسلة تقاتل لبقائها	٢	٢
٢٩٠	اسرائيل كاستراتيجية حيوية للغرب	٢	—
٢٩١	غير ذلك	٥	٤

(ع.م.) = عدد المرات.

كـذلك تـظهر صـورة اسرائيل كـدولة بـاسلة تقـاتـل من أجـل بقـائهـا وذلـك «كقضية»، ولكن ليس بالغلبة التي كانت لها في ١٩٦٧. ولعل الصـورة الحسنة كليـاً لاسرائيل أخذت بالتآكل بفعل الأحداث. ويشير الجدول (٨ ـ ١٧) الى أن العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا تتجه بالتأكيد الى تأييد اسرائيل، ولو أن هذا التـأييد الآن يبـدو كذلك وكأنه يستخدم كأساس لمباشرة ضغط عليها. ولكن، إذا أصبح تطابق المصالح البـريطانيـة والاسرائيلية أقـل ضمانـاً، فإن التقـارير عن حـرب ١٩٧٣ التي تركـز على العـلاقات بـين اسرائيل والـولايات المتحـدة تبين تـأكيداً مستمـراً للتأييـد العسكـري لإسرائيل. (انظر الجدول (٨ ـ ١٧)).

جدول رقم (٨ ـ ١٧)
العلاقات الاسرائيلية ـ الغربية
(تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣) × القضايا × الجرائد المنتخبة

العلاقات الدولية	الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
العلاقات الاسرائيلية ـ البريطانية (أ)	٥٩	مساعدة عسكرية (أسلحة)	٢	١
	٦٢	تأييد سياسي	ـ	١
	٦٥	ضغط سياسي	ـ	١
العلاقات الاسرائيلية ـ الامريكية (ب)	٦٧	مساعدة عسكرية	٧	١
	٦٨	تأييد عسكري	١	٥
	٦٩	مصالح اقتصادية	١	ـ
	٧٠	تأييد سياسي	٣	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

يشير الجدول (٨ ـ ١٨)، في بحث العلاقات العربية ـ السوفياتية، الى استمرار الصلة الوثيقة بين الوطن العربي والتأييد السوفياتي.

وهكذا نجد، عند إجمال بيانات تحليل المضمون عن حـرب ١٩٧٣، أن صورة الأحداث جاءت، كما كان الحال تماماً في ١٩٦٧، في إطار أهميتها لبريطانيا وللغـرب. أما مماهـاة بريـطانيا مـع القضية الاسرائيليـة فقد اتضحت عـلى شتى المستويـات، من خلال تركيب الأنبـاء وصناعتهـا. كما أن الاطـار التاريخي لخلق دولـة اسرائيل ونتـائج

جدول رقم (٨ ـ ١٨)
العلاقات العربية ـ السوفياتية (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣) ×
القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١١٣	مساعدة عسكرية	٢	٣
١١٦	تأييد سياسي	٢	—
١١٩	ضغط سياسي	١	١
١٢٠	غير ذلك	١	—

(ع.م.) = عدد المرات.

ذلك على سكان فلسطين، فقد اختفى بحثها وافسح المجال بدلاً من ذلك لبحث الأحداث الجارية، فيما يتعلق بالمصالح الأساسية لبريطانيا والغرب.

٢ ـ تغطية حرب تشرين الاول/اكتوبر في الغارديان والديلي اكسبرس: تقرير يختص بالكيف

تنطوي المقالات الصحفية عن حرب تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، بصورة ظاهرة جداً، على الطريقة التي انتقلت بها التوقعات بشأن كفاءة المتقاتلين الى هذه المقالات من نزاع سنة ١٩٦٧. وليس من غير المعتاد بالنسبة للصحفيين أن يبتغوا تأويل الأحداث الجديدة ضمن إطار أخبار قائم أصلاً(١٩). وقد أثبتت احداث ١٩٦٧، في هذا الصدد، أنها وسيلة غير وافية لهيكلة تطور نزاع ١٩٧٣: لا سيما فيما يتعلق بانجازات القوات العربية. وبعد ان شددت الصحافة على تفوق القوات الاسرائيلية في ١٩٦٧، فإن الأمر استغرق لديها بعض الوقت حتى تحيط بالنجاح غير المتوقع للقوات العربية في ١٩٧٣ في عبورها خط بارليف الحصين.

كتب مراسل الغارديان في تل أبيب، اريك سلفر (E. Silver)، في الايام الأولى من الحرب يقول:

(١٩) J.D. Halloran, P. Elliott and G. Murdock, *Demonstrations and Communication: A Case Study* (Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1970).

«رغم أن الناس قلقون بلا شك على سلامة أقربائهم، ليس هناك شيء مطلقاً من ذلك الفزع الذي تميزت به بداية حرب ١٩٦٧. إن الاسرائيليين واثقون في هذه المرة من أنهم سينتصرون»(٢٠).

وعلى النسق ذاته، أبدت الديلي اكسبرس في اليوم نفسه رأياً مشابهاً عن كفاءة القوات الاسرائيلية بعد انتصارها في ١٩٦٧. كتب تشابمن بنشر يقول:

«لقد قال لي القادة العسكريون ورؤساء الاستخبارات مراراً وتكراراً انه في حالة اضطرارهم لتعبئة كاملة لحرب أخرى، فانهم لن يتوقفوا هذه المرة قبل وصولهم القاهرة ودمشق»(٢١).

وورد دعم لهذا الرأي في العدد ذاته من هذه الجريدة في عمودها المعنون «الرأي»، حيث قالت:

«بالطبع قد يهزم المصريون والسوريون في ساحة القتال مرة أخرى، كما هزموا مراراً في الماضي، ولكنْ سيبقى تهديد الوجود الإسرائيلي موجوداً... أما إذا أصبحت المعركة معركة حياة أو موت، فسيذهب الاسرائيليون الى القاهرة ودمشق. بل إنهم قد يقومون بهجمات يشنها المغاوير على طرابلس عاصمة القذافي ذاتها، وعلى آبار نفطه التي يتبجح بها». (التشديد مضاف).

وهكذا جرى منذ اندلاع الحرب، افتراض التفوق الاسرائيلي مع ما يرافق ذلك من افتراض عدم كفاءة العرب.

بيد أنه ما ان قاتلت الجيوش العربية باقتدار لم يكن بالحسبان، حتى فاجأ ذلك الاسرائيليين أنفسهم أولاً، ومن ثم الصحفيين الذين كان عليهم أن يقرّوا بذلك مع تكشّف الأحداث. يعبّر عن هذا ما جاء في تقرير انتوني مكدورمت (A. McDermatt) الى الغارديان من بيروت:

«بصرف النظر عن النتيجة النهائية للحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة، فإن أداء القوات المصرية والسورية قد رفع كثيراً من معنويات العرب. وينظر المراقبون نظرة احترام لمستوى التخطيط والتنسيق بين مصر وسوريا، ولضبط النفس الذي لم يكن يتميز به العرب سابقاً»(٢٢).

وقد أبان الاسرائيليون انفسهم عن استغرابهم من قدرة العرب القتالية غير المتوقعة. قالت الغارديان:

«يبدو واضحاً أن الاسرائيليين لن يسمحوا للصحفيين الاجانب بزيارة الجبهة حتى ينتهي القتال. وبالنظر لما نلمسه من لهجة العسكريين، فإن الحرب في هذه الجبهة قد لا تكسب بالسهولة التي كانوا يتوقعونها»(٢٣). (التشديد مضاف).

وأشارت هذه الجريدة مرة أخرى، في افتتاحية العدد نفسه، الى تفوق اسرائيل

---

(٢٠) *Guardian*, 8/10/1973.
(٢١) المصدر نفسه.
(٢٢) *Guardian*, 10/10/1973.
(٢٣) المصدر نفسه.

التقني والتعليمي، مع إقرارها أيضاً بالقوة العددية والمصادر المادية للبلدان العربية فقالت:

«بوسع العرب أن ينظروا نظرة أبعد مدى من اسرائيل. ثمة سياسات مشتركة كانت موجودة في وادي النيل ووادي الفرات قبل موسى بألفي سنة. إن العرب يزيدون على الاسرائيليين بالعدد كثيراً، وإن كان هؤلاء متقدمين بالتعليم والتكنولوجيا. والمصادر الطبيعية في الأقطار العربية هي مصادر ضخمة، بما فيها النفط. ولكن اسرائيل أثبتت أنها قادرة على البقاء وأنها ستبقى».

كانت كفاءة العرب في القتال، حتى وإن نظر اليها على أساس التفوق العددي، محوراً سائداً في الغارديان وهو تحوّل عما كان الأمر عليه في نزاع ١٩٦٧، مما اضطر الجريدة ومراسليها على الاقرار بإمكانية نجاح العرب بل وبجبروتهم العسكري. إن ما ورد في تقرير اريك سلفر الى الغارديان من تل ابيب في ١١ تشرين الاول/اكتوبر لهو مثل حسن عما أدّت اليه الكفاءة العربية من تبديد للصورة التي كانت في ذهن هذا المراسل، ومركزه في اسرائيل، عن القوات العربية والاسرائيلية. فتحت عنوان: «الحرب غيّرت التوازن النفساني في الشرق الأوسط: العرب يبددون أسطورة إسرائيل» ذكر سلفر ما يلي:

«وأخيراً تم تقويم النصر والهزيمة، فالحرب الاسرائيلية ـ العربية الرابعة قد قلبت التوازن النفساني في الشرق الأوسط بشكل لا مردّ له. إن الواقع الذي أكد الأسطورة لمدة ربع قرن لم يعد يؤكدها بعد الآن. وأخيراً فلم يُعد ينظر الى اسرائيل كدولة لا تقهر. إن العرب على كلتا الجبهتين المصرية والسورية يقاتلون كما يقاتل الجنود (كذا). إنهم منضبطون، ذوو روحية قتالية ويقودهم ضباطهم بذكاء. ليس هناك من أثر لدبابات متروكة هذه المرة، ولا لأحذية متناثرة تركها وراءهم فلاحون هاربون» (التشديد مضاف).

لم يكن الكثير من الاستغراب من الأداء الجديد للقوات العربية ناشئاً عن أن العرب قد قاتلوا بشجاعة وكفاءة فحسب، بل كان ناشئاً، كما قال إدوارد سعيد(٢٤) عن أنهم لم يُفترض فيهم أن يقاتلوا على الاطلاق. إن شيئاً من هذا موجود في المقتبس أعلاه، كما أنه ورد في تقرير بيتر نيزواند(٢٥) (P. Niesewand) في الغارديان:

«لقد تعلمت اسرائيل درساً قاسياً. إن العرب الذين خلعوا أحذيتهم وهربوا في حرب الأيام الستة في ١٩٦٧ ليسوا هم الرجال الذين كانوا على رأس القتال في يوم كيبور(٢٦). لقد دفعت الأمة اليهودية ثمناً باهظاً عن ثقتها المفرطة وعدم استعدادها».

---

(٢٤) Edward Said, «Shattered Myths,» in: Nasser H. Aruri, ed., *Middle East Crucible: Studies on the Arab - Israeli War of October 1973*, AAUG Monograph Series, no. 6 (Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975).

(٢٥) *Guardian*, 12/10/1973.

(٢٦) يستعمل هذا المراسل المصطلح الاسرائيلي عند اشارته الى هذه الحرب، حتى وهو يواجه هزيمة محتملة للقوات الاسرائيلية واعادة تقويم للصور العربية.

إن الاشـارة الى خلع الجنود العـرب أحذيتهم، وتـركها وراءهم في الصحـراء، هي حكـاية مشكـوك بها تـاريخياً. ففي رسـالة الى الغـارديان بقلم مـاريـون ولفسـون (M. Woolfson) ورد هذا التحدي لصدقها:

«في زيارة قمت بها مؤخراً الى سوريا، كنت أتحدث مع بعض الأصدقاء السـوريـين عن حرب الأيام الستة، فأخبروني أن القوات الاسرائيلية قد أجبرت بعض الجنود العرب تحت التهـديد بـاطلاق النار عليهم بأن يخلعوا أحذيتهم، ثم أطلقـوا سراحهم بدلاً من أسرهم. وحين كنت في مصر قبـل سنتين، أخبرني أحد ضباط الجيش المصري بالقصة نفسها. قال: (هل يعقل أن يمشي أي عربي حافياً بـإرادته عـبر رمال الصحـراء المحرقـة في حزيـران/يونيـو؟) لقد صـدّق الجمهور في الغـرب الـروايـة الاسرائيليـة في ذلك الـوقت، أما الآن وقـد أثيرت المسـألة مـرة أخرى، فـأظن أن الـوقت قـد حـان لتصحيح الامر إنصافاً لأولئك الرجال الذين أجبروا على السير حفاة على تلك الرمـال الحارقـة والذين أصيبـوا بأفـظع أنواع الحـروق. لقد مـات بعضهم من جراء جـروحهم، وكان لا بـد من بـتر أقـدام البعض الآخر»[٢٧].

إن الـطريقة التي قـاتلت بها القـوات العربيـة في ١٩٧٣ قـد غـيرت فيـها يبـدو صـورتهم عن أنفسهم (ولعـل هـذا يعكس نجـاح اسرائيـل السـابق في المعـركـة الايديولوجية، وكيف كان نجاحاً سريع الزوال). مثل هـذا التغيّر كـان محوراً لمقـالين كتبهما ديفيد هيرست (D. Hirst)، مراسل الغارديان في الشرق الأوسط في ١٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣ نشرت له الجريدة ما يلي:

«لقد حدث تغيّر جوهري في العلاقات بين العرب والاسرائيليين. فالكبرياء الاسرائيلية قد هبطت في عيون العرب هبوطاً كبيراً. ولن يتمكن أي جنرال اسرائيلي أن يقول مع الجنرال شـارون في الشهر المـاضي: (أظن، لا يوجـد أي هدف عسكـري أو مدني بـين بغداد والخرطوم، بمـا في ذلـك الارض الليبية، لا يتمكن الجيش الاسرائيلي من اقتحامه). والعرب يقولون إذا رفضت اسرائيل السـلام هذه المرة، فليتأكدوا أن العرب سيبزون في الجولة الخامسة ما فعلوه في هذه الجولة».

ثم يمضي المراسل ليفسر كيف بددت الحرب شيئـاً من صورة الصهيـونية التي لا تقهر:

«إن إسرائيل لم تعد أصلاً بالنسبة للعرب ذلك التهديد الذي كانت عليه. والمـراقبون للشؤون العربية ـ الاسرائيلية مقتنعون بأن الصهيونيـة قد أصيبت بضربـة خطيرة جداً، من النواحي النفسيـة والاقتصادية والعقائدية. ولا شك أن ما سيراقبونه بعد انتهاء القتال هو الدليل على ما يـلي: إذا كانت الصهيونية قد بلغت ذروتها في ١٩٦٧ ، فإنها قد بدأت انحدارها في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣».

ونشرت الجـريدة في اليـوم ذاته، مقـالاً رئيسياً لهـيرست عن معنويـات العـرب العالية، والثقة التي يتمتعون بها كنتيجة للحرب:

«كان كل من القنال وخط بارليف رمزاً للفكرة القائلة بأن إسرائيل لا تقهر. وقـد أدى تبديـد

---

(٢٧) *Guardian*, 15/10/1973.

هذه الأسطورة الى تغيّر نفساني عند العرب، والذي لا يحتاج الى مزيد من التأكيد، بصرف النظر عن نتيجة الحرب. ثم ان الطريقة التي تم بها العبور قد اضافت الى ثقة العرب بأنفسهم. ولم يكن الأداء الجديد بالاكبار الذي قامت به جيوش العرب هو وحده الذي ترك أثره في معنوياتهم، بل تركت الدعاية العربية المحسنة أثرها فيهم ايضا. وعلى عكسها، كانت الدعاية الاسرائيلية ذات نتائج مضادة، كما أن جهودها لتقويض المعنويات العربية غالباً ما كانت جهوداً غير واقعية...».

وهكذا نجد جريدة الغارديان تنشر، بصرف النظر عن مصالح بريطانيا النفطية أو السياسية، ما ورد عن نجاح القوات العربية، وتبحث ما ينطوي عليه بالنسبة لما سيكون عليه تصور اسرائيل في الشرق الاوسط والامكنة الاخرى. إن نظرة المستشرقين التقليدية عن عجز العرب في التنظيم قد تجاوزتها الأحداث سريعاً فيما يتعلق بخصوصيات العلاقات العربية ـ الاسرائيلية، الأمر الذي أدّى الى إعادة نظر في نشر الأخبار.

وبينما كرست الغارديان قسماً من تغطيتها عن الحرب الى الأداء القتالي المتحسّن الذي أظهرته القوات العربية، فقد كانت الديلي اكسبرس أقل استعداداً فيما يبدو لتسجيل هذا التغيير الذي حصل في التوقعات وأكثر ميلاً لتقديم تغطية وصفية. هناك في صفحاتها تغطية وافية عن النفط كسلاح سياسي بيد العرب. كانت هذه الجريدة تميل منذ بداية الحرب الى التركيز على «التهديد» الكامن في قوة العرب النفطية. ففي ٥ تشرين الاول/اكتوبر نشرت لمراسلها في واشنطن، روس مارك (R. Mark)، تحت عنوان: «العرب يهددون بالنفط» قوله «إن الملك فيصل، ملك السعودية الغنية نفطياً، حذر الرئيس نيكسون برقياً بأن هذا القتال سيؤدي الى حرب عالمية ثالثة إذا لم تردع الولايات المتحدة اسرائيل».

أما في عمود «الرأي» فقد حذرت الجريدة قائلةً:

«إن الرؤساء العرب مقتنعون بأن النفط هو الورقة الرابحة في لعبة القوة هذه. ولكن النفط يشعل، وهم يمكن أن يجدوا أنفسهم يلعبون بالنار».

وقد ردد تشابمن بنشر هذا التهديد بسلاح النفط على صفحات الديلي اكسبرس[٢٨] فقال:

«إن العرب سيلومون التفوق التقني للأسلحة الأمريكية، إذا هزمهم الاسرائيليون هزيمة منكرة. وسيحثون الدول العربية الأخرى على أن تثار من الولايات المتحدة بمنع إمدادات النفط عنها، وهذا شيء يمكن أن يؤثر تأثيراً خطيراً على بريطانيا وأوروبا في هذا الشتاء».

إن محور النفط سرى في هذه الجريدة من ١٥ الى ٢٠ تشرين الاول/اكتوبر،

---

(٢٨) *Daily Express*, 10/10/1973.

وهي تكرس له أحياناً مكاناً في الافتتاحيات وفي حقول الأنباء. قال آرثر تشسوورث (A. Chesworth)، تحت عنوان «العرب يخططون لحرب نفطية»، في عدد الجريدة بتاريخ ١٥ منه: «إن العرب يستعدون لتعبئة ما يمكن أن يكون أشد أسلحتهم فعاليةً ضد إسرائيل ـ النفط».

وفي اليوم التالي، قالت الجريدة في عمود «الرأي» بصورة لاذعة نوعاً ما:

«شيء واحد لا يستطيع العرب أن يفعلوه بالنفط وهو أن يشربوه. إن عليهم بيعه الى الغرب، وإلا فلا يستطيعون بيعه لأحدٍ على الاطلاق».

وقد غطت الغارديان محور النفط تغطية شاملة منذ بداية الحرب حتى نهايتها، وذلك بصفته سلاحاً سياسياً بيد العرب. كتبت في ٨ تشرين الاول/اكتوبر تحت عنوان «تهديد جديد يحف بامدادات النفط» تقول:

«لقد دعت حتى الاقطار المعتدلة الانتاج، في الشهور الأخيرة، الى استخدام النفط كسلاح سياسي لفرض تحوّل في السياسة الامريكية إزاء اسرائيل».

وفي الحادي عشر (١١) من الشهر نفسه، افصحت الصحيفة نفسها عن ما ينبغي أن يتخوف منه الغرب من استخدام العرب للنفط كسلاح سياسي، بعنوانها الذي قال «مخاوف الغرب النفطية الجديدة». وفي ١٥ من الشهر نفسه كتبت تقول:

«يجتمع وزراء النفط من جميع الدول العربية في الكويت غداً لبحث استخدام النفط كسلاح مباشر في نزاع الشرق الاوسط. وكانت الكويت تصر منذ امد طويل على ان حصاراً على إمدادات النفط للأقطار المؤيدة لاسرائيل هو مفتاح العمل الفعال».

كانت التقارير الصحفية عن حرب ١٩٧٣ مهمة فيما يبدو في نطاق الطريقة التي تحدت بها القوالب الذهنية عن التفوق الاسرائيلي وعدم الاقتدار العربي. إنها كذلك أفهمت بريطانيا أن النزاعات العربية ـ الاسرائيلية ذات أثر على المصالح البريطانية ليس فقط على مستوى النفوذ الدولي بشكله المجرد أو على قيمة أسهم الشركات. فبالنفط يطال العرب دفء «القارىء الاعتيادي» وجيبه وحركته أكثر مما يفعل تبادل الأراضي في الضفة الغربية. عكست التغطية هذا، وباجتماع أوبك في كانون الاول/ديسمبر برزت السياسات العربية مرة اخرى امام القارىء البريطاني.

٣ ـ تغطية اجتماع أوبك المنعقد في كانون الاول/ديسمبر، ١٩٧٣: تقرير يخص بالكيف

مع ما يقال من أن حرب تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣ كانت نقطة تحول في تاريخ العرب الحديث فيما يتعلق بالنتائج العسكرية والسياسية والنفسية البعيدة المدى،

مما قلب سجل ١٩٦٧ رأساً على عقب، فإنه لا يمكن تحليلها كلياً بدون الاشارة الى «قضية النفط». لقد تحولت القوة الاقتصادية، وكان المستغلون الغربيون لمصادرها الطبيعية يقللون من اهميتها حتى ذلك الحين، الى أداة للضغط السياسي، لغرض تثبيت الحقوق العربية. وقد اتخذ قرار الاقطار العربية المنتجة للنفط باستخدام النفط كوسيلة للضغط لا بدافع «الابتزاز» المتعمّد بل بكثير من الأسى والقنوط. لقد كان رد فعل عقلانياً لفشل المجتمع الدولي في حل نزاع خطير جداً، وفشله بخاصة في تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٦٧. وقد نص هذا القرار على انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب ١٩٧٣، وعلى ضمان سلامة الأراضي لكل دول المنطقة واستقلالها السياسي، وعلى تسوية قضية الفلسطينيين. وفي ضوء هذه الاحداث انعقد اجتماع وزراء النفط العرب في الكويت في ٢٤ و٢٥ كانون الاول/ديسمبر. وقرروا رفع مستوى انتاجهم من النفط بنسبة ١٠ بالمائة اعتباراً من ١ كانون الثاني/يناير ١٩٧٤، وبذلك يقللون من مجموع التخفيض في صادرات النفط العربية من نسبتها البالغة ٢٥ بالمائة في كانون الاول/ديسمبر الى ١٥ بالمائة. وتقرّر كذلك في هذا الاجتماع زيادة إمدادات النفط لأقطار «صديقة» معينة، ضمنها بريطانيا. وكانت هولندا والولايات المتحدة الامريكية القطرين الرئيسيين المتأثرين بهذه المعاملة التفضيلية وبالمقاطعة، بسبب موقفهما المؤيد لاسرائيل.

ومع أن بريطانيا كانت من ضمن الدول «الصديقة» التي لم تتأثر مباشرة بقرار المؤتمر، اتهمت كل من الغارديان والديلي اكسبرس العرب بأنهم «مبتزون» وأنهم كذلك مسؤولون عن أزمة النفط في الغرب. كتبت الغارديان تعليقاً على اجتماع الاويك مقالاً بعنوان: «سعر النفط عبء مضاعف على الجنيه الاسترليني»، قالت فيه:

«ان بريطانيا تواجه عبئاً ثقيلاً اضافياً بمبلغ ١٢٠٠ مليون جنيه استرليني على ميزان مدفوعاتها كنتيجة لقرار الأمس للدول المنتجة للنفط باكثر من مضاعفة اسعار النفط».

وقد اقتبست الغارديان في مقالها الافتتاحي هذا فقرات من بيان أويك. ولكنها حين ناقشته أوحت بأن المصالح الخسيسة ربما كانت قد طغت على الدافع السياسي الأصلي:

«يزعم البيان كذلك بأن الأهداف الحقيقية، للاجراءات النفطية هي جذب الانظار الى (الظلم الذي وقع على الأمة العربية) في نزاعها مع اسرائيل. بيد أن العرب وغيرهم من منتجي النفط قد أخذوا، وهم يستخدمون بنجاح سلاح النفط لأغراض سياسية، بتحقيق القوة التجارية الكاملة لسلاحهم هذا. وذلك هو الآن ما يهمهم بالدرجة الأولى»(٢٩).

---

(٢٩) *Guardian*, 27/12/1973.

وبينما كانت تغطية الديلي اكسبرس «لأزمة النفط» أقل من تغطية الغارديان، فقد أتاحت كلتاهما للقراء أن ينظروا الى الأحداث في ضوء المسؤولية العربية عن نتائج الأحداث التي ترتبت في الغرب. وكانت الجريدتان على حق بالمعنى الآني الضيق، ولكن طبيعة الاستعلاء العرقي الذي يعتري عملية تركيبهما وصناعتهما العامة للأنباء الواردة من الشرق الأوسط، قد ولدت عجزاً في وضع إطار واف ينظر من خلاله الى قرار أوبك. ولعل هذا يصدق بخاصة على الديلي اكسبرس لتأييدها السافر لاسرائيل، ولرفضها العنيف للتهديد الخارجي.

من الجدير بالملاحظة هنا أن اجتماع أوبك المذكور كان المؤتمر الثاني لوزراء النفط العرب الذي تغطيه عيّنة تحليلنا المركّز. كان الاجتماع الأول قد عقد في ١٧ تشرين الاول/اكتوبر بمبادرة من الكويت خلال حرب تشرين الأول/اكتوبر، وذلك للنظر في كيفية استخدام مصادرهم الاقتصادية الطبيعية. لذا فلقد كانت هناك سلسلة من التحركات لاستخدام النفط لغرض الضغط على الغرب، ولا سيما الولايات المتحدة، لاجبار اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة خلال حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧. ومع أنّه لم يُتّخذ قرار حازم في ذلك الوقت بشأن فرض الحصار، فان كلا الاجتماعين قد ذكر في الغارديان والديلي اكسبرس مع اشارات متكررة عن «الابتزاز» العربي و«التهديد» للاقتصاد الغربي.

وقد فشلت الجريدتان في تفسير الخلفية السياسية تفسيراً وافياً للقرار العربي باستخدام النفط كسلاح سياسي في حرب التحرير. واذا اردنا ان نبرر هذا الاتهام، فلنا أن نسأل بالمقارنة لماذا اذاً لا يعتبر «ابتزازاً» مقاطعة الولايات المتحدة لكوبا، أو مقاطعة المتاجرة مع الصين مثلاً لمدة عشرين سنة كإجراء اقتصادي ضد هؤلاء الخصوم الايديولوجيين والسياسيين؟ لماذا لا يعتبر «ابتزازاً» ما قامت به الولايات المتحدة سنة ١٩٤١ من تجميد جميع الموجودات اليابانية لديها، مما أوقف كلياً التجارة مع اليابان، وذلك في محاولة للتأثير سياسياً على سياسات اليابان؟ لماذا لا يعتبر «ابتزازاً» ما قامت به بريطانيا مؤخراً من استخدام الضغط الاقتصادي ضد الأرجنتين خلال صراع جنوب الاطلسي[٣٠]؟ (South Atlantic Conflict). من المناسب هنا ان نقتطف ملاحظات وليام رازبري (W. Rasberry) عن هذه القضية:

«لماذا هي (دبلوماسية) حين تستخدم الولايات المتحدة مواردها القومية كأداة للمناورة في

---

(٣٠) نظراً لما لاستخدام المصطلحات من دلالات معينة فإن الباحث لا يريد هنا ان يستخدم المصطلح الانكليزي (جزر الفوكلاند) ولا الارجنتيني (جزر الفينوس). بل آثر أن يستخدم مصطلحاً حيادياً «صراع جنوب الأطلسي».

السياسة الخارجية، وهي (ابتزاز) حين يفعل العرب الشيء ذاته؟ اننا نسمع عن الحصار النفطي العربي، وهو يوصف بالابتزاز مراراً وتكراراً وكأنه حقيقة واقعة، حتى أخذنا نقبله كحقيقة لا جدال فيها. أما حين يمنح أو يمنع القمح الامريكي أو التقنية الامريكية أو حتى القوة العسكرية الامريكية لغرض التأثير بالمواقف الدبلوماسية لأقطار اخرى، فان ذلك يبدو وكأنه أعقل شيء في الدنيا. فلماذا هذا التناقض؟»[31].

إن ظهور النفط وقرار الاوبك كبؤرة رئيسية للنقاش في حرب ١٩٧٣ يمثل جانباً واحداً من جوانب التفاعل بين الأنباء والأحداث. لقد كان من وظائف سلاح النفط، الدعاية للقضية العربية وتوجيه الاهتمام الدولي نحو الوضع الفلسطيني. وهذا تحدٍّ مقصود لموقف الحكومات الغربية المؤيد لإسرائيل بصورة جوهرية. وبهذا المعنى كان سلاح العرب اختياراً حسناً لغرض الدعاية، ولغرض التأثير السياسي المباشر. ومع أن حروب الشرق الأوسط تثير اهتمام قراء الجرائد وكذلك اهتمام المسؤولين عن الاقتصاد الوطني، ولكن تهديد امدادات النفط أجفلهم. قد ينظر التاريخ الى هذا السلاح كأداة حادة لفرض النفوذ، ولكن من غير المحتمل أن ينكر عليه أنه كان سلاحاً فعالاً. ولعل الصحافة في بريطانيا قد نشرت هذه الأحداث في إطار من الاستعلاء الانكليزي والتمركز العرقي (Anglo - Centric Framework)، ومع ذلك فان صلة النفط ذاتها ببريطانيا هي التي كانت مقصودة كأساس لاستخدامه سلاحاً. وربما لم يصبح الوطن العربي أقرب الى المودة ولكنه بالتأكيد أضحى اكثر مباشرة وأشد أهمية.

رابعاً: مبادرة السادات «السلمية» في ١٩٧٧

١ ـ تحليل كمي

لم يظهر في عيّنة التحليل المركّز لسنة ١٩٧٧ سوى موضوعين ظهرا بشكل بارز، وهما السلام والسادات، ولو أن موضوع السلام لم تجرِ تغطيته في الديلي اكسبرس إلا بالكاد. يشير الجدول (٨ ـ ١٩) الى أن القضايا التي حددت نقاش مبادرة السلام لسنة ١٩٧٧، إنما تعكس معارضة مقترحات السادات من العرب وغيرهم.

وعند النظر في «المحاور» التي استخدمت بشأن «موضوع» السلام في ١٩٧٧، يتضح بروز الشخصيات النخبوية في المقالات بروزاً كبيراً. يبلغ عدد الاشارات الى السادات وديان وبيغن ٧٧ بالمائة من المحاور تحت هذا الموضوع في الغارديان. إن

---

(٣١) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

جدول رقم (٨ ـ ١٩)
السلام (١٩٧٧) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٨	المبادرة السلمية تعتبر تخلياً عن القضية العربية	١	١
٩	المعارضة العربية لمبادرة السادات السلمية	٣	—
١١	معارضة مبادرة السادات السلمية على العموم	٤	—
١٢	إمكانية السلام بين سوريا واسرائيل	١	—
١٥	قوات حفظ السلام	١	—

(ع.م.) = عدد المرات.

الأحداث المهمة دولياً لا تختزل بالضرورة الى نفسيات الأشخاص في هذه التقارير، ولكن الشخصيات تتقمص الأحداث بطريقة عرضنا لها في محل آخر. (انظر الجدول رقم (٨ ـ ٢٠)).

جدول رقم (٨ ـ ٢٠)
السلام (١٩٧٧)× المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٠	المعارضة العربية لمبادرة السادات السلمية	١	—
١١	معارضة منظمة التحرير الفلسطينية للمبادرة	٢	—
١٢	معارضة المبادرة السلمية على العموم	١	—
١٣	إمكانية السلام بين سوريا واسرائيل	١	—
٢٣٩	السادات	٤	—
٢٤١	السادات كصانع سلام	٣	١
٢٤٢	السادات كمقامر سياسي	٢	—
٢٤٤	السادات كخائن	٢	—
٢٦٥	بيغن	٣	—
٢٦٧	بيغن كعنيد	١	—
٢٨٤	موشي ديان	١	—
٢٨٥	موشي ديان كعقلاني	١	—
٤٤٩	إمكانية التعايش بين العرب واسرائيل	—	١

(ع.م.) = عدد المرات.

إن تقمص الشخصيات لمبادرة السلام في ١٩٧٧ تصدق في الجدول رقم (٨ ـ ٢١) الذي يبحث موضوع السادات كقضية. كان هذا الموضوع بارزاً في تغطية **الديلي اكسبرس** لأحداث ١٩٧٧، ويمكن القول إنها تعكس بشكل معقول دور السادات المركزي في المبادرة. وقد شددت كلتا الجريدتين على دور السادات كصانع سلام، وأقرت بأنه قام بمغامرة سياسية كبيرة في ذهابه إلى اسرائيل، وأشارت كلتاهما إلى أحد المخاطر المحتملة، إذ نشرت عن رأي عربي يعتبر السادات خائناً. وقد نفع هذا الوصف بالطبع في تغذية وصفٍ بديل آخر للسادات باعتباره صديقاً طيباً للغرب.

جدول رقم (٨ ـ ٢١)

السادات (١٩٧٧) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢١٣	السادات كصانع سلام	١٢	٧
٢١٤	السادات كمقامر سياسي	٧	٢
٢١٥	السادات كطالب سمعة شخصية	–	–
٢١٦	السادات كخائن	٣	٣
٢١٧	السادات كأحسن أصدقاء الغرب	–	–
٢٢٠	غير ذلك	–	–

(ع.م.) = عدد المرات.

يشير تحليل «المحاور» المستخدمة في تطوير «موضوع» السادات، جدول رقم (٨ ـ ٢٢)، إلى أن المعارضة العربية لمبادرة السادات تؤلف ٥٥ بالمائة من «المحاور» في **الغارديان** و٣٥ بالمائة من «المحاور» في **الديلي اكسبرس**. وتشير مركزية هذا المحور إلى أنه لم يعد من السهل بالنسبة لقراء الجريدتين أن يكون أمامهم فئة واحدة من العرب: إذ هناك من الآن فصاعداً «عرب طيبون» و«عرب سيئون». إن العرب الطيبين قد ابتغوا تسوية سلمية مع إسرائيل، أما العرب السيئون فمن المحتمل أن يظلوا متعنّتين. كان هذا التفرع إلى قسمين شيئاً مألوفاً بصورة متزايدة في التقارير عن اجتماعات الأوبك، حيث نجد الشيخ أحمد زكي اليماني وهو يتقمص العربي العقلاني والمعقول، وهو دور تسهّله عليه ما توحي به من معنى ملابسه الافرنجية أحياناً وما لديه من نوعية حضارية، وحيث نجد ياسر عرفات، زعيم منظمة التحرير، وهو يملأ القوالب الذهنية التقليدية عن العربي الماكر، بنوع ردائه وسياساته. يمكن بهذه الطريقة للتقمص في الأخبار أن نستمد من المتغيرات الهامشية ما يعزز الصورة العامة. وكما ذكر آنفاً أمست شخصية السادات مصدراً لتركيز الأضواء كسياساته.

جدول رقم (٨ ـ ٢٢)

السادات (١٩٧٧) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحـــاور	الغارديان ع٠م٠	الاكـسبرس ع٠م٠
١	السلام	٢	ـ
٧	العرب يطالبون بتسوية سلمية	١	٢
٨	اسرائيل تطالب بتسوية سلمية	ـ	٢
٩	المبادرة السلمية كتخلٍ عن القضية العربية	٥	٤
١٠	معارضة العرب للمبادرة السلمية	١٠	١
١١	معارضة منظمة التحرير الفلسطينية للمبادرة السلمية	٤	٣
١٢	معارضة مبادرة السادات السلمية على العموم	٥	٦
٦١	مؤتمر جنيف للسلام ونزاع الشرق الأوسط	٢	١
٢٦٥	بيغن	٢	١
٢٦٧	بيغن كعنيد	٣	١
٤٤٩	إمكانية التعايش بين العرب واسرائيل	٢	٢

(ع٠م٠) = عدد المرات.

إن مـا نشر عن مبادرة السـلام في ١٩٧٧ كان مثـالاً لشكل نمـوذجي من حدث الأنباء العالمية. ففي وجود حالة أزمة، يكون هناك لقاء غير متوقع ومشحون بالعاطفـة بين زعماء قوميين لأمتـين متخاصمتـين. لهذا فليس مستغـرباً أن يجـري تحديـد الهدف بشكل ضيق جداً. مع هذا، فإن التحليل يشـير إلى أن المنطويـات السياسيـة الخاصـة بالوطن العربي قد جرى الافصاح عنها، لاسيما في الغارديان. أما ما تنطوي عليه هـذه الأحداث بالنسبة إلى بريطانيا والغرب فهي ظاهرة كذلك، كشأنها أبداً، في التقاريـر، كما قد تكون أكثر ظهوراً في التحليل الوصفي لمبادرة السادات السلمية.

٢ ـ تغطية مبادرة السادات «السلمية»: تقرير يختص بالكيف

كان الاجتماع بين السادات وبيغن، ووصول الرئيس المصري ليطأ تربة إسرائيل فيعترف بذلك بالدولة ككيان، كان كل هذا نقطة تحول كبرى في التغطيـة الاخباريـة. وتنبع أهمية هذه الزيارة من أنها تأتي من أكبر وأقوى قطر عربي، وأنها ثبتت اعترافاً من خصم رئيسي في نزاع الشرق الأوسط بعد ما يقرب من ثلاثة عقود من السنين. ومهـما تكن دوافع الزيارة، فإنها خلقت استقطاباً في الـوطن العربي وشقتـه إلى قسمين، قسم يؤيدها (السودان وعُمان ومراكش)، وقسم رد عليها بغضب متهماً السادات بأنه «عميل

للامبريالية» (سوريا والجزائر والعراق وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية). ففي سوريا، مثلاً، أعلن يوم وصول السادات إلى اسرائيل يوماً «للحداد الوطني» ونكست فيه الاعلام. وفي العراق ألغيت احتفالات عيد الأضحى، الذي صادف وقوعه مع الحدث، احتجاجاً على الزيارة. ولكن رد الفعل الأول ضدها جاء من مصر نفسها حيث قدم وزير الخارجية استقالته معلناً «أن السيادة العربية على الأرض ليست موضوع مساومة» وتُوِّجت معارضة العرب للزيارة بعقد مؤتمر في ليبيا في أوائل كانون الأول/ديسمبر، تقرر فيه إنشاء «جبهة وطنية» تضم سوريا واليمن الديمقراطية والجزائر وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية. وأعلن في هذا المؤتمر أن زيارة السادات قد أفسدت «إمكانية قيام سلام عادل ومشرّف يضمن الحقوق القومية للأمة العربية». وأنها أدّت إلى «عزل الأمة العربية عن حلفائها وأصدقائها في القارة الأفريقية... ومن كتلة عدم الانحياز والدول الاسلامية»، لصالح تحالف مع الامبريالية الغربية.

لقد استقبلت زيارة السادات بتقدير في الغارديان والديلي اكسبرس كما تبيّن النتائج. وقد ضمت العيّنة تغطية للأحداث اعتباراً من ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر أي قبل يومين من الزيارة لغاية ٢٨ منه، أي بعد أسبوع من انتهائها وضمت كذلك بعض المقالات المعينة الخاصة بالأحداث كلما أمكن ذلك. ويلاحظ أن كلتا الجريدتين أولت السادات كزعيم من الاهتمام أكثر مما أولته لعملية السلام ذاتها، وأضفت صفته الشخصية على الأحداث. فاختزلت تعقيداتها إلى حدود دوره «الشجاع». فضلاً عن أن كلتيهما بررت زيارته بأنها ضرورية لكسر «الحاجز النفسي»، على حد تعبير السادات، القائم بين اسرائيل ومصر ومعها الوطن العربي عامة؛ كما أبدت اهتماماً كبيراً بردود الفعل العربية ضد الزيارة. كتبت الغارديان في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر مقالاً عن هذه المعارضة بعنوان «رد الفعل العالمي عن الزيارة القادمة إلى القدس»، وقد كتب المقال محرر الشؤون الخارجية في الجريدة، وورد فيه أن الزيارة تهدد وحدة العرب. ولكن الجريدة امتدحت، في افتتاحيتها في اليوم ذاته، هذه المبادرة باعتبارها خطوة ايجابية نحو السلام: «رجل جريء ومقامرة جريئة». وفي اليوم ذاته أيضاً أشار اريك سلفر إلى «الحاجز النفسي» الذي ستكسره الزيارة وقال في مقال بعنوان: «لماذا يخطط السادات للإيماءة العظمى»:

«إن المسؤولين الاسرائيليين يقلّبون ما للزيارة وما عليها. وهم، من الناحية الرمزية لا يشكّون بأن زيارة يقوم بها رئيس جمهورية مصري ستكون تقدماً مشهوداً. إنها ستقوّض التحريم، فتضع بذلك نهاية لثلاثين سنة كان خلالها الزعماء العرب يشيرون إلى اسرائيل لا باسمها بل بجملة «الكيان الصهيوني» أو «السلطات في تل أبيب»، ويتركون قاعات الاجتماعات كلما اعتلى مندوب اسرائيلي منصة محفل دولي»[٣٢].

(٣٢) Guardian, 17/11/1977.

أما الديلي اكسبرس فلم تعلق على الزيارة في ذلك اليوم، ولكنها أبدت اهتمامها بها في اليوم التالي، لتبين كيف أن هذه الزيارة التي تأتي من سياسي مهذب (جنتلمان) ستكسر حاجز الخوف وعدم الثقة النفسي القائم بين إسرائيل والعرب:

«صحيح ان الزيارة لن تحل عدداً من المشاكل التي تسمّم العرب واليهود في الشرق الأوسط. إنها مشاكل عميقة، وصعبة، ومأساوية في طبيعتها. ولكن وكما قال تشرتشل مرة، (وهو قول يستشهد به كثيراً ولكنه يقدّر الآن): (إن ثرثرة الكلام خير من مجزرة الحرب). إن أحد العوامل في الوضع هو أن الاسرائيليين والعرب لا يثقون ببعضهم. والسادات بذهابه إلى اسرائيل يحاول على الأقل أن يكسر ذلك الحاجز بعينه. وسيرى الاسرائيليون أن السادات ليس غولاً أو مثيراً للحرب، بل إنه سياسي، إنه جنتلمان، ورجل لا يريد للناس أن يقتلوا في حروب لا جدوى منها»(٣٣).

فالصورة الأولى، إذاً، التي تقدمها الديلي اكسبرس هي صورة رجل مهذب (جنتلمان) ورجل دولة نوعاً ما، وهذه صورة لم تُعْزَ قط إلى أي زعيم عربي. كما وصفته الجريدة في اليوم ذاته في مقال آخر بأنه شخص شجاع: «إن السادات يطرح جانباً غضب العرب ويمضي في زيارته لإسرائيل». «وزراء يستقيلون، إذ هؤلاء الرجال يصنعون التاريخ».

وواصلت الغارديان كتابتها عن المخاطر التي ستسببها هذه الزيارة للوطن العربي، فقد كان عنوان البندين الرئيسيين في عدد الجريدة يوم ١٨ منه: «مقامرة السادات تهدد بحدوث غليان بين العرب»، و «مصر تقدم حزمة من الاعلام».

وفي يوم الزيارة ذاته امتدحت الغارديان السادات بصفته رجلاً «يقدر الجانب المتحضر من الأمور» وكذلك بصفته مقامراً، وخصصت قسماً من أنبائها عن ذلك اليوم «للحاجز النفسي» الذي سيقوم بكسره، وللغضب العربي المتنامي ضد المبادرة. «انفجار في سفارة إذ يغلي غضب العرب»، «السعوديون ينضمون إلى الهجوم على بعثة السلام التي يقوم بها السادات إلى اسرائيل»، «الاستعداد لزيارة الرئيس السادات إلى اسرائيل تمضي قدماً إذ يتعمق الانقسام في العالم العربي». وكتب جونثان ستيل (J. Steele) من واشنطن تحت عنوان: «واشنطن تقوم بتمهيد سبيل السادات» يقول:

«ما من أحدٍ ينكر أن المخاطر في مقامرة الرئيس المصري هي مخاطر عظيمة. ولكن المسؤولين يقولون إن الهزة العنيفة التي أصابت العرب تفصح عن التنازل التاريخي الكبير الذي قدمه لكسر جدار الصدود الذي أقامه العرب نحو اسرائيل»(٣٤).

وأرسل ديفيد هيرست تقريراً مماثلاً من بيروت بشأن هذا «التنازل التاريخي الذي سيحطم جدار الشك»، ونشرته الغارديان في اليوم ذاته، قال فيه:

---

(٣٣) *Daily Express*, 18/11/1977.
(٣٤) *Guardian*, 19/12/1977.

«اليوم هو مَعْلَم في تاريخ الشرق الأوسط. وهناك من يمكنهم تثمين الجانب البنّاء جداً والمتحضر في الأمر الذي يوشك السادات القيام به، وهم ليسوا من المعجبين به على وجه الخصوص. لقد كسر الحاجز النفسي الذي استعبد الفلسطينيين والعرب لمدة نصف قرن. لقد كان الرئيس السادات مقامراً على الدوام، ولكن مقامرته هذه المرة تقزّم كل ما سبقها. ولا ريب في أن اليأس هو الذي دفعه إليها».

لقد تحدث هيرست هنا عن جانب واحد من الدافع الذي دفع السادات إلى القيام بزيارته، ولكنه أغفل تحليل الأخطاء الاستراتيجية التي ارتكبها السادات على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وكانت هذه المستويات هي الأسباب الرئيسية وراء مبادرته السلمية. أما الديلي اكسبرس فقد اغفلت كلياً الاشارة إلى الأسباب الكامنة وراء هذه الزيارة في عدد اليوم ذاته. إنها بدلاً من ذلك نشرت عن السادات قوله «شالوم، أنا مسرور لرؤيتكم». وهو وصف شخصي جداً.

نشرت كلتا الجريدتين يوم ٢١ منه قسماً من خطاب السادات في الكنيسيت والذي أعلن فيه عن استعداد بلاده للاعتراف بإسرائيل كدولة. واقتبست الغارديان كذلك عبارته الشهيرة:

«لقد مُزّقنا شر ممزق يفصلنا جدار مرتفع ضخم حاولتم تشييده عبر ربع قرن من الزمان. ولكنه دمّر في ١٩٧٣، وكان جداراً من الحرب النفسية».

ونشرت الديلي اكسبرس في ذلك اليوم عن غضب العرب، وتهديد بعض الفلسطينيين بقتل السادات جزاء اعترافه بإسرائيل، وكان عنوانها: «رئيس شجاع: العرب يهددون بالموت إذ يكافح السادات من أجل السلام» وقالت:

«في الليلة الماضية تطلع العالم العربي بغضب إذ كان الرئيس السادات يقف، رجلاً وحيداً، فيتكلم عن «مخاطرته الكبيرة». لقد وصم بالخيانة، وفي الصخب المتعالي وعد الفدائيون بتعقبه وقتله. جاء التهديد بالاغتيال من منظمة الصاعقة في سوريا»... «إن السادات قد اقترف أبشع خيانة في تاريخ الأمة العربية، فلا بدّ لدم الخائن من أن يهدر»، «إنه سيلاحق إلى أقصى الأرض إلى أن تنزل به عقوبة الموت». «واستنكر ياسر عرفات، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية، سفرة السادات ووصفها «برحلة العار»».

وبينما كانت الغارديان تحفل بأنباء الزيارة وبالحديث عن شجاعة السادات، نشرت مقالاً في ٢١ منه بقلم جيمز كاميرون (J. Cameron) انتقد فيه الهجمات الاسرائيلية على القرى اللبنانية، جاء فيه:

«كتبت هنا في الأسبوع الماضي قطعة أُوِّلت وفُسِّرت، وهو أمر معقول بما فيه الكفاية، بأنها انتقاد لاسرائيل عن هجماتها الوحشية نوعاً ما على القرى اللبنانية قرب صور. فأدى هذا إلى الاتهام

المتوقع من عدد من السيدات (ولسبب ما يأتي الاتهام دائماً من سيدات) باللاسامية، وهو ما أحدث تغييراً على الأقل». (التشديد مضاف).

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن كاميرون نفسه صديق طيب لإسرائيل، ويحتفظ بعلاقات قوية معها، كما أقرّ في ورقته التي ألقاها في مؤتمر ١٩٧٩ في لندن، وتحدث فيها عن «التغيّر في الرأي»[٣٥]. وهذا بالذات يعكس نواحي التشديد المتغير في دنيا الصحافة ـ ولو أن مداه ينبغي ألاّ يبالغ فيه.

وواصلت الغارديان في يوم ٢٢ منه نشر الأنباء والتعليقات عن معارضة العرب لهذه الزيارة، ولاسيما معارضة سوريا التي دعت إلى تأليف «جبهة رفض» عربية كبديل لمعارضة المبادرة. كان أحد العناوين يقول: «سوريا تتخذ خطوة حاسمة». وأبرزت الجريدة في الوقت ذاته تأييد إدارة كارتر للسادات بعنوان «كارتر يسارع إلى إظهار التأييد للسادات». ويبدو أن الديلي اكسبرس كانت أقل اهتماماً بهذه الأمور. واهتمت بدلاً من ذلك بهدية قدمتها غولدا مئير إلى حفيدة السادات: «السادات يطير عائداً بهدايا وبأمل جديد للشرق الأوسط».

وبينما واصلت الغارديان نشرها عن الانقسام الذي أحدثته هذه الزيارة في الوطن العربي، وذلك في الأيام اللاحقة، يبدو أن الديلي اكسبرس كانت أقل اهتماماً بنشر المزيد، إلاّ افتتاحية ظهرت يوم ٢٨ منه ألمت ببعض العوامل الجوهرية لمعارضة الفلسطينيين العرب لزيارة السادات، وكانت الافتتاحية بعنوان «الحرب أو السلام في الشرق الأوسط» قالت فيها:

«من الواضح أن الرئيس السادات مقامر على مستوى كبير. إنه لا يستطيع أن يصنع السلام إلاّ إذا جرى القيام بشيء ما حول المشكلة الفلسطينية. هذا هو الواقع العسير الذي لا تطرق فيه السبل والكائن في قلب النزاع العربي ـ الاسرائيلي».

وهكذا، فيما نجد الغارديان تقدم سرداً كاملاً للأحداث السياسية التي جرت في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧، نرى الديلي اكسبرس تميل إلى اختزالها إلى مدخل نفساني ذي طابع شخصي، والذي لم يكن مفتقداً في الجريدة الأخرى أيضاً. إن ما انطوت عليه الأحداث، بالنسبة لكلتا الجريدتين، هو خلق بطل عربي في الغرب. فمن الآن وصاعداً سيجري الحكم على الزعماء العرب بأجمعهم في ضوء شجاعة السادات المهذبة، الصادرة عن (جنتلمان)، السادات الباحث عن السلام. لذا لا يزال من الممكن استخدام الصور القديمة بالمقارنة مع هذه السلالة الجديدة من العرب. ولم تقم الصحافة البريطانية، إلاّ في وقت متأخر جداً، باستكشاف ما انطوت عليه المبادرة

(٣٥) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

من ناحية طبيعة ممارسة السلطة في مصر، حيث أمسى الرجل المهذب (الجنتلمان) بالتدريج أقل تهذيباً.

خامساً: اتفاقية كامب ديفيد لسنة ١٩٧٨

١ ـ تحليل كمي

إذا أراد المرء تقويم نتائج مبادرة السادات السلمية، فسيكون من أهمها عزلة مصر النسبية عن حلفائها العرب السابقين، ومن ثم تحييدها (Neutralization) كخصم عسكري رئيسي لإسرائيل. ولعل الأهم من ذلك هو الاعتراف بدولة إسرائيل من عدوّ عربي تقليدي. وكانت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تعبيراً ملموساً عن العلاقة مع اسرائيل وتقدّماً كبيراً نحو إضفاء الشرعية على دولتها.

يشير الجدول رقم (٨ ـ ٢٣) إلى وجود ثلاثة مواضيع مهمة في التقارير الصحفية المنشورة عن هذا الحدث، وقد لا يكون هذا التحديد دقيقاً بالنظر للتغطية التي كانت رمزية بصورة مشهودة في الديلي اكسبرس.

جدول رقم (٨ ـ ٢٣)
كامب ديفيد × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٦٠	تسوية كامب ديفيد الشاملة	٣	١
٢٦١	تسوية كامب ديفيد غير كافية للسلام	٣	ـ
٢٦٣	تسوية كامب ديفيد تخلٍ عن قضية العرب	٢	ـ
٢٦٤	التزام أمريكا وبريطانيا بتنفيذ تسوية كامب ديفيد	٦	١
٢٦٥	التزام إسرائيل بتنفيذها	١	ـ
٢٦٧	غير ذلك	٢	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

وأما فيما يتعلق بالمعارضة العربية لكامب ديفيد، فإن الجدول رقم (٨ ـ ٢٤) يشير إلى أن المقالات الصحفية في هذا الصدد في الغارديان استمرت تعكس وجهة

جدول رقم (٨ ـ ٢٤)

المعارضة العربية لكامب ديفيد (١٩٧٨) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٧١	العقوبات العربية كرد فعل	٣	ـ
٢٧٢	إدانة منظمة التحرير الفلسطينية لكامب ديفيد	١	ـ
٢٧٣	الإدانة على العموم	٨	٥

(ع.م.) = عدد المرات.

نظر هذه المعارضة للوفاق بين إسرائيل ومصر، على أنها في شكلها النهائي هي بمثابة التخلي التام عن القضية العربية، وعلى أنها إنما توفر قاعدة غير وافية للسلام. وكان التزام الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بدعم تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد هو «القضية» الغالبة ضمن هذا «الموضوع» وظلّ يُبرز لقراء الجريدة أهمية الشرق الأوسط لبريطانيا. قد تكون هناك منازعات في مناطق أخرى من العالم ولكن هذه المنطقة تقع بوضوح ضمن منطقة النفوذ البريطاني.

أما الموضوعان المهمان الآخران في الغارديان فهما «معارضة العرب لاتفاقية كامب ديفيد» و«المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية». ويشير الجدول رقم (٨ ـ ٢٤) أن الغارديان وحدها هي التي قدمت تغطية لقوة المعارضة العربية، وكانت تؤلف فعلاً قسماً كبيراً من تغطيتها لكامب ديفيد.

يشير الجدول رقم (٨ ـ ٢٥) إلى تأكيد «المحاور» في هذا «الموضوع» لقوة المشاعر العربية وذلك بتسجيل التهديد بالعقوبات ضد مصر والهجمات على السادات بصفته خائناً. وهذا لا يريح القارىء البريطاني المطلع، فبينما تؤيد الحكومة البريطانية اتفاقية كامب ديفيد، فإن بريطانيا ـ واقتصادها على الأخص ـ لا تستطيع، في سياسات ما بعد أوبك، أن تسيء بسهولة إلى الأقطار العربية النفطية. إن الرسالة التي تحملها الجداول بشأن المعارضة العربية هي أن كامب ديفيد يبدو وسيلة غير مناسبة لتحقيق سلام مستقر، كما أنه عملية باهظة بالنسبة للمصالح البريطانية. وبالنظر لموقف الديلي اكسبرس الوطني، يبدو عدم تغطية هذا الموضوع فيها أكثر مدعاة للاستغراب. وبناءً عليه، فإن بروز بيغن كعائق في وجه تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد كان هو أساس التحوّل في العاطفة البريطانية بعيداً عن التأييد الأعمى لإسرائيل. لقد برز

جدول رقم (٨ - ٢٥)
المعارضة العربية لكامب ديفيد (١٩٧٨) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحـــاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٥٩	مؤتمــرات	٢	—
٢٣٩	الســادات	٢	—
٢٤٤	الســادات كخائن	٣	—
٢٩٥	كامب ديفيد كتسوية غير وافية	٣	—
٢٩٧	كامب ديفيد كتخلٍ عن القضية العربية	٤	—
٢٩٨	التزام الولايات المتحدة بتنفيذ التسوية	٢	—
٣٠٦	العقوبات العربية ضد مصر كرد فعل لتسوية كامب ديفيد	٢	—
٣٠٧	إدانة منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقية كامب ديفيد	٣	—

(ع.م.) = عدد المرات.

السادات أصلاً كمقامر بطولي في البحث عن السلام؛ والجهود البريطانية لم تكن بدون تكاليف، وبيغن ينظر إليه وهو يجرجر قدميه. أما الموضوع الأخير، وهو «المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة» (الجدول رقم (٨ - ٢٦)) فقد عزز دور اسرائيل السلبي وذلك بإظهار عدم استعدادها للإنسحاب منها. ولئن كان «المشرق»

جدول رقم (٨ - ٢٦)
المستوطنات الاسرائيلية في الضفة والقطاع × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضـــايـــا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٩٥	المستوطنات كحق توراتي لاسرائيل	١	١
١٩٤	اسرائيل ترفض التخلي عن المستوطنات	٢	—
١٩٥	سياسة اسرائيل المتواصلة في إقامة مزيد من المستوطنات	١	—

(ع.م.) = عدد المرات.

لا يزال مأهولاً بسكان من عرب «طيبين» وعرب «سيئين» فالظاهر أن إسرائيل لم تعد «طيبة» بشكل لا يرقى إليه الغموض. أما «المحاور» تحت «موضوع» كامب ديفيد (الجدول رقم (٨ ـ ٢٧)) فإنها تضيف إلى هذا المفهوم عن الأحداث، إذ ينظر إلى السادات كخائن من قبل العرب الذين يعارضون، بشكل لا هوادة فيه، التوسع الاسرائيلي، وبذلك يصنف شرعاً كصديق للغرب. أما بيغن فيعتبر نموذجاً للشخص العنيد.

جدول رقم (٨ ـ ٢٧)
كامب ديفيد (١٩٧٨) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٢٤٤	السادات كخائن	٢	ــ
٢٤٥	السادات كأحسن أصدقاء الغرب	٢	ــ
٢٦٣	بيغن	٣	ــ
٢٦٧	بيغن كعنيد	٢	ــ
٣٠٠	التزام مصر بتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد	٢	ــ
٣٠٧	إدانة منظمة التحرير الفلسطينية للاتفاقية	٤	ــ
٣٠٨	الإدانة العربية لكامب ديفيد على العموم	٤	١
٣٤١	مسائل عامة	٢	ــ

(ع.م.) = عدد المرات.

وهكذا فإن المحاور، في إضفائها الطابع الشخصي على الأحداث إنما تضيف إلى ما يبرز من نقد لإسرائيل، في حين تتضح صورة ايجابية لواحد فقط من الزعماء العرب، وهو السادات. ويبدو أن طبيعة الأحداث قد ولّدت اتجاهاً أكثر تعقيداً نحو العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية؛ على الأقل بالنسبة للقراء القلائل لجريدة الغارديان وليس بالنسبة للعدد الكبير من قراء الديلي الاكسبرس.

٢ ـ تغطية كامب ديفيد: تقرير يختص بالكيف

في التقارير الصحفية عن كامب ديفيد، والتي تركزت على الاتفاقية الثنائية بين مصر واسرائيل، يمكن أن نلمس تغييراً مرهف الدقة في التأكيد على الصفة الشخصية للأحداث والنقاش. لم يعد السادات، كشجاع بعيد النظر يتمتع بمزايا رجل الدولة

يستخدم في المقالات «كمحور»، بل حلت محله، في الغارديان، صورة أخرى لنظيره بيغن كعنيد.

كان عنوان الجريدة يوم ٢١ ايلول/سبتمبر هو «الهتاف لخطاب بيغن، وموضوعه (لا استسلام)»، وهو الذي ألقاه على يهود امريكا في نيويورك، وأقتبست منه الجريدة ما يلي:

«إن اسرائيل لن تسلم الضفة الغربية، أو مرتفعات الجولان أو القدس. فإذا قال الناطق بلسان الخارجية الأمريكية ان القوات الاسرائيلية يجب أن تبقى في يهودا والسامرة (أي الضفة الغربية للاردن) وقطاع غزة لمدة خمس سنوات فقط، فأنا أعلن هنا أنها ستبقى فيها الى ما بعد خمس سنوات».

وفي افتتاحيتها في ٢٢ منه هاجمت الغارديان بيغن على تعنته والذي قد يؤدي بنظرها الى سقوط القمة. فتحت عنوان «السلام النهم» مضت الجريدة تقول:

«ولكن إذا كانت غوش امونيم (وهي منظمة يهودية مغالية في تطرفها)، تعتقد، وهي تضغط من أجل تحقيق أشد المطالب التوراتية الصهيونية غلواء، بأن المستر بيغن يقف وراءها سراً، إذن يمكن اعتبار كامب ديفيد حيلة سحرية لا غيرها، بل سيعتبر كذلك. وللأسف يوحي المستر بيغن بهذا الانطباع في كل كلمة يقولها».

وفسحت الغارديان مجالاً واسعاً على صفحاتها لتغطية الإدانة الصادرة من بلدان عربية معينة في استنكار هذه الاتفاقية، وقد رأت فيها هذه الدول تجاهلاً لعامل جوهري من عوامل النزاع في الشرق الاوسط، ألا وهو القضية الفلسطينية. وقد أوضحت وكالة الصحافة السعودية الرسمية رفضها للاتفاقية على النحو التالي:

«إن الاتفاقية لم توضح بجلاء مطلق نية اسرائيل في الانسحاب من جميع الأراضي العربية التي احتلتها، بما في ذلك القدس... كما أغفلت الاتفاقية كذلك أن تسجل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وفي إقامة دولته الخاصة به في وطنه وعلى ترابه»[٣٦].

كما نشرت الغارديان تغطية للادانة الصادرة من دول غير عربية استنكاراً للاتفاقية الثنائية (من هذه الدول الاتحاد السوفياتي). ومن العناوين التي ظهرت في هذا الصدد: «في أعقاب كامب ديفيد ـ استنكارات الكرملين»؛ «مؤامرة ضد العلاقات العربية ـ الروسية». ويمكن القول ان اسرائيل كانت هي المنتفعة فيما يتعلق بنتائج الاتفاقية ذلك لأنه لم تتنازل عن شيء في القضايا الجوهرية. مع ذلك انتقدت غوش امونيم ـ وهي على حد تعبير إدوارد سعيد[٣٧] مجموعة من المتعصبين تجعل في

---

(٣٦) *Guardian*, 20/9/1978.
(٣٧) Said, *The Question of Palestine*, p. 207.

غلوائها وعنفها من قبائل البدو الاسلامية وكأنها بمنتهى التهذيب ـ انتقدت هذه الجماعة كلاً من بيغن وديان باعتبارهما من الضعفاء فيما يتعلق بالضغط الدولي بشأن المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة. كتب اريك سلفر في ١٩ منه يقول بعنوان «محنة إسرائيل الشائكة ـ اختيار الأرض أو السلام»:

«إن اتفاقية كامب ديفيد تواجه إسرائيل باختبار كان كامناً في الخفاء منذ حرب ١٩٦٧. إن عليها أن تختار بين المستوطنات والسلام وفي نهاية المطاف بين الأرض والسلام. وقد أعلن الحاخام موشي لفنجر، من زعماء منظمة غوش امونيم للاستيطان، يوم حداد على حكومة منعت المستوطنات الجديدة وستسلم أجزاء من أرض اسرائيل القديمة الى الأجانب. قال الحاخام: (هذه خيانة. إن ثلاثة من قادة الشعب اليهودي المهمين (بيغن، ديان، ووايزمن) هم خونة)». (التشديد مضاف).

وفي تقرير لاحق من اريك سلفر عن القضية ذاتها نشرته الجريدة يوم ٢٥ منه، نقل فيه آراء مستوطن أمريكي من ميامي كما يلي:

«الصهيونية انتهت. فقد أظهرت إسرائيل نفسها بدرجة من الضعف بحيث لا تستطيع مقاومة الضغط الدولي.. إننا جلبنا أبناءنا الى هنا بطلب من الحكومة الاسرائيلية لأنها بحاجة الى عوائل يهودية لإعمار المنطقة. وقد أعطانا موشي ديان كلمة الشرف إذا وصلوا الى نقطة يتمكنون عندها من المفاوضة على السلام فستظل هنا مستوطنات، ولن يكون علينا التنازل عنها. كنت مستعداً بموجب هذه الشروط أن آتي بأولادي». (التشديد مضاف).

ونشرت الديلي اكسبرس أيضاً اعتراض غوش امونيم على كامب ديفيد بشأن قضية المستوطنات، فقالت:

«إن المتجاوزين على الأراضي من أعضاء غوش امونيم (كتلة الإيمان)، الذين يعتقدون بحق اليهود المقدس بجميع أرض اسرائيل الواردة في التوراة، قد أقسموا أن يواصلوا الكفاح من أجل الاستيطان في الضفة الغربية»[٣٨].

بيد أن الأطراف الثلاثة المعنية بكامب ديفيد قد عرضته على أنه يمثل أملاً جديداً بالسلام في الشرق الاوسط. فالولايات المتحدة بذلت كل ما في وسعها لاقناع الأردن وغيره من البلدان العربية بأن تنضم إليه، ولكن دون جدوى، لأن القضايا الرئيسية في النزاع ظلت دون حل. وفي ضوء هذا الفشل الذي أحدق بكامب ديفيد، قامت الجماعة الأوروبية، ولا سيما بريطانيا، باقتراح مبادرتها على أمل احلال السلام في المنطقة.

---

(٣٨) *Daily Express*, 22/9/1978.

سادساً: إعلان البندقية/ الجماعة الاوروبية عام ١٩٨٠

١ ـ تحليل كمي

مـرة أخرى، نجـد التفاوت بـين الغارديـان والديـلي اكسـبرس وهـو يتجـلى في المقـالات الصحفيـة عن نـزاع الشرق الأوسط، وهـذه المـرة بشـأن حجم التغـطيـة المخصصـة للمبادرة السلميـة التي صدرت عن الجماعة الاوروبيـة. الجدول رقم (٨ ـ ٢٨) التالي يبين المواضيع الظاهرة في هذه العينة.

جدول رقم (٨ ـ ٢٨)

المواضيع الرئيسية في تغطية إعلان البندقية للجماعة الأوروبية (١٩٨٠) × الجرائد المنتخبة

المواضيع	الغارديان ع.م.٠	الاكسبرس ع.م.٠
المؤتمرات	٨	ـ
منظمة التحرير الفلسطينية	٦	٢
النفط	١٠	ـ
إيران	ـ	٥

(ع.م.٠) = عدد المرات.

وتبيّن «القضايا» ضمن موضوع «المؤتمرات» أن المبادرة قد نظرت اليها الغارديان كاستمرار لاتفـاقية كـامب ديفيد السـابقة. (الجدول رقم (٨ ـ ٢٩)). وينعكس هذا كذلك في «المحاور» ضمن هذا الموضوع. (الجدول رقم (٨ ـ ٣٠)).

جدول رقم (٨ ـ ٢٩)

مؤتمرات الجماعة الأوروبية (١٩٨٠) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.٠	الاكسبرس ع.م.٠
٥٥	إدانة إسرائيل لاعلان البندقية	١	ـ
٥٦	النظر الى مؤتمر الجماعة الأوروبية في البندقية باعتباره مكملاً لكامب ديفيد	٦	ـ
٥٧	النظر إليه كبديل مستقل عن كامب ديفيد	١	ـ

(ع.م.٠) = عدد المرات.

جدول رقم (٨ ـ ٣٠)
مؤتمرات الجماعة الأوروبية (١٩٨٠) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٦٣	النظر الى مؤتمر الجماعة الأوروبية في البندقية باعتباره مكملاً لكامب ديفيد	٢	ـ
٦٥	تأييد الجماعة الاوروبية لحق الفلسطينيين في تقرير المصير	٣	ـ
١٩١	منظمة التحرير الفلسطينية واعتراف الجماعة الأوروبية بأهميتها في أية مفاوضات للسلام	٢	ـ
٢٠٦	فكرة إنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة	٢	ـ
٣٤٥	مصالح الغرب النفطية	٣	ـ
٤٥٢	تهديد إسرائيل باستعمالها للأسلحة الذرية	٢	ـ

(ع.م.) = عدد المرات.

ويبيّن هذا الجدول كذلك بروز منظمة التحرير الفلسطينية كعامل مشروع ومركزي في مفاوضات السلام: على الأقل في الغارديان. وواضح أن قضية الفلسطينيين هي على الجدول «كمحور» ضمن مناقشة مقترحات الجماعة الاوروبية. ثم يلاحظ هذا بظهور منظمة التحرير «كموضوع». يشير الجدول رقم (٨ ـ ٣١) أن

جدول رقم (٨ ـ ٣١)
منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٨٠) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	الغارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٦٤	منظمة التحرير باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني	١	ـ
١٦٦	المنظمة تنعت «بعصابة إرهابية»	ـ	٢
١٦٧	المنظمة تحوز على تأييد العالم واعترافه	١	ـ
١٦٨	المنظمة واعتراف المجموعة الاوروبية بأهميتها في أية مفاوضات لتسوية سلمية	٣	ـ
١٧٤	نشاط المنظمة ضد إسرائيل	١	ـ
المجموع		٦	٢

(ع.م.) = عدد المرات.

المنظمة يجري بحثها في الغارديان بشكل ايجابي بصورة غالبة فيما يتعلق بـالاعتراف بها دولياً. يشير هذا الجدول كذلك الى الرأي المعارض لمنظمة التحرير والـذي يغلب على التغطية المحدودة لمباحثات البندقية في الديـلي اكسبرس. ظلت المنـظمة تـظهر في هـذه الجريدة كجماعة غير مشروعة من «الارهـابيين». ويتضـح من الجدول رقم (٨ ـ ٣٢) عدم وجود «محور» واحد يهيمن على الكلام عن المنظمة.

جدول رقم (٨ ـ ٣٢)
منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٨٠) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	الغارديان ع.م.٠	الاكسبرس ع.م.٠
٥٧	كيـنجر وعلاقاته الشخصية باسرائيل	١	ـ
٥٩	مؤتمرات الجماعة الأوروبية	١	ـ
٦٢	الجماعة الاوروبية والادانة الاسرائيلية	١	١
	النظر الى إعلان الجماعة الأوروبية باعتباره مكملاً لاتفاقية كامب ديفيد	١	١
٦٥	النظر اليه كبديل للاتفاقية المذكورة	١	١
٦٨	العلاقات بين بريطانيا واسرائيل ـ تأييد عسـكري	١	ـ
١٦١	العنف الفلسـطيني	١	ـ
١٩١	منظمة التحرير واعتراف الجماعة الأوروبية بأهميتها في أية مفاوضات لتسوية سلمية	ـ	٢
٢٠٨	طرد اسرائيل للفلسـطينيين من الضفة والقطاع	١	ـ
٢١٦	التسوية كعقبة أمام السلام	١	ـ
٣٣٠	الصهيونية	١	ـ
٣٤٠	النفط	ـ	١
٤٤٧	تعنت إسرائيل وعنجهيتها	١	ـ

(ع.م.٠) = عدد المرات.

عـلى أن النفط يبرز كـذلـك كمصـدر اهتـمام متـواصـل خـلال هـذه الفـترة في الغارديان. كما أن الجدول رقم (٨ ـ ٣٣) يشير الى أن أوبك ومصالح الغرب النفطية تظل مركزية في النقاش. نجد بهـذا الصدد أن المصلحـة الذاتيـة النيّرة لـدول الجماعـة الاوروبية لم تكن بعيدة أبداً عن تقارير الغارديان.

جدول رقم (٨ ـ ٣٣)
النفط عام (١٩٨٠) × القضايا × الجرائد المنتخبة

الرقم	القضايا	القارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
٣٠٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط في الغرب	١	–
٣٠٣	اجتماعات أوبك وأسعار النفط	٣	–
٣٠٤	النفط سلاح سياسي بيد العرب	١	–
٣٠٥	مصالح الغرب النفطية	٥	–
المجموع		١٠	–

(ع.م.) = عدد المرات.

يبيِّن الجدول رقم (٨ ـ ٣٤) هذا الأمر في تصويره للشيخ أحمد زكي يماني على أنه «معتدل» وصديق للغرب. والمفروض أن الصفة الأولى هي نتيجة للثانية.

جدول رقم (٨ ـ ٣٤)
النفط (١٩٨٠) × المحاور × الجرائد المنتخبة

الرقم	المحاور	القارديان ع.م.	الاكسبرس ع.م.
١٣١	المخاوف من التوسع السوفياتي يزيد من النفوذ	١	–
٢٥٠	أحمد زكي يماني كوزير نفط معتدل	١	–
٢٥١	أحمد زكي يماني كصديق للغرب والولايات المتحدة	٢	–
٢٥٢	أحمد زكي يماني كأقوى وزير نفط في أوبك	١	–
٢٥٥	أحمد زكي يماني ومنظمة أوبك	٢	–
٣٤٢	العرب مسؤولون عن أزمة النفط في الغرب	٣	–
٣٤٣	اجتماعات أوبك وأسعار النفط	١	–
٣٤٤	النفط كسلاح سياسي للعرب	١	–
٣٤٥	مصالح الغرب النفطية	٥	–
٣٤٧	النزاع بين البلدان العربية «المتعقلة» وغير المتعقلة»	١	–

(ع.م.) = عدد المرات.

إن استمرار القلق بشأن مصالح الغرب النفطية، واستخدام العرب للنفط كسلاح في المناورة السياسية، قد ولّدا نزعة استشراقية مستعلية عرقياً، وإن كانت مفهومة، في وصم كبار الممثلين على مسرح الأوبك بمختلف النعوت، وقد تستخدم صور قديمة، ولكن أصنافاً واهتمامات جديدة قد أضحت مركزية في النظرة الى الوطن العربي.

٢ ـ تغطية إعلان البندقية ونزاع الشرق الأوسط: تقرير يختص بالكيف

في تحليل الطريقة التي نشرت بها كل من الديلي اكسبرس والغارديان عن مبادرة السلام الصادرة من الجماعة الاوروبية، ثمة نتيجة بارزة واحدة تتضح للعيان. فبينما تقتبس الغارديان من إعلان الجماعة الفقرة الخاصة بضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في أية مبادرة سلمية في الشرق الأوسط، نجد أن الديلي اكسبرس اختارت أن تشير الى المنظمة كمجموعة من «الارهابيين».

ظهر في هذه الجريدة العنوان الآتي: «الجماعة الأوروبية تدعم إرهابيي منظمة التحرير الفلسطينية». ووضعت مع المقال أيضاً صورة لزعيم المنظمة ياسر عرفات، وكتبت تحتها «شيخ الارهاب». فضلاً عن ذلك لم يكن هناك أي بحث للقضايا المتعلقة باعلان الجماعة الاوروبية في هذه الجريدة، خلافاً للغارديان، بل إن الديلي اكسبرس قد أفصحت عن رأي يقول «إن جماعة السوق الأوروبية تدعم الارهابيين العرب»[٣٩].

ومنذ اليوم الأول لقمّة الجماعة الاوروبية في البندقية حاولت الغارديان أن تبحث في الخلافات بين زعماء السوق الأوروبية المشتركة، بشأن منظمة التحرير الفلسطينية. قالت الجريدة تحت عنوان «زعماء الجماعة الاوروبية يواجهون تهديداً لوحدتهم»:

«وصلت الى هنا صباح اليوم المسز تاتشر وزملاؤها زعماء السوق المشتركة لعقد مؤتمر قمة يستغرق يومين لوضع سياسة سلام أوروبية جديدة للشرق الأوسط. وسيتفق الزعماء الاوروبيون، إلا إذا حدث تغيير في الموقف في آخر لحظة، على إعلان سياسي عن الشرق الاوسط سيأتي على ذكر منظمة التحرير الفلسطينية كأحد الأطراف المعنية التي يجب إشراكها في جهود السلام التي تبذل عن الشرق الأوسط في المستقبل. وستكرر القمة كذلك، بلغة أقوى مما استخدم في الماضي، تأييد حق الفلسطينيين بتقرير مصيرهم الذاتي (في إطار تسوية شاملة للشرق الأوسط). وبالنظر للصياغة اللغوية الدقيقة للبيان، وللقرار المتخذ بتأجيل أية مبادرة أخرى الى ما بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية، يبدو أن الزعماء التسعة واثقون من أن إدارة كارتر لن تكون منزعجة كثيراً عند انتهاء قمة البندقية»[٤٠].

---

(٣٩) *Daily Express*, 14/6/1980.
(٤٠) *Guardian*, 12/6/1980.

ومضى جون بالمر (J. Palmer)، وهو كاتب هذا المقال، والذي كان يغطي مؤتمر القمة من البندقية، يقول في بيان انتقاد اسرائيل لهذه القمة:

«ويبدو، مع ذلك، أن الزعماء التسعة، قد طمأنوا أنفسهم بأنهم سيتقدون انتقاداً مراً من إسرائيل، حتى وإن لم يكن هناك أي اقتراح باعتراف دبلوماسي يعطى لمنظمة التحرير الفلسطينية. وستقوم السوق المشتركة هذا الصيف بجس نبض اسرائيل والحكومات العربية في المنطقة ومنظمة التحرير عن أفضل الطرق لدعم أهداف تسوية سلمية أوسع تجري في الشرق الأوسط. إن رؤساء الحكومات الاوروبية مقتنعون بأن التصريح الذي سيصدرونه لا يضعف، بل سيقوّي فرص التقدم في مباحثات كامب ديفيد المتجددة. والحقيقة هي أن الاسرائيليين أخذوا يظهرون بوادر مرونة أكبر في قضايا مثل إقامة المستوطنات في الضفة الغربية في المستقبل، بعد أن ادركوا أن الجماعة الأوروبية تبدي اهتماماً بقضية الفلسطينيين»[٤١].

وسجل ديفيد هيرست مخاوف اللبنانيين في أن تشن إسرائيل هجمات على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان وذلك «لتحطيمها»، فلا تترك شيئاً تعترف به الجماعة الأوروبية. قال هذا الصحفي:

«ثمة مخاوف، وآمال غير خافية أيضاً، بأن تشنّ إسرائيل (حربها على الارهابيين) بنطاق أوسع من السابق جداً، مستغلةً تفوقها الساحق، والعداء المتزايد في الوسط العربي للمستر عرفات، لتدبير تدمير منظمة التحرير قبل أن تتمكن المنظمة من تدمير إسرائيل. عندئذ لن يبقى هنالك أمام أوروبا ما تعترف به»[٤٢].

يلاحظ هنا بما لا يخلو من طرافة أن عرفات «الإرهابي» قد غدا سياسياً محترماً وبذا تحول الى «مستر» Mister!

في اليوم التالي، أورد بالمر مواقف بريطانيا والدول الأخرى من منظمة التحرير الفلسطينية، كما أتضحت في محادثات البندقية:

«كانت إحدى المجموعات، وتضم الدنمارك وهولندا، والمانيا الغربية الى حدٍ ما، ترغب ألا يذهب إعلان الجماعة الأوروبية الى أبعد من تكرار التصريحات السياسية السابقة عن النزاع العربي - الاسرائيلي. وفي الجانب الآخر، وقفت فرنسا وايطاليا ولوكسمبرغ، وقيل انها تضغط من أجل تسوية لا تترك مجالاً للشك بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل المعتمد الوحيد للشعب الفلسطيني ويجب أن تشترك في مباحثات السلام. أما المسز ثاتشر واللورد كارنغتون فقد اتخذا موقفاً وسطاً وقيل إنهما يحبذان إشارة محددة الى منظمة التحرير وصلتها بعملية السلام، ولكن دون التسليم بأنها الممثل الوحيد للفلسطينيين»[٤٣].

ومع أن هذه المبادرة الاوروبية قد شدّدت على ضرورة اشتراك منظمة التحرير

---

(٤١) المصدر نفسه.
(٤٢) المصدر نفسه.
(٤٣) *Guardian*, 13/6/1980.

الفلسطينية في أية تسوية سلمية، إلا أنها فشلت في وضع مبادرة بديلة لكامب ديفيد. وقد قيل إن إدارة كارتر عارضت إصدار أي قرار يتخذه الاجتماع مما قد يناقض أو يتهدد منهاج التفكير لتسوية كامب ديفيد. والواقع كان هناك تهديد صريح من الرئيس كارتر موجّه للرؤساء في مؤتمر القمة. نشرت الغارديان تحت عنوان «كارتر يحذر من تخريب كامب ديفيد» ما يلي:

«قال الرئيس كارتر في واشنطن أمس إنه سيخبر زعماء الجماعة الاوروبية (ألا يفعلوا شيئاً من شأنه تخريب اتفاقيات كامب ديفيد)... لقد حققنا تقدماً طيباً في مجاراة الحلفاء الأوروبيين... إن أي مجهود لتعديل قرارات الأمم المتحدة عن الشرق الأوسط سيؤدي الى فيتو امريكي»(٤٤).

ونشرت الغارديان رفض منظمة التحرير وبيغن لهذه المبادرة:

«رفضت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية مبادرة الجماعة الاوروبية. واتهم بيغن أوروبا الغربية (بميونخ ثانية). ودعت منظمة التحرير الفلسطينية أوروبا أن تتخذ (موقفاً أكثر استقلالاً، وتجرد نفسها من الضغط والابتزاز الامريكيين). ووصم بيغن منظمة التحرير بأنها (منظمة صاعقة نازية عربية) وقال إن كل ما سيبقى من مبادرة الجماعة الأوروبية هو ذكراها المريرة»(٤٥).

إن قتال المؤخرة السياسي الذي قام به بيغن قد لعب بشكل مستميت على وتر الضمير الاوروبي، مشيراً الى أخيلة القمع الهتلري، والى ما كانت قد انطوت عليه أحداث ١٩٣٨ في المسرح الدولي.

إن ما نشر عن قمة البندقية في جريدتي الغارديان والديلي اكسبرس يصور من جهة الظهور المتزايد لقضية الفلسطينيين في إحدى الجريدتين، ويصوّر من جهة أخرى استمرار الموقف المناصر لاسرائيل، غير الانتقادي والتقليدي في الجريدة الأخرى. مع هذا يمكن أن نلمس حتى في تغطية الغارديان شيئاً من منظور الاستشراق، وذلك على شكل تغلغل المصلحة الذاتية البريطانية في المقالات الاخبارية.

سابعاً: خاتمة

أظهر هذا التحليل المركّز استمرار «مواضيع» و«محاور» معينة اعتباراً من حرب ١٩٦٧ وحتى مبادرة السلام الأوروبية، بعد أكثر من عقد من السنين. على أنه حدث كذلك تغيير في قوالب ذهنية معينة بشأن الحظوظ المتغيرة، وحسب ما طرأ على شخصيات معينة من علوّ شأنٍ أو انحطاطه، ووفقاً للتطورات الجارية على المسرح الدولي مما يؤثر جزئياً في التغطية الاخبارية. وسنفصّل هذه النقاط في الفصل الختامي القادم من هذه الدراسة.

---

(٤٤) *Guardian*, 14/6/1980.
(٤٥) *Guardian*, 16/6/1981.

الفصل التاسع
ملاحظات ختامية

إن استعراضاً لأدبيات تمتد لفترة زمنية اعتباراً من ظهور الاسلام حتى اليوم، وتحليلاً يتولاه باحث واحد، لا بد أن يجعلا هذا التحليل غير شاف: ومثل هذه الدراسة يحكم عليها حتماً، ومن ناحية جوهرية، بعيوبها أكثر مما يحكم عليها بمزاياها. بَيْد أنه يمكن اكتساب مسائل معينة منها ذات عمق مما يمكّن من هم أوفر مصادر أن يتولوها بالعناية والتطوير. لقد جرى بالتأكيد تحليل تراث المستشرقين وكيفية تخليد الأساطير الصهيونية، وبقاء المصالح البريطانية ـ الأمريكية بالضد من مصالح الاتحاد السوفياتي والتغيير الرهيف في المقالات الصحفية. ولا يمكن الادعاء بوجود موضوعية تامة، ذلك أن مؤلفاً ينفعل بالأحداث المرعبة التي تجتاح شعبه كالطوفان العارم (Cataclysmic) لا يمكنه ان يكون متفرجاً. على ان محض الاعتراف بالتحيّز يتيح للقارىء أن يتوصل الى النتيجة التي يريد. والباحث الذي يدعي «الموضوعية» هو باحث مريب؛ فالنظر في قضايا مهمة يتطلب ويستلزم رأياً ـ وهذه هي طبيعة علم الاجتماع ـ لا سيما وهو ينظر للاشياء والوقائع من خلال «ثقب مفتاح» Key - hole تاريخي محدد: ثقب نظر فيه المستشرقون نظرة خاطفة للعرب ولكن بتصور مختلف تماماً. ان مؤلفاً يدّعي «البرود العلمي» والحرص على النزاهة الموضوعية، بينما شعبه يتعرض للابادة وقضيته تتعرض للتغييب، لا يمكن لموضوعيته هذه الا ان توصف بالزيف. فكما قال بيكر[1] Becker «مع أي جانب نحن نقف؟».

وهذه الدراسة، مع كل محدوديتها، حاولت أن تحلل الطريقة التي نفذت بها الصحافة البريطانية في بواطن اساطير ومفاهيم معينة ـ ولعل الدراسة كشفت بذلك

(١) H.S. Becker, «Whose Side Are We On?» *Social Issues*, vol. 14, no. 3 (1967).

شيئاً من ثقافة البريطانيين أكثر مما كشفت عن الواقع العربي.

إن الصحف التي انتخبت للدراسة تعطينا، في عرضها لشؤون الوطن العربي، نبذة عن الثقافة البريطانية والمجتمع البريطاني. وعلى الرغم من أنها ذات مواقف مختلفة في التحرير، ولها قراء مختلفون، ولكنها عكست، باستثناء جريدة المورننغ ستار الى حد ما، تحيّزاً ثقافياً ذا استعلاء عرقي في نشر أحداث الوطن العربي. وقد تركز هذا الاستعلاء العرقي حول المصالح البريطانية، الاقتصادية منها والسياسية، في «المشرق». ومن الناحية السياسية، كان «الخطر السوفياتي»، باعتباره خطراً يهدد النفوذ السياسي والاقتصادي للغرب في «المشرق»، بارزاً جداً في الجرائد، لا سيما في الديلي اكسبرس. كما ظهر النفط فيها ظهوراً جلياً فيما يتعلق بالمصالح الاقتصادية «الغربية»، والبريطانية منها بخاصة.

ويمكن القول ان الصحف لم تقتصر فقط على إساءة عرض الوطن العربي بل إنها، وبشكل أكثر تأكيداً وربما أكثر خطراً، أبقت شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخبطهم فيما يتعلق بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي الذي يمرّ به عدد من الاقطار العربية في العقدين الماضيين. ومع أن جريدة التايمز قد طرقت بشكل استثنائي، بعض المشاريع والتطورات الجارية، الا ان «المشرق» المعاصر والمتغير بالنسبة الى الجرائد لا يزال الى حدٍ ما هو «مشرق» المستشرقين «الخامد» والهامد والمثقل بالتقاليد.

خذ، مثلاً، قضية العنف، وكيف تناولتها هذه الصحف، فقد بينت النتائج أن عرض استخدام الفلسطينيين للقوة كان متفقاً مع صورة موجودة أصلاً عن العرب بعامة، والفلسطينيين بخاصة، بأنهم شعب موسوم بالعنف. إن العنف والنزاع هما بالطبع من الأمور الجذابة عادة للصحفيين، ولانها كذلك فان الصحافة تصنعهما بطريقتها الخاصة. قد لا ينطبق هذا على الحروب العربية ـ الاسرائيلية، ولكنه يلقي ضوءاً على مسألة تصرف منظمة التحرير الفلسطينية، لقد حلل شميد ودي غراف (Schmid and de Graaf)[٢] العنف كلغة تستعمل للدعاية لقضية ما. كذلك أثار كلاتربك (Clutterbuck)، في ورقته عن «عرض العنف السياسي» التي ألقاها في مؤتمر انعقد في لندن يومي ٥ و٦ نيسان/ابريل، ١٩٨٣ لبحث «العرض في وسائل الاتصال الجماهيرية»، قضية العنف السياسي كوسيلة للدعاية ولجذب أنظار الجمهور، وقال فيها:

---

(٢) A.P. Schmid and J. de Graaf, *Violence as Communication: Insurgent Terrorism and the Western Media* (London: Sage Publications, 1982).

«إن الهدف الرئيسي للعنف السياسي هو عادةً القيام بالدعاية لقضيةٍ ما. والدافع الرئيسي للصحافي هو، لأسباب تجارية ومهنية معاً، اجتذاب جمهورٍ اليه، وما من شيء يجتذبه أكثر من العنف»[٣].

وأخذ شميد و دي غراف برأي مشابه بشأن الدعاية، فقالا إن العنف الفلسطيني يجري في الغرب سعياً وراء هذا الهدف:

«ما من شك أن الفدائيين الفلسطينيين كانوا هم أكثر مستخدمي الاعلام فعاليةً بين المستخدمين للارهاب في الفترة الأخيرة ممن لا ينتمون الى دولة. فلمدة عشرين سنة، والعالم لا يعير التفاتاً، إلا بالكاد، لمصير مليونين ونصف من الفلسطينيين العرب المشردين عن ديارهم. فلما قام أقل من ١ بالمائة منهم، أي حوالى عشرين ألف فدائي، بنقل كفاحهم من حدود اسرائيل الى داخل الدول المتطورة، إذا بهم يهيمنون على اهتمام وسائل الاعلام.. لقد آلى الزعماء الفلسطينيون على أنفسهم، بعد هزيمة العرب في حرب الأيام الستة في ١٩٦٧، أن يكتسحوا عقول الناس بدلاً من اكتساح الأرض المفقودة. وخدم الارهاب أغراضهم بالدرجة الأولى كأداة في الاتصال الجماهيري»[٤].

كانت هذه الوظيفة المؤولة للعنف، أو «الأرهاب» في الاتصالات وظيفة ناجحة لدرجة معينة في اطار الدعاية والتغطية الصحفية اللتين حازت بهما في وسائل الاعلام الغربية، كما وجد الكاتبان المذكوران. وقد قال أحد رؤساء المؤسسات التي تستخدم مثل هذه الطريقة في الاتصالات، وهو يبرر منطقياً استخدام العنف:

«إن هذا الاستخدام كان هجمة مباشرة على إدراك الرأي العالمي. وأكثر ما كان يهمنا هو أن الناس أخذوا ينتبهون إلينا»[٥].

كان من أنجح العمليات التي نفذتها إحدى المنظمات الفلسطينية، في إطار ما تلقته من دعاية وتغطية في الصحافة الغربية، هجوم مجموعة «أيلول الأسود» في الألعاب الاولمبية في ميونخ سنة ١٩٧٢. ان الهجوم «أسر اهتمام حوالى ٨٠٠ مليون من المشاهدين»[٦]. كان منظمو الهجوم مدركين لهذا العدد الضخم من المشاهدين، وكان الحصول على انتباههم هو الهدف الرئيسي من العملية. قال أحد الناطقين باسم المجموعة:

«إننا ندرك أن الرياضة هي الديانة العصرية التي يدين بها العالم الغربي. وكنا نعرف أن الناس في انكلترا وأمريكا ينقلون شاشة التلفزيون من أي برنامج يعرض عن محنة الفلسطينيين إذا كان ثمة مباراة رياضية على قناة أخرى فيتحولون إليها. لذا قررنا أن نستخدم أولمبيادهم، وهو أقدس احتفال في هذه الديانة، لكي نجعل العالم يحوّل انتباهه الينا. وقد استجاب الناس لدعائنا. فمنذ ميونخ

---

(٣) R. Clutterbuck, «Presenting Political Violence,» paper presented at: Conference of National Film Institute, South Bank, London, 5 - 6 April 1983.

(٤) Schmid and de Graaf, Ibid., p. 27.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٨ - ٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠.

وصاعداً لم يعد أحد يستطيع تجاهل الفلسطينيين أو تجاهل قضيتهم»[٧].

وكان مخططو هذه العملية يدركون أيضاً الصور السلبية التي قد يؤلفها الغرب عنهم، لكنهم يقولون إنهم لجأوا الى مثل هذا السلوك كسلاح من قبيل آخر الدواء الكي، بعد أن سُدّت جميع السبل البديلة الأخرى في وجوههم. وعلى حد تعبير أحد زعمائهم «إننا سنرمي ورودا إذا كان هذا يؤدي الى نتيجة»[٨].

كانت نتائج هذه الأعمال سلبية في تغطيتها في الجرائد. بل إن هذه الاعمال أدت الى نتائج عكسية وذلك في إطار التقارير الصحفية المنشورة عنها وتبرير الجرائد لعنف اسرائيل وعدوانها باعتبارهما من الأمور «المشروعة» و«الانتقامية».

لعل النشاط «الإرهابي» جذب انتباه الصحافة البريطانية وخلق وعياً بالقضية الفلسطينية؛ ولكنه سبب إثارة رد فعل سلبي ضد منظمة التحرير الفلسطينية. وقد أظهرت الديلي اكسبرس كيف يمكن لمثل هذه الاستجابة أن تساعد في دعم الموقف المناصر لاسرائيل. وأظهر تحليلنا أن العنف والنزاع قد ألّفا القسط الأعظم من تغطية الصحافة البريطانية للوطن العربي. واتضح أنه كان للتقارير الصحفية عن النزاع العربي ـ الاسرائيلي آثار مختلفة على صور العرب. فبينما نحت حرب ١٩٦٧ نحو تعزيز صورة العجز التنظيمي عنهم، وكانت صورة بارزة جداً في استشراق أواخر القرن التاسع عشر، ولكن الظاهر أن حرب ١٩٧٣ قد تحدّت هذا الرأي. كما أن هذه الحرب شككت بصورة التفوق الاسرائيلي. ويبدو ان المحاولات الجارية للعثور على حل مستقر للنزاع العربي ـ الاسرائيلي قوضت شيئاً من الموقف الأحاديّ الجانب المناصر لاسرائيل الذي كان في الستينات. برز السادات كزعيم «شريف» و«شجاع»، في حين أمسى بيغن ينعت بالرجل الدوغماتي المعرقل. أما اللجوء الى ما مرّ باليهود من تجربة في الاضطهاد وإبادة الجنس، فقد كانت تستخدم في البداية على نطاق واسع لإضفاء الشرعية على العدوان الاسرائيلي، ولكنها أخذت تضعف في تأييد توسع إسرائيل الاقليمي.

لقد رأينا عملية المماهاة مع القضية الاسرائيلية وهي تميز المقالات الصحفية عن الحروب العربية ـ الاسرائيلية لا سيما في جريدة الديلي اكسبرس. وكانت الاهتمامات البريطانية المتصفة بالتمركز وبالاستعلاء العرقي بارزة جداً في كل ما كتب عن نزاع الشرق الأوسط. ويمكن المحاججة أن هذا الاستعلاء العرقي بالذات سهّل ظهور رأي ايجابي عن الوطن العربي. فاستخدام العرب للنفط كسلاح سياسي قد غيّر بوضوح في

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٠ ـ ٣١.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٢.

تحليل التأييد البريطاني لاسرائيل، وهو تحليل قائم على أساس الفائدة ـ التكاليف؛ هذا اضافة الى نظرة الصحافة للعرب على انهم قوة يجب أن يحسب حسابها. ولعل العرب لا يشتركون في الاقتراب الثقافي من الغرب الذي يتمتع به الاسرائيليون، ولكنهم لم يعد ينظر اليهم كشيءٍ منغصٍ عقيم بعد لجوئهم لاستخدام النفط كسلاح سياسي. ولقد كانت المصالح المتصفة بالاستعلاء العرقي فعالة كذلك في خلق صورة للسادات كرجل دولة من أعلى طراز في الصحافة البريطانية. وكانت أهميته الحقيقية هي في صلته بالمصالح البريطانية في الشرق الاوسط، على أن مقامه الفردي هو الذي حقق أهمية كبيرة في النطاق الشخصي للتقارير الاخبارية.

لذا كان هناك، خلال الفترة التي شملها التحليل المركّز، ما يدل على تحوّل نحو عرض أكثر ايجابيةً للعرب وللوطن العربي. على أن هذا لم يتجاوز حدود المنظور الضيق الذي اعتادت الصحافة البريطانية ان تنشر من خلاله أنباء الوطن العربي. إن الحالة الاستثنائية للمورننغ ستار تبيّن هذا بإظهار التشابه النسبي في الاتجاه السياسي بين الغارديان والديلي اكسبرس. فعلى الرغم من وجود فوارق حقيقية بين هاتين الجريدتين، فإن لهما منظوراً مشتركاً يقوم على اعتبار تدخل الكتلة الغربية في شؤون الشرق الأوسط «أمراً طبيعياً». من جهة أخرى نجد أن المورننغ ستار، وهي ذات موقف مؤيد للسوفيات عموماً، تكشف عن منظور مختلف جداً.

وأظهر تحليلنا دليلاً كبيراً، إن لم نقل قاطعاً، بأن الصحافة البريطانية تقدم صوراً مختلفة عن الشرق الأوسط. فلم تظهر الجرائد التي درست وجود مشاعر مناهضة للعرب فيها بشكل متطرف الى حدّ مسعور. من الأدق بالأحرى أن نشير الى وجود شعور قوي مناصر لإسرائيل، وهذا قد أخذ بالتآكل في جريدة الغارديان بمرور الزمن. أما الافتقار الواضح لتغطية مفصّلة للأحداث في جريدة الديلي اكسبرس فمن شأنه أن يثير القلق لدى من يتطلع الى صحافة مسؤولة. ولو تضمنت عيّنة تحليلنا مزيداً من الصحف الشعبية، فلا نعتقد أن هذا القلق كان سيتبدد. وعلى العموم، تظهر هذه الدراسة ان القيم الاخبارية التقليدية موجودة بحيوية وقوة في المقالات الصحفية عن الوطن العربي. ولا بد من الاستنتاج ان هذه القيم قد تمهّد لنشر الاحداث، ولكن الأحداث ذاتها تحقق أهمية فيما يتعلق بعالم السياسة والاقتصاد، ذلك أن هذا هو المؤشر الأساسي لما هو مهم بالنسبة للقارىء البريطاني. ولا جدال أن القيم الأخبارية هي ذاتها قائمة في الاطار نفسه الذي يجعل الصحف، مع الأسف، وسيلة محدودة للتبصّر في مشاركة الأمم في الشؤون الدولية.

عند التأمل في البيانات التي ولّدتها هذه الدراسة، فاننا نجد أنه من الضروري فحص القيود التي تعتري منهج البحث والتي استمدت منها هذه البيانات. وكما

أوضحنا في الفصل السادس، فإن جدول تحليل المضمون الذي وضع لهذه الدراسة قد قبل بالاعتماد الكامن المتبادل بين المدخلين الكيفي والكمي. لذا تم وضع عدد كبير من أصناف الترميز على أساس التحليل الاستطلاعي والقراءة العامة. وفي محاولة لتلافي انتقادات منهجية هارتمان وهازبند(٩)، التي وجهها لها كريتشر مع آخرين(١٠)، تم الاحتفاظ بعدد كبير من الأصناف «كقضايا» و«محاور». وبما أن «القضايا» هي دائماً سلسلة محدودة من الخيارات ضمن «موضوع» ما، لم يكن استخدامها يثير مشكلة، لأن «الموضوع» قد تم تحديده وتشخيصه من بين عدد محدود من «المواضيع» المستقلة. على أن ترميز مثل هذا العدد الكبير من المحاور يجب أن يعتبر من المجالات التي اعترتها درجة أكبر من الغموض والاغفال.

بيد أن العدد الكبير من «القضايا» و«المحاور» ضمن «المواضيع» قد أحدث على الأخص صعوبة في التحليل، وهي وإن كانت متوقعة، فانه لم يكن من المنتظر أن تكون شديدة جداً. إن انخفاض درجة ظهور البنود الاخبارية انخفاضاً كبيراً جداً، في الديلي اكسبرس على الاخص، جعل من الصعب ملاحظة تنويعات ذات معنى في المقالات على مستوى «المحاور»، بالنظر للعدد القليل جداً من البنود في العيّنة. ثم ان التنوع الواسع في «المواضيع» في العيّنة العامة جعل من الصعب اجراء تحليل أكثر تفصيلاً، مع أنه ينبئنا بشيء لا يخلو من أهمية عن شؤون المقالات الصحفية المنشورة عن الوطن العربي.

إن الالتزام بقاعدة بيانات تجريبية، والذي ميّز هذه الدراسة هو بالضرورة التزام بمنهجية من شأنها ان تستغرق عملاً مكثفاً. إن مسح الجرائد لغرض تشخيص البنود الاخبارية ذات العلاقة هو بذاته عمل يستهلك وقتاً كبيراً جداً. وحين يجري هذا العلم على نسخ من الافلام المصغرة (microfilms) في مكتبة المدينة التي تبعد أميالاً، فإن الجهد الجسدي شيء لا يمكن تصوره مسبقاً. نعم، أصغينا لتحذيرات من سبقنا، ولكن إدراك المعنى المقصود منها خاصّ فعلاً بالمرء ذاته. وكان استخدام جريدتين فقط في التحليل المركّز في هذه الدراسة عيباً كبيراً، وهو بذاته نتيجة مباشرة لتناقص الوقت والمال في جمع البيانات السابقة. مع هذا، وإذ يؤدي تحليل الاعراض للبند الاخباري المنفرد الى توضيح قيّم للمعاني التي تنقلها الصحافة، فإن من الضروري أن يجري

---

(٩) P. Hartmann, C. Husband and J. Clarke, «Race as News: A Study in the Handling of Race in the British National Press from 1963 - 1970,» in: *Race as News* (Paris: UNESCO Press, 1974), pp. 91 - 173.

(١٠) C. Critcher, M. Parker and R. Sondhi, *Race in the Provincial Press: A Case Study of Five West Midlands Newspapers* (Brimingham, London: Centre for Centemporary Cultural Studies, 1975).

إكمال هذا بوضع عيّنات كمية تسجّل تكرار البنود وتنوعها لمدى معين من الزمن. ولقد كان اتباع تحليل ثلاثي الطبقات من «مواضيع» و«قضايا» و«محاور» في هذه الدراسة، وهو نوع التحليل الذي استخدمه ترويناٰ(١١)، أمراً قابلاً للتطبيق بالتأكيد، كما كان كافياً لتشخيص الطوبوغرافيا الرئيسية في نمط نشر الأحداث. وإنها لعملية تلتهم الوقت التهاماً، ولكنها أداة شاقة للتحليل. ومن الواضح الآن، وعند تأمل ما جرى، أن استخدام طريقة تحليل المضمون هنا كان يقتضي إدخال عدد أكبر من اعداد كل جريدة في تهيئة العيّنة المستعملة، وذلك لتوليد عدد أكبر من البنود الاخبارية. وكان هذا سيقضي، بالنظر لموارد إجراء هذه الدراسة، بالتخلي إما عن التحليل العام أو التحليل المركّز.

ولئن كانت المنهجية المتبعة قد اتصفت بالعمل المكثّف، فلنا أن نتساءل عن مزاياها الخاصة. ولا بد أن نلاحظ، وذلك في إطار سيرة المؤلف الشخصية وأحكامه المسبقة عن الصحافة البريطانية، أن هذه المنهجية تواجه فعلاً فيما يبدو شكلاً واضحاً من أشكال التحيز في البحث، كما تواجه الاستمرارية والتغيّر في اتجاهات الصحافة نحو العرب على مدى السنين. (يمكن الاطلاع على دراسة مفصلة حول استخدام تحليل المضمون ومنافعه في دراسة الاستمرارية والتغيّر على مدى السنين)(١٢).

قد يجد القارىء في التحليل الكيفي (أي الخاص بالكيف) للمقالات الاخبارية، في قسم التحليل المركّز، دليلاً على التعليل المتحيز الذي يعترض عليه اندرسون وشاروك(١٣)، ومع هذا، فان القاعدة التجريبية للتحليل الكمي تتجه الى استبعاد استغلال «المثل الكلاسيكي» المنفرد. إن الصورة لا تتضح إلا بعد جمع البيانات وتحليلها في الكومبيوتر. وليس معنى هذا عدم وجود تحيّز في الترميز الأصلي، وبالتأكيد لا يستطيع القائم بالترميز أن يضمن اطلاعه «على التلاعب بالأوراق» إلاّ في وقت متأخر جداً، وبعد فوات الأوان بالنسبة لعملية البحث.

---

(١١) B. Troyna, *Public Awareness and the Media: A study of Reporting on Race* (London: Commission for Racial Equality, 1981).

(١٢) M. Ferguson, *For Ever Feminine: Women's Magazines and the Cult of Femininity* (London: Heinemann, 1983).

(١٣) D.C. Anderson and W.W. Sharrock, «Baising the News: Technical Issues in Media Studies,» *Sociology*, vol. 13, no. 3 (September 1979).

المَلَاحِق

المُلحَقُ الأوّل

جدول الترميز: «المواضيع» و«القضايا»
رقم تسلسل البنود

اليوم، الشهر، والسنة: ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٠.

الواسطة

جريدة الغارديان

التايمز

الديلي اكسبرس

المورننغ ستار.

صفة البند

١ ـ مقال رئيسي/ عنوان.
٢ ـ غير ذلك في الصفحة الأولى.
٣ ـ الصفحة الداخلية.
٤ ـ الصفحة الخلفية.
٥ ـ غير ذلك.

نمط البند

١ ـ أخبار.
٢ ـ مقال.
٣ ـ افتتاحية.

٤ ـ رسالة الى المحرر.
٥ ـ إعلان.
٦ ـ مقال متواصل (تقرير عن أعمال البرلمان مثلاً مقال خاص).

الرسم الكاريكاتوري
١ ـ الرسم مرفق بالمقال.
٢ ـ الرسم لوحده:
٣ ـ غير موجود.

التصوير الفوتوغرافي
١ ـ الصورة مرفقة بالمقال.
٢ ـ الصورة لوحدها.
٣ ـ غير موجودة.

«المشرق» العربي
١ ـ العرب.
٢ ـ غير العرب.

«المواضيع»
تعني الصنف العام الذي يدخل فيه مضمون المقال.

«القضايا»
القضية الرئيسية ضمن «الموضوع».

«المحاور»
أية محاور أخرى مشار اليها في المقال. يجب اختيار «القضايا» من بين «الموضوع» الملائم، في حين قد يجري اختيار «المحاور» من بين أيّ من «المواضيع».

قائمة «بالمواضيع» و«القضايا»

١/ السلام
١ ـ مطالبة الامم المتحدة لاسرائيل بالانسحاب من أرض عربية كشرط للسلام.
٢ ـ مطالبة بريطانيا لاسرائيل بالانسحاب من أرض عربية كشرط للسلام.
٣ ـ مطالبة البلدان العربية لاسرائيل بالانسحاب من ارض عربية كشرط للسلام.

٤ ـ مطالبة دول أخرى لاسرائيل بالانسحاب من ارض عربية كشرط للسلام.

٥ ـ رفض إسرائيل لمقترحات سلام بشأن انسحابها من ارض عربية.

٦ ـ طلب العرب لتسوية سلمية.

٧ ـ طلب اسرائيل لتسوية سلمية.

٨ ـ النظر الى المبادرة السلمية «كتخل» عن القضية العربية.

٩ ـ معارضة العرب لمبادرة السادات السلمية.

١٠ ـ معارضة منظمة التحرير الفلسطينية لمبادرة السادات السلمية.

١١ ـ معارضة مبادرة السادات السلمية على العموم.

١٢ ـ إمكانية السلام بين اسرائيل وسوريا.

١٣ ـ إمكانية السلام بين اسرائيل والأردن.

١٤ ـ النظر الى منظمة التحرير/الفلسطينيين كعقبة كأداء للسلام.

١٥ ـ قوات حفظ السلام.

١٦ ـ غير ذلك.

٢/ الحرب

١٧ ـ وصف/تحليل النزاع.

١٨ ـ اسرائيل تدّعي النجاح في النزاع.

١٩ ـ العرب يدّعون النجاح في النزاع.

٢٠ ـ العرب يهاجمون إسرائيل.

٢١ ـ اسرائيل تهاجم العرب.

٢٢ ـ البلدان العربية تساعد في الحرب.

٢٣ ـ معاملة العرب لأسرى الحرب.

٢٤ ـ معاملة إسرائيل لأسرى الحرب.

٢٥ ـ العرب يهددون بالحرب.

٢٦ ـ اسرائيل تهدد بالحرب.

٢٧ ـ غير ذلك.

٣/ الهدنة

٢٨ ـ الدول الكبرى تطالب بالهدنة في الشرق الأوسط.

٢٩ ـ العرب يقبلون/يطلبون الهدنة.

٣٠ ـ اسرائيل تقبل/تطلب الهدنة.

٣١ ـ اسرائيل تخالف هدنة وقف إطلاق النار.

٣٢ ـ العرب يخالفون هدنة وقف إطلاق النار.
٣٣ ـ وقف إطلاق النار بين القوات المتقاتلة في لبنان.
٣٤ ـ فشل وقف إطلاق النار في لبنان.
٣٥ ـ غير ذلك.

٤/ المفاوضات

٣٦ ـ المفاوضات بين مصر واسرائيل حول قضايا مصرية.
٣٧ ـ المفاوضات بين مصر واسرائيل حول قضايا فلسطينية.
٣٨ ـ إمكانية المفاوضات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.
٣٩ ـ إمكانية المفاوضات بين اسرائيل والبلدان العربية بشأن النزاع.
٤٠ ـ المفاوضات لإزالة الوجود «الأجنبي» من الوطن العربي.
٤١ ـ المفاوضات على العموم.

٥/ الوساطة

٤٢ ـ جهود الولايات المتحدة في الوساطة بين العرب وإسرائيل.
٤٣ ـ جهود بريطانيا في الوساطة بين العرب وإسرائيل.
٤٤ ـ جهود أقطار أخرى في الوساطة بين اسرائيل والعرب.
٤٥ ـ جهود الجامعة العربية في الوساطة بين بلدان عربية.
٤٦ ـ جهود الامم المتحدة في الوساطة بين العرب وإسرائيل.
٤٧ ـ غير ذلك.

٦/ كيسنجر

٤٨ ـ كيسنجر وسياسة المكّوك.
٤٩ ـ النظر الى كيسنجر باعتباره السياسي الدبلوماسي وراء السلام في الشرق الأوسط.
٥٠ ـ كيسنجر وعلاقاته الشخصية بالزعماء العرب.
٥١ ـ كيسنجر وعلاقاته الشخصية باسرائيل.
٥٢ ـ غير ذلك.

٧/ المؤتمرات

٥٣ ـ مؤتمر جنيف للسلام، وامكانية اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية.
٥٤ ـ مؤتمر جنيف للسلام ونزاع الشرق الأوسط.
٥٥ ـ مؤتمر البندقية/الجماعة الاوروبية وإدانة اسرائيل.
٥٦ ـ النظر الى مؤتمر البندقية/الجماعة الاوروبية كمتمم لاتفاقية كامب ديفيد.

٥٧ ـ النظر الى اعلان البندقية/الجماعة الاوروبية كبديل مستقل عن اتفاقية كامب ديفيد.

٥٨ ـ البندقية/الجماعة الاوروبية وتأييد حق تقرير المصير للفلسطينيين.

٨/ العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا

٥٩ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٦٠ ـ تأييد عسكري (قوات).
٦١ ـ مصالح اقتصادية.
٦٢ ـ تأييد سياسي.
٦٣ ـ ضغط عسكري.
٦٤ ـ ضغط اقتصادي.
٦٥ ـ ضغط سياسي.
٦٦ ـ غير ذلك.

٩/ العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة

٦٧ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٦٨ ـ تأييد عسكري (قوات).
٦٩ ـ مصالح اقتصادية.
٧٠ ـ تأييد سياسي.
٧١ ـ ضغط عسكري.
٧٢ ـ ضغط اقتصادي.
٧٣ ـ ضغط سياسي.
٧٤ ـ غير ذلك.

١٠/ العلاقات بين اسرائيل وفرنسا

٧٥ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٧٦ ـ تأييد عسكري (قوات).
٧٧ ـ مصالح اقتصادية.
٧٨ ـ تأييد سياسي.
٧٩ ـ ضغط عسكري.
٨٠ ـ ضغط اقتصادي.
٨١ ـ ضغط سياسي.
٨٢ ـ غير ذلك.

١١/ العلاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي
٨٣ ـ مساعدة عسكرية (اسلحة).
٨٤ ـ تأييد عسكري (قوات).
٨٥ ـ مصالح اقتصادية.
٨٦ ـ تأييد سياسي.
٨٧ ـ علاقات متوترة (علناً).
٨٨ ـ غير ذلك.

١٢/ العلاقات بين العرب وبريطانيا
٨٩ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٩٠ ـ تأييد عسكري (قوات).
٩١ ـ مصالح اقتصادية.
٩٢ ـ تأييد سياسي.
٩٣ ـ ضغط عسكري.
٩٤ ـ ضغط اقتصادي.
٩٥ ـ ضغط سياسي.
٩٦ ـ غير ذلك.

١٣/ العلاقات بين العرب والولايات المتحدة
٩٧ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٩٨ ـ تأييد عسكري (قوات).
٩٩ ـ مصالح اقتصادية.
١٠٠ ـ تأييد سياسي.
١٠١ ـ ضغط عسكري.
١٠٢ ـ ضغط اقتصادي.
١٠٣ ـ ضغط سياسي.
١٠٤ ـ غير ذلك.

١٤/ العلاقات بين العرب وفرنسا
١٠٥ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
١٠٦ ـ تأييد عسكري (قوات).
١٠٧ ـ مصالح اقتصادية.
١٠٨ ـ تأييد سياسي.

١٠٩ ـ ضغط عسكري.
١١٠ ـ ضغط اقتصادي.
١١١ ـ ضغط سياسي.
١١٢ ـ غير ذلك.

١٥/ العلاقات بين العرب والاتحاد السوفياتي
١١٣ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
١١٤ ـ تأييد عسكري (قوات).
١١٥ ـ مصالح اقتصادية.
١١٦ ـ تأييد سياسي.
١١٧ ـ ضغط عسكري.
١١٨ ـ ضغط اقتصادي.
١١٩ ـ ضغط سياسي.
١٢٠ ـ غير ذلك.

١٦/ العلاقات بين «الغرب» والعرب
١٢١ ـ تهديد الاستثمارات الغربية.
١٢٢ ـ المخاوف من «التهديد السوفياتي» يزيد من النفوذ.

١٧/ أهداف إسرائيلية
١٢٣ ـ قصف ورمي مخيمات اللاجئين، والمدن والأهداف المدنية في لبنان والأردن ومصر.
١٢٤ ـ نسف بيوت المدنيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين وفي لبنان.
١٢٥ ـ قصف ورمي على العموم.
١٢٦ ـ غزو جنوب لبنان بحجة كونه هدفاً أساسياً لحماية حدود إسرائيل من الفدائيين الفلسطينيين.
١٢٧ ـ النظر الى غزو جنوب لبنان كتوسع اسرائيلي.
١٢٨ ـ غزو لبنان كهدف «للدفاع» عن المسيحيين ضد «العدوان» العربي.
١٢٩ ـ غير ذلك.

١٨/ أهداف عربية
١٣٠ ـ قصف ورمي المستوطنات الاسرائيلية على الحدود.
١٣١ ـ قصف ورمي المدنيين.
١٣٢ ـ قصف ورمي على العموم.

١٣٣ ـ غير ذلك.

١٩/ العنف الاسرائيلي

١٣٤ ـ العنف الاسرائيلي ينعت «بالبطولة».
١٣٥ ـ العنف الاسرائيلي ينعت بالعدوان المشروع وبالدفاع عن النفس.
١٣٦ ـ العنف الاسرائيلي ينعت بالإرهاب.
١٣٧ ـ العنف الاسرائيلي يبرر كعمل ثأري.
١٣٨ ـ العنف الاسرائيلي ينظر اليه كاحتياطات أمنية.
١٣٩ ـ العنف الاسرائيلي ضد الفلسطينيين البارزين داخل اوروبا وخارجها.
١٤٠ ـ إدانة العنف الاسرائيلي.
١٤١ ـ غير ذلك.

٢٠/ العنف الفلسطيني

١٤٢ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالبطولة.
١٤٣ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالعدوان المشروع.
١٤٤ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالارهاب.
١٤٥ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالارهاب العربي.
١٤٦ ـ العنف الفلسطيني ينظر اليه كعمل ثأري.
١٤٧ ـ إدانة العنف الفلسطيني.
١٤٨ ـ غير ذلك.

٢١/ العنف العربي

١٤٩ ـ العنف العربي ينعت بالبطولة.
١٥٠ ـ العنف العربي ينعت بالعدوان المشروع.
١٥١ ـ العنف العربي ينعت بالارهاب.
١٥٢ ـ العنف العربي ينظر اليه كعمل ثأري.
١٥٣ ـ إدانة العنف العربي.
١٥٤ ـ غير ذلك.

٢٢/ اللاجئون الفلسطينيون

١٥٥ ـ اللاجئون ينظر اليهم كثمن لخلق دولة اسرائيل، وعلى انهم في صلب نزاع الشرق الأوسط.

١٥٦ ـ اللاجئون ينظر اليهم كضحايا لعنف اسرائيل وإرهابها.
١٥٧ ـ اللاجئون ينظر اليهم كعقبة امام السلام.

١٥٨ ـ البحث عن «حل عادل» لمشكلة اللاجئين.
١٥٩ ـ اللاجئون ينظرون الى منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها هويتهم السياسية.
١٦٠ ـ التعويض/إعادة الإسكان في الوطن العربي كحل «للاجئين العرب».
١٦١ ـ اللاجئون والحروب الأهلية في لبنان والأردن.
١٦٢ ـ اللاجئون ينظر اليهم كدعاية سياسة بيد الزعماء العرب.
١٦٣ ـ غير ذلك.

٢٣/ منظمة التحرير الفلسطينية

١٦٤ ـ المنظمة ينظر اليها كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.
١٦٥ ـ المنظمة ينظر اليها كحركة تحرير وطني.
١٦٦ ـ المنظمة تنعت «بعصابة إرهابية».
١٦٧ ـ المنظمة تكسب تأييد العالم واعترافه.
١٦٨ ـ المنظمة واعتراف الجماعة الاوروبية بأهميتها في أية مفاوضات لتسوية سلمية.
١٦٩ ـ المنظمة وعلاقتها بالوطن العربي.
١٧٠ ـ المنظمة وإدانة الجماعة الاوروبية.
١٧١ ـ المنظمة والأمم المتحدة.
١٧٢ ـ المنظمة ودعم الاتحاد السوفياتي.
١٧٣ ـ علاقات المنظمة المتوترة مع الاتحاد السوفياتي.
١٧٤ ـ نشاط المنظمة ضد اسرائيل.
١٧٥ ـ الخلافات/ المصادمات بين بعض فصائل المنظمة.
١٧٦ ـ المنظمة ولبنان.
١٧٧ ـ المنظمة والاعتراف بها من اسرائيل.
١٧٨ ـ المنظمة واعترافها باسرائيل.

٢٤/ الضفة الغربية وقطاع غزة

١٧٩ ـ الضفة الغربية ينظر اليها على أنها «يهودا والسامرة».
١٨٠ ـ العرب يطالبون بدولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع.
١٨١ ـ الضفة الغربية ينظر اليها كأرض محررة.
١٨٢ ـ «فكرة» خلق دولة فلسطينية في الضفة والقطاع.
١٨٣ ـ معارضة اسرائيل لخلق دولة فلسطينية في الضفة والقطاع.
١٨٤ ـ طرد اسرائيل للفلسطينيين من الضفة والقطاع.

١٨٥ ـ تهديد إسرائيل للفلسطينيين في الضفة والقطاع.
١٨٦ ـ اسرائيل تغلق المؤسسات التعليمية في الضفة والقطاع.
١٨٧ ـ تشديد على السفر والعمل في الضفة والقطاع.
١٨٨ ـ المعارضة الفلسطينية للحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة والقطاع.
١٨٩ ـ غير ذلك.

٢٥/ الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة
١٩٠ ـ معارضة العرب والفلسطينيين للمستوطنات.
١٩١ ـ المستوطنات ينظر اليها كعقبة امام السلام.
١٩٢ ـ مستقبل المستوطنات.
١٩٣ ـ ينظر اليها كحق توراتي اسرائيلي.
١٩٤ ـ اسرائيل ترفض التخلي عن المستوطنات.
١٩٥ ـ سياسة اسرائيل المستمرة في إقامة مزيد من المستوطنات.
١٩٦ ـ الطلب من اسرائيل أن تتوقف عن إقامة المستوطنات.
١٩٧ ـ معارضة المستوطنات على العموم.
١٩٨ ـ غير ذلك.

٢٦/ سلوك الزعماء العرب
١٩٩ ـ منطقيون.
٢٠٠ ـ غير منطقيين.
٢٠١ ـ متعصبون غلاة.
٢٠٢ ـ دينيون.
٢٠٣ ـ إرهابيون/إعتدائيون.
٢٠٤ ـ يؤيدهم الغرب.
٢٠٥ ـ يؤيدهم الاتحاد السوفياتي.

٢٧/ عبدالناصر
٢٠٦ ـ النظر اليه كدجّال/متعصب.
٢٠٧ ـ النظر اليه كخطر على المصالح الغربية.
٢٠٨ ـ النظر اليه كزعيم للوحدة العربية.
٢٠٩ ـ النظر اليه كصديق طيب للاتحاد السوفياتي.
٢١٠ ـ النظر اليه كصانع سلام.
٢١١ ـ غير ذلك.

٢٨/ السادات

٢١٢ ـ النظر اليه كمتعصب.

٢١٣ ـ النظر اليه كصانع سلام.

٢١٤ ـ النظر اليه كمقامر سياسي.

٢١٥ ـ النظر اليه كطامح بسمعة شخصية.

٢١٦ ـ النظر اليه كخائن.

٢١٧ ـ النظر اليه كأحسن أصدقاء الغرب.

٢١٨ ـ السادات والاتحاد السوفياتي.

٢١٩ ـ معارضته من مناوئيه.

٢٢٠ ـ غير ذلك.

٢٩/ اليماني

٢٢١ ـ النظر اليه كوزير نفط معتدل.

٢٢٢ ـ النظر اليه كصديق طيب للغرب والولايات المتحدة.

٢٢٣ ـ النظر اليه كأقوى وزير نفط في منظمة أوبك.

٢٢٤ ـ النظر اليه باعتباره الوزير وراء أزمة النفط.

٢٢٥ ـ النظر اليه كسياسي حكيم.

٢٢٦ ـ يماني والأوبك.

٢٢٧ ـ غير ذلك.

٣٠/ سلوك الزعماء الاسرائيليين

٢٢٨ ـ منطقيون وساسة ناجحون.

٢٢٩ ـ غير منطقيين.

٢٣٠ ـ متعصبون.

٢٣١ ـ دينيون.

٢٣٢ ـ اعتدائيون/إرهابيون.

٢٣٣ ـ يؤيدهم الغرب.

٢٣٤ ـ يؤيدهم الاتحاد السوفياتي.

٣١/ بيغن

٢٣٥ ـ متعصب ديني.

٢٣٦ ـ عنيد.

٢٣٧ ـ صانع سلام.

٢٣٨ ـ مقامر سياسي.
٢٣٩ ـ اعتدائي/ارهابي.
٢٤٠ ـ خائن.
٢٤١ ـ طامح بسمعة شخصية.
٢٤٢ ـ بيغن والاتحاد السوفياتي.
٢٤٣ ـ بيغن والغرب.

٣٢/ غولدا مئير

٢٤٤ ـ سيدة منطقية.
٢٤٥ ـ سيدة غير منطقية.
٢٤٦ ـ دينية.
٢٤٧ ـ متعصبة.
٢٤٨ ـ سياسية ناجحة.
٢٤٩ ـ عنيدة.
٢٥٠ ـ اعتدائية.
٢٥١ ـ غير ذلك.

٣٣/ موشي ديان

٢٥٢ ـ زعيم منطقي.
٢٥٣ ـ غير منطقي.
٢٥٤ ـ شخص ديني.
٢٥٥ ـ متعصب.
٢٥٦ ـ النظر إليه كبطل الحروب الاسرائيلية.
٢٥٧ ـ معتدل.
٢٥٨ ـ اعتدائي.
٢٥٩ ـ غير ذلك.

٣٤/ كامب ديفيد

٢٦٠ ـ النظر الى كامب ديفيد كتسوية شاملة من أجل السلام.
٢٦١ ـ النظر الى كامب ديفيد كتسوية غير كافية من أجل السلام.
٢٦٢ ـ النظر الى كامب ديفيد كعقبة كأداء امام تسوية سلمية شاملة.
٢٦٣ ـ النظر الى كامب ديفيد كتخلٍ عن القضية العربية.
٢٦٤ ـ الالتزام الامريكي/البريطاني لتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد.

٢٦٥ ـ التزام اسرائيل بتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد.
٢٦٦ ـ التزام مصر بتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد.
٢٦٧ ـ غير ذلك.

٣٥/ معارضة العرب لكامب ديفيد
٢٦٨ ـ انتقاد المثقفين لكامب ديفيد.
٢٦٩ ـ انتقاد المسؤولين العسكريين لكامب ديفيد.
٢٧٠ ـ انتقاد الوزراء المصريين لكامب ديفيد.
٢٧١ ـ العقوبات العربية ضد مصر كرد فعل على الاتفاقية.
٢٧٢ ـ ادانة منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقية كامب ديفيد.
٢٧٣ ـ الادانة العربية على العموم.
٢٧٤ ـ غير ذلك.

٣٦/ معارضة اسرائيل لكامب ديفيد
٢٧٥ ـ انتقاد المثقفين لكامب ديفيد.
٢٧٦ ـ انتقاد المسؤولين العسكريين لكامب ديفيد.
٢٧٧ ـ معارضة الوزراء الاسرائيليين لكامب ديفيد.
٢٧٨ ـ معارضة كامب ديفيد على العموم.
٢٧٩ ـ غير ذلك.

٣٧/ الهجرة اليهودية
٢٨٠ ـ قانون العودة والهجرة اليهودية الى اسرائيل.
٢٨١ ـ التفرقة ضد المهاجرين اليهود الشرقيين.
٢٨٢ ـ مشاكل المهاجرين الجدد.
٢٨٣ ـ الهجرة من اسرائيل.
٢٨٤ ـ القيود المفروضة على الهجرة.
٢٨٥ ـ غير ذلك.

٣٨/ اسرائيل
٢٨٦ ـ دولة صغيرة، باسلة تقاتل من أجل بقائها.
٢٨٧ ـ دولة غربية الطراز، ديمقراطية وعصرية.
٢٨٨ ـ النظر الى اسرائيل «كوطن تجميع اليهود» من جميع أنحاء العالم.
٢٨٩ ـ النظر الى اسرائيل كدولة امبريالية وعنصرية.
٢٩٠ ـ النظر الى اسرائيل كدولة مهمة استراتيجياً للغرب.

٢٩١ ـ غير ذلك.

٣٩/ الصهيونية

٢٩٢ ـ النظر الى الصهيونية كحركة عنصرية.
٢٩٣ ـ انتقاد اليهود للصهيونية وتهجمهم عليها.
٢٩٤ ـ ادعاء الصهاينة «بجعل الصحراء تزهر».
٢٩٥ ـ الدعاية الصهيونية ونيّة العرب بإلقاء اليهود في البحر.
٢٩٦ ـ تصوير الصهاينة لفلسطين كأرض خالية.
٢٩٧ ـ النظر الى الصهيونية كحركة تحرير وطني من أجل يهود الشتات.
٢٩٨ ـ النظر الى الصهيونية كحركة/ فلسفة سياسية مشروعة.
٢٩٩ ـ معادلة مناهضة الصهيونية باللاسامية ومناهضة اسرائيل.
٣٠٠ ـ النظر الى الصهيونية كعقبة امام السلام في الشرق الأوسط.

٤٠/ النفط

٣٠١ ـ النظر الى العرب «كمبتزّين».
٣٠٢ ـ النظر الى العرب كمسؤولين عن أزمة النفط في الغرب.
٣٠٣ ـ اجتماعات أوبك وأسعار النفط.
٣٠٤ ـ النظر الى النفط كسلاح سياسي بيد العرب.
٣٠٥ ـ مصالح الغرب النفطية.
٣٠٦ ـ تهديد الغرب باحتلال منابع النفط.
٣٠٧ ـ النزاع بين البلدان العربية «المتعقلة» و«غير المتعقلة».
٣٠٨ ـ تأميم النفط العربي.
٣٠٩ ـ غير ذلك.

٤١/ الثروة العربية

٣١٠ ـ النظر الى النفط كمصدر مهم للثروة العربية.
٣١١ ـ العرب يبذرون ثرواتهم في مرابع الغرب الليلية.
٣١٢ ـ العرب يشترون البيوت والفنادق والمطاعم في لندن واوروبا.
٣١٣ ـ العرب ينفقون ثروتهم في مشاريع إنشائية وتنموية.
٣١٤ ـ استثمار الثروة في مشاريع إنشائية وتنموية.
٣١٥ ـ غير ذلك.

٤٢/ الثقافة العربية

٣١٦ ـ الضيافة والكرم.

٣١٧ ـ اسهام العرب في المعرفة الانسانية.
٣١٨ ـ النظر الى الثقافة العربية باعتبارها متسامحة مع الاقليات غير العربية.
٣١٩ ـ النظر الى الثقافة العربية باعتبارها مضطهدة للأقليات غير العربية.
٣٢٠ ـ النظر الى الثقافة العربية على انها ذات قيم غربية.
٣٢١ ـ النظر الى علماء البحث الغربيين «كخبراء» في الثقافة العربية.
٣٢٢ ـ النظر الى الثقافة الغربية باعتبارها «راكدة».

٤٣/ الشخصية العربية
٣٢٣ ـ ميل العرب للاعتماد على الماضي.
٣٢٤ ـ العرب كسالى ويؤمنون بالقضاء والقدر.
٣٢٥ ـ النظر الى العرب كشرقيين عديمي المقدرة.
٣٢٦ ـ اعتدائيون، قساة.
٣٢٧ ـ النظر الى العرب كشرقيين غير مؤتمنين.
٣٢٨ ـ الشخصية العربية ذات مقاصد إيجابية.

٤٤/ المرأة العربية
٣٢٩ ـ النظر الى المرأة العربية كمحجبة.
٣٣٠ ـ النظر الى المرأة العربية باعتبارها تعيش في «نظام الحريم».
٣٣١ ـ النظر الى المرأة العربية «كمتخلفة» شأنها شأن المرأة في «العالم الثالث».
٣٣٢ ـ النظر الى المرأة العربية كمثقفة تكافح من أجل تحررها من «هيمنة الرجل».
٣٣٣ ـ النظر إلى المرأة العربية كواسطة رئيسية للاختلاط الإجتماعي.
٣٣٤ ـ النظر الى المرأة العربية كمضطهدة ومحرومة من الحقوق الاجتماعية.

٤٥/ الجنس
٣٣٥ ـ النظر الى العرب كمفرطين في الجنس.
٣٣٦ ـ النظر الى العرب «كنافعين» للفتيات الشقراوات في الغرب.
٣٣٧ ـ العرب وسوهو (حي الملذات في لندن).
٣٣٨ ـ تعدّد الزوجات عند العرب.
٣٣٩ ـ القيود المفروضة على الحياة الجنسية في الوطن العربي.
٣٤٠ ـ غير ذلك.

٤٦/ البداوة
٣٤١ ـ تصوير العرب كبدو.

٣٤٢ ـ تصوير العرب كحداة إبل.
٣٤٣ ـ تصوير العرب كقبائل تعيش في الصحراء.
٣٤٤ ـ تصوير العرب كقوم بدائيين، متخلفين.

٤٧/ الاسلام
٣٤٥ ـ النظر الى الاسلام باعتباره دين العرب أجمع.
٣٤٦ ـ الخلط بين الاسلام والعروبة.
٣٤٧ ـ النظر الى العرب كتهديد للمسيحية.
٣٤٨ ـ الاسلام وإسهامه القيّم في المعرفة الانسانية.
٣٤٩ ـ النظر الى الاسلام كمرادف للحرب المقدسة.
٣٥٠ ـ النظر الى الاسلام كدين عتيق/ غير عملي وراكد.
٣٥١ ـ الاسلام ومعاملته للمرأة.
٣٥٢ ـ نظام العقوبات الاسلامي.
٣٥٣ ـ غير ذلك.

٤٨/ النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي
٣٥٤ ـ الحرب الأهلية في لبنان.
٣٥٥ ـ الحرب الأهلية في الأردن.
٣٥٦ ـ النظر الى النزاع في لبنان كنزاع بين الاسلام والمسيحية.
٣٥٧ ـ المصادمات والقلاقل عموماً في الوطن العربي.
٣٥٨ ـ المشاكل الداخلية في الوطن العربي.
٣٥٩ ـ غير ذلك.

٤٩/ إيران
٣٦٠ ـ النظر الى ايران كدولة في «الخليج العربي».
٣٦١ ـ النظر الى إيران كدولة «خليجية» عصرية.
٣٦٢ ـ النظر الى إيران كتهديد لبلدان الخليج العربية/الحرب الايرانية ـ العراقية.
٣٦٣ ـ النظر الى الايرانيين كعرب.
٣٦٤ ـ المشاكل الداخلية في إيران.
٣٦٥ ـ غير ذلك.

٥٠/ الشاه
٣٦٦ ـ النظر الى الشاه كدكتاتور قمعي.

٣٦٧ ـ النظر الى الشاه باعتباره يسعى الى التحديث.
٣٦٨ ـ النظر الى الشاه كمركز للمصالح الغربية.
٣٦٩ ـ علاقات الشاه/السادات.
٣٧٠ ـ غير ذلك.

٥١/ الخميني
٣٧١ ـ النظر الى الخميني كزعيم ديني متعصب.
٣٧٢ ـ النظر الى الخميني باعتباره زعيم «الثورة» الايرانية الأكبر.
٣٧٣ ـ النظر الى الخميني «كممثل» للعقيدة الاسلامية.
٣٧٤ ـ النظر الى الخميني كتهديد للمصالح الغربية.
٣٧٥ ـ الخميني ونظام العقوبات الاسلامي.
٣٧٦ ـ الخميني والوطن العربي.
٣٧٧ ـ الخميني والرهائن الامريكيون.
٣٧٨ ـ غير ذلك.

٥٢/ مواضيع أخرى
٣٧٩ ـ مسائل عامة.

الملحق الثاني

جدول الترميز: «المحاور»
رقم تسلسل البنود

اليوم، الشهر، والسنة: ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٨٠.

الواسطة

جريدة الفارديان
التايمز
الديلي اكسبرس
المورننغ ستار.

صفة البند

١ ـ مقال رئيسي/ عنوان
٢ ـ غير ذلك في الصفحة الأولى.
٣ ـ الصفحة الداخلية.
٤ ـ الصفحة الخلفية.
٥ ـ غير ذلك.

نمط البند

١ ـ اخبار.
٢ ـ مقال.
٣ ـ افتتاحية.
٤ ـ رسالة الى المحرر.

٥ ـ اعلان.
٦ ـ مقال متواصل (تقرير عن أعمال البرلمان مثلاً).

الرسم الكاريكاتوري
١ ـ الرسم مرفق بالمقال.
٢ ـ الرسم لوحده.
٣ ـ غير موجود.

التصوير الفوتوغرافي
١ ـ الصورة مرفقة بالمقال.
٢ ـ الصورة لوحدها.
٣ ـ غير موجودة.

«المشرق العربي»
١ ـ العرب.
٢ ـ غير العرب.

قائمة بالمحاور

١/ السلام
١ ـ مطالبة الأمم المتحدة لاسرائيل بالانسحاب من أرض عربية كشرط للسلام.
٢ ـ مطالبة بريطانيا لاسرائيل بالانسحاب من ارض عربية كشرط للسلام.
٣ ـ مطالبة البلدان العربية لاسرائيل بالانسحاب من ارض عربية كشرط للسلام.
٤ ـ مطالبة دولة أخرى لاسرائيل بالانسحاب من ارض عربية كشرط للسلام.
٥ ـ رفض اسرائيل لمقترحات سلام بشأن انسحابها من أرض عربية.
٦ ـ طلب العرب لتسوية سلمية.
٧ ـ طلب اسرائيل لتسوية سلمية.
٨ ـ النظر الى المبادرة السلمية «كتخل» عن القضية العربية.
٩ ـ معارضة العرب لمبادرة السادات السلمية.
١٠ ـ معارضة منظمة التحرير الفلسطينية لمبادرة السادات السلمية.
١١ ـ معارضة مبادرة السادات السلمية على العموم.

١٢ ـ إمكانية السلام بين اسرائيل وسوريا.
١٣ ـ إمكانية السلام بين اسرائيل والأردن.
١٤ ـ النظر الى منظمة التحرير/الفلسطينيين كعقبة كأداء للسلام.
١٥ ـ قوات حفظ السلام.
١٦ ـ غير ذلك.

٢/ الحرب

١٧ ـ وصف/تحليل النزاع.
١٨ ـ إسرائيل تدعي النجاح في النزاع.
١٩ ـ العرب يدعون النجاح في النزاع.
٢٠ ـ العرب يهاجمون إسرائيل.
٢١ ـ اسرائيل تهاجم العرب.
٢٢ ـ البلدان العربية تساعد في الحرب.
٢٣ ـ معاملة العرب لأسرى الحرب.
٢٤ ـ معاملة إسرائيل لأسرى الحرب.
٢٥ ـ العرب يهددون بالحرب.
٢٦ ـ اسرائيل تهدد بالحرب.
٢٧ ـ غير ذلك.

٣/ الهدنة

٢٨ ـ الدول الكبرى تطالب بالهدنة في الشرق الأوسط.
٢٩ ـ العرب يقبلون/يطلبون الهدنة.
٣٠ ـ إسرائيل تقبل/تطلب الهدنة.
٣١ ـ إسرائيل تخالف هدنة وقف إطلاق النار.
٣٢ ـ العرب يخالفون هدنة وقف إطلاق النار.
٣٣ ـ وقف إطلاق النار بين القوات المتقاتلة في لبنان.
٣٤ ـ فشل وقف اطلاق النار في لبنان.
٣٥ ـ غير ذلك.

٤/ المفاوضات

٣٦ ـ المفاوضات بين مصر وإسرائيل حول قضايا مصرية.
٣٧ ـ المفاوضات بين مصر وإسرائيل حول قضايا فلسطينية.
٣٨ ـ إمكانية المفاوضات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

٣٩ ـ إمكانية المفاوضات بين اسرائيل والبلدان العربية بشأن النزاع.
٤٠ ـ المفاوضات لإزالة الوجود «الأجنبي» من الوطن العربي.
٤١ ـ المفاوضات على العموم.

٥/ الوساطة

٤٢ ـ جهود الولايات المتحدة في الوساطة بين العرب واسرائيل.
٤٣ ـ جهود بريطانيا في الوساطة بين العرب واسرائيل.
٤٤ ـ جهود أقطار أخرى في الوساطة بين اسرائيل والعرب.
٤٥ ـ جهود الجامعة العربية في الوساطة بين بلدان عربية.
٤٦ ـ جهود الامم المتحدة في الوساطة بين العرب واسرائيل.
٤٧ ـ غير ذلك.

٦/ كيسنجر

٤٨ ـ كيسنجر وسياسة المكّوك.
٤٩ ـ النظر الى كيسنجر باعتباره السياسي الدبلوماسي وراء السلام في الشرق الأوسط.
٥٠ ـ كيسنجر وعلاقاته الشخصية بالزعماء العرب.
٥١ ـ كيسنجر وعلاقاته الشخصية باسرائيل.
٥٢ ـ غير ذلك.

٧/ المؤتمرات

٥٣ ـ مؤتمر جنيف للسلام وامكانية اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية.
٥٤ ـ مؤتمر جنيف للسلام ونزاع الشرق الأوسط.
٥٥ ـ مؤتمر البندقية/الجماعة الاوروبية وإدانة اسرائيل.
٥٦ ـ النظر الى مؤتمر البندقية/الجماعة الاوروبية كمتمم لاتفاقية كامب ديفيد.
٥٧ ـ النظر الى اعلان البندقية/الجماعة الاوروبية كبديل مستقل عن اتفاقية كامب ديفيد.
٥٨ ـ البندقية/الجماعة الاوروبية وتأييد حق تقرير المصير للفلسطينيين.

٨/ العلاقات بين اسرائيل وبريطانيا

٥٩ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٦٠ ـ تأييد عسكري (قوات).
٦١ ـ مصالح اقتصادية.
٦٢ ـ تأييد سياسي.

٦٣ ـ ضغط عسكري.
٦٤ ـ ضغط اقتصادي.
٦٥ ـ ضغط سياسي.
٦٦ ـ غير ذلك.

٩/ العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة

٦٧ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٦٨ ـ تأييد عسكري (قوات).
٦٩ ـ مصالح اقتصادية.
٧٠ ـ تأييد سياسي.
٧١ ـ ضغط عسكري.
٧٢ ـ ضغط اقتصادي.
٧٣ ـ ضغط سياسي.
٧٤ ـ غير ذلك.

١٠/ العلاقات بين اسرائيل وفرنسا

٧٥ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٧٦ ـ تأييد عسكري (قوات).
٧٧ ـ مصالح اقتصادية.
٧٨ ـ تأييد سياسي.
٧٩ ـ ضغط عسكري.
٨٠ ـ ضغط اقتصادي.
٨١ ـ ضغط سياسي.
٨٢ ـ غير ذلك.

١١/ العلاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي

٨٣ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٨٤ ـ تأييد عسكري (قوات).
٨٥ ـ مصالح اقتصادية.
٨٦ ـ تأييد سياسي.
٨٧ ـ علاقات متوترة (علناً).
٨٨ ـ غير ذلك.

١٢/ العلاقات بين العرب وبريطانيا

٨٩ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).

٩٠ ـ تأييد عسكري (قوات).
٩١ ـ مصالح اقتصادية.
٩٢ ـ تأييد سياسي.
٩٣ ـ ضغط عسكري.
٩٤ ـ ضغط اقتصادي.
٩٥ ـ ضغط سياسي.
٩٦ ـ غير ذلك.

١٣/ العلاقات بين العرب والولايات المتحدة
٩٧ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
٩٨ ـ تأييد عسكري (قوات).
٩٩ ـ مصالح اقتصادية.
١٠٠ ـ تأييد سياسي.
١٠١ ـ ضغط عسكري.
١٠٢ ـ ضغط اقتصادي.
١٠٣ ـ ضغط سياسي.
١٠٤ ـ غير ذلك.

١٤/ العلاقات بين العرب وفرنسا
١٠٥ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
١٠٦ ـ تأييد عسكري (قوات).
١٠٧ ـ مصالح اقتصادية.
١٠٨ ـ تأييد سياسي.
١٠٩ ـ ضغط عسكري.
١١٠ ـ ضغط اقتصادي.
١١١ ـ ضغط سياسي.
١١٢ ـ غير ذلك.

١٥/ العلاقات بين العرب والاتحاد السوفياتي
١١٣ ـ مساعدة عسكرية (أسلحة).
١١٤ ـ تأييد عسكري (قوات).
١١٥ ـ مصالح اقتصادية.
١١٦ ـ تأييد سياسي.

١١٧ ـ ضغط عسكري.
١١٨ ـ ضغط اقتصادي.
١١٩ ـ ضغط سياسي.
١٢٠ ـ غير ذلك.

١٦/ العلاقات بين «الغرب» والعرب
١٢١ ـ تهديد الاستثمارات الغربية.
١٢٢ ـ المخاوف من «التهديد السوفياتي» يزيد من النفوذ.

١٧/ اهداف اسرائيلية
١٢٣ ـ قصف ورمي مخيمات اللاجئين والمدن والاهداف المدنية في لبنان والأردن ومصر.
١٢٤ ـ نسف بيوت المدنيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين وفي لبنان.
١٢٥ ـ قصف ورمي على العموم.
١٢٦ ـ غزو جنوب لبنان بحجة كونه هدفاً أساسياً لحماية حدود اسرائيل من الفدائيين الفلسطينيين.
١٢٧ ـ النظر الى غزو جنوب لبنان كتوسع إسرائيلي.
١٢٨ ـ غزو لبنان كهدف «للدفاع» عن المسيحيين ضد «العدوان» العربي.
١٢٩ ـ غير ذلك.

١٨/ أهداف عربية
١٣٠ ـ قصف ورمي المستوطنات الاسرائيلية على الحدود.
١٣١ ـ قصف ورمي المدنيين.
١٣٢ ـ قصف ورمي على العموم.
١٣٣ ـ غير ذلك.

١٩/ العنف الاسرائيلي
١٣٤ ـ العنف الاسرائيلي ينعت «بالبطولة».
١٣٥ ـ العنف الاسرائيلي ينعت بالعدوان المشروع وبالدفاع عن النفس.
١٣٦ ـ العنف الاسرائيلي ينعت بالإرهاب.
١٣٧ ـ العنف الاسرائيلي يبرر كعمل ثأري.
١٣٨ ـ العنف الاسرائيلي ينظر اليه كاحتياطات أمنية.
١٣٩ ـ العنف الاسرائيلي ضد الفلسطينيين البارزين داخل أوروبا وخارجها.
١٤٠ ـ إدانة العنف الاسرائيلي.

١٤١ ـ غير ذلك.

٢٠/ العنف الفلسطيني

١٤٢ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالبطولة.
١٤٣ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالعدوان المشروع.
١٤٤ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالإرهاب.
١٤٥ ـ العنف الفلسطيني ينعت بالارهاب العربي.
١٤٦ ـ العنف الفلسطيني ينظر اليه كعمل ثاري.
١٤٧ ـ إدانة العنف الفلسطيني.
١٤٨ ـ غير ذلك.

٢١/ العنف العربي

١٤٩ ـ العنف العربي ينعت بالبطولة.
١٥٠ ـ العنف العربي ينعت بالعدوان المشروع.
١٥١ ـ العنف العربي ينعت بالارهاب.
١٥٢ ـ العنف العربي ينظر اليه كعمل ثاري.
١٥٣ ـ إدانة العنف العربي.
١٥٤ ـ غير ذلك.

٢٢/ اللاجئون الفلسطينيون

١٥٥ ـ اللاجئون ينظر اليهم كثمن لخلق دولة اسرائيل، وعلى انهم في صلب نزاع الشرق الاوسط.
١٥٦ ـ اللاجئون ينظر اليهم كضحايا لعنف اسرائيل وإرهابها.
١٥٧ ـ اللاجئون ينظر اليهم كعقبة امام السلام.
١٥٨ ـ البحث عن «حل عادل» لمشكلة اللاجئين.
١٥٩ ـ اللاجئون ينظرون الى منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها هويتهم السياسية.
١٦٠ ـ التعويض/إعادة الإسكان في الوطن العربي كحل «للاجئين العرب».
١٦١ ـ اللاجئون والحروب الأهلية في لبنان والأردن.
١٦٢ ـ اللاجئون ينظر اليهم كدعاية سياسة بيد الزعماء العرب.
١٦٣ ـ غير ذلك.

٢٣/ منظمة التحرير الفلسطينية

١٦٤ ـ المنظمة ينظر اليها كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.

١٦٥ ـ المنظمة ينظر اليها كحركة تحرير وطني.
١٦٦ ـ المنظمة تنعت «بعصابة إرهابية».
١٦٧ ـ المنظمة تكسب تأييد العالم واعترافه.
١٦٨ ـ المنظمة واعتراف الجماعة الاوروبية بأهميتها في أية مفاوضات لتسوية سلمية.
١٦٩ ـ المنظمة وعلاقتها بالوطن العربي.
١٧٠ ـ المنظمة وإدانة الجماعة الأوروبية.
١٧١ ـ المنظمة والأمم المتحدة.
١٧٢ ـ المنظمة ودعم الاتحاد السوفياتي.
١٧٣ ـ علاقات المنظمة المتوترة مع الاتحاد السوفياتي.
١٧٤ ـ نشاط المنظمة ضد إسرائيل.
١٧٥ ـ الخلافات/المصادمات بين بعض فصائل المنظمة.
١٧٦ ـ المنظمة ولبنان.
١٧٧ ـ المنظمة والاعتراف بها من اسرائيل.
١٧٨ ـ المنظمة واعترافها باسرائيل.

٢٤/ الضفة الغربية وقطاع غزة

١٧٩ ـ الضفة الغربية ينظر اليها على انها «يهودا والسامرة».
١٨٠ ـ العرب يطالبون بدولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع.
١٨١ ـ الضفة الغربية ينظر اليها كأرض محررة.
١٨٢ ـ «فكرة» خلق دولة فلسطينية في الضفة والقطاع.
١٨٣ ـ معارضة إسرائيل لخلق دولة فلسطينية في الضفة والقطاع.
١٨٤ ـ طرد اسرائيل للفلسطينيين من الضفة والقطاع.
١٨٥ ـ تهديد إسرائيل للفلسطينيين في الضفة والقطاع.
١٨٦ ـ اسرائيل تغلق المؤسسات التعليمية في الضفة والقطاع.
١٨٧ ـ تشديد على السفر والعمل في الضفة والقطاع.
١٨٨ ـ المعارضة الفلسطينية للحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة والقطاع.
١٨٩ ـ غير ذلك.

٢٥/ الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة

١٩٠ ـ معارضة العرب والفلسطينيين للمستوطنات.
١٩١ ـ المستوطنات ينظر اليها كعقبة امام السلام.
١٩٢ ـ مستقبل المستوطنات.

١٩٣ ـ ينظر اليها كحق توراتي اسرائيلي.
١٩٤ ـ إسرائيل ترفض التخلي عن المستوطنات.
١٩٥ ـ سياسة إسرائيل المستمرة في إقامة مزيد من المستوطنات.
١٩٦ ـ الطلب من اسرائيل ان تتوقف عن اقامة المستوطنات.
١٩٧ ـ معارضة المستوطنات على العموم.
١٩٨ ـ غير ذلك.

٢٦/ سلوك الزعماء العرب

١٩٩ ـ منطقيون.
٢٠٠ ـ غير منطقيين.
٢٠١ ـ متعصبون غلاة.
٢٠٢ ـ دينيون.
٢٠٣ ـ إرهابيون/اعتدائيون.
٢٠٤ ـ يؤيدهم الغرب.
٢٠٥ ـ يؤيدهم الاتحاد السوفياتي.

٢٧/ عبدالناصر

٢٠٦ ـ النظر إليه كدجّال /متعصب.
٢٠٧ ـ النظر إليه كخطر على المصالح الغربية.
٢٠٨ ـ النظر اليه كزعيم للوحدة العربية.
٢٠٩ ـ النظر اليه كصديق طيب للاتحاد السوفياتي.
٢١٠ ـ النظر إليه كصانع سلام.
٢١١ ـ غير ذلك.

٢٨/ السادات

٢١٢ ـ النظر إليه كمتعصب.
٢١٣ ـ النظر إليه كصانع سلام.
٢١٤ ـ النظر إليه كمقامر سياسي.
٢١٥ ـ النظر إليه كطامح بسمعة شخصية.
٢١٦ ـ النظر إليه كخائن.
٢١٧ ـ النظر اليه كأحسن أصدقاء الغرب.
٢١٨ ـ السادات والاتحاد السوفياتي.
٢١٩ ـ معارضته من مناوئيه.
٢٢٠ ـ غير ذلك.

٢٩/ اليماني

٢٢١ ـ النظر إليه كوزير نفط معتدل.

٢٢٢ ـ النظر إليه كصديق طيب للغرب والولايات المتحدة.

٢٢٣ ـ النظر إليه كأقوى وزير نفط في منظمة أوبك.

٢٢٤ ـ النظر إليه باعتباره الوزير وراء أزمة النفط.

٢٢٥ ـ النظر إليه كسياسي حكيم.

٢٢٦ ـ يماني والأوبك.

٢٢٧ ـ غير ذلك.

٣٠/ سلوك الزعماء الاسرائيليين.

٢٢٨ ـ منطقيون وساسة ناجحون.

٢٢٩ ـ غير منطقيين.

٢٣٠ ـ متعصبون.

٢٣١ ـ دينيون.

٢٣٢ ـ اعتدائيون/ارهابيون.

٢٣٣ ـ يؤيدهم الغرب.

٢٣٤ ـ يؤيدهم الاتحاد السوفياتي.

٣١/ بيغن

٢٣٥ ـ متعصب ديني.

٢٣٦ ـ عنيد.

٢٣٧ ـ صانع سلام.

٢٣٨ ـ مقامر سياسي.

٢٣٩ ـ اعتدائي/ارهابي.

٢٤٠ ـ خائن.

٢٤١ ـ طامح بسمعة شخصية.

٢٤٢ ـ بيغن والاتحاد السوفياتي.

٢٤٣ ـ بيغن والغرب.

٣٢/ غولدا مئير

٢٤٤ ـ سيدة منطقية.

٢٤٥ ـ سيدة غير منطقية.

٢٤٦ ـ دينية.

٢٤٧ ـ متعصبة.
٢٤٨ ـ سياسية ناجحة.
٢٤٩ ـ عنيدة.
٢٥٠ ـ اعتدائية.
٢٥١ ـ غير ذلك.

٣٣/ موشي ديان
٢٥٢ ـ زعيم منطقي.
٢٥٣ ـ غير منطقي.
٢٥٤ ـ شخص ديني.
٢٥٥ ـ متعصب.
٢٥٦ ـ النظر إليه كبطل الحروب الاسرائيلية.
٢٥٧ ـ معتدل.
٢٥٨ ـ اعتدائي.
٢٥٩ ـ غير ذلك.

٣٤/كامب ديفيد
٢٦٠ ـ النظر الى كامب ديفيد كتسوية شاملة من أجل السلام.
٢٦١ ـ النظر الى كامب ديفيد كتسوية غير كافية من أجل السلام.
٢٦٢ ـ النظر الى كامب ديفيد كعقبة كأداء أمام تسوية سلمية شاملة.
٢٦٣ ـ النظر إلى كامب ديفيد كتخلٍ عن القضية العربية.
٢٦٤ ـ الالتزام الامريكي/البريطاني لتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد.
٢٦٥ ـ التزام اسرائيل بتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد
٢٦٦ ـ التزام مصر بتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد.
٢٦٧ ـ غير ذلك.

٣٥/ معارضة العرب لكامب ديفيد
٢٦٨ ـ انتقاد المثقفين لكامب ديفيد.
٢٦٩ ـ انتقاد المسؤولين العسكريين لكامب ديفيد.
٢٧٠ ـ انتقاد الوزراء المصريين لكامب ديفيد.
٢٧١ ـ العقوبات العربية ضد مصر كرد فعل على الاتفاقية.
٢٧٢ ـ ادانة منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاقية كامب ديفيد.
٢٧٣ ـ الادانة العربية على العموم.
٢٧٤ ـ غير ذلك.

٣٦/ معارضة إسرائيل لكامب ديفيد

٢٧٥ ـ انتقاد المثقفين لكامب ديفيد.
٢٧٦ ـ انتقاد المسؤولين العسكريين لكامب ديفيد.
٢٧٧ ـ معارضة الوزراء الاسرائيليين لكامب ديفيد.
٢٧٨ ـ معارضة كامب ديفيد على العموم.
٢٧٩ ـ غير ذلك.

٣٧/ الهجرة اليهودية

٢٨٠ ـ قانون العودة والهجرة اليهودية الى اسرائيل.
٢٨١ ـ التفرقة ضد المهاجرين اليهود الشرقيين.
٢٨٢ ـ مشاكل المهاجرين الجدد.
٢٨٣ ـ الهجرة من إسرائيل.
٢٨٤ ـ القيود المفروضة على الهجرة.
٢٨٥ ـ غير ذلك.

٣٨/ إسرائيل

٢٨٦ ـ دولة صغيرة، باسلة، تقاتل من أجل بقائها.
٢٨٧ ـ دولة غربية الطراز، ديمقراطية وعصرية.
٢٨٨ ـ النظر الى اسرائيل «كوطن تجميع اليهود» من جميع أنحاء العالم.
٢٨٩ ـ النظر الى اسرائيل كدولة امبريالية وعنصرية.
٢٩٠ ـ النظر الى اسرائيل كدولة مهمة استراتيجياً للغرب.
٢٩١ ـ غير ذلك.

٣٩/ الصهيونية

٢٩٢ ـ النظر الى الصهيونية كحركة عنصرية.
٢٩٣ ـ انتقاد اليهود للصهيونية وتهجمهم عليها.
٢٩٤ ـ ادعاء الصهاينة «بجعل الصحراء تزهر».
٢٩٥ ـ الدعاية الصهيونية ونية العرب بإلقاء اليهود في البحر.
٢٩٦ ـ تصوير الصهاينة لفلسطين كأرض خالية.
٢٩٧ ـ النظر الى الصهيونية كحركة تحرير وطني من أجل يهود الشتات.
٢٩٨ ـ النظر الى الصهيونية كحركة/فلسفة سياسية مشروعة.
٢٩٩ ـ معادلة مناهضة الصهيونية باللاسامية ومناهضة اسرائيل.
٣٠٠ ـ النظر الى الصهيونية كعقبة امام السلام في الشرق الأوسط.

٤٠/ النفط

٣٠١ ـ النظر الى العرب «كمبترين».

٣٠٢ ـ النظر الى العرب كمسؤولين عن أزمة النفط في الغرب.

٣٠٣ ـ اجتماعات أوبك وأسعار النفط.

٣٠٤ ـ النظر الى النفط كسلاح سياسي بيد العرب.

٣٠٥ ـ مصالح الغرب النفطية.

٣٠٦ ـ تهديد الغرب باحتلال منابع النفط.

٣٠٧ ـ النزاع بين البلدان العربية «المتعقلة» و«غير المتعقلة».

٣٠٨ ـ تأميم النفط العربي.

٣٠٩ ـ غير ذلك.

٤١/ الثروة العربية

٣١٠ ـ النظر الى النفط كمصدر مهم للثروة العربية.

٣١١ ـ العرب يبذرون ثرواتهم في مرابع الغرب الليلية.

٣١٢ ـ العرب يشترون البيوت والفنادق والمطاعم في لندن وأوروبا.

٣١٣ ـ العرب ينفقون ثروتهم في مشاريع إنشائية وتنموية.

٣١٤ ـ استثمار الثروة في مشاريع إنشائية وتنموية.

٣١٥ ـ غير ذلك.

٤٢/ الثقافة العربية

٣١٦ ـ الضيافة والكرم.

٣١٧ ـ إسهام العرب في المعرفة الانسانية.

٣١٨ ـ النظر الى الثقافة العربية باعتبارها متسامحة مع الأقليات غير العربية.

٣١٩ ـ النظر الى الثقافة العربية باعتبارها مضطهدة للأقليات غير العربية.

٣٢٠ ـ النظر الى الثقافة العربية على أنها ذات قيم غريبة.

٣٢١ ـ النظر الى علماء البحث الغربيين «كخبراء» في الثقافة العربية.

٣٢٢ ـ النظر الى الثقافة الغربية باعتبارها «راكدة».

٤٣/ الشخصية العربية

٣٢٣ ـ ميل العرب للاعتماد على الماضي.

٣٢٤ ـ العرب كسالى ويؤمنون بالقضاء والقدر.

٣٢٥ ـ النظر الى العرب كشرقيين عديمي المقدرة.

٣٢٦ ـ اعتدائيون، قساة.

٣٢٧ ـ النظر إلى العرب كشرقيين غير مؤتمنين.
٣٢٨ ـ الشخصية العربية ذات مقاصد إيجابية.

٤٤/ المرأة العربية

٣٢٩ ـ النظر الى المرأة العربية كمحجبة.
٣٣٠ ـ النظر الى المرأة العربية باعتبارها تعيش في «نظام الحريم».
٣٣١ ـ النظر الى المرأة العربية «كمتخلفة» شأنها شأن المرأة في «العالم الثالث».
٣٣٢ ـ النظر الى المرأة العربية كمثقفة تكافح من أجل تحررها من «هيمنة الرجل».
٣٣٣ ـ النظر الى المرأة العربية كواسطة رئيسية للاختلاط الاجتماعي.
٣٣٤ ـ النظر الى المرأة العربية كمضطهدة ومحرومة من الحقوق الاجتماعية.

٤٥/ الجنس

٣٣٥ ـ النظر الى العرب كمفرطين في الجنس.
٣٣٦ ـ النظر الى العرب «كنافعين» للفتيات الشقراوات في الغرب.
٣٣٧ ـ العرب وسوهو (حي الملذات في لندن).
٣٣٨ ـ تعدد الزوجات عند العرب.
٣٣٩ ـ القيود المفروضة على الحياة الجنسية في الوطن العربي.
٣٤٠ ـ غير ذلك.

٤٦/ البداوة

٣٤١ ـ تصوير العرب كبدو.
٣٤٢ ـ تصوير العرب كحداة إبل.
٣٤٣ ـ تصوير العرب كقبائل تعيش في الصحراء.
٣٤٤ ـ تصوير العرب كقوم بدائيين، متخلفين.

٤٧/ الاسلام

٣٤٥ ـ النظر الى الاسلام باعتباره دين العرب أجمع.
٣٤٦ ـ الخلط بين الاسلام والعروبة.
٣٤٧ ـ النظر الى العرب كتهديد للمسيحية.
٣٤٨ ـ الاسلام وإسهامه القيّم في المعرفة الانسانية.
٣٤٩ ـ النظر الى الاسلام كمرادف للحرب المقدسة.
٣٥٠ ـ النظر الى الاسلام كدين عتيق/غير عملي وراكد.
٣٥١ ـ الاسلام ومعاملته للمرأة.

٣٥٢ ـ نظام العقوبات الاسلامي.
٣٥٣ ـ غير ذلك.

٤٨/ النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي
٣٥٤ ـ الحرب الأهلية في لبنان.
٣٥٥ ـ الحرب الأهلية في الأردن.
٣٥٦ ـ النظر الى النزاع في لبنان كنزاع بين الاسلام والمسيحية.
٣٥٧ ـ المصادمات والقلاقل عموماً في الوطن العربي.
٣٥٨ ـ المشاكل الداخلية في الوطن العربي.
٣٥٩ ـ غير ذلك.

٤٩/ إيران
٣٦٠ ـ النظر الى إيران كدولة في «الخليج العربي».
٣٦١ ـ النظر الى إيران كدولة «خليجية» عصرية.
٣٦٢ ـ النظر الى إيران كتهديد لبلدان الخليج العربية/الحرب الايرانية ـ العراقية.
٣٦٣ ـ النظر الى الايرانيين كعرب.
٣٦٤ ـ المشاكل الداخلية في إيران.
٣٦٥ ـ غير ذلك.

٥٠/ الشاه
٣٦٦ ـ النظر الى الشاه كدكتاتور قمعي.
٣٦٧ ـ النظر الى الشاه باعتباره يسعى الى التحديث.
٣٦٨ ـ النظر الى الشاه كمركز للمصالح الغربية.
٣٦٩ ـ علاقات الشاه/السادات.
٣٧٠ ـ غير ذلك.

٥١/ الخميني
٣٧١ ـ النظر الى الخميني كزعيم ديني متعصب.
٣٧٢ ـ النظر الى الخميني باعتباره زعيم «الثورة» الايرانية الأكبر.
٣٧٣ ـ النظر الى الخميني «كممثل» للعقيدة الاسلامية.
٣٧٤ ـ النظر الى الخميني كتهديد للمصالح الغربية.
٣٧٥ ـ الخميني ونظام العقوبات الاسلامي.
٣٧٦ ـ الخميني والوطن العربي.

٣٧٧ ـ الخميني والرهائن الأمريكيون.
٣٧٨ ـ غير ذلك.

٥٢/ مواضيع أخرى

٣٧٩ ـ مسائل عامة.
٣٨٠ ـ السويس.
٣٨١ ـ اللاسامية.
٣٨٢ ـ الوجود الاستعماري البريطاني.
٣٨٣ ـ أساطير آثار مصر القديمة.
٣٨٤ ـ الصليبيون.
٣٨٥ ـ الاشارة الى التوراة.
٣٨٦ ـ الاهتمام الصريح بالمصالح المكتسبة.
٣٨٧ ـ تهديد المصالح البريطانية.
٣٨٨ ـ اللوبي الصهيوني.
٣٨٩ ـ حرب الدعاية الاسرائيلية.
٣٩٠ ـ الوحدة العربية.
٣٩١ ـ الشعور الاسرائيلي بالتفوق العرقي.
٣٩٢ ـ ألف ليلة وليلة.
٣٩٣ ـ خطف الطائرات/الرهائن.
٣٩٤ ـ تفوق اسرائيل/عنجهيتها/تعنتها.
٣٩٥ ـ النزاع وعدم الاستقرار في اسرائيل.
٣٩٦ ـ إمكانية التعايش العربي ـ الاسرائيلي.
٣٩٧ ـ التهديد الاسرائيلي باستخدام الاسلحة النووية.
٣٩٨ ـ المزارع الجماعية (كيبوتز).
٣٩٩ ـ اتجاه العرب العدواني لتدمير اسرائيل.
٤٠٠ ـ النقص الاجتماعي والعسكري العربي.
٤٠١ ـ جاذبية الصهيونية في الغرب.
٤٠٢ ـ توسع إسرائيل/الأمن.
٤٠٣ ـ تفوّق إسرائيل العسكري.
٤٠٤ ـ اقتدار العرب وكفاءتهم في الحرب.
٤٠٥ ـ إسرائيل لا تقهر.

الملحق الثالث

بيانات إحصائية عن التغطية الاخبارية

جدول رقم (١)

تغطية المواضيع في جرائد منتخبة × عدد مرات تكرارها

الرقم	المواضيع	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠	المجموع
١	السلام	–	٩	١	٥	٤	١٠	–	٢٩
٢	الحرب	٤	٤	٣	٨	١	–	–	٢٠
٣	وقف إطلاق النار	٢	٧	١	٢	٢	١	–	١٥
٤	المفاوضات	–	١	–	١	١	٨	٢	١٣
٥	الوساطة	٣	١	–	–	١	٣	–	٨
٦	كيسنجر	–	–	–	٤	٣	–	–	٧
٧	المؤتمرات	١	–	–	١	١	–	١	٤
٨	العلاقات الاسرائيلية ـ البريطانية	–	١	١	٢	١	–	١	٦
٩	العلاقات الاسرائيلية ـ الأمريكية	–	–	٢	١	٢	٤	٢	١١
١٠	العلاقات الاسرائيلية ـ الفرنسية	١	–	–	–	١	–	–	٢
١١	العلاقات الاسرائيلية ـ السوفياتية	–	١	١	١	–	–	–	٣
١٢	العلاقات العربية ـ البريطانية	٢	١	١	٦	–	٢	١٢	٢٤
١٣	العلاقات العربية ـ الأمريكية	١	٥	–	٥	٣	٢	١	١٧
١٤	العلاقات العربية ـ الفرنسية	٢	٢	–	–	١	١	–	٦
١٥	العلاقات العربية ـ السوفياتية	١	٩	٨	٥	–	–	–	٢٣
١٦	العلاقات العربية ـ الغربية	–	–	–	١	–	–	٢	٣
١٧	أهداف إسرائيلية	٢	٢١	٢	٦	–	٣	٤	٣٨
١٨	اهداف عربية	١	–	–	–	–	–	–	١
١٩	العنف الاسرائيلي	–	١	٦	٢	–	–	١	١٠
٢٠	العنف الفلسطيني	٦	٥	١٥	٢	١	٢	٢	٣٣
٢١	العنف العربي	–	–	٤	–	١	–	–	٥
٢٢	اللاجئون الفلسطينيون	١	٣	–	–	١	–	١	٦
٢٣	منظمة التحرير الفلسطينية	١	٤	٢	٨	٤	٨	٩	٣٦
٢٤	الضفة الغربية وقطاع غزة	–	١	٤	١	٣	–	٨	١٧
٢٥	المستوطنات الاسرائيلية في الضفة	–	–	–	١	١	٤	٢	٨
٢٦	سلوك الزعماء العرب	–	٣	٢	–	١	–	١	٧

تابع جدول رقم (١)

الرقم	المواضيع	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠	المجموع
٢٧	عبدالناصر	–	٣	٢	–	١	–	١	٧
٢٨	السادات	–	–	١١	٦	٦	١٠	٢	٣٥
٢٩	اليماني	–	–	–	–	–	–	–	–
٣٠	الزعماء الاسرائيليون	–	–	–	١	–	–	١	٢
٣١	بيغن	–	–	–	–	–	٦	٤	١٠
٣٢	غولدا مائير	–	٧	–	٣	–	١	١	١٢
٣٣	موشي ديان	–	١	١	–	–	–	١	٣
٣٤	كامب ديفيد	–	–	–	–	–	٩	١	١٠
٣٥	المعارضة العربية لكامب ديفيد	–	–	–	–	–	٢	–	٢
٣٦	المعارضة الاسرائيلية لكامب ديفيد	–	–	–	–	–	–	–	–
٣٧	الهجرة اليهودية	١	–	٢	–	١	١	–	٥
٣٨	إسرائيل	–	٤	٣	٣	٣	١٢	٧	٣٢
٣٩	الصهيونية	–	–	–	–	٢	–	–	٢
٤٠	النفط	٧	٤	١٢	١١	١٢	١	١٣	٥٠
٤١	الثروة العربية	٧	–	١	١٣	٢	٢	–	٢٥
٤٢	الثقافة العربية	٣	–	–	–	١	١	–	٥
٤٣	الشخصية العربية	–	–	–	–	–	–	١	١
٤٤	المرأة العربية	١	–	–	–	–	–	١	٢
٤٥	الجنس	–	–	–	١	–	–	–	١
٤٦	البداوة	–	–	–	–	–	–	–	–
٤٧	الاسلام	١	–	–	–	–	–	٤	٥
٤٨	النزاع/ عدم الاستقرار	٥	١٨	٥	٥	٣٢	١	١٢	٨٨
٤٩	إيران	–	–	٣	–	٢	٥	٣٦	٤٦
٥٠	الشاه	–	–	١	٢	٣	٢	٦	١٤
٥١	الخميني	–	–	–	–	–	١	١٣	١٤
٥٢	غير ذلك	٧	١٠	٩	١٢	١٧	٩	١٤	٧٨

جدول رقم (٢)
ظهور المحاور الرئيسية ومجموع عدد مرات تكرارها في جميع السنين والجرائد التي تناولها البحث

الرقم	المحاور	مجموع الظهور	مجموع عدد مرات التكرار
٢٣٩	السادات	١٨	٣٢
٥٣	كيسنجر	١٣	١٨
١	السلام	١٢	١٦
٤٠٣	الحرب الأهلية في الأردن	١٢	١٣
٤٤٣	الوحدة العربية	١٢	١٨
٢٣٢	عبدالناصر	١١	٢٠
٢٦٥	بيغن	١١	١٧
٢٨٤	موشي ديان	١١	١٦
١٥٢	العنف الاسرائيلي	١٠	١٢
٤٤٦	خطف الطائرات/أخذ الرهائن	٨	٢٥
١٨٦	منظمة التحرير الفلسطينية	٨	١٥
٧٦	مساعدة عسكرية أمريكية الى اسرائيل	٨	١٢
٤٠٢	الحرب الأهلية في لبنان	٧	١٦
١٦١	العنف الفلسطيني	٧	١٥
٢٧٥	غولدا مائير	٧	١٣
١٣٨	المخاوف من التوسع السوفياتي	٧	١٠
١٤٠	القصف الفلسطيني لمخيات اللاجئين ولأهداف مدنية	٧	١٠
١٨٩	منظمة التحرير تنعت «بعصابة من الارهابيين»	٧	١٠
١٠٩	العلاقات العربية ـ الأمريكية	٧	٨
٣٤٠	النفط	٦	١٤
٤٠٦	المشاكل الداخلية في الوطن العربي	٦	١٢
٢٦٧	بيغن كـ«عنيد»	٦	١١
٤٤٧	تفوّق إسرائيل وعنجهيتها وتعنتها	٦	١١
٣٩	المفاوضات	٦	٩
١٢٧	العلاقات العربية ـ السوفياتية	٦	٩

تابع جدول رقم (٢)

الرقم	المحاور	مجموع الظهور	مجموع عدد مرات التكرار
١٣٧	تهديد المصالح الغربية	٦	٩
١٦٤	العنف الفلسطيني ينعت بالارهاب	٦	٩
١٦	قوات حفظ السلام	٦	٦
٧٥	العلاقات بين أمريكا واسرائيل	٦	٦
٢٠٢	الضفة الغربية وقطاع غزة	٥	١١
٢٠٢	تهديد إسرائيل للفلسطينيين في الضفة الغربية	٥	١٠
١٠٠	العلاقات العربية ـ البريطانية	٥	٩
٧	العرب يطالبون بتسوية سلمية	٥	٧
٣٠	وقف إطلاق النار	٥	٧
٣٤٥	مصالح الغرب النفطية	٥	٧
٩٨	العلاقات المتوترة بين إسرائيل والاتحاد السوفياتي	٥	٦
١٤٣	تبرير غزو اسرائيل للبنان بأنه احتياط أمني	٥	٦
٣٤١	العرب كـ«مبتزين»	٥	٥
٣٩١	الاسلام	٥	٥
٤٠١	النزاع وعدم الاستقرار في الوطن العربي	٥	٥
٤٣٨	الاشارة الى التوراة	٥	٥
٤٤١	اللوبي الصهيوني	٥	٥
٢٤١	السادات كصانع سلام	٥	٥
٢٠٣	الضفة الغربية باعتبارها يهودا والسامرة	٥	٥

المراجع

Books

Abu-Laban, Baha and Faith T. Zeadey (eds.). *Arabs in America: Myths and Realities.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. (AAUG Monograph Series, no. 5)

Abu-Lughod, Ibrahim (ed.). *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective.* Foreword by Malcolm H. Kerr. Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1970.

——. *The Transformation of Palestine: Essays on the Origin and Development of the Arab-Israeli Conflict.* Foreword by Arnold J. Toynbee. Evanston, Ill.: Northwestern University Press, 1971.

—— and Baha Abu-Laban. *Settler Regimes in Africa and the Arab World: The Illusion of Endurance.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1974. (AAUG Monograph Series, no. 4)

Adams, Michael and Christopher Mayhew. *Publish It Not: The Middle East Cover Up.* London: Longman, 1975.

Adams, William C. (ed.). *Television Coverage of the Middle East.* Norwood, N.J.: Ablex Publishing Corporation, 1981.

Ahmad, Leila. *Edward W. Lane: A Study of His Life and Works and of British Ideas of the Middle East in the Nineteenth Century.* Beirut: Librairie du Liban; London: Longman, 1978.

Aldington, Richard. *Lawrence of Arabia: A Biographical Enquiry.* London: Collins, 1955.

Amery, J. *Life of Joseph Chamberlian.* London: [n.pb.], 1951.

Anderson, P. *The Lineages of the Absolutist State.* New York: New Left Books, 1974.

Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement.* London: Hamilton, 1938.

Aruri, Nasser H. (ed.). *Middle East Crucible: Studies on the Arab-Israeli War of October 1973.* Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1975. (AAUG Monograph Series, no. 6)

Asad, Talal (ed.). *Anthropology and the Colonial Encounter.* London: Ithaca Press, 1975.

Assad, Thomas J. *Three Victorian Travellers.* London: Routledge and Kegan Paul, 1964.

Atiyah, Edward Selim. *The Arabs.* Revised ed. Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1958.

Atwood, L.E. [et al.] (eds.). *International Perspective on News.* Carbondale, Ill.: Southern Illinois University Press, 1982.

Avineri, Shlomo (comp.) *Israel and the Palestinians.* New York: St. Martin's, 1979.

Avnery, Uri. *Israel without Zionism: A Plea for Peace in the Middle East.* New York: Macmillan, 1968.

Barrett, Michelle [et al.]. *Ideology and Cultural Production.* London: Croom Helm, 1979.

Batroukha, Mohammed Ezzedin. «The Editorial Attitudes of the New York Times and the Christian Science Monitor toward the Arab-Israeli Dispute (January 1, 1955 — June 30, 1956): A Content Analysis Study.» (Ph.D. Dissertation, Syracuse University, New York, 1961).

Beling, Willard A. (ed.). *The Middle East: Quest for an American Policy.* Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1973.

Bendt, A. and J. Downing. *We Shall Return: Woman of Palestine.* London: Zed Press, 1982.

Berelson, B. *Content Analysis in Communication Research.* New York: Free Press of Glencoe, 1952.

—— and M. Janowitz. *Reader in Public Opinion and Communication.* 2nd ed. New York: Free Press, 1966.

Berger, Morroe. *The Arab World Today.* New York: Doubleday, 1964.

Berle, A. and G. Means. *The Modern Corporation and Private Property.* New York: Harcourt Brace, 1968.

Bidwell, R. *Travellers in Arabia.* Hamlyn Publishing Group Ltd., 1976.

Blackburn, Robin (ed.). *Ideology in Social Science: Readings in Critical Social Theory.* London: Fontana, 1972.

Blumler, Jay and E. Katz (eds.). *The Uses of Mass Communication.* Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1974.

Bober, Aric (comp.). *The Other Israel: The Radical Case against Zionism.* Garden City, N.Y.: Anchor Books, 1972.

Bock, P.K. *Continuities in Psychological Anthropology.* San Francisco: W.H. Freeman, 1980.

Brockelmann, Carl. *History of the Islamic Peoples.* With a review of events, 1939-1947 by Moshe Perlmann. Translated by Joel Carmichael and Moshe Perlmann. London: Routledge and Kegan Paul, 1960. (Capricorn Books, G.A.P. Giant, 204)

Brodie, F. *The Devil Drives.* London: Eyre and Spottiswoode, 1967.

Budd, R.W., R.K. Thorp and L. Donohew. *Content Analysis of Communication.* New York: Macmillan, 1967.

Chaney, D. *Process of Mass Communication.* London: Macmillan, 1972.

Chibnall, S. *Law and Order News: An Analysis of Crime Reporting in the British*

Press. London: Tavistock Publications, 1977.
Christian, Harry (ed.). *The Sociology of Journalism and the Press*. Keele: University of Keele, 1980. (Sociological Review Monograph, 29)
Cohen, Stanley. *Folk Devils and Moral Panics: The Creation of the Mods and Rockers*. St. Albans: Paladin, 1973.
—— and Jock Young (eds.). *The Manufacture of News: Social Problems, Deviance and the Mass Media*. Revised ed. London: Constable, 1981.
Critcher, C., M. Parker and R. Sondhi, *Race in the Provincial Press: A Case Study of Five West Midlands Newspapers*. Brimingham, London: Centre for Contemporary Cultural Studies, 1975.
Curran, James and J. Seaton. *Power without Responsibility: The Press and Broadcasting in Britain*. London: Fontana Paperbacks, 1981.
——, Michael Gurevitch and Janet Woollacott (eds.). *Mass Communication and Society*. London: Edward Arnold in association with the Open University Press, 1977.
Curtin, Philip D. (ed.). *The Image of Africa: British Ideas and Actions, 1780-1850*. London: Macmillan, 1965.
——. *Imperialism: The Documentary History of Western Civilization*. London; New York: Harper and Row, 1971.
Daniel, Norman. *The Arabs and Medieval Europe*. Lodnon: Longman; Beirut: Librairie du Liban, 1975.
——. *Islam and the West: The Making of an Image*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960. (Language Literature, no. 12)
——. *Islam, Europe and Empire*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1966.
Davis, Uri. *Israel Utopia Incorporated: A Study of Class, State and Corporate Kin Control*. London: Zed Press, 1977.
De Sola Pool, I. (ed.). *Trends in Content Analysis*. Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1959.
Dimbleby, J. *The Palestinians*. London: Quartet Books, 1980.
Dixon, B. *Catching them Young*. London: Pluto Press, 1977.
Downing, J. *The Media Machine*. London: Pluto Press, 1980.
Epstein, E.J. *News from Nowhere: Television and the News*. New York: Random House, 1973.
Ferguson, M. *For Ever Feminine: Women's Magazines and the Cult of Femininity*. London: Heinemann, 1983.
Fraser, T.G. *The Middle East, 1914-1979*. London: Edward Arnold, 1980.
Freeth, Zahra Dickson and H.V.F. Winstone. *Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era*. London; Boston: Allen and Unwin; New York: Holmes and Meier, 1978.
Friedman, Isaiah. *The Question of Palestine, 1914-1918: British-Jewish-Arab Relations*. London: Routledge and Kegan Paul; New York: Schocken Books, 1973.
Furnivall, John Sydenhaum. *Colonial Policy and Practice: A Comparative Study of Burma and Netherlands India*. Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1948.
——. *Netherlands India: A Study of Plural Economy*. With an introduction by

Jonkheer Mr. A.C.D. de Graeff. Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1944.
Garnett, David. *Selected Letters of T.E. Lawrence.* Lodnon: Jonathan Cape, 1938.
Gerbner, G. [et al.] (eds.). *The Analysis of Communication Content.* New York: John Wiley, 1969.
Ghareeb, Edmund (ed.). *Split Vision: Arab Portrayal in the American Media.* Washington, D.C.: Institute of Middle Eastern and North African Affairs, 1977.
Gibb, Hamilton Alexander and Harold Bowen. *Islamic Society and the West: A Study of the Impact of Western Civilization on Moslem Culture in the Near East.* London; New York: Oxford University Press, 1950.
Giles, Howard (ed.). *Language Ethnicity and Intergroup Relations.* London: Academic Press, 1977.
Gill, D. [et al.]. *Multiracial Education.* London: [n.pb.], 1982.
Gilmour, David. *Dispossessed: The Ordeal of the Palestinian.* London: Sphere Books Ltd., 1982.
Glasgow University Media Group. *Bad News.* London: Routledge and Kegan Paul, 1976.
——. *More Bad News.* London: Routledge and Kegan Paul, 1980.
——. *Really Bad News.* London: Routledge and Kegan Paul, 1982.
Golding, P. and P. Elliott. *Making the News.* London: Longman, 1979.
Gouldner, Alvin Ward. *The Coming Crisis of Western Sociology.* London: Heinemann, 1971.
Graves, Robert. *Lawrence and the Arabs.* London: Jonathan Cape, 1928.
Gurevitch, Michael [et al.] (eds.). *Culture, Society and the Media.* London: Methuen, 1982.
Hall, Stuart [et al.]. *Policing the Crisis: Mugging, the State and Law and Order.* London: Macmillan, 1978.
—— (eds.). *Culture, Media, Language.* London: Hutchinson, 1980.
Halloran, J.D. *The Effects of Mass Communication with Special Reference to Television: A Survey.* Leicester: Leicester University Press, 1964.
—— (ed.). *The Effects of Television.* London: Panther Books, 1970.
——, P. Elliott and G. Murdock. *Demonstrations and Communication: A Case Study.* Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1970.
Halmos, Paul (ed.). *The Sociology of Mass Media Communicators.* Keele: University of Keele, 1969. (Soicological Review Monongraph, 13)
Halpern, Ben. *The Idea of the Jewish State.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1961. (Harvard Middle Eastern Studies, 3)
Hamady, Sania. *Temperament and Character of the Arabs.* New York: Twayne Publishers, 1960.
Harris, M. *Cultural Materialism.* New York: Random House, 1980.
Hartley, J. *Understanding News.* London: Methuen, 1982.
Hertzberg, Arthur (ed.). *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader.* New York: Atheneum, ©1969.
Herzl, Theodor. *The Complete Diarries of Theodor Herzl.* Edited by Raphael Patai. Translated by Harry Zohn. New York: Herzl Press, 1960.

Hess, Moses. *Rome and Jerusalem.* New York: Bloch Publishing Co., 1862.
Hicks, D. *Bias in Geography Textbooks.* London: University of London, 1981.
Hirst, David. *The Gun and the Olive Branch: The Roots of Violence in the Middle East.* London: Faber and Faber; New York: Harcourt, 1977.
Hitti, Philip Khuri. *The Arabs: A Short History.* London: Macmillan, 1960.
——. *Islam and the West: A Historical Survey.* Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1962.
——. *Makers of Arab History.* London: Macmillan; New York: St. Martin's Press, 1968.
Holsti, Ole R. *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities.* Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969.
Holt, Peter Malcolm. *Studies in the History of the Near East.* London: Frank Cass, 1973.
Hourani, Albert Habib. *Europe and the Middle East.* London: Macmillan; St. Anthony's, 1980.
——. *Western Attitudes towards Islam.* Southampton: Southampton University Press, 1974. (Montefiore — Memorial Lectures, 10)
Husband, Charles (ed.). *Race in Britain: Continuity and Change.* London: Hutchinson University Library, 1982.
Hymes, Dell (ed.). *Re-Inventing Anthropology.* New York: Pantheon Books,1972.
Ingrams, Doreen (comp.). *Palestine Papers, 1917-1922: Seeds of Conflict.* London: John Murray, 1972.
International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination (ed.). *Zionism and Racism.* London: Billing and Sons Ltd., 1977.
Jabara, Abdeen and Janice Terry (eds.). *The Arab World from Nationalism to Revolution.* With a foreword by Ibrahim Abu-Lughod.Wilmette, Ill.: Medina University Press International, 1971. (AAUG Monograph Series, no. 3)
Jordan, W. D. *White over Blacks.* London: Penguin Books, 1971.
Kayyali, Abdul-Wahhab (ed.). *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948.* Beirut: Institute for Palestine Studies, 1971. (I.P.S., Anthologie Series, no. 2)
Kiernan, V.G. *The Lords of Human Kind.* London: [n.pb.], 1969.
Klapper, J.T. *The Effects of Mass Communication.* New York: Free Press, 1960.
Kluckhohn, C. [et al.] (eds.). *Personality in Nature, Society and Culture.* 2nd ed. New York: Alfred A. Knopf, 1953.
Knightley, Phillip and Colin Simpson. *The Secret Lives of Lawrence of Arabia.* London: Nelson, 1969.
Kobler, Franz. *The Vision Was There: A History of the British Movement for the Restoration of the Jews of Palestine.* London: Published for the World Jewish Congress, British Section by Lincolns — Praeger, 1956.
Koestler, Arthur. *The Thirteen Tribe: The Khazar Empire and its Heritage.* London: Hutchinson, 1976.
Kohn, Hans. *Nationalism: Its Meaning and History.* Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1955.
Krippendorff, K. *Content Analysis: An Introduction to its Methodology.* London: Sage Publications, 1980.
Kruger, R. *Good-Bye Dolly Gray.* London: Pan Books, 1974.

Kuper, A. *Anthropologists and Anthropology: The British School, 1922-1972.* London: Penguin Books, 1978.
Laqueur, Walter Zéev (ed.). *The Israeli-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict.* London: Weidenfeld; New York: Citadel Press, 1969.
——. *The Middle East in Transition: Studies in Contemporary History.* New York: Free Port, 1971.
Laroui, Abdallah. *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?* Translated from French by Diarmid Cammell. Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976.
Lawrence, Thomas Edward. *Oriental Assembly.* London: Williams and Norgate, 1959.
——. *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph.* London: Jonathan Cape, 1935.
Levine, R.A. *Culture, Behaviour and Personality.* London: Hutchinson, 1973.
Lewis, Bernard. *The Arabs in History.* 3rd ed. London: Hutchinson's University Library, 1964.
——. *British Contributions to Arabic Studies.* London: Published for the British Council by Longman, 1941.
——. *The Middle East and the West.* Bloomington: Indiana University Press, 1964.
—— and P.M. Holt (eds.). *Cambridge History of Islam.* Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1970.
Lewisohn, L. (ed.). *Theodor Herzl.* Cleveland: World Pub. Comp., 1955.
Lilienthal, Alfred M. *The Zionist Connection: What Price Peace?* New York: Dodd, Mead, 1978.
Lorch, Netanel. *Israel's War of Independence, 1947-1949.* Hartford: Hartmore House, 1968.
McIntosh, M. and P. Rock (eds.). *Deviance and Social Control.* London: Tavistock, 1974.
McQuail, Denis. *Towards a Sociology of Mass Communication.* London: Macmillan, 1969.
—— (ed.). *Sociology of Mass Communication.* London: Penguin Books, 1972.
—— and S. Windahl. *Communication Models for the Study of Mass Communication.* London: Longman, 1981.
Mansfield, Peter. *The Arabs.* London: Penguin Books, 1978.
Mehdi, M.R. (ed.). *A Palestine Chronicle: Being a Record of Injustice.* London: Alpha, 1973.
Middle East Research and Information Project. *Middle East Studies Network.* Washington, D.C.: MERIP, 1975 (MERIP Reports, no. 38)
Miliband, Ralph and John Saville (eds.). *The Socialist Register.* London: Merlin Press, 1974.
Mortimer, E. *Faith and Power: The Politics of Islam.* London: Faber and Faber, 1982.
Mousa, Suleiman. *T.E. Lawrence: An Arab View.* Translated by Albert Butros. London: Oxford University Press, 1966.
Nasir, Sari J. *The Arabs and the English.* London: Longman, 1976.
Nazzal, Nafez. *The Palestinian Exodus from Galilee, 1948.* Beirut: Institute for Palestine Studies, 1978. (I.P.S. Monograph Series, no. 49)
Nutting, Anthony. *The Arabs.* New American Library, 1964.

Oldroyd, D.R. *Darwinian Impacts: An Introduction to the Darwinian Revolution.* London: Open University Press, 1980.

Padelford, E.A. «The Regional American Press: An Analysis of its Reporting and Commentary on the Arab-Israeli Situation.» (Ph.D. Dissertation, American University, Washington, 1979).

Parkin, Frank. *Class Inequality and Political Order.* London: McGibbon and Kee, 1971.

Patai, Raphael. *The Arab Mind.* New York: Scribner, 1973.

Race as News, Paris: UNESCO Press, 1974.

Rodinson, Maxime. *Islam and Capitalism.* Translated from French by Brian Pearce. London: Allen Lane; New York: Pantheon Books, 1974.

——. *Israel: A Colonial-Settler State.* New York: Monad Press, 1973.

Rosengren, Kirk Erik (ed.). *Advances in Content Analysis.* Beverly Hills, Calif.: Sage Publications, 1981.

Said, Edward. *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World.* London: Routledge and Kegan Paul, 1981.

——. *Orientalism.* London: Routledge and Kegan Paul; New York: Pantheon Books, 1978.

——. *The Question of Palestine.* London: Routledge and Kegan Paul, 1980.

Sanua, D.V. *The Pscychology of the Egyptian Fellahin.* 1966.

Saunders, John Joseph. *A History of Medieval Islam.* London: Routledge and Kegan Paul; New York: Barnes and Noble, 1965.

Schlesinger, Philip. *Putting «Reality» Together, BBC News.* London: Constable, 1978.

Schmid, A.P. and J. de Graaf. *Violence as Communication: Insurgent Terrorism and the Western Media.* London: Sage Publications, 1982.

Schramm, W. *Mass Communication: A Book of Reading.* 2nd ed. Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1960.

——. *Mass Media and National Development.* Paris: UNESCO Press, 1964.

Searight, Sarah. *The British in the Middle East.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1969.

Selzer, Michael (ed.). *Zionism Reconsidered.* New York: Macmillan, 1970.

Shaban, M.A. *The Abbassid Revolution.* Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1970.

——. *Islamic History: A New Interpretation.* Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1976. 2 vols.

Sheehan, B. *Savagism and Civility: Indians and Englishmen in Colonial Verginia.* Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1980.

Smith, G.V. (ed.). *Zionism, the Dream and the Reality: A Jewish Critique.* London: David and Charles, 1974.

Smith, Wilfred Cantwell. *Islam in Modern History.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1957.

Southern, Richard William. *Western Views of Islam in the Middle Ages.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1962.

Stein, Leonard J. *The Balfour Declaration.* London: Valentine; New York: Simon and Schuster, 1961.

Stevens, R.P. *Weizmann and Smuts*. Beirut: Institute for Palestine Studies, 1976.
Stewart, Desmond Stirling. *The Palestinians: Victims of Expediency*. London: Quartet Books, 1981.
——. *Theodor Herzl*. New York: Doubleday, 1974.
Suleiman, M.W. «An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News — Magazines, July-December 1956.» (M.A. Thesis, University of Wisconsin, Madison, 1961).
Talmon, J. *Israel among the Nations*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1970.
Thomas, Bertram. *The Arabs: The Life-Story of a People Who Have Left Their Deep Impress on the World*. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1937.
Thomas, Lowell. *With Lawrence in Arabia*. London: Hutchinson, 1925.
Troyna, B. *Public Awareness and the Media: A Study of Reporting on Race*. London: Commission for Racial Equality, 1981.
Tunstall, Jeremy. *Journalist at Work*. London: Constable; Urbana, Ill.: University of Illinois, 1971.
——. *The Media Are American: Anglo-American Media in the World*. London: Constable, 1977.
——. *Media Sociology: A Reader*. London: Constable, 1975.
—— (ed.). *Media Sociology*. Urbana, Ill.: Urbana University, 1970.
Turner, Bryan S. *Marx and the End of Orientalism*. Boston; London: Allen and Unwin, 1978. (Controversies in Sociology, 7)
——. *Weber and Islam: A Critical Study*. London: Routledge and Kegan Paul, 1974.
Vatikiotis, Panayiotis J. (ed.). *Revolution in the Middle East and other Case Studies*. Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield, 1972.
Von Grunebaum, Gustave Edmund. *Modern Islam: The Search for Cultural Indentity*. New York: Vintage Books, 1964.
Watkins, David. *Labour and Palestine*. London: Labour Middle East Council, 1975.
Watt, M.W. *The Majesty That Was Islam: The Islamic World, 661-1100*. London: Sidgwich and Jackson, 1976.
Weinstock, H. *Zionism: False Messiah*. London: Ink Links, 1979.
Weintraub, S. and R. Weintraub (eds.). *Evolution of a Revolt: Early Postwar Writings of T.E. Lawrence*. Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1968.
Weizmann, Chaim. *Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann*. New York: Harper and Row, 1966.
Wells, Herbert George. *The Outline of History: Being a Plain History of Life and Mankind*. London: Cassell, 1923.
Williams, Ann. *Britain and France in the Middle East and North Africa, 1914-1967*. London: Macmillan; New York: St. Martin's Press, 1968.
Wittfogel, K. *Oriental Despotism*. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1957.
Zaremba, Alan Jay. «An Exploratory Analysis of National Perceptions of the Arab-Israeli Conflict as Representing Through World Newspapers: An International Communication Study.» (Ph.D. Dissertation, State University of New York, 1977).
Zebel, H.B. *Balfour: A Political Biography*. Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1973.

Ziff, William Bernard. *The Rape of Palestine*. London: St. Botolph's Pub. Co., 1948.
Zureik, Elia T. *The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism*. London: Routledge and Kegan Paul, 1979.

Periodicals

Abdel Malek, Anouar. «Orientalism in Crisis.» *Diogenes:* vol. 44, 1964.
Adams, C.J. «Islamic Religion.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 4, no. 3, 15 October 1970.
——— .«Culture and Conflict in Egyptian Village.» *American Anthropologist:* no. 59, 1957.
Ali, M.J. «The Arabian Nights in Eighteenth Centrury English Criticism.» *Muslim World:* January 1977.
Anderson, D.C. and W.W. Sharrock. «Biasing the News: Technical Issues in Media Studies.» *Sociology:* vol. 13, no. 3, September 1979.
Anderson, P. «The Origins of the Present Crisis.» *New Left Review:* no. 23, 1964.
Banaji, J. «The Crisis of the British Anthropology.» *New Left Review:* no. 64, 1970.
Becker, H. S. «Whose Side Are We on?» *Social Issues:* vol. 14, no. 3, 1967.
Beit-Hallahmi, Benjamin. «Some Psycho-Social-Cultural Factors in the Arab-Israeli Conflict: A Review of the Literature.» *Journal of Conflict Resolution:* vol. 16, no. 2, June 1972.
Belkaoui, J.M. «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-1974.» *Journalism Quarterly:* no. 55, Winter 1978.
Bernard, C. «Islam and Women: Some Reflections of the Experience of Iran.» *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies:* vol. 4, no. 2, Winter 1980.
Blumler, G.J. «The Role of Theory in Uses and Gratification Studies.» *Communication Research:* vol. 6, no. 1, January 1978.
Cauthen, N.R. [et al.]. «Stereotypes: A Review of Literature, 1926-1968.» *Journal of Sociology:* no. 84, 1971.
Cooley, J.K. «The News from the Middle East: A Working Approach.» *Middle East Journal:* Autumn 1981.
Coury, Ralph. «Why Cannot They Be Like Us?» *Review of Middle East Studies:* no. 1, 1975.
Cragg, Kenneth. «The Intellectual Impact of Communism Upon Contemporary Islam.» *Middle East Journal:* vol. 8, no. 2, Spring 1954.
Daily Express: 2/6/1967; 7/6/1967, 10/6/1967; 8/10/1973; 10/10/1973; 18/11/1977; 11/3/1978; 22/9/1978, and 14/6/1980.
Dajani, Nabil and John Donhue. «Foreign News in the Arab Press: A Content Analysis of Six Arab Dailies.» *Gazette:* vol. 19, no. 3, 1973.
Faris, Hani. «Israel Zangwill's Challenge to Zionism.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 4, no. 3, Spring 1975.
Farmer, L. «All We Know Is What We Read in the Papers: A Study of U.S. Press Coverage of the Middle East Crisis.» *Middle East Newsletter:* vol. 2, no. 2, February 1968.
Feldman, H. «Children of the Desert: Notes on Arab National Character.» *Psychoanalysis and Psychoanalytic Review:* no. 45, 1958.
Galtung, Johan. «The Middle East and the Theory of Conflict.» *Journal of Peace*

Research: vol. 8, nos. 3-4, 1971.
Gendzier, Irene L. «Notes towards a Reading of the Passing of Traditional Society.» *Review of Middle East Studies:* no. 3, 1978.
George, Alan. «Making the Desert Bloom: A Myth Examined.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 2, Winter 1979.
Glass, Chalres. «Jews against Zion: Israeli Jewish Anti-Zionism.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 5, no. 1, Autumn 1975 – Winter 1976.
Glavanis, Kathleen R.G. «Cold War Ideology and Middle Eastern History: A Critique of «Communism and Islam» by Bernard Lewis.» *Review of Middle East Studies:* no. 2, 1976.
Golding, P. and G.Murdock. «Theories of Communication and Theories of Society.» *Communication Research:* vol. 5, no. 3, July 1978.
Gottlieb, R. «The Dialectics of National Identity Revisited: A Reply to Johnson.» *Socialist Review:* no. 47, 1979.
Gough, K. «Anthropology: A Child of Imperialism.» *Monthly Review:* vol. 19, no. 11, 1968.
Gran, Peter. «The Middle East in the Historiography of Advanced Capitalism.» *Review of Middle East Studies:* no. 1, 1975.
——— .«The Study of Medieval Islamic History, 1930's-1950's in Three Well Known Texts.» *Review of Middle East Studies:* no. 2, 1976.
Guardian: 2/6/1967; 5/6/1967; 6/6/1967; 9/6/1967; 8/10/1973; 10/10/1973; 12/10/1973; 27/12/1973; 17/11/1977; 19/11/1977; 20/9/1978; 12/6/1980, and 13/6/1980.
Hagopian, Elaine C. «The Arab Mind.» Book review. *Journal of Palestine Studies:* vol. 6, no. 4, Summer 1977.
Halbrook, S. «The Class Origin of Zionist Ideology.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 2, no. 1, 1972.
Hannan, C. «Image of Islam: History Books Give an Offensive View of Muslims as Cruel Fanatics.» *Times Educational Supplement:* 19 November 1982.
Hollenbach, J.W. «The Image of the Arab in Nineteenth Century English and American Literature.» *Muslim World:* July 1972.
Johnson, P. «A Historical Dialectics: A Response to Reoger Gottlieb.» *Socialist Review:* no. 47, 1979.
Kerr, Malcolm H. «The Arab Mind by Raphael Patai.» Book review. *Muslim World:* 1976.
Krieling, A. «Recent British Communication Research.» *Communication Research:* vol. 3, January 1976.
Lebling, Bob. «Orientalism.» Book review. *Journal of Palestine Studies:* vol. 9, no. 2, Winter 1980.
Machover, M. and M. Offenberg. «Zionism and its Scarecrows.» *Khamsin:* no. 6, 1978.
Malik, Hafeez. «Islam and Women: Some Experiments in Qatar.» *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies:* vol. 4, no. 2, Winter 1980.
Melikian, L.H. «Authoritarianism and its Correlates in the Egyptian Culture and the United States.» *Journal of Social Issues:* no. 15, 1959.
——— .«Some Correlates of Authoritarianism in Two Cultures.» *Journal of Psychology:* no. 42, 1956.

Mortimer, E. «Islam and the Western Journalism.» *Middle East Journal:* Autumn 1981.

Murdock, G. «Misreprecenting Media Sociology: A Reply to Anderson and Sharrock.» *Sociology:* vol. 14, no. 1, February 1980.

Naim, Samir. «Towards a Demystification of Arab Social Reality: A Critique of Anthropological and Political Writings on Arab Societies.» *Review of Middle East Studies:* no. 3, 1978.

Nnaemeka, T. and J. Richstad. «Internal Contròls and Foreign News Coverage.» *Communication Research:* vol.8, no.1, January 1981.

Ostgaard, E. «Factors Influencing the Flow of News.» *Journal of Peace Research:* no. 2, 1965.

Peterson, S. «International News Selection by the Elite Press: A Case Study.» *Public Opinion Quarterly:* vol. 5, no. 2, Summer 1981.

Perry, Glen. «Treatment of the Middle East in American High School Textbooks.» *Journal of Palestine Studies:* no. 3, Spring 1975.

Petran, T. «Palestine, the Arabs and Zionism.» *Information Papers:* no. 1, July 1970.

Polkehn, K. «Zionism and Kaiser's Germany: Zionist Diplomacy with the Empire of Kaiser Wilhelm.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 4, no. 2, Winter 1975.

Rosengren, Kirk E. «International News: Methods, Data and Theory.» *Journal of Peace Research:* no. 11, 1974.

Rosenthal, F. «In Memorian.» *International Journal of Middle East Studies:* 1973.

Royster, James E. «The Study of Mohammad: A Survey of Approaches from the Perspective of the History and Phenomenology of Religion.» *Muslim World:* January 1972.

Sande, O. «The Perception of Foreign News.» *Journal of Peace Research:* no. 8, 1971.

Sanua, D.V. «Is Peace in the Middle East Possible? A Study of Psychologist Factors.» *International Psychologist:* no. 12, 1971.

——.«The National Character of the Arabs and its Effects on the Middle East Conflict.» *American Psychological Association Annual Convention* (Miami Beach): September 1970.

Schaar, S. «Orientalism at the Service of Imperialism.» *Race and Class:* vol. 21, 1979.

Schlesinger, Philip. «Price Gate, 1980: The Media Politics of Siege Management.» *Screen Education* (London): no. 37, Winter 1980.

Shouby, E. «The Influence of the Arabic Language on the Psychology of the Arab.» *Middle East Journal:* vol. 5, no. 3, Summer 1951.

Smith, R.F. «On the Structure of Foreign News: A Comparison of the New York Times and the Indian White Papers.» *Journal of Peace Research:* no. 6, 1969.

Stevens, R.P. «Smuts and Weizmann.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 2, no. 1, Autumn 1973.

Stewart, Desmond Stirling. «Herzl's Journeys in Palestine and Egypt.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 3, Spring 1974.

Suleiman, Michael W. «National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 3, Spring 1974.

Swanson, D. «The Continuing Evolution of the Uses and Gratification Approach.» *Communication Research:* vol. 6, no. 1, January 1978.

——.«Political Communication Research and the Uses and Gratification Model: A Critique.» *Communication Research:* vol. 6, no. 1, January 1978.
Taylor, A.R. «Zionism and Jewish History.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 1, no. 2, Winter 1972.
Terry, Janice. «Zionist Attitudes toward Arabs.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 5, no. 1, Autumn 1976.
—— and G. Mendenhall. «1973 U.S. Press Coverage of the Middle East.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 3, no. 1, Autumn 1974.
Tibawi, Abdul-Latif. «English-Speaking Orientalists: A Critique of Their Approach to Islam and Arab Nationalism.» *Muslim World:* vol. 53, no. 3, July 1963.
Turner, Bryan S. «Conscience in the Construction of Religion: A Critique of Marshal G.S. Hodgson's the Venture of Islam.» *Review of Middle East Studies:* no. 2, 1976.
——. «Determinant Structures and Contingent Revolution: Critical Comments on Vatikiotis (ed.). *Revolution in the Middle East.*» *Review of Middle East Studies:* vol. 3, 1978.
——.«Islam, Capitalism and Weber Thesis.» *British Journal of Sociology:* vol. 25, 1974.
Van Leuven, J. «Expectancy Theory in Media and Message Selection.» *Communication Research:* vol. 8, no. 4, October 1981.
Waines, D. «Cultural Anthropology and Islam.» *Review of Middle East Studies:* no. 2, 1976.
Waltz, J. «Historical Perspective on «Early Missions» to Muslims.» *Muslim World,* 1971.
Zubaida, Sami. «Economic and Political Activitism in Islam.» *Journal of Economics and Society:* vol. 1, no. 3, August 1972.

Conferences, Seminars

Conference on National Film Institute, South Bank, London, 5-6 April 1983.
International Press Seminar, 1979. *The Arab Image in the Western Mass Media.* London: Morris International, 1980.

فهرس

(ب)

(خ)

(د)

دوريات

(ر)

(ز)

(س)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٢ $) .... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤) (١٢٨ ص ـ ١,٥٠ $) ..... أحمد فارس عبد المنعم
- الجماعة الاوروبية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ ص ـ ٣ $) .... د. عبد المنعم سعيد
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ ص ـ ٢ $) .... د. نازلي معوض احمد
- الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ ص ـ ١,٥٠ $) .... د. عبد المنعم السيد علي
- اوروبا والوطن العربي (سلسلة الثقافة القومية (٨)) (٣٦٨ ص ـ ٣,٥٠ $) .... د. نادية محمود محمد مصطفى
- المثقفون والبحث عن مسار: دور المثقفين في اقطار الخليج العربية في التنمية (٩)
(٢٤٤ ص ـ ٢,٥٠ $) .... د. اسامة عبد الرحمن
- نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (١٠) (١٠٨ ص ـ دولار واحد) .... د. غسان سلامة
- السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥
(١١) (١٤٤ ص ـ ١,٥٠ $) .... د. محمد الاطرش
- معوقات العمل العربي المشترك (١٢) (١٥٦ ص ـ ٢ $) .... د. وليد عبد الحي
- رحّل في ارض العرب: عن الهجرة للعمل في الوطن العربي (١٣) (١١٦ ص ـ ١,٥٠ $) .... د. نادر فرجاني
- التجزئة العربية كيف تحققت تاريخياً؟ (سلسلة الثقافة القومية (١٤)) (٢٢٤ ص ـ ٤ $) .... د. أحمد طربين

- موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١) (٥٤٠ ص ـ ١١ $) .... د. علي محافظة
- تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) .... مجموعة من الباحثين
- الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها (جزءان)،
(١٢٩٦ ص ـ تجليد عادي ٢٦ $/ تجليد فني ٣٠ $) .... د. محمد لبيب شقير
- تطور الفكر القومي العربي (٤٠٨ ص ـ ٨ $) .... ندوة فكرية
- نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة،
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٧) (٤٠٨ ص ـ ٨ $) .... مجموعة من الباحثين
- تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي (٥٤٨ ص ـ ١١ $) .... ندوة فكرية
- التصحر في الوطن العربي (١٧٦ ص ـ ٣,٥٠ $) .... د. محمد رضوان الخولي
- كيف يصنع القرار في الوطن العربي (٢٦٠ ص ـ ٥ $) .... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- صناعة الانشاءات العربية (٣٩٢ ص ـ ٨ $) .... د. انطوان زحلان
- التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الاصالة والمعاصرة (٨٧٢ ص ـ ١٧,٥٠ $) ... طبعة ثانية .... ندوة فكرية
- السياسات التكنولوجية في الاقطار العربية (٥٢٨ ص ـ ١٠,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- الفلسفة في الوطن العربي المعاصر (٣٢٦ ص ـ ٦,٥٠ $) ... طبعة ثانية .... ندوة فكرية
- نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة... طبعة ثانية (١٩٦ ص ـ ٤ $) .... د. علي خليفة الكواري
- الاعلام العربي المشترك: دراسة في الاعلام الدولي العربي... طبعة ثانية (١٦٤ ص ـ ٣,٥٠ $) .... د. راسم محمد الجمال
- صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية... طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٨))
(٢٢٠ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. سامي مسلّم
- ازمة الديمقراطية في الوطن العربي (٩٢٨ ص ـ ١٨,٥٠ $) ... طبعة ثانية .... ندوة فكرية
- التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل.. طبعة ثانية،
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) .... مجموعة من الباحثين
- التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي... طبعة ثالثة (٣٢٦ ص ـ ٦,٥٠ $) .... د. عبد العزيز الدوري
- دراسات في القومية العربية والوحدة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)) (٢٨٤ ص ـ ٧,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي... طبعة ثانية (١٥٢ ص ـ ٣ $) .... د. محمد رضا محرم
- البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين،
طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) .... د. عبد الله عبد المحسن السلطان
- التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي:
المنهاج المقترح والأسس المضمونية والعملية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٦)) (٤٩٢ ص ـ ١٠ $) .... د. فؤاد حمدي بسيسو
- المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي... طبعة ثانية (٥١٦ ص ـ ١٠,٥٠ $) .... د. حليم بركات
- مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة
... طبعة ثانية (٢٥٦ ص ـ ٥ $) .... د. حسن نافعة
- اللغة العربية والوعي القومي... طبعة ثانية (٤٨٤ ص ـ ٩,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق...طبعة ثالثة
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥)) (٤٨٦ ص ـ ٩,٥٠ $) .... د. وميض جمال عمر نظمي
- السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٤))... طبعة ثانية (٢٤٤ ص ـ ٧ $) .... د. هالة أبو بكر سعودي



من منشورات

مركز دراسات الوحدة العربية

- الصراعات العربية ـ العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨١: دراسة استطلاعية. (٢٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. أحمد يوسف أحمد
- تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي (١)).. طبعة ثالثة (٣٨٨ ص ـ ٨ $) .... د. محمد عابد الجابري
- ما بعد الرأسمالية (سلسلة كتب المستقبل العربي (٩)) (٢٦٠ ص ـ ٥ $) .... د. سمير أمين
- مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي (٢٤٤ ـ ص ٥ $) .... د. أسامة الغزالي حرب
- القوى الخمس الكبرى والوطن العربي ـ دراسة مستقبلية ـ
(٢٢٤ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. ناصيف يوسف حتي
- المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)
(٢١٦ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. خلدون حسن النقيب
- المجتمع والدولة في المشرق العربي (٢٢٠ ص ـ ٦,٥٠ $) .... د. غسان سلامة
- المجتمع والدولة في المغرب العربي (١٥٦ ص ـ ٣ $) .... د. محمد عبد الباقي الهرماسي
- الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي (٤٢٤ ص ـ ٨,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- العرب ومستقبل النظام العالمي (٢٩٢ ص ـ ٦ $) .... د. عبد المنعم سعيد
- العرب ودول الجوار الجغرافي (٦٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $) .... د. عبد المنعم سعيد
- الأقباط والقومية العربية ـ دراسة استطلاعية ـ (٢٣٦ ص ـ ٥ $) .... د. أبو سيف يوسف
- يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٦ (٨٦٤ ص ـ ١٧,٥٠ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- دراسات في الحركة التقدمية العربية (٣٨٠ ص ـ ٧,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- العسكريون العرب وقضية الوحدة (٤٨٦ ص ـ ٩,٥٠ $) .... د. مجدي حماد
- البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية
(سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٠) (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. ابراهيم ابراش
- صورة العرب في عقول الامريكيين (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. ميخائيل سليمان
- السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٦٧
(سلسلة أطروحات الدكتوراه (٩) (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. بو قنطار الحسان
- الأدب العربي: تعبيره عن الوحدة والتنوع ـ بحوث تمهيدية (٤٤٠ ص ـ ٩ $) .... مجموعة من الباحثين
- حيازة التكنولوجيا المستوردة من أجل التنمية الصناعية:
مشكلات الاستراتيجية والادارة في الوطن العربي (٢٥٢ ص ـ ٥ $) .... ندوة فكرية
- وحدة المغرب العربي (٢٥٤ ص ـ ٥ $) .... ندوة فكرية
- التنمية المستقلة في الوطن العربي (١٠٠٢ ص ـ ٢٢ $) .... ندوة فكرية
- الهوية القومية في السينما العربية (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة (٤٦٨ ص ـ ٩,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة (٢٧٢ ص ـ ٥,٥٠ $) .... د. سعدون حمادي
- الأبعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي (٥٢٤ ص ـ ١٠,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية.
(نقد العقل العربي (٢)) (٦٠٠ ص ـ ١٢ $) ... طبعة ثانية .... د. محمد عابد الجابري

سلسلة الثقافة القومية

- حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨٠ ص ـ ٢ $) .... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ ص ـ ٥ $) .... د. عصمت سيف الدولة

د. حلمي خضر ساري

■ مواليد جنين ١٩٥٠

■ تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في جنين

■ ليسانس تربية وعلم نفس ـ الجامعة الأردنية ـ عمّان ١٩٧٢

■ ماجستير في دراسات السلام Peace studies جامعة برادفورد/بريطانيا ١٩٧٩

■ دكتوراه في علم الاجتماع الإعلامي من جامعة برادفورد/بريطانيا ١٩٨٣

■ شارك في مؤتمر «العرض في وسائل الاتصال الجماهيري»، المنعقد في لندن ١٩٨٣، ومؤتمر «دور علم النفس الاجتماعي في حل مشاكل التمييز العنصري»، المنعقد في جامعة برادفورد ١٩٧٩، وقدم ورقة عمل بعنوان «صورة المرأة في وسائل الاعلام» في المؤتمر الذي عقده اتحاد المرأة الأردني عام ١٩٨٥

■ يعمل حالياً مدرساً في قسم الاجتماع بالجامعة الأردنية.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون

ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان

تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤

برقياً: «مرعربي»

تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣

الثمن: [illegible] دولارات

أو ما يعادلها